منهج الإمام عبد الله بن علوي الحداد في العقيدة

إعداد

أحمد بن حسن بن صالح السقاف

منهج الإمام
عبدالله بن علوي الحدَّاد باعلوي
في العقيدة

إعداد

أحمد حسن صالح السقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لمعرفته بمظاهر قدرته، وفيض علمه وحكمته، فصرنا موحدين بقدرته ومشيئته، منزهين له عن التعطيل والتشبيه والتجسيم تعظيماً لربوبيته، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، تقدس عن الأشباه والأمثال، وتعالى عن الأنداد والأشكال، أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأحسن الخالقين، وخير الرازقين، الذي أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [١] ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢] ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[٣] ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٤] أحمده على ما علّم وألهم، وأنطق وأفهم، وفتح ومنح ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٥] ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٦] الحنان المنان، دائم الإحسان والامتنان، الذي تقدست مواهبه عن التخصيص بمكان أو زمان، وعن الحصر في فلان دون فلان، جل عن التقييد ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً فسبحانه كُلَّ يوم هو في شأن، أحمده حمد من غرق في بِره، فاعترف بالعجز عن القيام بشكره، وعن أن يُقْدِرَهُ حَقَّ قدره بعد الإتيان بحسب الطاقة والإمكان؛

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ اللهم صلِّ على سيدنا محمد وأزواجه وذريته كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وأزواجه وذريته كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) سورة الملك: الآية: ١٤.

(٢) سورة الحديد: الآية: ٢-٣.

(٣) سورة البقرة: من الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة البقرة: من الآية: ٢٥٥.

(٥) سورة فاطر: الآية: ٢.

(٦) سورة البقرة: الآية: ٣٢.

أما بعد:

فإن أسمى العلوم وارفعها هو علم العقائد، لأن الأمور الإلهية السماوية أعظم وأعز من الأمور السفلية، وكل ما قرب إلى العلو زاد على ما دونه ولذلك زادت السماء الدنيا على الأرض بأضعاف كثيرة مضاعفة، حتى صارت فيها كحلقة درع ملقاة في فلاة ثم هما في الثانية كذلك وهكذا إلى السماء السابعة ثم هي وما دونها في الكرسي كذلك ثم الكل في العرش كذلك وهكذا.

فعلم التوحيد هو الفقه الأكبر، والعقيدة والسنة والشريعة، لذلك اعتنى أكابر الأمة بهذا العلم واجتهدوا في بيان حقائقه، فتراهم يؤلفون ويصدون كل من ادخل على هذا العلم ما ليس منه، فقد أسكتوا الفرق التي قالت في التوحيد بالتجسيم والتشبيه، وأسكتوا الفرق التي قالت بخلق القرآن، وأن العبد يخلق أفعال نفسه وغيرها؛ وما من حقبة من الزمن إلا وتظهر فيه فتنة في الدين قد تقوى بعصا الحاكم والسياسة وقد تضعف وتموت على أيدي رجال السنة والجماعة، ومن هؤلاء الرجال الإمام عبدالله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي صاحب المؤلفات المشهورة، عاش في القرن الثاني عشر وتعرض لكل ما يتعرض له من يقول كلمة الحق من النفي والمضايقات، غير أنهم لا يبالون بأي شيء في سبيل إعلان كلمة الحق فصبر وثبت ونشر عقيدة أهل السنة والجماعة، ورد وتصدى للفتن التي ظهرت، ولقد أحببنا في هذا البحث المتواضع أن نستعرض جزءًا من علوم هذا الإمام، وهو دراسة منهجية لعقيدة الإمام الحداد، وذلك من أجل توضيح منهج هذا الإمام في العقيدة، ومذهبه وفكره، فنسأل الله أن يوفقنا ويلهمنا الصواب، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أسأل الله أن يوفقني لذلك إنه ولي ذلك والقادر عليه

وبالله الهداية والتوفيق.

أهمية الموضوع:

كما قدمنا بأن العلم المتعلق بمباحث العقيدة، هو من أفضل العلوم وأشرفها وقد حرص العلماء على تعلمها وتعليمها، ومن هؤلاء العلماء، الإمام الحضرمي عبدالله بن علوي الحداد، الذي يعتبر من بعده عالة عليه في طريقة مدرسة حضرموت، وهو نموذج لعلماء حضرموت أهل السنة والجماعة، أهل الوسطية والاعتدال، وقد قمت بهذا البحث حتى أبرز شخصية الإمام الحداد العقدية كما أرادها هو من خلال مؤلفاته، وحتى أقطع الطريق لكل من تسؤل له نفسه، أن ينسب لهذا الإمام ما لم يقله، فهو نموذج من علماء السلامة، الذين بينوا الشرع النفيس بكل يسر وحكمة، حيث لا إفراط ولا تفريط، فحري بنا أن نبين منهج هذا الإمام، ونوضح عقيدته الصحيحة من خلال مؤلفاته لا من خلال ما ينسب أو يروى عنه زوراً وبهتانا، فعسى أن أوفق إلى تقديمه بصورة تكون شافية بالمراد أو قريبة من ذلك حتى أستفيد من منهجه وأُفيد طلبة العلم الشريف.

أسباب اختياري للموضوع:

١- إظهار جهود علماء اليمن، وخاصة علماء حضرموت السابقين في خدمة الشريعة الذين أرى أنهم لم يعطوا حقهم من الاهتمام في عصرنا الحاضر، رغم علمهم الغزير وثقافتهم الواسعة في العلوم الشرعية، وتفننهم في ذلك، وذلك من خلال المؤلفات التي كتبوها وترجمت بعدة لغات وشرحت من قِبل كثير من العلماء.

٢- محبتي لتخصصي، حيث أحببت أن يكون بحثي شاملا لكثير من مباحث العقيدة حتى أكون على إلمام تام بأصول وفروع هذا العلم، من خلال دراسة منهجية للعقيدة، لا من خلال دراسة تقوقعيه لجزيئة معينة.

٣- إعجابي الشديد بشخصية الإمام عبدالله بن علوي الحداد، حيث وجدته عالما بل بلغ درجة الاجتهاد، ووجدته مفكراً وشاعراً وداعية، وهو مع ذلك كان أعمى البصر، فكيف اطلع على تلك العلوم، وكيف ألف المؤلفات، وكيف انتشرت تلك المؤلفات، رغم كونه عاش في القرن الثاني عشر في أقصى اليمن حضرموت، فحري بنا أن ندرس هذه الشخصية.

٤- الرد على كل من يحاول إقحام آل البيت النبوي الذين عاشوا في حضرموت قروناً وهم على منهج أهل السنة والجماعة، لا إفراط ولا تفريط، ورميهم بما هم منه براء، إذ أن هذه الدراسة لهذه الشخصية، سوف تبين العقيدة الصحيحة التي تتبناها مدرسة آل البيت في حضرموت، كون شخصية الإمام الحداد مجمعاً عليها عند أتباع هذه المدرسة.

أهداف البحث

-يهدف هذا البحث إلى: إبراز جهود علماء اليمن بشكل عام وعلماء، حضرموت بشكل خاص، وخصوصاً في الجانب المتعلق بعلم العقيدة.

-أن الفت الانتباه إلى الاهتمام بالتراث العلمي القديم، وإظهاره للواقع المعاصر بما يحمله من سعة وحكمة ويسر في التعامل مع قضايا العقيدة، وذلك أن علماء العصر الحاضر محتاجون لثقافة من سبقهم من العلماء.

-أن أبرز شخصية الإمام عبدالله بن علوي الحداد، كصاحب فكر ومنهج معتدل وخصوصاً في العقيدة، ونفي كل باطل نُسب إليه.

-أحببت التوسع في الاطلاع لمباحث كثيرة متعلقة بالعقيدة، من خلال دراسة منهجية للعقيدة، لا من خلال دراسة جزئية فرعية معينة.

-أن أبرز علماء آل البيت النبوي الذين يحملون الفكر الإسلامي الصحيح الذي يوقر الصحابة، ويحترم قائلي لا إله إلا الله.

منهجية البحث

سوف تكون بإذن الله وتوفيقه منهجيتي في البحث على النحو الآتي:

١- الاعتناء بنقل نص كلام الإمام الحداد حسب ما جاء في مؤلفاته ومكاتباته، باذلاً قصارى جهدي في إخراج النص سليماً من التحريف والتصحيف.

٢- سوف يكون البحث بإذن الله سليماً وفق قواعد الإملاء الحديثة، مع وضع علامات الترقيم المتعارف عليها في مواضعها المناسبة؛ ليسهل على القارئ فهم النص.

٣- عزو الآيات القرآنية الموجودة مبيناً اسم السورة ورقم الآية.

٥- تخريج الأحاديث الواردة في النص، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به، وإن كان في غيرهما فإني سأقوم بتخريجها من مضانها .

٦- توثيق الأقوال والنقولات من مصادرها حسب الإمكان.

٧- أبين معاني الكلمات الغامضة التي أراء أنها تحتاج توضيح.

٨-سأترجم للأعلام الذين أرى أنهم يستحقون الترجمة، ولن أترجم للمشهورين من الصحابة وأئمة المذاهب والعلماء.

٩- عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها.

١٠- سوف أقدم لكل مبحث بما يؤيد ما يذهب إليه الإمام الحداد، وذلك بإيراد أراء العلماء في ذلك المبحث ثم أذكر كلام الإمام الحداد وأختتم المبحث بإبراز رأي الباحث في ذلك المبحث إذا اقتضى الأمر الترجيح.

١١- سوف يعتمد الباحث في مراجعه على مؤلفات الإمام الحداد ومكاتباته التي ألفها بنفسه وسوف تكون المرجع الأول لبيان رأيه وفكره وعقيدته وباقي المراجع سوف تكون للاستشهاد فقط لا لتأصيل منهجه وعقيدته.

١٢-منهج البحث هو المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة سابقة لعقيدة أو فكر الإمام الحداد في العلوم الشرعية، سوى رسالة ماجستير في الفكر التربوي عن الإمام الحداد بجامعة الاحقاف ولم أطلع عليها وهناك دراسة شاملة للإمام الحداد قام بها مصطفى البدوي في كتابه الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر، وقد اشتملت على عدة تفريعات لشخصية الإمام الحداد ولم تتخصص بجزيئة معينة، وهي مع ذلك لم تصل إلى مستوى الرسائل العلمية بل هي مجرد كتاب، وهذا مما دفعني أن أقوم بدراسة علمية أكاديمية تخضع للتحقيق العلمي في جانب متخصص وهو منهجية الإمام عبدالله بن علوي الحداد في العقيدة وهذا مبلغي من العلم.

صعوبات البحث:

- من أهم الصعوبات التي واجهتني في بحثي قلة المصادر والمراجع والبحوث المتعلقة بعقيدة الإمام الحداد التي تخضع للتحقيق والإعداد الأكاديمي للرسائل الجامعية، بل أكثرها مجرد كتابات ونقولات خالية عن مصادر التوثيق العلمية.
- من الصعوبات أيضا، أنه لا توجد دراسة سابقة للإمام الحداد في أي شيء في العلوم الشرعية رغم أنه عالم ومفكر وشاعر، ولكنه لم يعط حقه في الدراسة العلمية المتخصصة على حد علمي.

تمهيد

التمهيد

التمهيد: وفيه دراسة لعصر الإمام الحداد وحياته الشخصية والعلمية، ومنهجه في الاستدلال في العقيدة، وقد قسمت التمهيد إلى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: دراسة لعصر الإمام الحداد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في الحياة السياسية في عصره.

المطلب الثاني: الحياة الدينية والعلمية في عصره.

المبحث الثاني: دراسة لحياة الإمام الحداد الشخصية والعلمية؛ وفيه أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: نسبه وأسرته وابرز معالم شخصيته.

المطلب الثاني: حياته العلمية.

المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه وطريقته.

المطلب الرابع: وفاته.

المبحث الثالث: منهجه في الاستدلال في العقيدة وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: مصادر التلقي عند الإمام الحداد.

المطلب الثاني: قواعد الاستدلال عند الإمام الحداد.

المطلب الثالث: موارد الإمام الحداد في العقيدة.

المطلب الرابع: أصول الاعتقاد الثلاثة.

المطلب الخامس: موقف الإمام الحداد من العقل وعلم الكلام والفلسفة.

المطلب السادس: عقيدة الإمام الحداد الجامعة.

المبحث الأول: دراسة لعصر الإمام الحداد

المطلب الأول: الحياة السياسية في عصره:

لا نستطيع أن نتناول بحث عقيدة إنسان أو فكره، دون النظر إلى الظروف والأحوال التي لا بست نشأته وحياته، إذ أن ذلك على الأقل سيفسر لنا كثيراً من الآراء التي تبناها والمواقف التي اتخذها حيال قضايا ومسائل بعينها؛ والإنسان لا يستطيع أن ينمو بمعزل عمن حوله، ولا بد أن يتأثر بالبيئة والظروف التي نشأ فيها، إما إيجاباً بأن يخضع لها ويسير في اتجاه ريحها، أو سلباً بأن يرفضها ويتخذ منها موقفاً معارضاً، راغباً في إصلاحها.

وقد ولد الإمام الحداد في القرن الحادي عشر، عام ١٠٤٤هـ وتوفي سنة ١١٣٢هـ، فكان عمره قد ناهز التسعين عاما، ويعد هذا العصر عصر توحد سياسي حيث توحدت أطراف العالم الإسلامي تحت الخلافة العثمانية القوية، كما توحد اليمن من أقصاه إلى أقصاه على يد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وكان القاضي محمد بن أحمد الغشم والياً على تريم، وكان يرجع إلى الإمام الحداد في كثير من المسائل العلمية، وله معه مكاتبات وردود، وأما نظام الحكم في حضرموت في تلك الفترة فهو نظام سلطنات، والحالة المعيشية في تلك المرحلة يسودها الضنك في معيشتها، وظلم ولاتها وكثرة الاضطرابات بين حكام تلك السلطنات والقبائل. [1] ويظهر ذلك أيضا في شعر الإمام الحداد إذ يقول:

هَذَا الزَّمَانُ زَمَانُ سُوءٍ كُلُّهُ *** قَدْ عَمَّ فِيهِ الظُّلْمُ وَالإِظْلاَمُ[2]

وقال فَسَلْهُ لَنَا وَادْعُهْ لَنَا أَنْ يُغِيثَنَا ***وَيَرْحَمَنَا إِنَّ المَعَاشَ تَكَدَّرَا

بِجَدْبٍ وَقَحْطٍ قَدْ تَمَادَى وَفِتْنَةٍ ***وَجَوْرِ وُلاَةٍ أَلْصَقَ الْكُلَّ بِالْعَرَا[3]

وقد شارك الإمام الحداد مضطراً في المجال السياسي؛ من أجل وطنه وشعبه رغم أنه مكفوف البصر، وليس في أيام شبابه فحسب، بل وفي كهولته وشيخوخته، فكان يكتب توجيهات لبعض السلاطين: كعمر بن علي بن عبدالله، ومحمد بن بدر، ولبعض معاونيهم.

---

(١) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، مكاتبات الإمام الحداد المسماة جامع المكاتبات والوصايا والكلمات والقصائد المشتملة على الحكم والفوائد والمنافع والمراشد، دار الحاوي للطباعة والنشر لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ١/٧٠.

(٢) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، دار الحاوي بتريم حضرموت، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص٤٧٤ .

(٣) المرجع السابق: ص ٢٤٥.

وكان يشير عليهم في نواحي اجتماعية فيحترمون إشارته، وقد خصص ابنه محمد للقيام بوساطات بالنيابة عنه بين القبائل وغيرهم للإصلاح بينهم واعده للدبلوماسية القبلية المحلية، ولما نشبت بين آل العمودي وفيهم من يكاتبونه ويتصلون به للاستفتاء والاستشارة نزاع مسلح تدخل بينهم الحداد، وأرسل ابنه المذكور للتوفيق بينهم فنجح، وقد زوج ابنه محمد عند قبيلة آل كثير، كما صاهر أحد بنيه الآخرين آل قصير التميميين، وكل هذا من أجل توثيق عرا المودة والإخاء بينه وبين القبائل ؛ وقد أسس له في دائرة مدينة تريم ضاحية الحاوي الشهيرة المستقلة استقلالا ذاتياً به وبأولاده وخدمه وأتباعه، بحيث لا يتدخل فيها حاكم تريم، ولا يعد من رعاياه بينما هي داخلة في كل ما إلى تريم من خير، وخارجة عنها من كل فتنة أو حرب أهلية فهي محترمة لدى الجميع [١]يقول: العلامة ابن عبيدالله: «الحاوي هو قرية صغيرة في شرقي تريم، كانت منفصلةً عنها، في سنة ١٠٨٣هـ ابتنى الإمام الحدّاد دارهُ بالحاوي وبقي يتراوح بينهُ وبين دارهِ بتريم. وفي سنة ١٠٩٩هـ وهي سنة ميلاد ابنه الحسن استوطنه صيفاً وشتاء، وانتشرت علومه في البلاد وأخَذ عنهُ الحاضر والباد» [٢]

وكان قبل ذلك يعقد دروسه بمسجد الهجيرة، من سنة إحدى وسبعين حتى انتقل إلى الحاوي ومدة إقامته بالحاوي من حين ابتناه إلى أن توفي ثمان وأربعين سنة، [٣]وقد ذكر أن الإمام ابتنى بيته في الحاوي سنة ١٠٧٤هـ، وسكنه سنة ١٠٩٩هـ وابتنى مسجده الذي بجانب بيته المذكور ويعقد درساً بالمسجد بعد صلاة العصر كل ليلة، وبكرة يوم الخميس والاثنين وحضرة بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة، وكان الحاوي مقصدا للأولياء والصالحين، وملجأ للفقراء والمساكين، وحوطة أمان ومقر اطمئنان ويسميه حاوي الخيرات. [٤]

---

(١) الشاطري: محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة — المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٢/ ٣٢٤.

(٢) السقاف: عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، الناشر: دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥ م، ص ٦٣٢.

(٣) بن سميط: محمد بن زين بن سميط، غاية القصد والمراد في مناقب شيخ البلاد والعباد الإمام عبدالله بن علوي الحداد، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ٦٩/١.

(٤) الحداد: بشرى الفؤاد بترجمة الإمام الحداد، علوي بن حسن الحداد المكي الحسيني، ص١٢.

المطلب الثاني: الحياة الدينية والعلمية في عصره:

عاش الإمام الحداد في مدينة تريم التي تعتبر عاصمة حضرموت الدينية، في بيئة كلها دين وعلم وسلوك، فتريم وحضرموت معروفة بتاريخها الديني، فالمحيط الذي نشأ به محيط علم وفضل وأدب وتصوف، [١] وامتاز عصر الإمام الحداد بكثرة العلماء والشيوخ كما وصف هو ذلك بقوله: قدْ كُنْتَ يَا وَادِي الأَنْوَارْ *** مَشْحُونُ بِالخَيْرِ وَالأَخْيَارْ[٢]

وقد ذكر العلامة المؤرخ ابن عبيدالله السقاف عن بعض علماء آل عباد انه كان في تريم ثلاثمائة مفتٍ والصف الأول من جامعها كله فقهاء يعني مجتهدين في المذهب، وفي شبام ستون مفتياً، وقاضٍ شافعي وقاضٍ حنفي وفي الهجرين مثل ذلك، [٣] ومما يدل على ذلك ما قاله الإمام الحداد من أنه أخذ عن جملة من المشايخ نحو مائة وأربعين شيخا[٤]، وكان زمام القيادة الدينية في تلك المرحلة في تريم لآل البيت النبوي من آل أبي علوي وللمشايخ من آل أبي فضل وآل الخطيب، وكانوا من الشهامة والفتوة والكرم والمروءة والجاه والشرف والسيادة والحلم والصبر والعبادة والنجدة والتواضع والتقوى والأخذ من المكارم بالغايات القصوى بل كل ثناء مقصر عنهم في هذه النواحي، [٥] ويكفي أن زماناً يظهر فيه أمثال الحدّاد وعبدالله بن أحمد بلفقيه وابنه عبد الرحمن وأقرانهم من القروم لغير ملوم [٦]وقد وصف الإمام الحداد الحياة الدينية بمدينة تريم فقال

أَمَا تَرَى الْقومَ قَدْ رَاحُوا وَقَدْ ذَهَبُوا *** مِنْ مَعْشَرٍ زَانَهُمْ عِلْمٌ بِهِ عَمِلُوا
مِنْ آلِ عَلْوِي سَادَاتِ الأَنَامِ مِنَ الْ*** بَيْتِ المطَهَّرِ لاَ شَكٌ وَلاَ جَدَلُ
كَانَتْ تَرِيمُ بِهِم تـزْهُو مَسَـاجِدُهَا *** وَدُورُهَـا وَكَذَا الأَقطَـارُ وَالسُّبُلُ[٧]

وقال في وصف العلماء الذين أخذ عنهم:

---

(١) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ٢/ ٢٣٠.
(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٢٥٠.
(٣) السقاف: إدام القوت معجم بلدان حضرموت ص٥٢١.
(٤) بن سميط: غاية القصد والمراد ٢/ ٢٠٩.
(٥) السقاف: إدام القوت معجم بلدان حضرموت، ص٥٠٤.
(٦) المرجع السابق: ص ٦٠٤.
(٧) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٤٤٦.

قَوَمٌ إذا أَرخــى الـظَلَامُ سَـــتُورَهُ *** لمُ تُلْفِهِم رَهْنَ الــوِطَا وَالمضْـجَعِ
بَل تَلْقَهُم عُـمُدَ المِحارِبِ قُـوَّمَاً *** لله أكُـــرمْ بِالسُـجُودِ الرُّكَّـــعِ
يتــلون آيـــاتِ القــــرانِ تَـدَبُّراً *** فــيهِ ولا كـالـغافلِ المتَـــوَزِّعِ
ثَبــتَوا عَلى قَــدمِ الرّسول وَصَحْبِه *** وَالتــابِعين لَـهُم فَســلْ وَتَــتَبَّعِ
وَمَضوا عَلَى قَصْدِ السَّبيلِ إلى ٱلعُلاَ *** قَـــدَماً عَـلَى قَـدَمٍ بِـجِدٍّ أَوْزِعِ
وَجَمَـــاعِـــةٌ مِنـــهُم أَخذَنا عَنهُـمُ *** عِلْمَ الطَّرِيقِ ٱلقَصْدِ فَانْصِتْ وَاسمَعِ[١]

وكتب الإمام الحداد إلى بعض أصحابه:((وإذا كان قصدك أن نذكر لك بعض من أخذنا عنهم من المشايخ وبعض الأسانيد التي لنا، فاعلم أنا لقينا وأخذنا عن خلق كثير وجماعة يطول عددهم، من السادة من آل أبي علوي وغيرهم ممن أدركناه بتريم وجهة حضرموت ونواحيها، وممن لقيناه حال سفرنا إلى الحج بالحرمين الشريفين وباليمن والظاهر أنا لو عددناهم يزيد عددهم على المائة، ما بين عالم وعارف وأخ صالح)) [٢] ومع كونه أعمى البصر إلا أنه متضلع بجميع فنون العلوم، وكان يقول ما نحسب كتاباً في حضرموت بأسرها إلا وقد طالعناه أو وقفنا عليه، أو سمعنا منه، أو سمعنا به، ويقول الإمام أحمد بن زين الحبشي: [٣] ((ما رأيت ولا سمعت بكتاب يوجد في أي فن من العلوم وعرضته أو ذكرته إلا وجدت سيدي (يقصد الإمام الحداد) قد راه أو سمع به، لشدة تفتيشه عن الكتب وتطلعه عليها)) [٤] على الرغم من أن حضرموت تعتبر في ذلك العصر منطقة نائيه بعيدة عن مدن العلم ولا تصل إليها الكتب إلا بمشقة، ومع ذلك تجده بحراً زاخراً بالعلوم، وذلك حينما يتصدى للرد على أهل البدع والضلال، وكأنه مطلع على هذه العلوم، ومن هذا كله نستفيد أن فنون العلوم التي يتكلم عنها الإمام الحداد موجودة وأن البيئة تهتم بالعلم وبكتب العلم وتعظم العلماء وتجلهم.

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٣٦٢.

(٢) بن سميط، غاية القصد والمراد، ١/٢٠٩.

(٣) الإمام أحمد بن زين بن علوي الحبشي ولد ببلدة الغرفة بحضرموت ١٠٦٩هـ وتوفي١١٤٤هـ بالحوطة وهو من اخص تلاميذ الإمام الحداد وله عدة مؤلفات منها سفينة العلوم وشرح العينية الرسالة الجامعة والمقاصد الصالحة في شرح علوم الفاتحة وغيرها.

(٤) بن سميط، غاية القصد والمراد، ١/ ١١٨.

المبحث الثاني

دراسة لحياة الإمام الحداد الشخصية والعلمية

المطلب الأول: نسبه وأسرته وأبرز معالم شخصيته:

أولا نسبه:

هو عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحداد بن علوي بن أحمد ابن أبي بكر بن أحمد المسرفة بن محمد بن عبد الله الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد (صاحب مرباط) بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله بن أحمد المهاجر بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن السبط الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن البتول فاطمة بنت الرسول محمد الأمين ﷺ. (١)

ثانيا: ولادته ونشأته وطفولته:

ولد الإمام عبد الله بن علوي الحداد في السبير، من ضواحي مدينة تريم في حضرموت من أرض اليمن، وذلك ليلة الاثنين لخمس خلون من صفر عام ١٠٤٤هـ. أرخه بعضهم على حساب الجمل (الشمس قد طلعت) وقد كف بصره وهو ابن أربع سنين؛ (٢) بسبب الجدري وعوضه ربه بنور البصيرة، وصفاء السريرة كما قال الشاعر:

إن أذهب الله من عيني نورهما *** فإن قلبي مضيء ما به ضررُ(٣)

ويظهر أن لذهاب بصره أثرا في نمو ذكائه وقوة فهمه، وحافظته كأمثاله من نوابغ المكفوفين، وقد وجهه أبوه إلى الكُتاب وإلى المعاهد العلمية، (٤)فحفظ القرآن في صباه كما حفظ الإرشاد وغيره من المتون والأحاديث والأشعار والحكم، وكانت أمه هي الأخرى معتنيه بتربيته

---

(١) الحبشي، أحمد بن زين بن علوي الحبشي، المسلك السوي في جمع فوائد مهمة من المشرع الروي، دار مقام الإمام أحمد بن زين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤ م، ص ٢٧٦ .

(٢) الحداد: حسن بن عمر الحداد، ثمرات الوداد المقتطفة من حياة الإمام الحداد، ، مع كتاب الوصايا النافعة للإمام عبدالله بن علوي الحداد، دار التراث تريم حضرموت، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م ص٩ .

(٣) القائل هو الصحابي ابن عباس: ينظر النمري، أبوعمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب تحقيق: علي محمد البجاوي، ، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ٣/ ٩٣٨.

(٤) ومنها علمة باجعمان حيث درس فيها ودرس فيها ابنه الحسن كما ذكره في الواهب والمنن .

وتهذيبه، وساعده المحيط الذي نشأ فيه فهو محيط علم وفضل وأدب وتصوف؛ [١]يقول المؤرخ علوي بن حسن الحداد: ((لقد نشأ في كنف أبويه الكريمين وتأدب بأبيه وتأثر بوالدته الصالحة. . فلولا المربي ما عرفت ربي. فنشأ نشأةً صالحة واشتغل بحفظ القرآن ومجاهدة النفس وطلب العلم الشريف حتى فاق أقرانه بل فاق معلميه فبعض من أخذ عنهم في بدايته رجعوا يأخذون عنه كالشيخ باجبير حيث كان الإمام في بدايته يقرأ عليه في الفقه في المنهاج ثم لما سافر الشيخ باجبير إلى الهند ورجع بعد فترة طويلة صار يقرأ على الإمام عبد الله الحداد في إحياء علوم الدين. وقد بلغ في العلم مبلغاً عظيماً يقول العلامة أحمد بن زين الحبشي: إن الإمام الحداد بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الإسلام والإيمان والإحسان وذلك منحة وفضل من الله من باب ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[٢]﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[٣]. اهـ)) [٤]

ثالثا: والداه وأولاده الكرام:

أما والده السيد علوي بن محمد الحداد، كان رجلاً صالحاً تقياً من أهل الاستقامة، ووالدته الشريفة سلمى بنت السيد عيدروس بن أحمد بن محمد الحبشي قال عنه ولده الإمام عبدالله: ((إن والدي كان طاهراً مطهراً)) [٥]وكتب لأخيه حامد يعلمه بوفاة والده ووالدته: ((اعلم أن الله قد قضى بأمرٍ، وفي قضائه الخير والخيرة، وفي الرضا به الثواب والمنفعة والروح والراحة، عاجلاً وآجلاً، وذلك أنه نقل إلى رحمته ورضاه وفسيح جنته الوالد الكريم الشريف علوي بن محمد الحداد وذلك ليلة الاثنين الأولى من شهر رجب سنة (١٠٧٢هـ) وتوفي بعد أن مرض مرضاً ليس بالشديد، ومات على حالةٍ مرضيةٍ، وطريقةٍ سديدةٍ، بعد أن نطق بكلمة الإخلاص، التي من كانت آخر كلامه دخل الجنة وهي) لا إله إلا الله (وبعد وفاته بنحو خمسة أيام، مرضت الوالدة ودام عليها المرض قريباً من عشرين يوماً، إلى أن توفيت وقدمت على الدار الآخرة، بعد أن تشهدت ضحى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من الشهر المذكور

---

(١) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ٢/٣٢٠.

(٢) سورة الكهف: الآية: ٦٥.

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٨٢.

(٤) الحداد: بشرى الفؤاد بترجمة الإمام الحداد، ص٦.

(٥) المرجع السابق: ص٧.

سنة١٠٧٢هـ ثم قال واحمد الله واشكره حيث أنهما توفيا على حالةٍ مرضية في هذا الزمان المفتون وماتا موتةً حسنة تبشر بالنجاة. . .»[١].

وللإمام عبدالله بن علوي الحداد ثلاثة إخوان: عمر وعلي وحامد، وله إليهم مكاتبات مشهورة[٢]

وللإمام عبدالله الحداد ستة أولادٍ وأربع إناث وهن: عائشة وسلمى وفاطمة وبهية والأولاد هم: الحسن وعلوي ومحمد وسالم وحسين وزين[٣]. كلهم قادةٌ أمجاد وعلماء عُبَّاد

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم *** مثل النجوم التي يسري بها الساري[٤]

ويذكر عن والدهم أنه قال: حسينٌ أمير، وعلوي صالحٌ، وحسنٌ حكيم، وزينٌ شيخ. وكان ولده محمد: يقوم بوساطات بالنيابة عن والده بين القبائل وغيرهم للإصلاح بينهم كما سبق، وقد توفي ابنه محمد بذمار، وأما حسن وعلوي فهما اللذان قاما مقامه في تدريس العلوم، وإطعام الفقراء والمساكين، وإيواء الغرباء والوافدين، وكان يدعو لولده حسن بهذه الدعوات: (حسنُ حسَّنَ الله عاقبتك في الدنيا والآخرة) فكان أن ولد له العلماء ومنهم أحمد بن حسن وإخوانه وحفيده العالم علوي بن أحمد، وقد توفي علوي بن عبد الله الحداد بمكة المكرمة إثر حجه، ودفن على مقربةٍ من مقبرة السيدة خديجة رضي الله عنها، على يمين الطالع في عام ١١٥٣هـ؛ وحسن توفي بتريم، وقد كان يسميه الحكيم؛ ويقصد بالحكيم الجامع بين العلم والعمل والإصابة في الأمور، العالم بأسرار القرآن والفهم فيه، وقد طال عمره، وأخذ عنه الحاضر والباد، وألحق الأحفاد بالأجداد وتوفي عام ١١٨٨هـ؛ وأما زين فقد سافر بعد موت والده إلى جهة العراق، وحصل له بذلك البلد جاهٌ وعزٌ رفيع؛ لاعتقاد الناس في والده وقد توفي زين بعمان ببلدة صير عام ١١٥٧هـ.

وسالم توطن المشقاص وأولد بها ورجع إلى تريم وبها توفي عام ١١٦٥هـ.

---

(١) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد، ١/٢٩٥.

(٢) الحداد: بشرى الفؤاد، ص ٧-٨.

(٣) الحداد: ثمرات الوداد، ص ١٢.

(٤) البيت من البسيط وقائل هذا البيت العرندس: ينظر رزق الله بن يوسف شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٩١٣م، ٤/ ١٩٢.

وحسين قال عنه والده: إن لنا في حسين أملاً نرجو من الله إنجازه. وحج في عهد والده وأنشأ قصيدة فيه يخاطبه قائلاً:

وكن نائباً عني بإهداء تحية *** معنبرة كالمسك في العرف والندِّ[١]

وقد انتشرت ذرية الإمام الحداد في كثير من البلاد في حضرموت وشبوة – ما كانت تسمى ببلاد العوالق– وشمال اليمن والمملكة العربية السعودية– ودول الخليج– وإندونيسيا– وماليزيا وسنغافورا وغيرها من البلدان. . . وقد اشتهر أن جعل الله البركة، في تلاميذه وأولاده وكتبه فنسأل الله أن يحفظ هذه الذرية، ويؤلف بين قلوبهم ويوحد دروبهم ويحيي بهم طريقة آبائهم وأجدادهم، وأن يجعلهم خير خلف لخير سلف، وأن يتجهوا لطلب العلم الشريف، فقد قال جدهم: «نحن على القدم النبوي وسيرة سلفنا السابقين ما استطعنا ومظهرنا إنما هو مظهر علم لا مظهر رؤية شيءٍ آخر» [٢]

وقال تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾[٣].

ويؤكد الإمام علي بن محمد الحبشي على هذا النهج فيقول:

ومما يسر القلب مني لزومكم*** طريقة آبائي وأهلي وأجدادي
من السلف القوم الذين توجهوا *** إلى الله يقفون النبي المصطفى الهادي
وها هي أعمال خلت عن شوائب *** وعلم وأخلاق وكثرة أورادِ
وأربابها يسعون فيها بوجهة *** فهم بين عباد بعلم وزهادِ [٤]

رابعا: استقامته وعبادته:

يقول الإمام أحمد بن زين في وصف شيخه: «أنه على القدم النبوي المحمدي، في جميع عاداته وعباداته، وقال وكان آخذا من الاستقامة والاتباع لجده المصطفى ﷺ بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر، وقال أيضا عن شيخه الإمام الحداد أنه قال عملنا بجميع السنة النبوية ولم نغادر منها

(١) ينظر الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٤.

(٢) الحداد: بشرى الفؤاد، ص ٩– ١٠ .

(٣) سورة الطور: الآية: ٢١.

(٤) الحبشي: علي بن محمد الحبشي، ديوان الجوهر المكنون والسر المصون، دار الحاوي للطباعة والنشر، لبنان بيروت، ط٤، ١٤٣٣هـ، ص١٦٣.

شيئاً قط سوى تبقية الشعر على الرأس» [١]وتصديقاً لذلك فقد وفر شعر رأسه آخر عمره؛ وقد وصف استقامته الشيخ العلامة أحمد النخلي فقال: «لا يجد أحد فيه ذرة مما يقتضي الاعتراض، ولا يشم منه في عبادة ولا عادة رائحة اعوجاج ولا انخفاض، بل كانت جميع حركاته وسكناته في عباداته وعاداته مقيدة بالكتاب والسنة، واتباع الرسول ﷺلا يرى خارجاً عن سيرة الاتباع قط لا ظاهراً ولا باطنا، في قيامه وقعوده، ودخوله وخروجه، ومجيئه وذهابه وحضره وسفره، وسكونه وتقلبه، وأخذه وعطائه، وأكله وشربه، ونومه ويقظته، وصلاته وصيامه، وتعطره ولباسه، وخلقه وعشرته» [٢] وأما عبادته فقد وصفه صاحب المشرع بقوله: «لازم الجد والاجتهاد في العبادات، وجميع أنواع القربات، وأضاف إلى العلم العمل، وشب في ذلك واكتهل» [٣] وكانت بدت عليه آثار الصلاح والنجابة من صغره يقول: كنت في حال الصبا إذا خرجت من المعلامة بكرة أصلي نحواً من مائة ركعة[٤]، يقول الإمام أحمد بن زين: لم يعرف أنه صلى الخمس منفردا، ولا غير أول الوقت، ولا استعجل في صلاته، ولا ترك قيام الليل، ويقول عنه في أذكاره: وكان كثير الأذكار صباحا ومساء، ويكثر من ذكر لا إله إلا الله، بحيث لا يفتر عنها قط، ويسرد منها الأعداد المعدودة، والألوف المعقدة، ويبتدئ أوراد الصباح من نصف الليل إلى أن يعلو النهار، وفي أوراد المساء إلى وقت الاصفرار، وأثر عنه أنه كان لا ينام من الليل إلا قليلاً، وكان في غاية من إخفاء العبادة والمجاهدة، وكان لا يظهر من عباداته ومجاهداته إلا ما كان ضرورة للاقتداء والتأسي به. [٥]

خامسا: زهده وكرمه:

يقول تلميذه الإمام محمد بن زين: «كان الإمام الحداد في الورع والاحتياط على جانب عظيم، متحرياً في جميع حركاته وسكناته وسائر حالاته، مجانباً لكل ما فيه أدنى شبهة، أو

(١) بن سميط: غاية القصد والمراد، ١/ ١٢٩.

(٢)بن سميط: غاية القصد والمراد، ١/ ١٣٠ .

(٣) الشبلي: محمد بن ابوبكر الشبلي باعلوي، المشرع الروي بمناقب السادة آل أبي علوي، المطبعة العامرة الشرقية، ط١، ١٣١٩هـ، ١/٣٦.

(٤) بن سميط: غاية القصد والمراد، ١/ ١٢٥.

(٥) المرجع السابق: ١/ ١٢٧-١٢٨.

رخصة، أو شيء مما يوهم التساهل)) [١]ومن كلامه ثلاثُ خصصنا بها من فضل الله هي: ((قلة الرغبة في الدنيا، وقلة المبالاة، وقلة التعويل على أهل زماننا)) [٢] وكان على جانب كبير في الزهد في الدنيا، ورفض الفانيات، والإعراض عما سوى الله، وكان يؤثر الخمول، وكان يقول: إن سلفنا يؤثرون الخمول لشيئين: غيرةٍ لله وخوف فتنة الشهرة، ومن كلامه: ((نحن الآن إنما نعد من جملة الأموات؛ لأنها قد ماتت منا جميع الشهوات الدنيوية، ولا أجد ميلا ولا رغبة إلى شيء من الدنيا أصلا، من مأكول وملبوس وغير ذلك، ولا أجد لذلك لذة، ولكنه إذا قرب إلينا المأكول أكلنا منه ما تيسر، بحكم الموافقة ولنا بهذا الحال مدة، ويقول لو كان مكاننا الحاوي كله ذهبا ما اهتزت لها لنا شعرة فرحاً به)) [٣] ومن تتبع مؤلفاته من المنثور والمنظوم بتأمل وفكر، عرف ورعه واحتياطه. يقول الإمام الحداد:

وَصَحِّحْ مَقَامَ الزُّهْدِ فَهْوَ العِمادُ وَالـ *** تَّوَكُّلُ وَهَوْ الزَّادُ فِي كُلِّ رِحْلَةِ[٤]

ويقول الإمام أحمد بن زين: كان سيدنا عبدالله الحداد في الجود والسخاء ليس له ثان، كثير البر والإحسان، عديم النظير في تفقد القرابة والأصحاب والجيران لا يدخل عليه شيء من الفتوح إلا ويخرج من في هذه المواضع من قريب وشاسع، و في بعض السنين والناس مجدبون حصل للإمام الحداد كذا مائة قهاول[٥]من بيت جبير، فأمر بتقسيمه جميعه ولم يبق منه شيء، وكان أكثر صدقاته سراً لا يكاد يطلع عليها أحدا حتى من خاصته وقرابته؛ لأنه لا يبتغي بها إلا وجه ربه الأعلى، ويقول: أموالنا وجميع ما كان لنا إنما هو للبذل والتكرم على ذوي الحاجات والمستحقين. [٦]

سادسا: صبره وحلمه وتواضعه:

اتسم بالأخلاق المحمدية، والشمائل النبوية، كان آخذاً بالعفو، آمراً بالمعروف، معرضاً عن الجاهلين، مقتدياً بسيد المرسلين، وقال عنه في المشرع الروي: ((يعامل من جنى أو جفا

---

(١) بن سميط: غاية القصد والمراد، ١/ ١٣٣.

(٢) الحداد: بشرى الفؤاد، ص ١٧.

(٣) بن سميط: غاية القصد والمراد، ١/ ١٤١.

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١١٧.

(٥) وحدة كيل للحبوب عند اهل حضرموت تساوي ١٢ مصاري.

(٦) بن سميط: غاية القصد والمراد: ١/ ١٤٧-١٤٨.

بالصفح والوفاء والمودة والصفاء، كان قدوةً في الأفعال والأقوال، ونموذجاً للأخلاق النبوية والشمائل المحمدية، قوي الهمة والعزيمة في الدين، كريماً سخياً جواداً، مكرماً للضيوف، ويقول: ((إني أصبح وأمسي وليس عندي على أحدٍ من الخلق حقدُ ولا حسدُ)).(١)

وكان صبوراً حليماً، كاظماً للغيظ، حمالاً لأذى الخلق، صفوحاً عنهم. ويقول: أما الحقوق التي لنا فقد سمحنا بها، وأما الحقوق التي لله عز وجل فلا نسمح بها أبداً. وكان يقول إنا نسمع أن أناساً يأكلون طعامنا ويسبوننا فلا نتأثر بذلك، ولا نجد عليهم، بل ندعو لهم. يقول الإمام أحمد بن زين قال لي: (يقصد الإمام الحداد) آخر عمره إن الحمى في جسدي منذ خمس عشرة سنة لم تزايلني أبدا، ولم يعلم بذلك حتى أهل بيتي، ثم أدخل يده في كمه وألمسني جسده الشريف والحمى فيه، قال وربما رأيت الضنا بادياً في وجهه من التكلف للناس بطول المجلس، وكثرة المصافحة والخطاب، عندما كبر وضعف جبرا لخواطرهم (٢)ومن نظمه:

إذا آنست من خلٍ جفاءً *** فلا أجفو وإن هو قد جفاني

ولكـــني أفـــارقه برفق(٣) *** وأمســك عن تنـــاوله لساني(٤)

وكان جم التواضع، ويظهر ذلك جلياً في كلامه حيث يقول: ((إنما نحن ضعفاء ومساكين لا نستطيع حمل ذرة من البلاء، ولا نقوى عليها، وعافية الله أوسع لنا، وأستر لضعفنا، وأليق بعبوديتنا وضعفنا وفقرنا)) (٥)وقال لبعض إخوانه ((ثم المطلوب منكم صالح الدعاء دواما، والاعتناء بالأخ الفقير الكسير، المتعثر في أذيال القصور والتقصير على كل وجه، وفي كل حال، من غير دعوى ولا مكابرة ولا مخالفة ظاهر لباطن)) (٦)ومن أشعاره ما يشهد لذلك

يَا رَبِّ إِنَّكَ مَقْصُودِي وَمُعْتَمَدِي***وَمُرْتَجَـــايَ لِدُنْيَـــا وَمُنْــقَـلَبِي

فَأَغْفِرْ وَسَامِحْ عُبَيْداً ما لَهُ عَمَلُ ***بِالصَّالِحَاتِ وَقَدْ أَوْعَى مِنَ الحُوَبِ

---

(١) الحداد: بشرى الفؤاد بترجمة الإمام الحداد، ص١٦.

(٢) بن سميط: غاية القصد والمراد، ١/ ١٦٢.

(٣) قوله (أفارقه برفق) في نسخه (أداريه بلطف)

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٤٩٠.

(٥) بن سميط: غاية القصد والمراد، ١/ ١٧١.

(٦) المرجع السابق: ١/ ١٧٢.

لَكِنّـــــهُ تَائِبٌ مِمـــــَّا جَنَاهُ وَقَدْ ***أَتَاكَ مُعْتَـــرِفاً يَخْشَـى مِنَ الغَضَبِ[١]

وقال على سبيل التوبيخ للنفس، واتهامه لها وعدم القناعة منها لمعرفته بربه:

أَلاَ يَا نَفْسُ وَيْحَكِ كَمْ تَوَانِي *** وَكَمْ طُـــولِ اغْتِرَارٍ بِالمـحَالِ

وَ كَمْ سَهْوٍ وَكَـــمْ لَهْوٍ وَهَزْلٍ *** وَكَـمْ مَـيْلٍ إِلَى دَارِ الـــزَّوَالِ

وَ كَمْ شُغْلٍ بِمَا لاَ خَيْرَ فِـيهِ *** وَكَمْ حِرْصٍ عَلَى شَرَفٍ وَمَالِ

إلى أن قال فَوَا أَسَفِي وَوَانَدَامِي وَحُـزْنِي *** عَلَى مَا كَانَ مِـنِّي فِي الخَوَالِ

وَوَالَهَفِي عَلَى زَمَـنٍ تَقَــضَّى *** عَلَى عَمَلٍ بِـمذْمُومِ الخِصَالِ

وَعُـمْرٍ ضَـــاعَ فِي إِيثَارِ دَارٍ *** حَقِـــيقَتُهَا تُشَبَّهُ بِالخَـــيَالِ[٢]

وقال أيضا في النفحة العنبرية:

أشكو إليكَ وأبكي*** من شؤم ظُلمي وإفكي

وسوءِ فِعلي وتَركــي*** وشهوةِ القيل والقـــالْ

وحـــبِّ دُنيا ذميمهْ *** من كـــلِّ خـــيرٍ عقيمهْ

فيها البـلايا مُقـيمهْ *** وحشوُها آفات واشغالْ

ياوَيْحَ نفسي الغويّهْ *** عن الســـبيل الســويهْ

أضحَت تُروِّج عليَّهْ *** وقصدُها الــجاه والمالْ

يــاربِّ قد غَلَبــتني *** وبالأمـــاني سَبَتـــــني

وفي الحظوظ كَبَتني *** قيــــــدتني بالأكـبال[٣]

وقال معاتباً لنفسه وموبخاً لها :

يا نَفْسُ هَــذَا الذَّي تَأتِينَهُ عَــجَبُ *** عِــلْمٌ وَعَــقْلٌ وَلاَ نُســكٌ وَلاَ أَدَبُ

وَصْفُ النِّفَاقِ كَمَا فِي النَّصِّ نَسْمَعُهُ *** عِلْمُ اللِّـسَانِ وَجَـهْلُ القَـلْبِ وَالسَّبَبُ

حَبُّ المَتَــاعِ وَحُـــبُّ الـجَاهِ فَانْتَبِهِي *** مِنْ قَبْلِ تُطْوَى عَلَيْكِ الصُّحْفُ وَالْكُتُبُ[٤]

وقال رضي الله عنه: في قصيدة أخرى تأسفاً على ما ضاع من عمره:

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٨٣.

(٢) المرجع السابق : ص ٤٠٠.

(٣) المرجع نفسه: ص٤٤٤.

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٩٢.

تَفِيضُ عُيُـونِي بِالدُّمُوعِ السَّواكِبِ *** وَمَـالِيَ لاَ أَبْكِـي عَلَى خَـيْرِ ذَاهِبِ
عَلَى الْعُمْرِ إِذْ وَلَّى وَحَانَ انْقضَاؤُهُ ***بِآمَـالِ مَغْـرُورِ وَأَعْمَـالِ نَاكِـبِ
عَلَى غـرُرِ الأيَّام لَـمَّا تَصـرَّمَتْ *** وَأَصْبَحْتُ مِنْهَا رَهْنَ شُؤْمِ الَمكَاسِب
عَلَى زَهَرَاتِ الْعَيْشِ لَمَّا تَسَاقَطَتْ *** بِرِيحِ الأْمـَـانِي وَالظُّـنُونِ الْكوَاذِبِ

إلى أن قال:

وَلَوْ أَنَّنِي أَبْكِى الدُّمُوعَ وَبَعْدَهَا *** الدِّمَاءَ عَلَى مَا فَاتَنِي يَا مُعَاتِبِي
لَكَانَ قَلِيلاً منْ كَثِيرٍ وَمَا عَسَى*** يَرُدُّ البُكَا مِنْ ذَاهِبٍ أي ذَاهِبِ(١)

ومن لطفه وتسامحه، أن أحدهم أعطى طفله مناجل- قطع من حديد- وقال له: اذهب إلى الحداد وقل له: يقول لك أبي تسنها، والطفل لا يعرف إلا الحداد الإمام، فدخل عليه وهو في مجلسه وبين أصحابه فقال له الطفل: هذه المناجل يقول لك أبي أنك تسنها، فأخذها الإمام وقال تعال لها غداً تجدها مسنونة، وأمر من يذهب بها إلى الحداد ليسنها؛ ولهذا اشتهر بأنه حداد القلوب يوجهها إلى علام الغيوب. وكما قال أحد أبنائه:

حداد لكن للقلوب *** حددت نهجي والدروب

ومع ما اتصف به من علم ونسك وما يقوم به من أعمال اجتماعية عظيمة! فليس فيه تزمت ولا تحجر بل كان على العكس من ذلك، فهو بشوش ولطيف وظريف ومن لطفه أنه امر بكتابة هذين البيتين على مروحته وهي:

مروحة تروح كل هم *** ثلاثة أشهر لا بد منها
حزيران وتـموز وآب *** وفي أيلول يغني الله عنها(٢)

سابعا: دعوته إلى الله وبرنامجه اليومي:

يقول الإمام أحمد بن زين: ((برز شيخنا عبدالله لنفع الخاص والعام، ولم يتصد الدعوة إلى الله تعالى لأحد من طوائف الناس دون أحد، بل دعا جميع الناس إلى الله عز وجل، خاصهم وعامهم، أولياء علماء سائر المؤمنين والمسلمين من الملوك والأمراء، وأبنائهم وأعوانهم)) (٣)
وقد وصفه بأنه قد تحقق بهذه الأوصاف:

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم: ص٦٠ -٦١.
(٢) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ٢/ ٣٢٦.
(٣) بن سميط: غاية القصد والمراد، ١/ ١٥٥.

وَمِنْهُـمْ رِجَـالٌ ظَـاهِرُونَ بِأَمْرِهِ *** لإِرْشَادِ هَذَا الخَلْقِ نَهْجَ الطَّرِيقَةِ
لَهُمْ هِمـَّةٌ فِي دَعْوَةِ الخَلْـقِ جُمْـلَةً *** إِلَى اللهِ عَنْ نُصْحٍ وَلُطْفٍ وَرَحْمَةِ(١)

واشتهر عنه أنه دعا إلى الله بفمه وقلمه وقدمه – أي رحلاته – وأن الله جعل البركة في أبنائه وتلامذته وكتبه، وأن الأمة تلقت بالقبول كتبه وأوراده وأشعاره؛ (٢) وكان كثير النقد لأهل زمانه، حكام ومحكومين، لا يبالي في قول كلمة الحق، ينتقد المناصب الجهلة، الذين اتكلوا على وجاهة آبائهم بدون أن يتزودوا من العلم والاستقامة، كما ينتقد كبار المتصوفة الذين يخالفون ظاهر الشرع في أعمالهم وأقوالهم، أمثال: الحلاج والسهروردي، وابن عربي، ويود أنه لو وضع له كرسي ليعظ من فوقه، كما أنه همَ بتغير بعض العادات السلفية إلى الأحسن، ولكنه تركها تأدباً مع من سبقه من أسلافه الصالحين. (٣)

وكان برنامجه اليومي منظما، ومليئاً بالأعمال الدينية والدنيوية، فكان يشغل أوقات الصباح والمساء بالتأليف، وإملاء مصنفاته على بعض تلاميذه وتهذيبها، وبتدريس الطلبة، وبمقابلة ضيوفه وزواره، ويشغل أوائل الليل وآخره بالعبادة وبتلاوة القرآن، ويجلس مع أفراد أسرته ما يضحى النهار، ويطبخون القهوة كما تعتاد أمثاله من الأسر الأخرى، ويكون الحديث خليطاً من مواضيع شتى، كلها مفيدة تتخللها إرشاداته ونصائحه ولما كان يحب المشاركة معهم في الأعمال البيتية، جعل من نصيبه طي القرب الفارغة من الماء، كما أنه يقوم بإطعام الدواجن.(٤)

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٠٦.

(٢) الحداد: بشرى الفؤاد، ص ١٨.

(٣) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ٢/ ٣٢٣.

(٤) المرجع السابق: ٢/ ٣٢٨.

المطلب الثاني: حياته العلمية:

أولا: شيوخه و تلامذته:

تتلمذ الإمام الحداد على عدد من العلماء، يفوق عددهم المائة والأربعين[١]، من أشهرهم:

عبد الرحمن بن شيخ مولى عيديد.

عمر بن عبد الرحمن العطاس.

عبد الله بن أحمد بلفقيه.

عقيل بن عبد الرحمن السقاف.

سهل بن أحمد باحسن الحديلي باعلوي.

محمد بن علوي السقاف عالم مكة المكرمة وهو شيخه بالمراسلة، وغيرهم.

أما تلاميذه فكثيرون ويأتي في مقدمتهم أولاده، والمشايخ أحمد بن زين الحبشي، ومحمد وعمر أبناء زين بن سميط، وعمر بن عبد الرحمن البار، وعبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، ومحمد بن عمر بن طه الصافي السقاف، وعلي بن عبد الله السقاف وغيرهم من الأشراف ومن المشايخ كما في كتاب بهجة الزمان عن تلاميذه.

ثانيا: سنده في الأخذ:

تلقى الإمام الحداد علمه عن قوم سندهم متصل يقول في ذلك الأخذ والسند المتصل:

فَعنْهُمْ أَخَذْنَا وَاقْتَبَسْنَا حَقَائِقَ الـ *** طَّرَائِقِ عَنْ صِدْقٍ وَصَفْوِ مَوَدَّةِ

فَبِالحقِّ فَلْنأْخُذْ عُلُومَ طَرِيقِهِمْ *** يَداً بِيدٍ حَتَّى مَقَامِ النُّبُوةِ[٢]

يقول الحسن ابن الإمام الحداد إن والده أخذ عن الإمام محمد بن علوي السقاف (نزيل مكة) وهو عن الشيخ عبدالله (صاحب الوهط) وهو عن السيد شيخ بن عبدالله صاحب مدينة (أحمد أباد) وهو عن السيد عمر بن عبدالله العيدروس صاحب (عدن) وهو عن والده السيد عبدالله، وهو عن والده علوي، وهو عن أخيه أبي بكر ابن عبدالله العيدروس، وهو عن أبيه الشيخ العيدروس، وعمه الشيخ علي، وهما عن أبيهما الشيخ أبي بكر السكران، وعمهما الشيخ عمر المحضار، وهما عن والدهما الشيخ عبدالرحمن السقاف، وهو عن والده

(١) بن سميط: غاية القصد والمراد ١/ ٢٠٩.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٢١.

الشيخ محمد مولى الدويلة، وهو عن والده الشيخ علي، وعمه الشيخ عبدالله باعلوي، وهما عن والدهما الشيخ علوي بن الفقيه المقدم محمد، وهو عن والده الفقيه المقدم محمد بن علي، وهو عن والده الشيخ علي، وعمه الشيخ علوي، وهما عن والدهما الشيخ محمد صاحب (مرباط) وهو عن والده الشيخ علي (خالع قسم) ، وهو عن والده الشيخ علوي، وهو عن والده الشيخ محمد، وهو عن والده الشيخ علوي، وهو عن والده عبيدالله، وهو عن والده المهاجر أحمد، وهو عن والده الشيخ عيسى، وهو عن والده محمد، وهو عن والده علي العريضي، وهو عن والده الإمام جعفر الصادق، وهو عن والده الإمام محمد الباقر، وهو عن والده الإمام علي زين العابدين، وهو عن والده السبط الحسين، وعمه الحسن، وهما عن أبيهما أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، وأمهما الزهراء، وجدهما المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو صلوات الله وسلامه عليه عن جبريل عليه السلام، عن رب العالمين تقدس وتعالى[١].

ثالثا: مؤلفاته وكتبه:

ترك الحداد عددًا من المؤلفات، قد طبعت وترجم بعضها إلى لغات عديدة، و بعض قصائده ألفت الشروح عليها، كما كتبت عدة شروح لراتبه ولورده اللطيف؛ وحسبك أن كتبه زبدة الكتاب والسنة، وأسفارها الشارحة لها لم يتطرقها ولم يتجاوزها اعتقاد، وهي نبراس الدعوة في كل عصر، وقل كذلك في رسائله، ومكاتباته، وأوراده الجامعة المتجدد طبعها مرة بعد أخرى في الأصقاع الإسلامية إلى يومنا هذا. [٢]ومعظمها مزيج من: الفقه، والتوحيد، والتهذيب، والتاريخ، والحكم، وقد بدأ التأليف في السابع عشرة من عمره، إذ الف رسالة المعاونة، وهذه هي مؤلفاته:

- النصائح الدينية والوصايا الإيمانية.
- الدعوة التامة والتذكرة العامة.
- رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة.
- الفصول العلمية والأصول الحكمية.

(١) الحداد: علوي بن أحمد بن الحسن الحداد، المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن، الناشر مقام الإمام الحداد بتريم الحاوي، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ص ٥٦٠ –٥٦١.

(٢) الحداد: ثمرات الوداد المقتطفة من حياة الإمام الحداد، ص ١٠ –١١.

- سبيل الإدكار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار.
- النفائس العلوية في المسائل الصوفية.
- كتاب الحكم.
- إتحاف السائل بأجوبة المسائل.
- رسالة آداب سلوك المريد.
- الوصايا النافعة.
- عقيدة الإسلام.
- تحفة الأبرار في الصلاة على النبي المختار.
- الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم (ديوان شعر) .
- نظم الحق الرشيد في رسالة المريد (مخطوط)
- مكاتباته ويتكون من مجلدين.
- وسيلة العباد من الدعوات والأوراد المأثورة عن الرسول عليه الصلاة والسلام.
- كلامه: تثبيت الفؤاد جمع تلميذه الشيخ أحمد بن عبد الكريم الشجار الإحسائي ويتكون من مجلدين.

وقد ترجم له كثيرون، وأفردت ترجمته بالتأليف، كما في كتابي غاية القصد والمراد، وبهجة الفؤاد للسيد محمد زين بن سميط، وكتاب الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر الهجري للدكتور مصطفى بدوي وغيرها.

رابعا: ثناء العلماء عليه ومآثره:

أولا: نذكر أقوال معاصري الإمام الحدادﷺ، كان شيخه عبدالرحمن بن شيخ مولى عيديد يقول له: مرحباً بسيد الجماعة ومرة يقول: شيخ القبيلة يعني آل باعلوي. وقال عنه السيد عمر بن عبدالرحمن العطاس: إنه أمةٌ وحده. وقال عنه السيد أحمد بن عمر الهندوان: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، وقال عنه السيد علي بن عبدالله العيدروس: السيد عبدالله بن علوي الحداد سلطان آل باعلوي، وقال عنه المؤرخ الشلي: اشتهر كسلفه بالحداد، الفائق على الأمثال والأنداد، الذي شيد ربوع الفضل، وشاد ودل كثيراً من العباد، وهداهم إلى سبيل الرشاد وبلغ

نهاية السول والمراد، إمام أهل زمانه، والداعي إلى الله بسره وإعلانه، المناضل عن الدين الحنيفي بقلمه ولسانه، المشار إليه بالبنان في العلوم والعرفان، الغني عن الدليل والتبيان.

وقال عنه تلميذه الإمام أحمد بن زين الحبشي: إن الإمام الحداد بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الإسلام والإيمان والإحسان، وهو المجدد لهذه العلوم في هذه الأزمان؛ هذا ما قال عنه مشايخه ومعاصروه وتلامذته، وقد أجمع أهل عصره على عظمته ورفعة قدره، واستمر اغتباط أهل بلده به وبشعره ونثره، فلا يكاد يعقد مجلس علم إلا ويذكر الإمام الحداد إما شعراً أو نثرا؛ وقال عنه أيضا بأنه مجدد، ويلقب (بـ شيخ الإسلام) وهو مجدد طريقة السادة آل باعلوي؛ وقد جاء الإمام علي بن محمد الحبشي وامتدح الإمام عبد الله بن علوي الحداد بقصيدة عصماء تثبت مقام الإمام الحداد عند أهل طريقته، وأنه المرجع لهم والقصيدة مطلعها:

بالفتـــح والإرشـــاد والإمـــداد *** ثبتت قواعد شيخنا الحداد

مستجمع السر الذي اتصفت به *** أسلافه وخـليفة الأجـــداد

فرعٌ تسلسل عن كـرام فضـلهم *** قد شاع في الأغوار والأنجاد

الحـــق أظـــهره لدعـوة خلقـــه *** وأقامه للنــــصح والإرشاد

فهـو الخلـــيفة في جميـع أمـوره *** عن خيـر داعٍ للبـرية هادي

فهو الإمـــام المهـــتدي بعلومه ***كل الورى من حاضرٍ أو باد

فجميع من سلك الـطريقة بـعده *** مستصـبحون بنــوره الوقـاد

قـرت به عــين النـــبي مـــحمد *** فـهو ـه من أحســن الأولاد(١)

ومن علماء العصر الحديث من أهل بلده قال عنه المؤرخ محمد الشاطري –رحمه الله–: قل أن تنتشر كتب أحدٍ من أقران الحداد كما انتشرت كتب الحداد وتآليفه فقد طبعت مصنفاته طبعات عديدة، وقد ترجمت بعض كتبه للغات أخرى وانتفع بها خلق كثير، ومعظمها مزيجٌ من الفقه والتوحيد والتهذيب والتاريخ والحكم وقد طبعت أوراده وراتبه وشرح بعضها كما طبع ديوانه عدة مرات وانتشر كل ذلك لسلاسة أسلوبه وسهولة تعبيره وقوة براهينه وقل أن يعقد مجلسٌ أو وعظٌ أو تذكيرٌ بهذه البلاد إلا ويستشهد فيه من كلامه كما أن أشعاره تنشد أيضاً في مناسبة الأفراح وغيرها وقل أن تجد واعظاً حضرمياً إلا ويجعل من كلام الحداد المنثور

---

(١) الحبشي: ديوان الإمام علي بن الحبشي، الجوهر المكنون، ص١٥٩.

والمنظوم منطلقاً لوعظه. وقال عنه الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي مصر قال في المقدمة التي كتبها لمؤلَف الإمام الحداد النصائح الدينية وكان مؤلَفاً واضحاً في عباراته قوياً في أسلوبه محققاً في بحثه بآيات من القرآن والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة عن الأئمة وينتزع من دخائل النفس ووساوس الصدر كل شبهة ويعالج كل نزعة حتى لا يبقى مقالٌ لقائل ولا جوابٌ لسائل. وألف عنه الدكتور مصطفى البدوي كتابه الرائع (الإمام الحداد مجدد القرن الثاني عشر) وجاء في قصيدة الإمام إبراهيم بن عمر بن عقيل (مفتي تعز) ، القصيدة التي ذكر فيها سلسلة سنده في الأخذ والتلقي إلى رسول الله ﷺ قال فيها عن سيدنا عبد الله بن علوي الحداد:

وعصابة أقرانهم ما مثلهم *** أحد من الأعيان والأفرادِ
عد النجوم ولا تعد صفاتهم *** فهم النجوم سمت عن التعدادِ
أخذوا عن القطب المجدد ديننا *** في قرنه الحداد ذي الإرشادِ
السيد السند الذي أحيي الهدى *** بدعائه من موته ورقادِ
الشيخ عبد الله نجل حبيبنا *** علوي ابن محمد الحماد
داع إلى الحق المبين فكم هدى *** من ذي ضلال ليس بالمنقاد
علم منير واصل وموصل *** فالزم طريقته تفز برشاد
حدث ولا حرج عليك عن الإمام *** البحر شمس العترة الحداد
سبحان من أعطاه ما أولاه من *** إرث النبي وعلمه الفياد
وأمامنا الحداد جامع طرقها *** عن صفوة من راسخ وعماد

ومن مآثره أنه بعد حجه صلى بالناس إماماً في الحرم المكي صلاة الفجر يوم الجمعة أول محرم عام ١٠٨٠هـ ومن مآثره أن له هذا البيت من الشعر مخطوط بماء الذهب فوق الحجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ولا يزال إلى الآن وهو

نبي عظيم خلقه الخلق الذي *** له عظم الرحمن في سيد الكتب [1]

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٦٩.

المطلب الثالث: عقيدته ومذهبه وطريقته:

أولا: مذهبه في الاعتقاد:

المذهب في اللغة: هو المعْتَقَدُ الذي يُذْهَبُ إليه، والطَّريقةُ[(١)]، ويقال وَذَهَبَ مَذْهَبَ فُلَانٍ قَصَدَ قَصْدَهُ وَطَرِيقَتَهُ وَذَهَبَ فِي الدِّينِ مَذْهَبًا رَأَى فِيهِ رَأْيًا. [(٢)]

مذهب الإمام الحداد في الاعتقاد هو المذهب الأشعري، وسوف أذكر نزراً يسيراً عن الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُردَةَ عامر ابن صاحب رسول الله ﷺأبي موسى الأشعري؛ ولد رحمه الله سنة ستين ومائتين بالبصرة، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، رحمه الله ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة.

كان أبو الحسن الأشعري سنّياً من بيت سنّة، ثم درس الاعتزال على أبي علي الجبَّائي، وتبعه في الاعتزال، ثم تاب ورَقِي كرسيّاً في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فإني أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا تراه الأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم، وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجزهم.

وقد استفاد من الأشعري خلق كثير، من أكابر العلماء، وفحول الأئمة، فتأدبوا بآدابه وسلكوا مسلكه في الأصول، واتبعوا طريقته في الذب عن الدين، ونصرة أهل السنة، إذ كان فضل المقتَدي يدل على فضل المقتدَى به، وهم من أعيان الأئمة ومشاهير القوم، وقد ذكرهم مؤرخ الشام وحافظها، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، في كتابه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) الذي ألفه في الدفاع عن الشيخ أبي الحسن الأشعري مع ذكر مناقبه، ومؤلفاته، وثناء الأئمة عليه، وقد افرد قاضي القضاة الشيخ تاج الدين ابن الإمام قاضي القضاة تقي الدين السبكي فصلاً خاصا بذكر

---

(١) الفيروزآبادى: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ، فصل الراء، ٨٦/١.

(٢) الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ٢١٠/١.

أكابر المنتسبين إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري، وذلك أثناء ترجمته في كتابه (طبقات الشافعية) وقد افتتح ترجمته بقوله: ((شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين، سعيًا يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، إمام حبر، وتقي بر، حمى جناب الشرع من الحديث المفترى، وقام في نصرة ملّة الإسلام فنصرها نصرًا مؤزرًا، وما برح يدلج ويسير وينهض بساعد التشمير، حتى نقَّى الصدور من الشُّبه، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، ووقى بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس، فلم يترك مقالاً لقائل وأزاح الأباطيل)) [(١)]وترجمه الحافظ أبو بكر البغدادي –رحمه الله– في تاريخ بغداد بقوله: ((صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة)) [(٢)]

وقال اليافعي –رحمه الله– ما نصه: ((الشيخ الإمام ناصر السنة، وناصح الأمة، إمام الأئمة الحق، ومدحض حجج المبدعين المارقين، حامل راية منهج الحق ذي النور الساطع والبرهان القاطع)) [(٣)]ويكفي في بيان فضل أبي الحسن الأشعري ثناء الحافظ البيهقي عليه، وهو محدث زمانه وشيخ أهل السنة في وقته، فقال كلاما أورده بطوله التاج السبكي فيه، ذكر شرف آباء وأجداد أبي الحسن، وحسن اعتقاده وفضله وكثرة أصحابه، مع ذكر نسبه، ثم قال البيهقي – رحمه الله–: ((إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين الله حَدَثًا ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين، فنصرها بزيادة شرح وتبيين)) [(٤)].

---

(١) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي،، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد وعبد الفتاح محمد الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ، ٣ / ٣٤٧.

(٢) الخطيب البغدادي: ابوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ، ١١/ ٣٤٦.

(٣) اليافعي: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، ٢/٢٢٥.

(٤) السبكي: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، ٣/ ٣٩٧.

وقد صنف الشيخ العلامة ضياء الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر القرطبي –رحمه الله– رسالة سماها (زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري) رد فيها على بعض المبتدعة، الذين هجوا الإمام الأشعري، ولما وقف عليها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد –رحمه الله– قرظه فقال: ((اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأيا، ولم ينشئ مذهبا، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقا، وتمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدى به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى –أشعريا– ولقد قلت مرة للشيخ الإمام رحمه الله، أنا أعجب من الحافظ ابن عساكر في عدة طوائف من أتباع الشيخ ولم يذكر إلا نزرا يسيرا، وعددا قليلا، ولو وفى الاستيعاب حقه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة، فإنهم برأي أبي الحسن يدينون الله تعالى، فقال إنما ذكر من اشتهر بالمناضلة عن أبي الحسن وإلا فالأمر على ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه، وقد ذكر الشيخ شيخ الإسلام عز الدين ابن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيرى)) (١)

ولهذا فقد اتخذه الإمام الحداد مذهبه في الاعتقاد فهو أشعري المذهب يقول رضي الله عنه: ((وعليك بتحسين معتقدك وإصلاحه وتقويمه، على منهاج الفرقة الناجية، وهي المعروفة بين سائر الفرق الإسلامية، بأهل السنة والجماعة، وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وأنت إذا نظرت بفهم مستقيم، عن قلب سليم، في نصوص الكتاب والسنة المتضمنة لعلوم الإيمان، وطالعت سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين، علمت وتحققت أن الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية، نسبة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري– رحمه الله – فقد رتب قواعد عقيدة أهل الحق وحرر أدلتها، وهي العقيدة التي اجتمعت عليها الصحابة ومن بعدهم من خيار التابعين، وهي عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان، وهي عقيدة جملة أهل التصوف كما حكى ذلك أبو القاسم القشيري في أول رسالته، وهي بحمد الله عقيدتنا،

---

(١) السبكي: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، ٣/٣٦٥.

وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بآل أبي علوي، وعقيدة أسلافنا من لدن رسول الله ﷺإلى يومنا هذا)) [(١)]

وسئل الإمام الحداد ﷺ هل الاعتقاد الحق منحصر في عقيدة الأشعري، وما خرج عنها فهو باطل، فقال ﷺ: ((عقيدته هي الحق، وما خرج عنها فيه حق وباطل، وإنما فاق غيره لكونه قال آمنت باللَّه، وبما جاء عن اللَّه، على مراد اللَّه، وفوض الأمر إلى اللَّه)) [(٢)] قال الإمام الحداد ﷺ:

وَكُنْ أَشْعَرِيّاً فِي اعْتِقَادِكِ إِنَّهُ *** هُوَ الْمَنْهَلُ الصَّافِي عَنِ الزَّيغِ وَالْكُفْرِ[(٣)]

قلت عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري كل يصنفها حسب مشتهاه وينسب إليها ما يعجب هواه سواء كان معتقداً أو منتقداً لها، لأنها الفت فيها المؤلفات، وصار كل يقتبس من تلك المؤلفات، ما يوافقه وينسبه إلى تلك العقيدة، لذلك تعدد عند المتأخرين الحكم على هذه العقيدة، والمنهج والصواب: أن المنهج الأشعري هو منهج حق تلقته الأمة بالقبول قروناً كثيرة واعتنقه أكابر علماء الأمة الإسلامية، والإمام الحداد تبنى تلك العقيدة، وأثنى عليها وله بعض الاختيارات، وعقيدة الاشعري منهج المتقدمين من السلف، وأما غيره من الاتباع والمتأخرين فلا نستطيع أن نجزم أنه من تلك العقيدة التي تبناها الإمام الحداد وآل باعلوي عموما كما صرح هو بذلك فقال ﷺ: ((وجميع صفات الله مما يوهم التشبيه، وينافي التنزيه، فهو على المذهبين: إما السكوت عن التأويل، مع اعتقاد التنزيه، وهو مذهب السلف؛ وإما الخوض في التأويل، وحمل ما ورد على ما هو اللائق بجلال الله وقدسه، انتهى بمعناه ومذهبنا في ذلك مذهب السلف)) [(٤)]

---

(١) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة، دار الحاوي، ط٢، ١٤١٣هـ، ص ٦٧.

(٢) الحساوي: أحمد بن عبدالكريم الشجار الحساوي، تحرير أحمد بن الحسن بن عبدالله الحداد، تثبيت الفؤاد بذكر مجالس عبدالله الحداد، دار الحاوي، ط١، ١/١٩٨.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد، الدر المنظوم، ص٢٠٩.

(٤) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، النفائس العلوية في المسائل الصوفية، الناشر دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، سنة ١٤١٤هـ، ، ص١٧٧.

ثانيا: مذهبه الفقهي:

المذهب في اللغة: مصدر ميمي، يطلق على الطريق ومكان الذهاب وزمانه، قال أحمد الصاوي: ((المذهب في الأصل محل الذهاب كالطريق المحسوسة)) [١]ونقل عند الفقهاء من حقيقته اللغوية، إلى الحقيقة العرفية، فيما ذهب إليه إمام من الأئمة في الأحكام الاجتهادية، ومذهب أهل حضرموت ومذهب آل البيت من السادة آل أبي علوي، هو المذهب الشافعي وكان الإمام المهاجر[٢] أول من أدخل المذهب الشافعي إلى حضرموت، وبقي فيها إلى يومنا هذا. [٣]

والإمام الحداد في الفقه فهو شافعي، وقد سئل ﷺ إيش مذهبكم؟ يقول وكنت أعتقد وأرى إنما مذهبي الكتاب والسنة، وأردت أن أقول له ذلك، فخشيت من الإنكار، فقلت: مذهبي شافعي، فقال: لا، إنما مذهبك الكتاب والسنة، فقلت: أسلافنا كلهم على مذهب الإمام الشافعي[٤]وقال في مكاتبة له أنما اعتنق المذهب الشافعي لكونه السائد في البلاد، وخشي على أتباعه من تغير المذهب، وإلا فهو في الحقيقة بلغ رتبة الاجتهاد، وصار أهلا أن يقول أن مذهبه الكتاب والسنة، وقد قال ((وما مذهبنا إلا الكتاب والسنة)) [٥]، وقد ذكر سبب اعتناق أسلافه المذهب الشافعي فقال: ((ولولا ما جرى عليه سلفنا، من الأخذ بمذهب الشافعي، كان أحببنا أن نأخذ بمذهب مالك، لأن فيه مسائل إذا تأملتها رأيت أنها هي السنة، لأنه عالم المدينة، وعمدته ما أجمع عليه أهل المدينة، ولكن الشافعي مالكي، لأنه تلميذه أخذ عنه، ولكن لما تأخر عن مالك، وقد أتقن مذهب مالك، ووقف على علوم

---

(١) الصاوي: أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير الناشر: دار المعارف، الطبعة: بدون وبدون تاريخ، ١/ ١٦.

(٢) هو أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين ابن علي بن ابي طالب، جد السادة العلويون في حضرموت لقب بالمهاجر لأنه هاجر من البصرة فارا بدينه من الفتن في العراق وتنقل حتى وصل إلى حضرموت واستقر وتوفي بها بالحسيسة سنة ٣٤٥هـ وقبره معروف، وانتشرت ذريته ومن أراد الاستزادة فعليه بأدوار التاريخ الحضرمي للشاطري أو نسيم حاجر لابن عبيدالله عبدالرحمن السقاف .

(٣) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ١/ ١٦١.

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٠٧/١.

(٥) المرجع السابق: ٣٦/٢.

وأحاديث أخرى لم يقف عليها مالك، فخالفه في بعض المسائل، ثم جاء بعده الإمام أحمد، وتتبع مذهب الشافعي وحَرّره، فكَأنَ المذاهب الثلاثة لذلك مذهب واحدا)) [(١)]

وعموماً فمذهبه شافعي ولكن له بعض الاختيارات التي تخالف المذهب.

ثالثا: طريقة الإمام الحداد:

الطريقة في اللغة: هي السيرة والمذهب قال ابن منظور: والطَّرِيقة: السِّيرة. وَطَرِيقَةُ الرَّجُلِ مَذْهبه، يُقَالُ: ما زال فلان على طريقة واحدة، أي على حالة واحدة، وفلان حسن الطريقة، والطريقة الحال؛ وقوله تعالى﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾[(٢)] أن لو استقاموا على الطريقة؛ أراد لو استقاموا على طريقة الهدى [(٣)]، وطريق أهل السنة والجماعة هو الطريق الذي يلزم كل مسلم اتباعه، فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[(٤)] وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: خط لنا رسول الله ﷺ خطا، ثم قال: ((هذا سبيل الله، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل – قال يزيد: متفرقة – على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) ، ثم قرأ: (وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل، فتفرق بكم عن سبيله)) (٥) وقد بين النبي ﷺهذا الصراط المستقيم بسننه كما قال تعالى

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٦) وروى ابن ماجه عن العرباض بن سارية ﷺ يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: ((قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٧٥/١.

(٢) سورة الجن: الآية ١٦

(٣) ابن منظور: محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ، ١٠/ ٢٢٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٣

(٥) أخرجه أحمد في مسنده: احمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، رقم الحديث ٤١٤٢، ٢٠٧/٧.

(٦) سورة النحل: الآية: ٤٤

اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد)) [(١)]

ولهذا كان سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة، قال الإمام مالك –رحمه الله– السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، والحمد لله فقد ركب الصحابة هذه السفينة وأمروا الأمة جميعاً بركوبها، فنقلوا إلينا السنة وبلغوها لنا، فلم يبق عذر لأحد في مخالفة طريقهم، وهذه هي طريقة الإمام الحداد إذ يقول: ((وأما طريقتنا فلا يحتاج من حيث الإجمال إلى الشرح وإنما هي: في الكتاب والسنة، والاقتداء بالسلف الصالح لا غير)) [(٢)]

المطلب الرابع وفاته:

حكى ولده السيد حسن، وهو الذي تولى تمريضه وحظي بذلك فقال: ((إنه رحمه الله في مرضه كان كثير التكرير لآخر حديثٍ في البخاري، ولم يزل يلهج به وهو قوله((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)) [(٣)]. ولما فاضت روحه الزكية، كان ذلك نحو ثلث الليل الأول، ليلة الثلاثاء ٧ ذي القعدة المحرم سنة ١١٣٢ هـ، عن عمر قارب التسعين عاما، قضاها في نشر العلوم الإسلامية والدعوة إلى الله. وما ظهر خبر وفاته إلا صباحاً، وارتجت الأرض لموته وارتاعت الخلائق وتسارعت من جميع البلدان لحضور جنازته، وتولى غسله ولده السيد الحسن والسيد عمر بن حامد وصلى عليه بالناس ولده علوي، وحضر جنازته نحو من عشرين ألفاً، ودفن وقت غروب الشمس، لكثرة الزحام على جنازته؛ وقد رثي بعدة مراث وأسف الناس على فقده، وبالأخص أولئك الذين لم يسعدوا في حياته بالأخذ عنه والاتصال به، فعلى مثله فليبكِ.

إذا ما مات ذو علم وتقوى *** فقد ثلمت من الإسلام ثلمة

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم الحديث ٤٣، ١/١٦.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٧٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، ، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، باب فضل التسبيح، رقم الحديث ٦٤٠٦، ٨/ ٨٦.

المبحث الثالث

منهجه في الاستدلال في العقيدة

تمهيد:

من خلال قراءة مؤلفات الإمام الحداد، تبين لي أنه اعتمد على المصادر الرئيسة، المعتمدة عند أهل السنة والجماعة في تلقي العقيدة وفهمها، هذه المصادر هي: الكتاب والسنة والإجماع[١]، ثم فهمها على ضوء القواعد التي سار عليها وقررها سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى- وطريقته في التأليف كما وصفها الشاطري بقوله: «يعرض المواضيع الدينية والخلقية والأبواب الوعظية عرضا حسنا ويدعم كلامه بالآيات القرآنية ثم يثني بالاحاديث النبوية، ثم يثلث بالأثار عن الصحابة والعلماء والحكماء نثرا ونظما» [٢]وقد اتخذ الإمام الحداد موقفاً رافضاً لمواقف المتكلمين وطريقتهم في الاستدلال على مسائل العقيدة، مؤيداً لمدرسة أهل السنة وطريقتهم. وقد قسمت هذا المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: مصادر التلقي عند الإمام الحداد؛ ويبحث تحته موقفه من المصادر الرئيسة، وهي: الكتاب والسنة والإجماع، والمصدر الثانوي، وهو: العقل.

المطلب الثاني: قواعد الاستدلال عند الإمام الحداد، ويبحث فيه عن القواعد التي اعتمدها وسار عليها في فهمه للنصوص.

المطلب الثالث: موارد تلقي العقيدة، إذ تتبين لنا من خلال الكتب التي اعتمد عليها في بحث مسائل العقيدة، فيكون ذلك بمثابة التطبيق العملي بعد التقسيم النظري.

المطلب الرابع: تقسيم أصول الاعتقاد إلى ثلاثة.

المطلب الخامس: موقف الإمام الحداد من العقل وعلم الكلام والفلسفة.

المطلب السادس: عقيدة الإمام الحداد الجامعة.

---

(١) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ، الناشر: دار ابن الجوزي — السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ، ٥١٢/١.

(٢) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ٢/ ٣٢٢.

المطلب الأول: مصادر التلقي عند الإمام الحداد:

أولا: القرآن الكريم:

القرآن الكريم عند جميع المسلمين حجة في جميع قضايا الدين العلمية والعملية، الإنشائية والخبرية، وهو الفرقان بين الحق والباطل، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾(١) وأقام الله تعالى به الحجة على العالمين: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (٢) فكل من بلغه هذا القرآن فقد أنذر به وقامت عليه حجة الله (٣) واعتمد الإمام الحداد كجميع المسلمين على كتاب الله تعالى، مصدراً أساساً في استمداد مسائل العقيدة وبحثها، والاستدلال عليها، فمهما وجد في كتاب الله دليلاً على شيء منها أورده، وقدمه على غيره من الأدلة، فقال –رحمه الله –: ((وعليك بالتمسك بالكتاب والسنة، والاعتصام بهما، فإنهما دين الله القويم، وصراطه المستقيم، من أخذ بهما سلم وغنم ورشد وعصم، ومن حاد عنهما ضل وندم وحاد وقصم، فاجعلهما حاكمين عليك ومتصرفين فيك، وارجع إليهما في كل أمرك، ممتثلاً لوصية الله ووصية رسوله. قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٤) ومعنى قوله: فردوه إلى الله والرسول: أي إلى الكتاب والسنة. وقال رسول الله ﷺ ((أوصيكم بما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتي)) (٥) فإن سرك أن تكون على الهدى سالكاً للمحجة البيضاء التي لا عِوج فيها ولا

---

(١) سورة الفرقان: الآية ١

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٩

(٣) ابن القيم: مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد بن محمد البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، ، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ص٩٨.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٩

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك: بلفظ إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم،) من حديث حجة الوداع، ، ينظر أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م، رقم الحديث ٣١٨، ١/١٧١.

أمتاً فاعرض جميع نياتك وأخلاقك وأعمالك وأقوالك على الكتاب والسنة، فخذ ما وافق ودع ما خالف، واعمل على الاحتياط، واتبع الأحسن أبداً» [١]، وقال الإمام الحداد:

وَخُذْ بِكِتَابِ اللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ *** عَلَى كُلِّ حَالِ تَبْلُغِ الْغَايَةَ الْقصْوَى [٢]

وقال الْزَمْ كِتَابَ اللهِ وَاتْبَعْ سُنَّةً *** وَاقْتَدْ هَدَاكَ اللهُ بِالأَسْــلاَفِ [٣]

ثانيا: السنة:

ومعناها في اللغة: الطَّرِيقة المستقيمة المحمودة، وَهِي مَأْخُوذَة من السَّنَن وَهُوَ الطَّرِيق يُقَال: خُذْ على سَنَن الطَّرِيق وسُنَنِه. [٤]

وفي الشرع: ما شرعه النبي ﷺلأمته. أو ما رسم ليحتذى وجوباً أو استحباباً [٥].

وعند الأصوليين: مَا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ (٦) .

وعند الفقهاء: ما ثبت عنه ﷺ من حكم هو دون الفرض، فهي ترادف المندوب، والمستحب والتطوع والنافلة والمرغب فيه.والذي نبحث فيه هو معنى السنة عند الأصوليين؛ لأنه هو المناسب لمبحث الاستدلال عند الإمام الحداد. وسوف يبسط الكلام على السنة في مبحث النبوات.والسنة وحي من الله تعالى، كما أخبر الله تعالى في كتابه، أن السنة هي وحي من الله تعالى كالقرآن الكريم، وأن مصدرها هو مصدره، ومُنزلها هو مُنزل القرآن، تبارك وتعالى.

ولدينا آيات تنطق بذلك تصريحاً وأخرى تلويحاً، فمن الأولى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ [٧] فهذه الآية تدل صراحة على أنه كما ينزل عليه ﷺالوحي الجلي المتلو وهو القرآن، فكذلك كان ينزل عليه وحي آخر خفي غير متلو: هو السنة، وهي حجة كالأول.

---

(١) ينظر الحداد: رسالة المعاونة والمذاكرة المؤازرة، ص٦٣.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد، الدر المنظوم، ص٥٤٧.

(٣) المرجع السابق: ص٣٧٥.

(٤) : الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ٢١٢/١٢.

(٥) الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه ٢٥٧/١.

(٦) الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني اليمني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أحمد عزو، الناشر: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ٩٥/١.

(٧) سورة النجم: الآية ٣-٤

وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (١) وقال: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ (٢)
فتشير هذه الآيات وغيرها إلى أن الله أنزل على رسوله وحيين، وأوجب على عباده الإيمان بهما، وتعلمهما والعمل بهما، وهما: الكتاب والحكمة، والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف. ومن الآيات التي تُلَوِّح بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (٣) فقد ذكر الله في هذه الآية أن جمع القرآن وترتيبه عليه سبحانه فكأن الله تعالى قد تكفل بجمع القرآن وترتيبه، والواقع الذي يعرفه كل أحد أن القرآن لم يرتب على الترتيب الذي نزل عليه بل رتب كما أمر النبي ﷺ بترتيبه، فكأنه رتبه النبي ﷺ فحقيقة الأمر أن ترتيب القرآن قد تكفل الله به وقام النبي ﷺ بهذا الترتيب، فلا يمكن الجمع بين هذا التكفل وهذا الترتيب إلا على القول بأن النبي ﷺ إنما قام به بوحي من الله تعالى، وهو الوحي غير المتلو لأنا لا نجد أثراً لذلك بين الدفتين وهو السنة.
وقد تبين لي من خلال سبْر مؤلفات الإمام الحداد أنه اعتبر أن الدين الإسلامي له مصدران هما الكتاب والسنة وهما العمدة فقال: ((والعمدة ما في الكتاب والسنة، وما خالفه فلا تتوقف في رَدِّه، وما أشكل عليك فَكِلْه إلى قائله، وما ثبت عن النبي ﷺ، فهو أحق أن يُتَّبع، وما لم يصح فخذ فيه بالأرجح، وإن لم يكن ترجيح فاجتهد إن كنت من أهل الاجتهاد وإلا فخذ بما رَجّحه أحد من أهل الاجتهاد)) (٤).
ويؤكد الإمام الحداد أنهما أساس فهم العقائد فيقول: ((أجمع العلوم وأنفعها وأصحها وأوضحها ما كان هو الأقرب والأشبه بالعلوم المشروحة في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ، والذي يكثر ذكرها وتكرارها فيهما، وذلك مثل العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله والعلم بأمر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه من الأوصاف، والأعمال، والعلم بنهيه تعالى، وذكر ما يبعد عنه من الأوصاف، والأعمال، والعلم بالمعاد، والرجوع إلى الله تعالى، وما فيه

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢
(٢) سورة الأحزاب: الآية٣٤
(٣) سورة القيامة: الآية ١٧
(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ، ١/ ٣٧٨.

من الأحوال والأهوال، ووصف الجنة التي هي دار الأتقياء؛ وهذه العلوم هي أصول العلوم كلها ومقصودها ولبابها، وكثرة النظر فيها تثمر مزيد الإيمان واليقين بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر، وتحث على لزوم الطاعة والعبادة لله تعالى، وترك ما يسخطه سبحانه وتعالى، والاستعداد للموت، وحسن التزود للمعاد، ومحبة لقاء الله تعالى، وعلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة›› (١)

ثالثا أقوال الصحابة:

تعريف الصحبة. وهو لغة: يقع على من صحب أقل ما يطلق عليه اسم صحبة، فضلا عمن طالت صحبته، وكثرت مجالسته. وفي الاصطلاح: (رائي النبي) ﷺ، اسم فاعل من رأى، حال كونه (مسلما) عاقلا (ذو صحبة) على الأصح، كما ذهب إليه الجمهور من المحدثين والأصوليين، وغيرهم اكتفاء بمجرد الرؤية ولو لحظة، وإن لم يقع معها مجالسة ولا مماشاة ولا مكالمة ؛ لشرف منزلة النبي ﷺ ؛ فإنه كما صرح به بعضهم إذا رآه مسلم أو رأى مسلما لحظة طبع قلبه على الاستقامة ؛ لأنه بإسلامه متهيئ للقبول، فإذا قابل ذلك النور العظيم أشرف عليه، فظهر أثره على قلبه وعلى جوارحه. وممن نص على الاكتفاء بها أحمد ؛ فإنه قال: من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه. وكذا قال ابن المديني: من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار، فهو من أصحاب النبي ﷺ. وتبعهما تلميذهما البخاري فقال: من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.. (٢).

ولقد كان للصحابة مكانة ومنزلة كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: ‹‹أفضل هذه الأمة أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه›› (٣) وحسبنا ثناء ربنا

(١) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، الفصول العلمية والأصول الحكمية، دار الحاوي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣ هـ، ص ٤٥.

(٢) السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، ، الناشر: مكتبة السنة – مصر، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ٤/ ٧٨.ومن اراد التوسع في تعريف الصحابي فعليه بنفس المرجع .

(٣) أخرجه ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤، رقم الحديث ١٨٠٧، ٢/٩٤٦

عليهم، وإشادة الرسول ﷺ بهم، ولاشك عند ذوي الألباب أن الأخذ بفتاويهم أولى من الأخذ بآراء المتأخرين وفتاويهم، وقد صدق الشافعي وبر حين قال في رسالته القديمة مشيدا بهم ذاكرا فضلهم: ((وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به عليهم، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا)) (١)

وقد اختلف العلماء في مدى الاحتجاج بأقوال الصحابة، فمذهب الإمام مالك والشافعي في القديم، وبعض الحنفية. أن قول الصحابي إذا لم يظهر له مخالف أنه حجة يقدم على القياس، ويخص به العموم، وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه ليس بحجة مطلقا، وعزا ابن قدامة هذا القول إلى عامة المتكلمين والشافعي في الجديد، وهو اختيار أبي الخطاب من الحنابلة لأن الصحابي يجوز عليه الغلط والخطأ والسهو، ولم تثبت عصمته. (٢)

والتحقيق أن قول الصحابي إن كان مما لا مجال للرأي فيه فهو في حكم المرفوع، كما تقرر في علم الحديث، فيقدم على القياس ويخص به النص، إن لم يكن ذلك الصحابي معروفا بالأخذ من الإسرائيليات. وإذا قال الصحابي قولا، ولم يخالفه صحابي آخر، فإما أن يشتهر قوله في الصحابة أولا يشتهر، فإن اشتهر فالذي عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع وحجة، وقالت طائفة منهم هو حجة، وليس بإجماع، وقالت شرذمة من المتكلمين، وبعض الفقهاء المتأخرين: لا يكون إجماعا ولا حجة. وإن لم يشتهر قوله، أو لم يعلم هل اشتهر أم لا، فاختلف الناس هل يكون حجة أم لا؟ فالذي عليه جمهور الأمة أنه حجة هذا قول جمهور الحنفية صرح به محمد بن الحسن وذكر عن أبي حنيفة نصا وهو مذهب مالك وأصحابه وتصرفه في موطئه دليل عليه وهو قول إسحاق ابن راهويه وأبي عبيد، وهو منصوص الإمام أحمد في غير موضع عنه واختيار جمهور أصحابه وهو منصوص الشافعي في القديم (٣).

ونخرج من هذا كله أن أقوال الصحابة حجة وهذا هو منهج الإمام الحداد فيها وهو رأي الجمهور يقول الإمام الحداد: ((وآية من كتاب اللَّه تكفيك، فإن لم تعرف معناها فاسأل عنها

---

(١) ابن القيم: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ٢/١٨٥.

(٢) ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢، ١/ ٤٦٦.

(٣) ابن القيم: أعلام الموقعين، ٤/ ١٢٠ .

أهل العلم بها، وإذا كان في الأمر شيء عن النبي ﷺ، فلا لأحد عنه معدل، وما كان عن الصحابة فَيُتّبَع، وما كان عن غيرهم فيؤخذ منه ويُتْرك» [١]، قال الإمام الحداد:

فَمَا بَعْدَ هَدْيِ المِصْطَفَى وَصَحَابِهِ *** هُدىً لَيْسَ بَعْدَ الحَقِّ إِلاَ الضَّلاَلَةِ[٢]

وسوف يبسط الكلام عليهم في مبحث النبوات.

رابعا الفطرة:

الفطرة في اللغة: فطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر وفطَّرَه: شَقَّهُ. وتَفَطَّرَ الشيءُ: تَشَقَّقَ. والفَطْر: الشَّقُّ، وَجَمْعُهُ فُطُور. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿**هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ**﴾ [٣].

وأما في الاصطلاح فقد اختلف العلماء فقال بعضهم: الفطرة: الخلقة، والفاطر: الخالق فكأن معنى: (كل مولود يولد على الفطرة) أي: على خلقة يعرف بها ربه، إذا بلغ مبلغ المعرفة سالما في الأغلب خلقة وطبعًا، مهيأ لقَبول الدين، كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات، فما دامت على ذلك القبول، وعلى تلك الأهلية، أدركت الحق ودين الإسلام وقد اعتمد الإمام الحداد هذا الرأي وقرر الفطرة في تقرير مسائل العقيدة.

ففي باب الإيمان بالله يقرر أن الإيمان بالله تعالى فطري، ويسمي هذا الإيمان ديناً فطرياً، كما أنه يرى أنه يمكن استنباط التوحيد بالفطرة وأن قضية التأله بوجود إله فطرية يقول في ذلك: «وما أحسب أن أحداً يعقل إلاّ وهو متألّه إلى إله، تقضي عليه بذلك فطرته التي فطره عليها، وتشهد له بربوبيته خِلْقَتُهُ التي خلق عليها، أصاب في ذلك من أصاب، وأخطأ من أخطأ وما من إله إلا الله العزيز الحكيم». [٤] وبشكل عام يقرر الإمام الحداد أن الإسلام هو دين الفطرة السليم، وهو في ذلك يخالف المتكلمين، الذين يقولون بأن المعرفة نظرية جدلية.

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٦٥.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم: ص١١٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ٥/ ٥٥.

(٤) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، الدعوة التامة والتذكرة العامة، دار الحاوي للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢١هـ، ص ٢٥٣ .

المطلب الثاني: قواعد الاستدلال عند الإمام الحداد

هذه القواعد هي التي يتعامل بها مع النصوص، أعني نصوص الكتاب والسنة، وهي التي تميز أهل السنة من غيرهم، من أهل الأهواء والبدع، وسوف أعرض بعض تلك القواعد التي وجدت أن الإمام الحداد قد اتبعها في استدلاله بنصوص الشرع.

القاعدة الأولى: الإيمان بظاهر القرآن:

وهي قاعدة أساسية عند أهل السنة والجماعة، وقد مثل الإمام الحداد القرآن بالمحيط الذي أحاط بكل شيء، فكل شيء فيه فقال رضي الله عنه: ((واعلم أن القرآن هو البحر المحيط، ومنه تستخرج جواهر العلوم ونفائس الفهوم، ومن فتح له طريق الفهم فيه من المؤمنين دام فتحه وتم نوره واتسع علمه وصار لا يمل من قراءته ليلاً ولا نهاراً، لأنه قد وجد فيه مقصوده وظفر منه بمطلوبه وهذه صفة المريد الصادق. قال الشيخ أبو مدين [(١)]رحمه الله لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد)) [(٢)]

القاعدة الثانية: الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة:

لقد نهج الإمام الحداد في الاستدلال على مسائل الدين بنصوص الكتاب والسنة مباشرة دون وسائط، فقال: ((وإجمال الأمور: أنّ كلَّ ما قَبِلَه الكتاب والسنة هو الحق، وما لم يقبلاه هو الباطل)) [(٣)]وهذه هي طريقة السلف في الاستدلال بل إنه يقول إن مذهبه الكتاب والسنة.

القاعدة الثالثة: رفض التأويل:

وهي من قواعد أهل السنة في الاستدلال بالكتاب والسنة، وقد رفض الإمام الحداد التأويل فقال ((أمور الآخرة لا يَسَع الإنسان فيها إلا التَّصديق والإجمال وعدم التأويل)) [(٤)]

---

(١) أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري والمعروف باسم أو أبو مدين التلمساني ولد عام ١١٢٦٦وتوفي ١١٩٨ م في تلمسان فقيه و متصوف وشاعر أندلسي، يعد مؤسس أحد أهم مدارس التصوف في بلاد المغرب العربي والأندلس وله مؤلفات منها بداية المريدين وانس الوحيد وتحفة الأريب وديوان شعر وقد تأثر به علماء حضرموت، الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، سير أعلام النبلاء،تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ٢١/ ٢١٩.

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمذاكرة المؤازرة، ص٤٦.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٣٧٨.

(٤) المرجع السابق: ٢/ ١١

القاعدة الرابعة: الردّ عند التنازع إلى الكتاب والسنة:

وهذه القاعدة من قواعد أهل السنة التي ميزتهم عن أهل البدع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (١) والرد إلى الله رد إلى كتابه، والرد إلى الرسول رد إلى سنته يقول الإمام الحداد ﷺ: ((والعمدة ما في الكتاب والسنة، وما خالفه فلا تتوقف في رَدِّه)) (٢)

القاعدة الخامسة: مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم:

وطريقة السلف هي: فهم النصوص وإثبات ما دلت عليه من صفات وإثبات موافقتها لصحيح المنقول وصريح المعقول، لذلك فهي أسلم وأعلم وأحكم، وهذا ما قرره الحداد فقال ﷺ: ((وجميع صفات الله مما يوهم التشبيه وينافي التنزيه فهو على المذهبين إما السكوت عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، وهو مذهب السلف وإما الخوض في التأويل وحمل ما ورد على ما هو اللائق بجلال الله وقدسه، انتهى بمعناه ومذهبنا في ذلك مذهب السلف)) (٣)

المطلب الثالث: موارد الإمام الحداد في العقيدة:

لكل عالم منهج في استقراء موارد منهجه، وعلماء الأمة الإسلامية حينما تقرأ مؤلفاتهم ترى فيها نزعة لفكر ومنهج ذلك المؤلف، والإمام الحداد يعول على علماء أهل السنة والجماعة الذين أجمعت الأمة على فضلهم وشرفهم وعدالتهم، ويستسقي تصانيفه منهم إذ يقول: ﷺ ((إن أركان الدِّين عندنا وقواعده أربعة: البخاري في الحديث، والبَغَوي في التَّفسيْر، وفي الفقه المنهاج، ومن الكتب الجامعة إحياء علوم الدِّين، هذه القواعد التي عليها البناء، وطَالعنا كتباً كثيرة، ولم نر أجمع منها والوَقْت قَصير، والقَوَاعد هي التي عليها البناء، وهي العُمُد، وما مذهبنا إلا الكتاب والسنة)) (٤) والإمام الحداد كثيراً ما يعول على كتب الإمام الغزالي فيقول: ((أكبّ على مطالعة كُتب الأمام الغزالي، فإنها في كل الكتب كالخصار في الطعام، بل أعلى من ذلك، فإن الطعام إذا لم تَشْتهه في وقت تَرَكْته إلى وقت أخر، وهذه لا يَسْتغنى عنها بحال، لأنه جَمَع فيها الشَّريعة، والطريقة، والحقيقة، ومواريث السَّلف)) (٥)

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٧٨/١.

(٣) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص ١٧٧ .

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٦/٢.

(٥) المرجع السابق: ٦٠/٢.

المطلب الرابع: أصول الاعتقاد الثلاثة:

يقسم العلماء العقيدة إلى ثلاثة أقسام، وهي الإلهيات: وهي ما يختص بالله تعالى من ربوبية وعبادة وأسماء وصفات، وبالنبويات هي: معرفة الواجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ومعرفة المستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام، ومعرفة الجائز في حقهم عليهم الصلاة والسلام، وما يتبع ذلك من الأدلة، والسمعيات: وهي أمور الآخرة وما يتعلق بها من بعثٍ ونشرٍ وحشرٍ وصراطٍ وميزان وحساب وعقاب وثواب وجنة ونار وما شاكل ذلك من مسئولية الآخرة التي وعد الله بها عباده على ألسنة المرسلين صلى الله عليهم أجمعين، وهذا التقسيم للعقيدة مستمد من النصوص الشرعية قال الإمام العلامة فَخْرُ الدِّينِ الرازي–رحمه الله–: «المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [١]يدل على الإلهيات وقوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [٢]يدل على المعاد وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٣] يدل على نفي الجبر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [٤]إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وهذه السورة مشتملة عليها سميت أم القرآن» [٥] وجاءت هذه الرسالة في تقرير هذه الأربعة الأمور، كما قال بهذا التقسيم للعقيدة الإمام العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري، شيخ جامع الأزهر–رحمه الله–في كتابه تهذيب شرح جوهرة التوحيد، وقال به الإمام العالم العلامة عثمان العرياني –رحمه الله– في كتابه خير القلائد شرح جواهر العقائد، وذكره حسن أيوب في كتابه تبسيط العقائد الإسلامية، وقد ذكر الشيخ محمد أمان

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٢

(٢)سورة الفاتحة: الآية ٤

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٥

(٤) سورة الفاتحة: الآية ٦

(٥) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ١/١٥٦.

-رحمه الله- في تعريف العقيدة فقال: ((العقيدة الإسلامية هي تصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية والنبوات وأمور المعاد وغيرها مما يجب الإيمان به))[١] وقد قسم الإمام الحداد أصول الاعتقاد إلى ثلاثة أقسام فقال ﷺ: ((وأصول الاعتقاد ثلاثة التوحيد والنبوة واليوم الآخر)) [٢] وقال الإمام الحداد ﷺ: ((وأمور العقيدة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الإلهيات، والنبويات، وأمور الآخرة)) [٣] قلت وقد عزم الإمام الحداد على تصنيف كتاب في أقسام العقيدة إلا أنه لكثرة أشغاله لم يتسنّ له ذلك قال ﷺ: ((وكنا عزمنا على وضع رسالة في الإلهيات والنبويات وأمور الآخرة، ولكن منعنا منه اشتغال الناس وعدم إصغائهم، ولكنا إن شاء اللّه سنجعله في فصل من الفصول العلمية)) [٤] قلت وبناء على تقسيم الإمام الحداد للعقيدة إلى ثلاثة أقسام اعتمدت على هذا التقسيم وقسمت عليه بحثي إلى الإلهيات والنبويات وأمور الآخرة وهذا مصدر تقسيم البحث.

---

[١] الجامي: محمد أمان علي الجامي، العقيدة الإسلامية وتاريخها، دار المنهاج، القاهرة – مصر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ص ٤٤.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٥٧/١.

(٣) المرجع السابق: ١٢٣/١.

(٤) المرجع نفسه : ١٢٢/١.

المطلب الخامس: موقف الإمام الحداد من العقل وعلم الكلام والفلسفة

أولا: موقفه من العقل:

العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذاته، إنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن ادراكها. (١)

ولقد جاء القرآن بالأدلة العقلية على أكمل وجه، على أصول الدين من الإلهيات والنبوات والسمعيات وغيرها فهذه الأصول وإن كانت معلومة بالفطرة الضرورية البديهية، وبالشرعية النبوية الإلهية، فهو أيضاً معلوم بالأمثال المضروبة التي هي المقاييس العقلية. (٢)

فالعقل دليل من أدلة المعرفة عامة والدينية فيها خاصة، والوحي جاء بالأدلة العقلية صافية من كل كدر، وقد وردت النصوص بمسائل الاعتقاد وبأدلتها العقلية التي يجب على العقل النظر فيها وفهمها على وجهها. والإسلام هو (دين العقل والفكر)

والعقائد الإسلامية تنطبق على العقل أي توافقه ولا تخالفه، فالعقل الصحيح لا يمكن أن يعارض أبداً نصاً صريحا. ولكن هل يحتاج المؤمن إلى الدلائل العقلية؟

يجيب الإمام الحداد عن ذلك فيقول رضي الله عنه: ((الدلائل العَقْلية والبراهين تشكِّك، لأنها إنما وضعت للمحاجة مع الكُفّار، والمؤمن لا يَحْتاج إليها، لأنَّ من عرف زيْداً مثلاً، فقيل له انظر إن هذا زيد، إما يشككه فيه، أو يَمْقته الآخر، والبراهين التي عليها المعول براهين القرآن، كيف وكُفَّار قريش لم يَكْذبوا النبي ﷺ، في قوله لهم، إن لكم إلهاً خالقاً، وإنما كَذّبوه في الوحدانية وأنهم لم يروه)) (٣) وقرر الإمام الحداد مسألة هامة في ذلك، هي: إن تحكيم العقل في كل مسألة من مسائل الدين مخالف، وأن الأمور الإلهية أمرها على غير ما تعرفه العقول، وأنه لا يسعنا إلا الإيمان والتسليم بها، يقول الإمام الحداد رضي الله عنه:

---

(١) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٣/ ٣٣٩.

(٢) المرجع السابق: ٢/ ٣٧.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢ /٢٦ .

«وقد جاء في القرآن وفي الحديث: إن الأمور الإلهية لا تُتعقل ولا تكيف، وأين الإسراء إلى فوق السبع السموات إلى العرش، من سماع الخطاب من الشجرة في الأرض، يعني في قصة الإسراء بالنبي ﷺوسمعه لكلام الله من قاب قوسين، وتكليم الله لموسى عليه السلام من الشجرة وسماعه لذلك، والمتكلم واحد، والأماكن متباعدة غاية البعد، ففي هذا دليل على أن الأمور الإلهية أمرها على غير ما تعرفه العقول، وأنه لا يسع إلا الإيمان بها والتسليم، والله أعلم» (١)
والعقل لا يستطيع إدراك كل الأمور بل إدراكه محدود مثل نظره محدود لا يستطيع أن يرى الميكروبات التي في جسده ويؤمن بوجودها، ولا يستطيع أن ينكرها وكذلك العقل مدركاته محدودة لا يحيط علماً بكل شيء، فما عليه إلا أن يؤمن ويسلم بالأمور الإلهية يقول الإمام الحداد: «والأمور التي لا تدركها العقول كثيرة، منها ما هو في الوجود، ومنها ما هو في القدرة، لم يبرزه اللَّه سبحانه، ولا يعرف الإنسان منها إلا ما يألفه، فيقيس عليه ما يقرب منه، وأما ما لا يعرفه ولا يألفه طبعه، فلا يعرفه أصلاً ويرى ما عداه محالاً، وما لم يره أو يعلمه لا يمكنه أن يتعقله، فخل الخوض في الحق، وانظر إلى الملائكة، إنما غذاؤهم الذكر، لو قيل حي لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، يقال: ما هذه الحياة؟ ، وكيف تكون؟ ويستبعده، وكذا الجنة حيث يقال: طولها كذا، وعرضها كذا، وصفتها كذا، فإذا استبعد يقال له: نعم، لو كان ذلك في هذا العالَم الضيق، وهنالك عوالم شتى، منها ما هو في الوجود، ومنها ما هو في القدرة» (٢)وقد أتى الإمام الحداد بأمثلة كثيرة على ذلك نذكر منها: سئل الإمام الحداد عن حشر المتكبرين في صور الذر، كما ورد فيهم وفي غيرهم على صور أخرى توازي أوصافهم القبيحة التي كانوا عليها في دار التكليف، وهل ذلك على ظاهره، أو له معنى آخر؟ فأجاب رضي الله عنه فقال:« أقول: لا مانع من وقوعه على ظاهره أبدا، ولا ينبغي أن يعدل به إلى معنى آخر مع إمكان وقوع ما وردت به الأخبار. ولما سئل ﷺ عن الأشقياء: كيف يستطيعون المشي على وجوههم إلى النار؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/١٩٨.
(٢) المرجع السابق: ١/٣٨٥.

«الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم[١] فخذ المعنى من المعنى في سعة الاقتدار الإلهي ما لم يؤد الأمر إلى محال ممتنع عقلاً وشرعاً» [٢].

ومنها ذكره قول عمر ﷺ، حيث تمنى أنه سأل النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء منها أبواب الربا والكلالة، فقال الإمام الحداد نفع اللّه به: « نعم، لأن الميراث يصل إلى أقوام مع وجود أقرب منهم، كما يرث ابن الابن مع وجود العمة، وليس لها من الميراث شيء، والأمور الإلهية ليست على قياس عقول الناس، ولهذا أوقعت أناساً قياساتُ عقولهم، حتى وقعوا في الربا باستحسانهم بيع القهاول[٣] من الطعام بقهاولين» [٤]

ثانيا: موقفه من علم الكلام والفلسفة:

علم الكلام هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية أي المنسوبة إلى دين النبي ﷺ وإن لم تكن مطابقة للواقع؛ لعدم إخراج الخصم من المعتزلة والجهمية، والقدرية والجبرية، والكرامية وغيرهم، عن أن يكون من علماء الكلام، وإن خطأناه أو كفرناه (وقيل) : تعريف علم الكلام الذي هو التوحيد وأصول الدين: العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية، أي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية، سواء توقفت على الشرع كالسمعيات أم لا، وسواء كانت من الدين في الواقع ككلام أهل الحق أو لا ككلام المخالف، واعتبر في أدلتها اليقين ؛ لأنه لا عبرة بالظن في الاعتقاديات بل في العمليات، وموضوعه هو المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية[٥]

وسمي بعلم الكلام لأن عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا وكذا، ولأنَّ مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثرها نزاعاً وجدالاً.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: بلفظ أقدامهم بدل أرجلهم، محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وأخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم الحديث ٣١٤٢، ٣٠٥/٥.

(٢) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص ١٠٤.

(٣) القهاول وحدة وزن عند أهل حضرموت وتساوي ١٢مصاري

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٣٧/١-٢٣٨.

(٥) السفاريني: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، ٥/١.

وقد ذم كثير من علماء السلف علم الكلام كما نقل العز الحنفي عَنْ أبي يوسف -رحمه الله تعالى- أنه قال لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة. أراد بالجهل به اعتقاد عدم صحته، فإن ذلك علم نافع، أو أراد به الإعراض عنه أو ترك الالتفات إلى اعتباره. فإن ذلك يصون علم الرجل وعقله، فيكون علما بهذا الاعتبار. والله أعلم. وعنه أيضا أنه قال: من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب. وقال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل؛ [1] كما أن الإمام الحداد ذم علم الكلام والتوغل فيه فقال: «ولا تتوغل في علم الكلام، ولا تكثر من الخوض فيه لمجرد طلب التحقيق في المعرفة، فإنك لا تظفر بهذا المطلوب من هذا العلم، ولكن إن أردت التحقق في المعرفة فعليك بسلوك طريقه وهي: التزام التقوى ظاهراً وباطناً، وتدبر الآيات والأخبار، والنظر في ملكوت السماوات والأرض على قصد الاعتبار، وتهذيب أخلاق النفس وتلطيف كثافاتها بحسن الرياضة، وتصقيل مرآة القلب بملازمة الذكر والفكر، والإعراض عما يشغل عن التجرد لهذا الأمر فهذا سبيل التحصيل إن سلكته عثرت على المطلوب، وظفرت بالأمر المرغوب إن شاء الله تعالى» [2]وقد ذم الإمام الحداد علوم الفلسفة ووصفها أنها غير نافعة فقال في مكاتبة له لتلميذه أحمد بن زين: «ومما نوصيكم به ألا تكثروا النظر في أمثال ذلك العلم لا شروحاً ولا أصولاً فإنها من العلوم غير النافعة (أي علوم الفلسفة) وفيما ألفه الأئمة الجامعون المعتمدون غنى عنها» [3]

قلت إن نهي العلماء في هذه النصوص ليس على إطلاقه ولكنه منصبٌ على من استخدم علم الكلام على طريقة الفلاسفة وعلى طريقة أهل الأهواء والبدع الذين غلبوا جانب العقل وتركوا الكتاب والسنة وجعلوا معولهم عقولهم وأخذوا بتسوية الكتاب والسنة عليها والإكثار من إيراد الشبه الواردة على عقائد أهل السنة مما لم يكن يعرف شيء منه في العصر الأول،

---

(١) العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٨ هـ، ص١٧.

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص٦٩.

(٣) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد، ٢/ ٩٩.

بل كانوا يُشددون النكير على من يفتح باب الجدل والمماراة، ولذلك قال النبي ﷺ: ((هلك المتنطعون)) (١) أي المتعمقون الغالون في الكلام والبحث والاستقصاء، وذلك لاشتمال هذا النوع من الكلام الفلسفي المعقد على كثير من الخلط والتضليل، وعدم وفائه بما هو المقصود من كشف الحقائق وعمارة القلوب باليقين، بل إنه يورث العكس من زعزعة في العقيدة ووهنا في التصميم.

فموقف الإمام الحداد كموقف السلف، من أن العقليات وعلم الكلام المؤمن ليس بحاجة إليها لأنه عنده من المراجع ما يكفيه للاستدلال على فهم عقيدته ودينه، كما أن الإمام الحداد رفع من شأن العقل فهو مناط التكليف والعقل وسيلة لفهم الدين وليس غاية، وبهذا قال العلماء إن العقل تابع للشرع وليس الشرع تابعاً للعقل، وقد قلل الإمام الحداد من علم الكلام ونهى عن التوغل فيه، وكذا الفلسفة ووصفها أنها علوم غير نافعة، وهذا الموقف للإمام الحداد جاء بناء على أن حضرموت لا يوجد فيها ملاحدة ولا فلاسفة، فلا حاجة لهذا العلم لأنه يولد الشك والحيرة والاضطراب وهذا منهجه في ذلك.

المطلب السادس: عقيدة الإمام الحداد الجامعة:

فإنا أول ما نبدأ به هو عرض عقيدته، كما وردت في خاتمة كتابه النصائح الدينية والوصايا الإيمانية، وتسمى العقيدة الجامعة وهي: ((الحمد لله وحده، و صلَّى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلَّم.

وبعد: فإنَّا نعلمُ ونقرُّ ونعتقدُ، ونؤمنُ ونوقنُ، ونشهدُ: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إله عظيم، ملك كبير، لا ربَّ سواه، و لا معبود إلا إيَّاه، قديم أزلي، دائم أبدي، لا ابتداء لأوليته، ولا انتهاء لآخريته، أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، لا شبيه له ولا نظير وليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ وأنه تعالى مقدَّس عن الزمان والمكان، وعن مشابهة الأكوان، ولا تحيط به الجهات، ولا تعتريه الحادثات؛ مستوٍ على عرشه على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، إستواءً يليق بعزِّ جلاله، وعلوِّ مجدِه وكبريائِهِ؛ وأنه تعالى قريب من كلِّ موجود، وهو أقرب للإنسان من حبل الوريد، وعلى كل شيءٍ رقيب وشهيد.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب هلك المتنطعون، رقم الحديث ٢٦٧٠، ٤/ ٢٠٥٥.

حيٌّ قيُّوم، لا تأخذه سنة ولا نَوم؛ بديع السماوات والأرض، وإذا قضى أمراً فإنَّما يقول له كُنْ فيكون؛ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ؛ وأنه تعالى على كلِّ شيءٍ قدير، وبكلِّ شيءٍ عليم، وقد أحاط بكل شيءٍ علماً، وأحصى كلَّ شيءٍ عدداً. ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾(١)﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾(٢) ويعلم السرَّ وأخفى، ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾(٣)

وأنه تعالى مريد للكائنات، مدبِّر للحادثات، وأنه لا يكون كائن من خير أو شرٍّ، أو نفع أو ضُرٍّ، إلا بقضائه ومشيئته، فما شاءَ كان، وما لم يشأْ لم يكن؛ ولو اجتمع الخلق كلُّهم على أن يُحَرِّكوا في الوجود ذرةً، أو يُسَكِّنُوها دون إرادته لعجزوا عنه. وأنه تعالى سميع بصير، متكلِّم بكلام قديم أزلي، لا يشبه كلام الخلق، وأن القرآن العظيم كلامه القديم، وكتابه المنزَّل على نبيه ورسوله ﷺ، وأنه سبحانه الخالق لكلِّ شيء، والرازق له والمدَبِّر والمتصرِّف فيه كيف يشاء، ليس له في ملكه منازع ولا مدافع، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويُعذِّب من يشاء، لا يُسَأَلُ عَمَّا يَفعَلُ، وهم يُسْأَلُونَ؛ وأنه تعالى حكيم في فعله، عادل في قضائه، لا يتصور منه ظلم ولا جور، ولا يجب عليه لأحدٍ حقٌّ ولو أنه سبحانه أهلك جميع خلقه في طرفة عين لم يكن بذلك جائراً عليهم ولا ظالماً لهم، فإنَّهم مِلكُهُ وعَبيدُهُ، وله أن يفعل في ملكه ما يشاء وما رَبُّكَ بِظَلَامٍ للعبيد؛ يثيب عباده على الطاعات فضلاً وكرماً، و يعاقبهم على المعاصي حكمةً وعدلاً، وأنَّ طاعته واجبة على عباده بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام؛ ونؤمن بكلِّ كتابٍ أنزله الله، وبكلِّ رسولٍ أرسله الله، وبملائكة الله، وبالقدر خيره وشرِّه، ونشهد أنَّ محمداً عبد الله ورسوله، أرسله إلى الجنِّ والإنس، والعرب والعجم، بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه ولو كَرِهَ المشركون، وأنه بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونَصَحَ الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حقَّ جِهَادِه، وأنه صادق أمين، مؤيَّد

(١) سورة يونس: الآية: ٦١.

(٢) سورة الحديد: الآية: ٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية: ٥٩.

بالبراهين الصادقة والمعجزات الخارقة، وأن الله فرض على العباد تصديقه و طاعته واتِّبَاعَه، وأنه لا يقبل إيمان عبد و إن آمن به سبحانه حتَّى يؤمن بمحمد ﷺ، وبجميع ما جاء به وأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة والبرزخ، ومن ذلك: أن يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى، عن التوحيد والدين والنبوة، وأن يؤمن بنعيم القبر لأهل الطاعة، وبعذابه لأهل المعصية، وأن يؤمن بالبعث بعد الموت، وبحشر الأجساد والأرواح إلى الله، وبالوقوف بين يدي الله، و بالحساب، و أن العباد يتفاوتون فيه إلى مسامح ومناقش، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب، وأن يؤمن بالميزان الذي توزن فيه الحسنات والسيئات، وبالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم، وبحوض نبينا محمد ﷺ الذي يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وماؤه من الجنة؛ وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم الصديقين والشهداء، والعلماء والصالحين والمؤمنين، وأن الشفاعة العظمى مخصوصة بمحمد ﷺ؛ وأن يؤمن بإخراج من دخل النار من أهل التوحيد حتى لا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وأن أهل الكفر والشرك مخلدون في النار أبد الآبدين، لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وأن المؤمنين مخلدون في الجنة أبداً سرمداً، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين؛ وأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة بأبصارهم على ما يليق بجلاله وقدس كماله؛ وأن يعتقد فضل أصحاب رسول الله ﷺ وترتيبهم، وأنهم عدول أخيار أمناء، لا يجوز سبهم ولا القدح في أحد منهم، وأن الخليفة الحق بعد رسول اللهﷺ: أبوبكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان الشهيد، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله ﷺأجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم برحمتك اللهمَّ يا أرحم الراحمين)) (١).

(١) الحداد، عبدالله بن علوي بن محمد الحداد، النصائح الدينية، .الناشر: دار الحاوي للطباعة والنشر و التوزيع ط ١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص ٣٤٩.

الفصل الأول

الإلهيات

الفصل الأول

الإلهيات وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: منهج الإمام الحداد في التوحيد والصفات وأدلة معرفة الله وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوحيد.

المطلب الثاني: مذهب الإمام الحداد في الصفات والتأويل.

المطلب الثالث: منهج الإمام الحداد في أدلة معرفة الله.

المبحث الثاني: منهج الإمام الحداد في إثبات الألوهية ونفي الشرك وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التوحيد الأعظم في معنى الشهادتين.

المطلب الثاني: الشرك.

المبحث الثالث: القضاء والقدر وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر والرضا به.

المطلب الثاني: منهج الإمام الحداد في أفعال العباد والمشيئة.

المطلب الثالث: الاحتجاج بالقدر.

المطلب الرابع: الكلام على الأسباب ومسبباتها.

المبحث الرابع: مقامات الدين الإسلام والإيمان والإحسان وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقامات الدين وأولها الإسلام.

المطلب الثاني: مقام الإيمان.

المطلب الثاني: مقام الإحسان.

المبحث الخامس: مباحث متعلقة بالإلهيات وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرجاء والخوف.

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثالث: الاعتصام والخروج على الأئمة.

المطلب الرابع: الحب في الله.

المبحث الأول

منهج الإمام الحداد في التوحيد والصفات وأدلة معرفة الله

المطلب الأول: التوحيد:

أولا: تعريف علم التوحيد:

كلمة التوحيد في اللغة: ترجع إلى لفظة وحد، وفروع هذه الكلمة تدور على معنى الانفراد وانقطاع المثل والنظير، وفي معنى الانفراد وعدم المثيل يقول ابن فارس: ((الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله)) (١)

وفي الصحاح فلان واحد دهره أي لا نظير له، وفلان أوحد أهل زمانه، (٢) ومن كلام العرب هو نسيج وحده وهو الرجل المصيب في الرأي؛ وفي لسان العرب ورجلٌ متقدم في بأس أو علم أو غير ذلك كأنه لا مثل له فهو وحده لذلك (٣).

وباستعراض المعاني السابقة للفظ الواحد نجد أكثرها يدل على معنى الانفراد وانقطاع المثيل والنظير، وأن كلمة التوحيد في اللغة تدل على الانفراد، وانقطاع النظير والمثيل، بل قد جاء في كتب أهل اللغة المتقدمين أن التوحيد يعني الإيمان بالله وحده لا شريك له، وهذا هو التوحيد الشرعي الذي جاء في كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وعليه بنى أهل السنة تعريفهم للتوحيد ويلاحظ أن التعريفات السابقة للتوحيد تدور على محور واحد، هو تعريف التوحيد بأنه شهادة أن لا إله إلا الله، وإفراده سبحانه بالعبادة وقد تكلم الإمام الحداد رضي الله عنه عن شرحها ومعنى الإحاطة بها وبنى تعريفه للتوحيد على ذلك المعنى فقال رضي الله عنه: ((فاعلم أن جميع العلوم الدينية ووسائلها، ترجع إلى شرح معنى هذه الكلمة الشريفة، وشرح حقها الذي هو الأمر

---

(١) ابن فارس: أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، ١٤٢٠هـ /١٩٩٠م، ٦/ ٩١.

(٢) الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٢/ ٥٤٨ .

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ٣/ ٤٤٧.

والنهي والوعد والوعيد، وما يتبع ذلك، وما كان شرحا لحقها، كان شرحا لها بحكم التبعية، والقصد التعريف بأنه لا سبيل إلى الإحاطة بشرح علومها، فضلا عن إيراده، كما سيأتي.
وأما شرح معناها في نفسها، فهو العلم الذي يطلق عليه علم التوحيد، وهو البحر الزاخر الذي لا يبلغ له ساحل، ولا يدرك له قعر، وقد سبح النظار من المتكلمين في باحته، وغاص المحققون من العارفين في لجته، فأدركوا من لطائفه ونفائسه وعجائبه وغرائبه، ما يجل قدره ويتعذر حصره ثم أجمعوا بعد طول البحث والإمعان، وفناء الطاقة والإمكان على الاعتراف بالعجز عن الغاية، والوقوف على النهاية، وذلك لأن الإحاطة بعلوم التوحيد، موقوفة على الإحاطة بذات الموحد وصفاته، تعالى عن ذلك علوا كبيرا» (١)

ثانيا: تقسيم علم التوحيد عند الإمام الحداد:

قسم الإمام الحداد علم التوحيد إلى قسمين: قسم ظاهر يدرك بالتعلم وهو كسبي وقسم باطن يدرك بالتقوى والمجاهدة وهو وهبي، والدليل على هذا التقسيم قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) قال الإمام القرطبي –رحمه الله–: «وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه، أي يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى إليه، وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانا، أي فيصلا يفصل به بين الحق والباطل» (٣) وقال ابن عاشور –رحمه الله–: «وفي عطفه على الأمر بالتقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم، حتى قيل: إن الواو فيه للتعليل أي ليعلمكم» (٤) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾ (٥)

---

(١) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، إتحاف السائل بجواب المسائل، الناشر دار الحاوي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ، ص١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٨٢

(٣) القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤، ٣/٤٠٦.

(٤) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م، ٣/١١٨.

(٥) سورة الحديد: الآية: ٢٨.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾(١) قال ابن حجر –رحمه الله –: ((أي هداية ونورا تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الرشد والغيّ، كما جاء في بعض وجوه التفسير، وذلك أن المجاهدة تؤدي إلى المشاهدة، والعناية بطهارة القلب وتزكية النفس تفجر الحكمة في قلب العبد، قال الغزالي: أما الكتب والتّعليم فلا تفي بذلك (أي بالحكمة) تتفجّر في القلب بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ إنّما تتفتح بالمجاهدة ومراقبة الأعمال الظاهرة والباطنة، والجلوس مع اللّه عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة، والانقطاع إلى اللّه عزّ وجلّ عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكم من متعلّم طال تعلّمه ولم يقدر على مجازاة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصر على المهم في التّعليم، ومتوفر على العمل ومراقبة القلب، فتح اللّه عليه من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب، ولذلك قال ﷺ: من عمل بما علم ورّثه اللّه علم ما لم يكن يعلم(٢). ا هـ)) (٣)

قال الإمام عز الدين(٤) –رحمه الله –معنى الحديث إنّ من عمل بما يعلمه، من واجبات الشّرع ومندوباته، واجتناب مكروهاته ومحرماته؛ أورثه الله من العلم الإلهي ما لم يعلمه من ذلك، كقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾(٥)هذا هو الظّاهر من الحديث المتبادر إلى الفهم، ولا يجوز حمله على أهل النّظر في علوم الشّرع، لأنّ ذلك تخصيص للحديث بغير دليل، وقال الإمام مالك–رحمه الله–: ((علم الباطن لا يعرفه إلّا من عرف علم الظّاهر، فمن علم الظّاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن، ولا يكون ذلك إلّا مع فتح

---

(١) سورة الأنفال: الآية: ٢٩

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: بلفظ من عمل بما علم فتح الله له ما لا يعلم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ، ٦/ ١٦٣.

(٣) ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحاب ، تحقيق: عادل أحمد وعلى محمد معوض، ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ، ١/٤٥.

(٤) عز الدين بن علي بن عبد العزيز المكي الزمزمي الشافعي المولود سنة: ٩٠٠هـ، والمتوفى سنة: ٩٦٣هـ .ينظر منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، عبد الله بن سعيد عبادي اللحجي، ٣٢٨/١.

(٥) سورة العنكبوت: الآية: ٦٩

قلبه وتنويره. وقال: ليس العلم بكثرة الرّواية، وإنّما العلم نور يقذفه الله في القلب. يشير إلى علم الباطن›› [١].

وهذه التقوى التي دلت الآيات على أن الله يعلم صاحبها بسببها ما لم يكن يعلم، لا تزيد على عمله بما علم، من أمر الله، وعليه فهي من عمل ببعض ما علم زاده الله به علم ما لم يكن يعلم[٢]. قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ‹‹إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا›› [٣]وقد عد السيوطي-رحمه الله - علم الموهبة من شروط المفسر فقال: ‹‹علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بحديث: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) [٤]

ولم يكن الإمام الحداد أول من تكلم في تقسيم علم التوحيد؛ بل قد قسم التوحيد كثير من العلماء وهذا تقسيم اصطلاحي منهم، فممن قسم التوحيد الشيخ ابن تيمية -رحمه الله - قسمه إلى التوحيد القولي العلمي، والتوحيد العملي الإرادي [٥] كما قسم التوحيد الإمام ابن القيم- رحمه الله- إذ قال: ‹‹التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد›› [٦]، والإمام الحداد رضي الله عنه قسم علم التوحيد على قسمين فقال:

‹‹أحدهما: علم ظاهر: وهو الذي يعلم بالدليل والبرهان. ويجب على كل مؤمن، أن يعلم ويعتقد منه مالا يصح إيمانه بدونه؛ والمتكلم هو الذي يعتني بتحرير هذا العلم، والذب عنه،

---

(١) العبادي: عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللحجي الحضرمي، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الناشر: دار المنهاج – جدة، ط٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، ٥٣/٤.

(٢) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ٢٦١/٧.

(٣) ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤٢٢ هـ، ٣٢٦/٤.

(٤) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط بدون: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ٢١٥/٤.

(٥) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ، ٢/ ٢٢٨.

(٦) ابن القيم: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ٤٨/١.

والفحص عن أدلته وبراهينه، فيفضل عامة المؤمنين بذلك، وفضله إن كان إيمانا وعلما، وإلا كان صورة فقط.

والثاني من القسمين: باطن: وهو ما لا يدرك بدون الكشف والعيان، وذلك ميراث التقوى، ومعنى الهداية التي هي ثمرة المجاهدة، وهو سر بين العبد وبين ربه، وقد يتفاوض (أي يتفاضل) أهله في أشياء منه فيما بينهم، ولهم رضي الله عنهم الغيرة التامة على أن يقف على شيء منه من ليس من أهله، حتى كان الجنيد -رحمه الله- إذا أراد أن يتكلم فيه مع أصحابه يغلق الباب ويجعل المفاتيح تحت وركه وذلك رحمة منهم بالمؤمنين. فإن الواقف على هذا العلم من غير أهله: إما أن ينكره، فيكون عند الله من المكذبين بما لم يحيطوا به علما، وإما أن يصدق به، ويفهمه على غير الوجه المراد منه، فيتعثر في أذيال الخطأ» [1] فغاية المؤمنين الموحدين تصحيح توحيدهم بإخلاصه لله، وهذه من أعظم صفاتهم والله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن العظيم كثيراً من صفات المؤمنين ومن أعظم صفاتهم إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة مع الإخلاص كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [2] فالإخلاص في التوحيد سمة أهل الإيمان، والإشراك في التوحيد سمة أهل الكفر والنفاق والعصيان، وقد جعل الإمام الحداد إخلاص التوحيد لله بمعنى أرقى وأجمل يحمل في معناه الإخلاص في التوحيد بمعناه الجلي وبمعناه الخفي، والسلامة من الشرك في التوحيد بمعناه الجلي وبمعناه الخفي، فقال ﷺ: «كنه عناية العارفين والمحققين، ومعظم اهتمامهم، ومطمح نظرهم في تصحيح الإيمان واليقين وتقويتهما، وفي إخلاص التوحيد من شوائب الشرك الخفي، ثم في تصحيح الأخلاق المحمودة، كالزهد، والإخلاص وسلامة الصدر للمسلمين، وفي نفي الأخلاق المذمومة، كالحرص والرياء والكبر، ثم في تصحيح الأعمال الصالحة الظاهرة، وفي الاحتراز من الأعمال السيئة، ثم في تصحيح أمور المعاش والنظر فيها، وحسن التدبير لها على طريق الورع والنصح، والأخذ بالقناعة والتقلل منها» [3] وقد جعل الإمام الحداد الإخلاص من أعظم ثمرات التوحيد فقال: «إذا فعل -أي

---

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص١٩.

(٢) سورة البينة: الآية: ٥

(٣) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص١١.

الإنسان- أمراً أحبَّ أن يُرَى، فهذه الأشياء ونحوها، هو الرياء والكبر المجبول عليها، وأما أضدادها كالإخلاص، فإنها من ثمرات التوحيد، لا تهتدي العقول إليها، حتى جاءت الأنبياء وعرّفوا الناس التوحيد وثمراته» [١] وسيأتي الكلام على الإخلاص بالتفصيل في مبحث الإحسان.

كما ذكر الإمام الحداد ثمرة عظيمة تنتج عن الإخلاص في التوحيد ألا وهي صدق التوكل على الله والاعتماد عليه، فقال ﷺ: ((وعليك بالتوكل على الله، فإن من توكل على الله كفاه وأغناه وتولاه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٢]والتوكل من ثمرات صدق التوحيد وثباته في القلب واستيلائه عليه، قال تعالى:﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[٣] فانظر كيف بدأ بإثبات الربوبية ثم بإثبات الانفراد بالإلهية ثم أمرنا بالتوكل عليه جل وعلا، فلم يبق في تركه عذر للبرية، وقد أمر الله عباده بالتوكل عليه ورغبهم فيه بقوله:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٤]وبقوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥]

وقال رسول الله) ﷺلو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خِمَاصاً وتروحُ بطاناً) [٦] اهـ» [٧]

المجاهدة عند الإمام الحداد

المجاهدة التي ذكرت في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا. . . ﴾[٨]قال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال. قال ابن عطية: فهي قبل الجهاد العرفي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته[٩]؟. وقال الثعلبي في تفسيره: «وروي عن ابن

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد ١ /١٢٢.

(٢) سورة الطلاق: الآية: ٣.

(٣) سورة المزمل: الآية: ٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٢٢

(٥) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه: بلفظ لو أنكم، باب التوكل واليقين، رقم الحديث ٤١٦٤، ، ٢ /١٣٩٤ .

(٧) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٧٧.

(٨) سورة العنكبوت: الآية: ٦٩

(٩) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٣٦٤/١٣.

عباسﷺ: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وقال الضحاك: والذين جاهدوا بالهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الإيمان، وقيل: والذين جاهدوا بالثبات على الإيمان لنهدينهم سبل دخول الجنان، وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة ثم قال: مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى، من دخل الجنة في العقبى سلم، فكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم)) [١]كما اوضح النبي ﷺ معنى المجاهدة بقوله: ((والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله)) [٢] تكلم الإمام الحداد عن المجاهدة بهذه المعاني حينما سئل عن معنى المجاهدة التي يذكرونها فقالﷺ: ((تَصْحيح التَّوحيد، والعمل على مُقْتضى الشرع، وتَذْليل شَهَوات النفس، وتَعْديل أخلاقها، حتى يَسْتقر كلٌ الأمر على العدل الشرعي، وقد يفتح الله على الولي بعد المجاهدة، بفتوح من عنده يتحقق له أنها لم تحصل له بمجاهدته، بل حصلت فَضْلاً منه تعالى ومِنّة، وقد يجتهد ولا يحصل له شيء، ليسلم بذلك من العُجب، فلا يَرَى أنه حصل له من مجاهدته شيء، ولا بد من المجاهدة، قال وسمي جهاد النفس أكبر، لأنه دايم ولازم لكل أحد)) [٣]

ثالثا: التوحيد هو الأساس وأول ما يلزم معرفته وهو أعظم النعم:

التوحيد أساس الهداية والإيمان، وأصل الدين الذي يقوم عليه، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان، وهي مهمة جداً للمؤمن لشدة حاجته إليها لسلامة قلبه وصلاح معتقده واستقامة عمله، وهي التي توجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يليق به، ووصفه بما هو أهله ذو الجلال والإكرام؛ فالتوحيد أساس الْمِلَّة وأصلها، وبقية الفرائض فرع منه، فإذا زال الأصل زال الفرع[٤]

---

(١) الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، ٧/ ٢٩٠.

(٢) أحرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٢٣٩٦٧، ٣٩/ ٣٨٧.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ، ٢/ ٢١٢.

(٤) الخريصي: إبراهيم بن الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ١/ ٢٨.

وقد شبه الإمام الحداد التوحيد بالأساس الذي يقوم عليه البناء، فقال ﷺ :((أمور الدنيا كالبيوت، لا يثبت بناء القصر إلا بعد إحكام الأساس، كذلك الدين أساسه كلمة التوحيد والتصديق، ثم الأحكام الواجبة، ثم قراءة القرآن، ثم ما يُندب بعد ذلك، قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾(١)إلى آخر الآية، فالتأسيس بإثبات العقائد والنيات والصدق، ثم البناء يتم لك بعد ذلك، وخذ أصل العلم الذي لا بد لك منه في نفسك، ولا تفتن الناس بطلب العلم بلا عمل)) (٢)

والتوحيد هو أول ما يجب على الإنسان معرفته والإقرار به، قال العلماء إن التوحيد أول ما يجب على العبد معرفته والإقرار به، وأول ما فرضه الله على عباده، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٣)من أجله بُعث الأنبياء والرسل وأنزلت عليهم الكتب والشرائع؛ والنبي ﷺأخذ عشر سنين كلها في الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن ضده وهو الشرك، فهو أَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وقد أكد الإمام الحداد على ذلك فقال ﷺ: ((يجب على الإنسان أولاً أن يصحح مقام التوحيد، فإذا أحكمه صحح الواجبات من الصلاة والصوم، والزكاة إن كانت عليه، وغير ذلك، ولا يفعل مندوباً قبل تصحيح الواجب، أتراك من له عليك دين لازم، وأنت تتركه وتعطيه شيئاً متبرعاً به، هل يقبله إلا بعد أداء اللازم)) (٤)وقال ايضاً ﷺ: ((لا أحسن للإنسان في هذا الزمان إذا أراد سلوكها (أي طريق المتابعة) من تصحيح أصول التوحيد، وفعل الواجبات وترك المحرمات، والإتيان من السنن على مقتضى الكتاب والسنة، من غير أن يتعداهما، فإذا أثمرت له هذه الأشياء حصل له خير كثير)) (٥) قلت فمما ينسب لجمهور أهل العلم في هذه المسألة ما نقله ابن مفلح في الآداب الشرعية عن صاحب المحيط من الحنفية

---

(١) سورة التوبة: الآية: ١٠٩.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١ /١٩٢ .

(٣) سورة النحل: الآية: ٣٦ .

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢١٨/٢ .

(٥) المرجع السابق ، ١/ ٢١٨.

قال: ((أفضل العلوم عند الجمهور بعد معرفة أصل الدين وعلم اليقين معرفة الفقه والأحكام الفاصلة بين الحلال والحرام)) (١)

ونعمة الإسلام والتوحيد من أعظم نعم الله قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٢)قال الإمام الزمخشري –رحمه الله– في تفسيره للآية: ((أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك، لأنه لا نعمة أتمّ من نعمة الإسلام)) (٣)

وقال وهب ابن منبه –رحمه الله–: ((رؤوس النعم ثلاثة: فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها)) (٤) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((كان من دعاء رسول الله ﷺاللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك)) (٥) قال الإمام الهروي —رحمه الله–: ((أي: نعمة الإسلام والإيمان ومنحة الإحسان والعرفان)) (٦) فنعمة الإسلام والتوحيد من أعظم النعم ولا يعرف قدر هذه النعمة حق المعرفة إلا من كان كافراً ثم أسلم، وقد جعل الإمام الحداد التوحيد من أعظم النعم فقالرضي الله عنه: ((ثم اعلم أن التوحيد أعظم النعم وأكبرها، وأنفعها لأهله في الدنيا والآخرة، فعلى من أنعم الله به عليه وأكرمه به أن يعرف قَدْرَ نعمةِ الله بذلك، وأن يسعى في حفظها ودوام الشكر والاغتباط بها، وأن يجتهد في تقوية توحيده، وثباته وتأكيده بملازمة الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة، والطاعات الخالصة التي هي من فروع التوحيد وثمرات الإيمان، مع الاحتراز والاجتناب لأضداد ذلك من الأخلاق السيئة والأعمال المنكرة التي هي من مُضْعِفات الإيمان، وموجِبات تزلزله واضطرابه حالاً ومآلاً سيَّما عند الموت؛ قال

---

(١) ابن مفلح: محمد بن مفلح بن محمد المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، ٢ /١٢٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣

(٣) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، ط٣ – ١٤٠٧ هـ، ١/ ٦٠٥.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ، ٦٨/٤.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، رقم الحديث ٢٧٣٩، ٢٠٩٧/٤.

(٦) الهروي: علي بن (سلطان) محمد، الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: دار الفكر، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ٤/ ١٧٠٧.

الله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(١) وقال ﷺ: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)) (٢). اهـ)) (٣)

وللإمام الحداد هذه الابيات العظيمة في فضل نعمة الإسلام:

نَحْنُ فِي رَوْحٍ ورَاحَهْ *** وَحُبورٍ واستراحه

نِعْمَةُ الإِسْلاَمِ أعْلَى *** نِعْمَةٍ حَلَّتْ بِسَاحَهْ(٤)

وقال أيضا: نَحْمَدُ اللهَ عَلَى الْخَيْرِ الكَثِيرْ *** نِعْمَةِ التَّوحِيدْ وَالدِّينِ اليَسِيرْ(٥)

رابعا: تعليم علم التوحيد والاعتناء به:

اعلم أن شرف هذا العلم على غيره من العلوم لكونه متعلقا بأشرف المعلومات التي هي أصول الدين، أي معرفة الله ورسوله ﷺ والعلم بالله تعالى وصفاته أجلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، ويسمى علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة، وقد خصّ النبي ﷺ نفسه بالترقي في هذا العلم فقال: ((أنا أعلمكم بالله)) (٦) فكان هذا العلم أهمّ العلوم تحصيلاً وأحقّها تبجيلاً وتعظيماً قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾(٧) قدّم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار لتعلّق التوحيد بعلم الأصول، وتعلق الاستغفار بعلم الفروع؛ وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أي العمل أفضل؟ قال: ((إيمان بالله ورسوله)) (٨). وصح عن جُندُب بن عبد الله أنه رضي الله عنه قال: ((كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزاوِرَة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به

(١) سورة الروم: الآية: ١٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان، فاجتنبوه لعلكم تفلحون)، رقم الحديث ٥٥٧٨، ٧ /١٠٤.

(٣) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٥٦.

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ١٤٦.

(٥) المرجع السابق: ص٢٧٦.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أعلمكم بالله)، ١/ ١٣.

(٧) سورة محمد: الآية: ١٩.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: باب من قال إن الإيمان هو العمل رقم الحديث ٢٦، ١ /١٤.

إيمانا)) [١] فهذا يدل على أهمية علم التوحيد الذي كان لعلماء السلف اهتمام بالغ في تحصيله وتعليمه للناس، قال الإمام أبو حنيفة –رحمه الله– ((أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه وما يتعلق منها بالاعتقاديات هو الفقه الأكبر)) [٢]

وفي فتاوى قاضيخان [٣] على مذهب أبي حنيفة ما يدل على أهمية الاعتناء بعلم التوحيد وتعليمه للناس، فقد ورد فيه ما نصه:تعليم صفة الخالق مولانا جل جلاله للناس وبيان خصائص مذهب أهل السنة والجماعة من أهم الأمور، وعلى الذين تصدّوا للوعظ أن يلقنوا الناس في مجالسهم على منابرهم ذلك، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤]

قال الإمام الحداد ﷺ: ((أجمع العلوم وأنفعها وأصحها وأوضحها ما كان هو الأقرب والأشبه بالعلوم المشروحة في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ، والذي يكثر ذكرها وتكرارها فيهما، وذلك مثل العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله والعلم بأمر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه من الأوصاف، والأعمال، والعلم بنهيه تعالى، وذكر ما يبعد عنه من الأوصاف، والأعمال، والعلم بالمعاد، والرجوع إلى الله تعالى، وما فيه من الأحوال والأهوال، ووصف الجنة التي هي دار السعداء؛ وهذه العلوم هي أصول العلوم كلها ومقصودها ولبابها، وكثرة النظر فيها تثمر مزيد الإيمان واليقين بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر، وتحث على لزوم الطاعة والعبادة لله تعالى، وترك ما يسخطه سبحانه وتعالى، والاستعداد للموت، وحسن التزود للمعاد، ومحبة لقاء الله تعالى، وعلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة)) [٥]

وبين الإمام الحداد أن اعظم نفع للعباد هو تعليمهم توحيد ربهم فقال: ((ولا يستطيع أحدٌ أن ينفع خلق الله بمثل دعوتهم إلى الله تعالى، بتعريفهم ما يجب له من التوحيد والطاعة)) [٦]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب في الإيمان، رقم الحديث ٦١، ١/٢٣.

(٢) الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، الناشر دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ١/ ٣٦.

(٣) فتاوى قاضيخان (مطبوعة بهامش الفتاوى الهندية): المؤلف: لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي الفتاوى الهندية، الناشر: دار الفكر، ط٢، ١٣١٠هـ، الباب الثاني فيما يكون كفرا من المسلم وما لا يكون، ٢/ ٣٢٠.

(٤) سورة الذاريات: الآية: ٥٥.

(٥) لحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص٤٥.

(٦) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة، ص ١٥ .

كما اكد الإمام الحداد على الاهتمام بأعظم امر فقال رضي الله عنه: ((الأمر الذي عليه المدار والتعويل والذي لا ينبغي لعاقل من أهل الإيمان أن يكون أعظم اهتماماً به، وأشدَّ حرصاً عليه وسعياً له من سلامة التوحيد، وحفظ الإيمان، حتى يموت ويخرج من الدنيا على ذلك بفضل الله وحسن تأييده وتثبيته)) [(١)]

خامسا: التوحيد ومعناه في حديث المرء مع من يحب:

حديث (المرء مع من أحب) [(٢)] لا يؤخذ بظاهره إذ لا بد من حقيقة المتابعة في التوحيد، كما قال ابن تيمية –رحمه الله –: ((ومحبة التوحيد إنما تكون لله وحده على متابعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[(٣)]اهـ)) [(٤)] قال الإمام النووي–رحمه الله–: ((روايات المرء مع من أحب فيها فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما، والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم وقد صرح في الحديث الذي بعد هذا[(٥)] بذلك فقال أحب قوما ولما يلحق بهم قال أهل العربية لما نفي للماضي المستمر فيدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم فإنها تدل على الماضي فقط ثم إنه لا يلزم من كونه معهم أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه)) [(٦)] قال بعض السلف: ادعى قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ** ﴾ الآية فمحبة الله ورسوله وعباده المتقين تقتضي فعل محبوباته وترك مكروهاته، والناس يتفاضلون في هذا تفاضلا عظيما، فمن كان أعظم نصيبا من ذلك كان

---

(١) الحداد: الدعوة التامة، ، ص٢٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب علامة حب الله عز وجل، رقم الحديث ٦١٦٨، ٣٩/٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣١

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ١٠ / ٦١٤ .

(٥) ولفظه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: (المرء مع من أحب) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث ٢٦٤٠، ٢٠٣٤/٤.

(٦) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٨٦/١٦.

أعظم درجة عند الله؛ وأما من أحب شخصا لهواه، مثل أن يحبه لدنيا يصيبها منه، أو لحاجة يقوم له بها، أو مال يتآكله به، أو بعصبية فيه ونحو ذلك من الأشياء فهذه ليست محبة لله؛ بل هذه محبة لهوى النفس وهذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان[١].

وقد سأل رجل الإمام الحداد رضي الله عنه عن حكم المحب مع من أحب إذا لم يعمل بعملهم: هل يكون معهم على الإطلاق كما يفهم من ظاهر الحديث: (المرء مع من أحب) [٢].

فأجابه رضي الله عنه ونفع به: «الذي يظهر لنا مما يقتضيه أقوال المحققين، من المتكلمين على معنى هذا الحديث: أن هذه المعية تكون من بعض الوجوه، لا من جميعها، ولابد أن يكون المحب موافقاً لمن أحبه في كليات الأمور، مثل التوحيد وحفظ الفرائض اللازمة واجتناب المحرمات الموبقة، وفعل ما يتيسر من الخيرات، إن من أحب أحداً أحب مشابهته والاقتداء به حسب ما يقدر عليه، ولا تصح المحبة بدون ذلك، وهي بدونه لغوية لا حقيقه لها. وقد قال الحسن البصري -رحمه الله تعالى-: لا يغرنكم حديث المرء مع من أحب، مع الغفلة والاغترار وترك صالح الأعمال، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم يقيناً. انتهى بمعناه. قلت[٣]: وكذلك أرباب البدع من هذه الأمة، يحبون بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى الغاية ويتولونهم، حتى إن أحدهم قد يبذل روحه فما دونها في محبتهم، وليسوا معهم يقيناً، لأنهم خالفوا طريقهم وهديهم ببغضهم غير من تولوه من الصحابة وتبريهم منه، وبغير ذلك من بدعهم في الدين، وهذا ما لا يختلف فيه. وإذا لزم هذا في البدعة، فليزم مثله أو قريب منه في الفسق، ثم يلزم مثله أو قريب منه في التخليط وكثرة العصيان. وعلى ذلك فليقس لأنها مراتب في الخير والشر، فأقبح القبائح وأشر الشرور الكفر، وهو على مراتب ثم البدع وهي متفاوتة، ثم الفسق وهو كذلك ثم التخليط وهو كذلك. وعلى الضد في الخير يقال، فافهم ما أشرنا إليه وتأمل ما أوردناه، فإنه نفيس والحاجة داعية إليه، وبالتأمل، يظهر المقصود ويتضح

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ١١ /٥٢٠.

(٢) سبق تخريجه: من (ص٦٦)من هذه الرسالة.

(٣) هذا كلام الإمام الحداد .

المعنى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)) [١] والإمام الحداد يؤكد أن علامة المحبة الموافقة وليست مجرد المحبة.

وقد سئل الإمام الحداد ﷺ عن قول رسول الله ﷺ: (المرء مع من أحب) ، فهل ذلك مطلق حتى يحصل لمن لم يوافق محبوبه في أعماله وأقواله وغيرهما من تقلباته؟ فأجاب ﷺ: ((اعلم علمك الله تعالى، أن الحديث فيه ترغيب وترهيب، حيث يكون الإنسان مع من يحبه، سواء كان من الأبرار أو الفجار، فكيف حال من يحب الدنيا الملعونة، حيث يصير معها ثم إن المعية الحاصلة بالمحبة، تحصل مطلقا، ولكن لا يصح وجود المحبة إلا بموافقة المحبوب فيما يأتي ويذر، حسب الاستطاعة، والمحبة دعوى لا تثبت حتى تقوم بها بينة الموافقة فالذي يدعي محبة شخص، وهو مع ذلك يخالفه في أغراضه ومراداته التي يقدر عليها، ولا يوالي من يواليه، ولا يعادي من يعاديه، يقضي العقل بتكذيبه، نعم لا يشترط لحصول هذه المعية المساواة للمحبوب في جميع أعماله، فإن ذلك يقتضي المماثلة فيما يستطاع مماثلته، فقد علمت أن المحبة لا تصلح بدون الموافقة أبداً)) [٢] إذاً فحقيقة المحبة المتابعة والموافقة للمحبوب في الاصول اوجب وآكد وفي الفروع اندب واحسن وهذا ما أكده بقوله ﷺ.

وآيةُ حُبِّ اللهِ مِنَّا اتِّبَاعُهُ *** بِهِ وَعَدَ الغُفْرَانَ بَعْدَ المَحَبَّةِ [٣]

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٦٢.

(٢) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٧٨.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد، الدر المنظوم، ص ١١٣.

المطلب الثاني: مذهب الإمام الحداد في الصفات والتأويل:

أولا: مذهب الإمام الحداد في الصفات:

مذهب السلف في الصفات التفويض، وسوف أسوق لك نصوص علماء السلف في ذلك:

أولا الإمام احمد ابن حنبل –رحمه الله– يَقُولُ: ((نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك)) (١)

ثانيا الإمام عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك —رحمه الله– قال: ((لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لا مثل له ولا شبيه ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه)) (٢)

ثالثا الإمام وكيع بن الجراح —رحمه الله– يقول في احاديث الصفات: ((نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف كذا ولا لم كذا)) (٣)

رابعا سفيان بن عيينة –رحمه الله– قال: ((كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ولا كيف ولا مثل)) (٤) وجاء في السنة حدثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت سفيان، والأوزاعي، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث،

---

(١) ابن بطه: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، الإبانة الكبرى لابن بطه، تحقيق: رضا معطي وأخرون، ، الرياض، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨ هـ، رقم الحديث (٢٥٢)، ٧ /٢٣٦.

(٢) ابن أبي زمينين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المعروف بابن أبي زمنين، أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة ،تحقيق عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٥هـ، رقم الحديث ٢٥، ١/ ٧٥ .

(٣) ابن حنبل: بو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، السنة لعبدالله بن احمد، تحقيق محمد سعيد سالم القحطاني، ، الدمام، الناشر: دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ رقم الحديث ٤٩٥، ١/ ٢٦٧.

(٤) البدر: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء دراسة تحليلية، المدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٥ .

(يقصد بها أحاديث الصفات) فقالوا: (نمرها كما جاءت) [(١)]وغيرها من الأقوال الأخرى التي تبين مذهب السلف في أحاديث الصفات، والإمام الحداد هذا مذهبه موافقاً لمذهب السلف، قال الإمام الحداد ﷺ في كتاب النفائس العلويه مجيباً لسؤال سائل من عدة أسئلة:

((قال حجة الإسلام (الغزالي): جميع ما ورد في أمور الآخرة، يحمل على الظاهر المعهود من غير تأويل، وجميع صفات الله مما يوهم التشبيه وينافي التنزيه فهو على المذهبين إما السكوت عن التأويل مع اعتقاد التنزيه وهو مذهب السلف. وإما الخوض في التأويل وحمل ما ورد على ما هو اللائق بجلال الله وقدسه، انتهى بمعناه ومذهبنا في ذلك مذهب السلف)) [(٢)]

وقال الإمام الحداد ﷺ في أن مذهبه في أحاديث الصفات هو مذهب السلف

وَكُنْ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيِهَا. . . عَلَى مَذْهَبِ الأَسْلاَفِ حَيْثُ السَّلاَمَةِ[(٣)]

فالإمام الحداد يفضل مذهب السلف في التسليم والتفويض وعدم الإقدام على تأويل ما تشابه فيقول:((خذ كل ما أشكل عليك في حق الله، ويوهمك فيه شيئاً بالتسليم واتركه على ما هو عليه مع التنزيه له سبحانه عن صفات الحدث قد جاء القرآن والسنة كثير مما يوهم ذلك، والسلف فيها طريقان التسليم والتأويل مع التنزيه، وأين الرب سبحانه من صفات خلقه؟ ففي وصف احد الملائكة من الأمور ما تعجز العقول عن إدراكها فكيف بالبارىء سبحانه؟)) [(٤)]وقد تكلم الإمام الحداد عن التوحيد وعن صفات الله بقصيدة عظيمة وهذا شيء منها حيث قمت بشرح بعض الصفات قالﷺ.

نُوَحِّــدُهُ سُبْــحَانَهُ وَهْوَ وَاحِــدٌ ***تَقــدَّسَ عَنْ مِـثْلٍ لَـهُ وَمُـنَاظِرِ

وَلَيْــسَ لَـهُ في ذَاتِــهِ وَصِــفَاتِهِ ***شَـرِيكٌ تَعَالَى اللهُ عَنْ قَـوْلِ كَافِرِ

وَجَـلَّ عَنْ التَّشِـبيهِ وَالْكَــيْفِ رَبُّنَا ***وَعنْ كُـلِّ مَا يَجْرِي بِوَهْمٍ وَخَاطِرِ

عَلِــيمٌ وَحَــيٌ قَــادِرٌ مُـتَكَلِّمٌ ***مُـرُيْدٌ سمِـيعٌ مُـبْصِرٌ بِالمِصَــادِرِ

أَحَاطَ بِتَحْتِ التَّحْتِ وَالْفَوُقِ عِلْمُهُ ***وَيَعْلَمُ مَا نُبْدِي وَمَا فِي الضّـمَائِرِ

---

(١) ابن خلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، كتاب السنة، تحقيق عطية الزهراني، ، الناشر: دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، ٢٥٩/١ .

(٢) الحداد، كتاب النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ، ص ١٧٧ .

(٣) الحداد، ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ، ص١١٠ .

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٦٢/١.

فَقَدْ مَـــلأَ اللهُ العَـــوَالِمَ حِكْمَةً *** وَأَشْـحَنَهَا بِالمـــبْدَعَاتِ البَـــوَاهِرِ
لِيَـــنْظُرَ فِيهَا الـــنَّاظِـرُونَ فَيَـعْلَمُوا *** بِهَا قَـدْرَةَ الُمنْشـِي لَهَا خَـيْرِ قَـادِرِ
وَيَستــيْــقنُوا أَنَّ لاَ إِلــهَ وَخَــالِـقاً *** سِوَى اللـهِ جلَّ اللــهُ رَبِّي وَفَـاطِرِي(١)

فهذه الأبيات تعتبر منهج كامل في العقيدة، احتوت على خلاصة صفات الله، وإليك شرح هذه الأبيات العظيمة: ابتدأ الإمام الحداد قصيدته بتوحيد البارئ وأنه واحد وهذه صفة الوحدانية وهي من صفاته تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(٢)وقال في موضع آخر ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٣) وقال﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٤) وقال ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٥) ثم نزه الرب جل وعلا عن المثل والنظير، فقال تَقَـدَّسَ عَنْ مِـثْلٍ لَـهُ وَمُـنَاظِرِ قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٦) وقال ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (٧)وقال تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ (٨) والند والكفؤ والمثل ألفاظ متقاربة، كلها تفسر بالنظير والشبيه ونحو ذلك (٩)، ثم نفى أن يكون له في ذاته أو صفاته شريك، فقال وَلَيْـسَ لَـهُ في ذَاتِـهِ وَصِـــفَاتِهِ شَـرِيكٌ، ويؤخذ من نفي الشريك إثبات الوحدانية ومراده نفي الشريك في الذات والصفات والأفعال، كذلك نفي مطلق المشابه في الذات والصفات والأفعال، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(١٠)

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٦٩.
(٢)سورة البقرة: الآية: ١٦٣
(٣)سورة المائدة: الآية: ٧٣
(٤) سورة الرعد: الآية: ١٦
(٥) سورة الإخلاص: الآية: ١
(٦) سورة الشورى: الآية: ١١
(٧) سورة الإخلاص: الآية: ٤
(٨) سورة البقرة: الآية: ٢٢
(٩) البراك: عبدالرحمن بن ناصر البراك، شرح العقيدة الطحاوية، دار المودة للنشر والعلم المنصورة، ط٣، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ص ٣٠ .
(١٠) سورة الأنعام: الآية: ١٦٣

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ (١)وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ (٢)وقد تقدمت الآيات في النفي كقوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾تَعَالَى اللهُ عَنْ قَـوْلِ كَافِر كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (٣)تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا قال الإمام الحداد ﷺ

إِلــهُ البرَايَا كُلِّهَا وَ مَلِيكُـها *** تَنَزَّهَ عَنْ شِبْهٍ وَ مِثْلٍ وَ عَنْ نِدِّ(٤)

وقال أيها الناس أطيعوا من خـلق *** وتفَــــضَّل و تَــطَوَّل و رَزَقْ

وتَوَحَّدْ و تَــفَرَّدْ واستَـــحَقْ *** كُـــلَّ حَمِدٍ وتَقَدس عَنْ نَظَيْر(٥)

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((اعلم أنه لا إله إلا الله واجب الوجود لذاته، الفرد الواحد الملك القادر، الحي القيوم القديم الأزلي، الدائم الأبدي، الذي هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير،

تقدس وتعالى عن الشبيه والنظير، وعن الشريك والوزير، لا تحده الأزمان ولا يشغله شأن عن شأن)) (٦)ونبه الإمام الحداد على عدم التفكر في ذات الله فقال ﷺ: ((وإياك والتفكر في ذات الله تعالى وصفاته من حيث تطلب الماهية وتعقل الكيفية، فقلما ولع بذلك أحد إلا وهوى في مهاوي التعطيل أو تورط في تورطات التشبيه، وقد روي مرفوعاً إلى رسول اللهﷺ: (تفكروا في آيات الله ولا تتفكروا في ذات الله، فإن لن تقدروه حق قدره) (٧) . اهـ)) (٨).

عَلِــيمٌ وَحَـــيٌ قَــــادِرٌ مُـتَكَلِّمٌ *** مـُرِيْدٌ سمِـيعٌ مُـبْصِرٌ بِالمِصَـــادِرِ

---

(١) سورة الإسراء: الآية: ١١١

(٢) سورة الفرقان: الآية: ٢

(٣) سورة المائدة: الآية: ٧٣

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٥٦.

(٥) المرجع السابق: ص٢٧٧.

(٦) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٢٢.

(٧) أخرجه السيوطي في جامع الأحاديث: بلفظ(تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدروا قدره) ينظر السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، جامع الأحاديث، رقم الحديث ١٠٨٩٩، ٣٢٥/١١.

(٨) ينظر الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص ٥٩-٥٩.

عليم: أي وحيث وجب له العلم فهو عليم بمعنى عالم، وهو الذي علمه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم، وصيغة المبالغة (عليم) باعتبار كثرة المعلوم، وإن كانت صفة العلم واحدة. قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (١)وقال تعالى أيضاً: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٢)وقال تعالى حكاية عن لقمان الحكيم: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) وقال حكاية عما وقع بين شعيبعليه السلام وقومه:

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (٤)وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥). وقال: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٦)ولا يعلم الغيب إلا الله، قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((أن علم الغيب مختص باللّه تعالى، ومن ادعى أنه يعلم الغيب، يكذبه اللّه تعالى لأنه ادعى شيئاً لم يَدَّعِه الأنبياء)) (٧)

---

(١) سورة سبأ: الآية: ١ – ٢

(٢)سورة التغابن: الآية: ٤

(٣) سورة لقمان: الآية: ١٦

(٤)سورة الأعراف: الآية: ٨٩.

(٥) سورة المجادلة: الآية: ٧

(٦)سورة يونس: الآية: ٦١

(٧) ينظر الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٢٠٨.

وحي قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ (١) فَنَفْيُ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ حَيَاتِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ (٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (٣)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (٤)

وقادر أي وحيث وجبت له القدرة فهو قادر، والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك، فهو المتمكن من الفعل والترك، فيكون منه كل منهما بحسب ما خصصته الإرادة على وفق ما انكشف بالعلم(٥) قال تعالى ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ ﴾ (٦) الآية وقال تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ ﴾ (٧)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (٨) وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (٩)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ (١٠) والمستفاد من ذلك أنّ الله تعالى له القدرة المطلقة النافذة في جميع الأشياء، لا يعجز عن شيء، ولا يعجزه شيء، وهو قادر على كلّ شيء، وهذا ثابت بالبراهين الحقّة من الكتاب والسنّة والعقل.

متكلم وحيث وجب له الكلام فهو متكلم، ولا خلاف لأرباب المذاهب والملل في أنه تعالى متكلم، وإنما الخلاف في معنى كلامه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ (١١)فهذا لا يحتمل تأويلاً غير نفس الكلام، يقول الإمام عثمان بن سعيد الدارمي – رحمه الله –: ((فالله المتكلم أولاً وآخراً، لم يزل له الكلام، إذ لا متكلم غيره، ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٥٥
(٢) سورة طه: الآية: ١١١
(٣) سورة الفرقان: الآية: ٥٨
(٤) سورة غافر: الآية: ٦٥
(٥) البيجوري: إبراهيم بن محمد البيجوري، تهذيب شرح جوهرة التوحيد، ص ٨٩.
(٦) سورة الأنعام: الآية: ٦٥
(٧) سورة الإسراء: الآية: ٩٩
(٨) سورة الأنعام: الآية: ٣٧
(٩) سورة البقرة: الآية: ٢٠
(١٠) سورة القمر: الآية: ٥٥
(١١) سورة النساء: الآية: ١٦٤

متكلم غيره، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[(١)] أنا الملك، أين ملوك الأرض؟))[(٢)] وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام، وأنطق الأنام؟

ويقرر الإمام الحداد أن القرآن كلام الله فيقول:

وَأَنَّ كَلاَمَ اللهِ وَصْفٌ لِذَاتِهِ *** وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ خِلاَفاً لِصَاغِرِ [(٣)]

وهذا قول السلف بالإجماع، خلافاً لبعض الفرق الشاذة التي قالت بأنه مخلوق كالمعتزلة.

مريد: لم يزل مرِيدا والإرادة صفة لَهُ فِي ذَاته خَالف بهَا من لَا إِرَادَة لَهُ، والإرادة صفة مدح وثناء لِأَن كل ذَات لَا تُرِيدُ مَا تعلم أَنه كَائِن فَهِيَ منقوصة، وَالله تَعَالَى مُرِيد لكل مَا علم أَنه كَائِن، وَلَيْسَت كإرادات الْخلق وَقد أثبت ذَلِك لنفسِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(٤)] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[(٥)] فَلَو كَانَت إِرَادَته مخلوقة كَانَت مُرَادة بِإِرَادَة أُخْرَى، وَهَذَا مَا لَا يتناهى وَذَلِكَ فِي الْقُرْآن كثير، وَقد دلّت الْعِبْرَة على أَن من لَا إِرَادَة لَهُ فَهُوَ مكره[(٦)] ويجب أن يعلم: أن الله مريد على الحقيقة لجميع الحوادث، والمرادات، والدليل عليه قوله تعالى:

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾[(٧)] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[(٨)]وقوله تعالى:

---

(١) سورة غافر: الآية: ١٦

(٢) الغامدي: أحمد بن عطية الغامدي، البيهقي وموقفه من الإلهيات، رسالة دكتوراه من كليه الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الملك عبد العزيز، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٤٢.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٥٩.

(٤) سورة النحل: الآية: ٤٠

(٥) سورة يس: الآية: ٨٢

(٦) ابن خلال: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، العقيدة رواية أبي بكر الخلال، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروا ، الناشر: دار قتيبة – دمشق، ط ١، ١٤٠٨هـ، ص١٠٦ .

(٧) سورة البروج: الآية: ١٦

(٨) سورة البقرة: الآية: ١٨٥

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ (١)وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ (٢) واختيار مذهب الجمهور من اتحاد المشيئة والإرادة وأنه يطلق إحداهما على الأخرى، والمعنى: أن كل ما يشاؤه الله تعالى فهو من حيث إنه مشاء له مراد له، وكلما يريده فهو من حيث إنه مراد له مشاء له، خلافاً للكّرامية الزاعمين بأن المشيئة صفة واحدة أزلية تتناول ما يشاؤه الله بها، والإرادة حادثة متعددة بتعدد المرادات. (٣)

سميع: هو الذي يسمع كل موجود قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (٤) ومعنى تجادلك: تراجعك وقال أيضاً: لموسى وهارون عليهما السلام حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٥)

بصير: وحيث وجب له البصر فهو بصير، وهو الذي يبصر الأشياء، فهو يحيط بالمسموعات والمبصرات من غير أن يشغله شأن عن شأن قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (٦). اهـ)) (٧)

مبصر بالمصادر يفسره قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٨)

قال الإمام الحداد:

وَيَسْمَعُ حِسَّ النَّـمْلِ عِنْـدَ دَبِيبِهِ *** وَيُبْصِرُ مَا تَحْتَ البِحَارِ الزَّواخِرِ
أَحَاطَ بِتَحْتِ التَّحْتِ وَالْفَوْقِ عِلْمُهُ *** وَيَعْلَمُ مَا نُبْدِي وَمَا فِي الضَّمَائِرِ

لا شكَّ أن صفة الإحاطة اعمُّ من صفة العلم من حيث المتعلَّقات؛ فالله تعالى يقول:

(١) سورة الأنفال: الآية: ٦٧
(٢) سورة النساء: الآية: ٢٨
(٣) البيجوري: تهذيب شرح جوهرة التوحيد، ص ٩٠.
(٤) سورة المجادلة: الآية: ١
(٥) سورة طه: الآية: ٤٦.
(٦) سورة العلق: الآية: ١٤
(٧) البيجوري: تهذيب شرح جوهرة التوحيد، ص ٩٠.
(٨) سورة الحديد: الآية: ٤

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[(١)] أي علماً وقدرةً وتدبيراً، فتكون الإحاطة أعمُّ من العلم، والعلم أخصُّ من الإحاطة والعلاقة بين الإحاطة والعلم علاقة تضمُّن؛ فالإحاطة تتضمن العلم والقدرة والتدبير والمِلْك والقهر وغير ذلك من المعاني التي تتضمَّنها الإحاطة على ما يليقُ بجلال الله تعال، وبعض المعاصرين يجعل متعلَّقات صفة الإحاطة أمران: العلم والقهر.

قال الأصبهاني: ((المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلْقه، وهو الذي أحاط بكل شيءٍ علماً، وأحصى كل شيءٍ عدداً)) [(٢)]وقال البيهقي: ((المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات وأحاط علمه بجميع المعلومات)) [(٣)] يقول الإمام الحداد ﷺ: ((وقد أحاط بكل شيءٍ علماً، وأحصى كلَّ شيءٍ عدداً ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[(٤)]وقال ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[(٥)]ويعلم السرَّ وأخفى، وقال: ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[(٦)]اهـ))[(٧)]ويعلم ما في الضمائر يفسره قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [(٨)]

---

(١) سورة الأنفال: الآية: ٤٧

(٢) الأصبهاني: إسماعيل بن محمد الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ، الناشر: دار الراية – السعودية / الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ١٧٦/١.

(٣) البيهقي: أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ص ٥٩.

(٤) سورة يونس: الآية: ٦١

(٥) سورة الحديد: الآية: ٤

(٦)سورة الأنعام: الآية: ٥٩

(٧) الحداد: النصائح الدينية، ص ٤١٦.

(٨) سورة ق: الآية: ١٦

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [(١)] ويقول الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وقد أجمع المحققون على أن الإحاطة بذات الله تعالى وصفاته غير ممكنة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وقد شذ من قال من المنتمين إلى الطائفة، بما يوهم حصولها، ولا حاجة بتسمية القائل، إذا قد علم فساد ما قاله، وإنما كانت الإحاطة به سبحانه محالة، لاستلزامها معنى من القهر والاستيلاء فإن المحيط بالشيء، من طريق العلم أو غيره، مستولٍ عليه وقاهر له من كل الوجوه أو بعضها، والحق تعالى هو القاهر الذي لا يقهر، فاعلم ذلك)) [(٢)]

ثانيا: التنزيه عند الإمام الحداد:

قال الزبيدي: ((التنزيه تنزيه الله تعالى: وهو تبعيده وتقديسه عن الأنداد والأشباه وعما لا يجوز عليه من النقائص؛ ومنه الحديث في تفسير سبحان الله: هو تنزيهه أي إبعاده عن السوء وتقديسه)) [(٣)] كما سئل النبي ﷺ عن التسبيح فقال: ((تنزيه الله تعالى عن السوء)) [(٤)]

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه : ((فاعلم أن التنزيه هو التقديس وهو التسبيح أيضا، ومعناه: أن يعتقد القلب تنزيه الحق جل وعلا ذاتا وصفاتا وأفعالا عن مشابهة المخلوقين، فإنه المتقدس سبحانه المنزه عن الشركاء والأمثال وعن الحدوث والزوال، وعن الأعراض والعلل وعن التقيد بالزمان والمحل، بل هو المنزه عن أن يتصوره وهم أو يتخيله خيال، أو يظفر به فكر أو يدرك ماهيته عقل أو يحيط به علم.

وكثيرا ما وقع التسبيح في القرآن الكريم، متصلا بتنزيه الحق نفسه، عما أضافه إليه الملحدون، مما لا يليق بعز كماله، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [(٥)] ومثل قوله تعالى

---

(١) سورة المائدة: الآية: ٧

(٢) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص١٩.

(٣) الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ،تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ٣٦ /٥٢٧.

(٤) أخرجه البيهقي: أحمد بن الحسين بن أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ١/ ١٠٤.

(٥) سورة النساء: الآية ١٧٠-١٧١

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ إلى قوله سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [(١)] ومثل قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[(٢)] إلى غير ذلك. اهـ)) [(٣)]

ثالثا: التأويل عند الإمام الحداد:

التأويل في اللغة التَأْويل: تفسير ما يَؤُولُ إليه الشيء. وقد أولته وتأولته تأولا بمعنى[(٤)].

وفي الاصطلاح فقد عرفه الإمام الجويني –رحمه الله– بقوله: ((التأويل رد الظاهر إلى ما إليه ماله في دعوى المؤول)) [(٥)]

وقال الآمدي–رحمه الله–: ((أما التأويل من حيث هو تأويل مع قطع النظر عن الصحة والبطلان، هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له)) [(٦)] قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [(٧)] قال الإمام ابن كثير –رحمه الله–: ((يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس؛ واختلف العلماء حول الوقف على لفظ الجلالة قال بعضهم التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان، أحدهما: التأويل بمعنى

---

(١) سورة التوبة: الآية: ٣١

(٢) سورة الصافات: الآية ١٥٠–١٥٩

(٣) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٤٠.

(٤) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٤/ ١٦٢٧.

(٥) الجويني: عبد الملك بن عبد الله الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن عويضة، ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، ١٩٣/١.

(٦) الآمدي: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الثعلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ،تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان، ٣/ ٥٣.

(٧)سورة آل عمران: الآية ٧

حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾ (١) قال تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾ (٢) أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله: (والراسخون في العلم) مبتدأ و (يقولون آمنا به) خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ ﴾ (٣) أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على: والراسخون في العلم، لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه» (٤)

وذكر الإمام الحداد نموذجا من الراسخين قال الإمام الحداد رضي الله عنه: «وأما علم التأويل فهو علم تأويل القرآن والسنة، فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما من ذلك في الغاية القصوى، وكان يسمى ترجمان القرآن بدعوة رسول الله ﷺ له» (٥) وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: «أمور الآخرة لا يَسَع الإنسان فيها إلا التَّصديق والإجمال وعدم التأويل» (٦) وقد علل الإمام الحداد عدم إدراك الآمور الإلهية بقوله رضي الله عنه: «الأمور الإلهية لا يدركها أحد، وما أوهم إشكالاً من كلام المحققين، فلا ينبغي أن يسارع إلى الإنكار عليهم، بل يَدَعُهُم، ويسعهم الكتاب، ويجعلها من قبيل المتشابهات الواردات في الكتاب والسنة، ولِمَ جاءت هكذا حتى احتاج الناس فيها إمّا إلى التسليم وإمّا إلى التأويل، والصوفي لا ينبغي له أن ينكر على أحد بل يترك الإنكار يصدر من غيره، وإنما هو يوجه ويؤوِّل، أو كما قال» (٧) وقد قسم الإمام الحداد التأويل إلى قسمين

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٠

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٣

(٣) سورة يوسف: الآية: ٣٦

(٤) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٢/ ١٠-١٢.

(٥) الحداد: النفائس العلوية، ص٣٤.

(٦) المرجع السابق: ١١/٢.

(٧) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ، ١ /١٧٩.

قسم ظاهر جلي مذكور في الكتاب والسنة لتقريب المعنى إلى الأذهان، وقسم لا يفهمه كل أحد من خلال القراءة السطحية، أو ربما يفهمه على خلاف ظاهره، وهذا القسم يحتاج كل شيخ إليه حتى يحل إشكال ظاهر اللفظ، قال الإمام الحداد: «التأويل على ضربين: أحدهما: يدل على الكمال، وهو ما يُؤوَّلُ ليصل إلى الأفهام، وهذا النوع كثير في الكتاب والسنة، والثاني: ما يُؤوَّلُ ليصح كونه حقاً أو غير باطل، وهذا يدل على النقص. فكل شيخ يحتاج في صحبته إلى التأويل على الوجه الثاني، لا يكمل الاقتداء به، لأن التأويل لا يحصِّل كمالاً، وإنما يدفع نقصاً» [١] ويقرر الإمام الحداد أن السكوت عن التأويل عند بعض النصوص هو الأحسن، خاصة إذا كان هذا النص لا يتعلق بحكم شرعي، وقد أوضح الإمام الحداد ذلك بمثال قال الإمام الحداد ﷺ :«قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بسبب يهودي: «لا تفضلوني على يونس بن متى» [٢] ولا ينبغي تأويله؛ بأن ذلك كان قبل أن يعلم أفضليته، بل السكوت عن التأويل أحسن» [٣]

(١) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، كتاب الحكم، الناشر دار الحاوي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣هـ، ص٢١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: ولفظه (لا يقولن أحدكم: إني خير من يونس) زاد مسدد: (يونس بن متى) باب قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين)، رقم الحديث ٣٤١٢، ٤/١٥٩.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/ ١١٣.

المطلب الثالث: منهج الإمام الحداد في أدلة معرفة الله

أولا: أخذ العهد والميثاق على آدم عليه السلام وذريته في عالم الذر:

قال الإمام أبوحنيفة -رحمه الله -: ((وأخرج ذريّة آدم من صلبه على صورة الذر فجعلهم عقلاء، فخاطبهم وأمرهم بالإيمان ونهاهم عن الكفر، فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم إيمانا، فهم يولدون على تلك الفطرة، ومن كفر بعد ذلك فقد بدّل وغيّر، ومن آمن وصدّق فقد ثبت عليه وداوم)) (١) قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وقد استخرج الله هذه الذرية من ظهر آدم، بعد أن أودعها فيه، حين أخرجهم دفعة واحدة، لأخذ الميثاق عليهم، بالإقرار بالوحدانية والربوبية، وذلك بنعمان(٢): واد قريب من عرفات، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (٣) وفي الخبر أو الأثر: (أنه سبحانه لما أخذ عليهم ذلك الميثاق، كتب عليهم به كتاباً، وألقمه الحجر الأسود) (٤) وذلك معنى قول المستلم للحجر، عند الطواف بالبيت العتيق: اللهم إيماناً بك، ووفاءً بعهدك، وتصديقاً بكتابك (٥) اهـ)) (٦) واكد الإمام الحداد على الإشهاد في عالم الذر بقوله :

وَمَسَحَ يَدِ الرَّحْمَنِ ظَهْـرَ صَفِيِّهِ *** فَأَخْرَجَهُمْ كَالـذَرِ يَوْمُ الشَّهَادَةِ
وَأَشْهَدَهُـمْ وَ الْكُلُّ مِنْهُمْ مُوَحِّدٌ *** هُنَاكَ وَبَعْدَ الأَمْرِ نَافٍ وَمُثْبِتِ(٧)

---

(١) الخميس: محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ص٥٣٤.

(٢) أخرجه احمد في مسنده: رقم الحديث ٢٤٥٥، ٤/٢٦٧ .

(٣) سورة الأعراف: الآية: ١٧٢-١٧٣.

(٤) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر: دار الفكر – بيروت، ٢/ ٦٠١ ؛بدون ذكر الحجر الأسود وذكره الغزالي في الإحياء

(٥) البغدادي: عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٣، ص ٤٤.

(٦) الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، سبيل الإدكار بما يمر بالإنسان وينقضي له من أعمار، دار الحاوي للطباعة والنشر، ط١، ص١٧.

(٧) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ١١٠.

ثم تكلم الإمام الحداد عن أدلة وجود الذرية في عالم الذر فقال رضي الله عنه: ((ولا شك أن ذلك يقتضي أن للذرية وجوداً سمعاً ونطقاً، ولكنه في مرتبة أخرى من مراتب الوجود، ليست هذه المرتبة من الوجود الدنيوي. وقد كانت الذرية في ظهر آدم لا محالة حتى في الجنة، ويدل عليه ما ذكر في حديث الشفاعة: ((وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم)) (١)وفي محاجَّة موسى لآدم عليهما السلام: ((أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بخطيئتك)) (٢) الحديث. وورد أيضاً: ((إن الله تعالى لما استخرج الذرية من ظهر آدم عليه السلام، فرأتهم الملائكة عليهم السلام، وقد ملؤوا السهل والوعر، قالوا: يا ربنا لا تسعهم الدنيا، فقال الله تعالى: إني جاعل موتاً، فقالوا: إذاً لا يهنؤهم العيش، فقال تعالى: إني جاعل أملاً)) (٣)وورد أيضاً: ((أن الله لما استخرج الذرية من ظهر آدم عليه السلام، فرأى منهم واحداً جميل الصورة، فسأل عنه فقيل له: هو ولدك داود عليه السلام، فسأل آدم ربه: كم كتبت لداود من العمر؟ قال تعالى: ستين سنة. فسأل ربه تعالى له الزيادة من العمر فقال سبحانه وتعالى: هذا الذي كتبت له. فقال آدم عليه السلام: أزد له من عمري أربعين سنة، وكان الله سبحانه قد كتب لآدم من العمر ألف سنة)) (٤) والحديث معروف ومشهور. فتبين بما ذكرناه، وبما لم نذكره، مما في معناه: أن للذرية وجوداً قبل بروزها إلى هذا العالم الدنيوي. وأن لرسول الله ﷺ وجوداً وظهوراً في ذلك أتم وأكمل. وقد أشار إليه العباس عم رسول الله ﷺ، ورضي الله عنه، في أبيات له يمتدح بها رسول الله ﷺمنها: قوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي *** مستودع حيث يخصف الورقُ
ثم هبطت البلاد لا بشر *** أنت ولا مضغة و لا علقُ
بل نطفة تركب السفين وقد *** ألجم نسراً وأهله الغرقُ
تنقل من صلب إلى رحم *** إذا مضى عالمٌ بدا طبقُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث ٣٢٩، ١٨٦/١.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، باب وفاة موسى وذكره بعد، رقم الحديث ٣٤٠٩، ١٥٨/٤.
(٣) من كلام الحسن البصري: مسند ابن ابي شيبه، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، مسند ابن أبي شيبة تحقيق: عادل بن يوسف و أحمد بن فريد، ، الناشر: دار الوطن – الرياض، ط١، ١٩٩٧م، ٧ / ١٩٠ .
(٤) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٣٣٦٨، ٤٥٣/٥.

إلى أن قال:

حتى احتوى بيتك المهيمن من *** خندف علياء دونها النطقُ (١)

ونسر: من أصنام قوم نوح عليه السلام. وخندف: امرأة إلياس بن مضر، وهي جدة رسول الله ﷺ)) (٢).

ثانيا: الفطرة وهي التوحيد عند الإمام الحداد:

أولاً في اللغة: الْفِطْرَةُ بِالْكَسْرِ الْخِلْقَةُ(٣). وفطر الله الخلق، وهو فاطر السموات: مبتدعها. وافتطر الأمر: ابتدعه. وكل مولود يولد على الفطرة أي على الجبلة القابلة لدين الحق. (٤)

الفطرة التي فطر الله الناس عليها يقول العلامة ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره ((لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره)) (٥) فالتوحيد هو الأصل في البشر تاريخا، وهو الأصل في البشر فطرة، للأدلة التالية:

١-إن الله عز وجل منذ أوجد البشر فطرهم على التوحيد والإيمان به سبحانه وتعالى خالقاً ومعبودا، وأخذ عليهم العهد والميثاق منذ كانوا في أصلاب آبائهم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (٦)

٢ -إن الله عز وجل قد أمر رسوله ﷺ وأمته داخلة في الخطاب أن يقيموا وجوههم، ويخلصوا دينهم له لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها، قال تعالى:

---

(١) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: علي شيري، البداية والنهاية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م، ٣١٨/٢ .

(٢) الحداد: سبيل الإدكار، ص ١٧-٢٠.

(٣) الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ١/ ٢٤١.

(٤) الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٢٨/٢.

(٥) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٣١٣/٦.

(٦) سورة الأعراف: الآية: ١٧٢-١٧٣.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

٣- قد أخبر مولانا عز وجل أنه خلق عباده حنفاء كلهم، موحدين، مسلمين، مستقيمين، منيبين لقبول الحق لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها، حين أخذ عليهم العهد في عالم الذر، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: ((وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا)) (٢) فالعباد كلهم مفطورون على الإسلام، والإيمان الصحيح، ولكن للشياطين دور في مسخ الفطرة، وتشويهها، وجعلها تنحرف عن المسار السوي، فإذا طرأ على الفطرة ما يصرفها عن الصواب والحق، فإنها تحتاج إلى ما يصحح لها مسارها، ويردها عن الانحراف، وهذه مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

٤- أخبر الرسول ﷺ أن كل مولود يولد مهيئا للإسلام في قوله: ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البيهمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبوهريرة ﷺ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾الآية (٣)

٥- والفطرة التي يولد الإنسان عليها كما قال الإمام المازري-رحمه الله-: ((هي ما أخذ عليهم في أصلاب آبائهم، وأن الولادة تقع عليها، حتى يحصل التغيير بالأبوين)) (٤) فالإنسان لو ترك على أصل خلقته التي خلقه الله عليها؛ الفطرة، دون أن تتدخل المؤثرات الأخرى، لكان من المؤمنين المسلمين، والتحول عن الفطرة أساسا، إنما هو من فعل الشيطان، ووسوسته، وإغوائه(٥) أي أن الإنسان يولد على الفطرة وهي التوحيد لله جل وعلا قال الإمام

(١) سورة الروم: الآية: ٣٠

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث ٢٨٦٥، ٤ /٢١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث ١٣٥٨، ٢/٩٤.

(٤) النووي: شرح صحيح مسلم للنووي، ١٦/ ٢٠٨.

(٥) الصوفي: عبدالقادر بن محمد عطا صوفي، المفيد في مهمات التوحيد، دار الأعلام، ط٢ ١٤٢٢، ١هـ، ص ٥١.

الحدادﷺ : ((من السنة المأمور بها: أن يؤذن في أذن المولود اليمنى، ويقام للصلاة في أذنه اليسرى، تذكيراً له بالفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي التوحيد. قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[١]وقال الله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾[٢] فمن الأمر المؤكد على الأبوين: أن يحفظا المولود من كل شيء يخرج به عن حد الفطرة، ويحسنا تربيته، ويجتهدا في ذلك، ويجنباه المراضع السوء؛ فإن الرضاع يغير الطباع كما في الحديث)) [٣]

ويؤكد الحداد أن طبيعة التأله مفطور بها الإنسان مثل الجوع وغيره من الأمور لا يستطيع أن يعيش بدون إله يعبده، فقد تقوده فطرته إلى عبادة الإله الحق، وقد ينقاد إلى عبادة غيره بسبب ما يؤثر على فطرته السليمة، فقالﷺ : ((وما أحسب أن أحداً يعقل إلاّ وهو متألِّه إلى إله، تقضي عليه بذلك فطرته التي فطره عليها، وتشهد له بربوبيته خِلْقَتُهُ التي خلق عليها، أصاب في ذلك من أصاب، وأخطأ من أخطأ وما من إله إلا الله العزيز الحكيم)) [٤]

ثالثا: التفكر

التفكر لغة: التفكّر مأخوذ من مادّة (ف ك ر) الّتي تدلّ- كما يقول ابن فارس- على تردّد القلب في الشّي ء، يقال تفكّر إذا ردّد قلبه معتبرا [٥]. يقول صاحب اللّسان: والفكر التأمّل وإعمال الخاطر في الشّي ء، وقال الجوهريّ: التّفكّر: التأمّل والاسم: الفكر، والمصدر الفكر بالفتح [٦].

واصطلاحا: تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب[٧]. وقد ذكر الإمام الغزالي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث ١٣٨٥، ٢ / ١٠٠.

(٢) سورة الروم: الآية: ٣٠

(٣) الحداد: سبيل الإدكار بما يمر بالإنسان وينقضي له من أعمار، ص٣٢.

(٤) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ، ص٢٥٣ .

(٥) ابن فارس:، معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٤٤٦.

(٦) ابن منظور: لسان العرب ٥/ ٦٥.

(٧) الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ص٦٣.

-رحمه الله- معنى الفكر فقال: ((أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة)) [(١)] ووردت الآثار والأخبار من الكتاب والسنة ولنذكر منها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [(٢)] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [(٣)] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [(٤)] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(٥)] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [(٦)] و﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ [(٧)] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [(٨)] وأما الأحاديث فكثيرة منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت لما كان ليلة من الليالي، قالﷺ: ((يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ ، قال: أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (إن في خلق السموات والأرض. . .) الآية كلها)) [(٩)]

---

(١) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ٤/ ٤٢٣.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢١٩

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٩١

(٤)سورة الأنعام: الآية: ٥٠

(٥)سورة الأعراف: الآية: ١٨٥

(٦) سورة الذاريات: الآية: ٢١

(٧) سورة عبس: الآية: ٢٤

(٨) سورة الطارق: الآية: ٥

(٩) أخرجه ابن حبان في صحيحه: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ، تقريب صحيح ابن حبان،تحقيق شعيب الأرنؤوط، ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م رقم الحديث ٦٢٠، ٢/ ٣٨٦.

وعن أبي ذر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق)) (١) كما علمنا نبينا ﷺ كيف نعالج الأفكار الشيطانية وذلك كما وروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ((إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق السموات؛ فيقول: الله تعالى. فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله تعالى. فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله وبرسوله)) (٢)

وأما الأثار فكثيرة منها، عن عون بن عبد الله بن عتبة، قال: سألت أم الدرداء: ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء ﷺ؟ قالت: ((التفكر والاعتبار)) (٣) وقال وهب بن منبه ﷺ: ((ماطالت فكرة امرئ قطّ إلّا فهم، ولا فهم أمرؤ قطّ إلّا علم، ولا علم أمرؤ قطّ إلّا عمل)) (٤)وقال سفيان بن عيينة ﷺ: ((الفكر نور يدخل قلبك، وربّما تمثّل بهذا البيت:

إذا المرء كانت له فكره *** ففي كلّ شيء له عبره)) (٥)

وقال الحسن البصريّ- رحمه اللّه-: ((من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكّرا فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو)) (٦).

وقال حاتم الأصمّ- رحمه اللّه-: ((من العبرة يزيد العلم، ومن الذّكر يزيد الحبّ، ومن التّفكّر يزيد الخوف)) (٧)

---

(١) أخرجه الأصبهاني في العظمة: بلفظ(تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا) ينظر أبو محمد عبد الله المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري ، الناشر: دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ١/٢١١٤.

(٢) أخرجه أبو يعلى: بلفظ آمنت بالله ورسله، ينظر أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، ، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، رقم الحديث ٤٧٠٤، ٨/ ١٦٠.

(٣) ينظر أبو سفيان وكيع، أبو سفيان وكيع بن الجراح، الزهد لوكيع، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، ، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م، ص٤٧٤.

(٤) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٢/ ١٨٤.

(٥) ابن حميد، صالح بن عبد الله بن حميد وأخرون، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤، ٢/٣٨٥.

(٦) المرجع السابق: ٢/٣٨٥.

(٧) ابن حميد: نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم، ٢/٣٨٥.

قال الإمام الحداد ﷺ: «وينبغي أن يكون لك ورد من التفكر في كل يوم وليلة، تعين له ساعة أو ساعات، وأحسن الأوقات للتفكر أفرغها وأصفاها وأجدرها في حضور القلب جوف الليل؛ واعلم أن صلاح الدنيا والدين موقوف على صحة التفكر، ومن أعطي حظه منه أخذ بحظ وافر من كل خير، وقد ورد «تفكر ساعة خير من عبادة من عبادة سنة» [١].

وقال علي كرم الله وجهه وﷺ: لا عبادة كالتفكر، وقال بعض العارفين رحمهم الله: الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له. ومجاري الفكر كثيرة، فمنها -وهو أشرفها- أن تتفكر في عجائب مصنوعات الله الباهرة، وآثار قدرته الظاهرة والباطنة، وما بث من الآيات في ملكوت الأرض والسماوات.

وثمرة هذا التفكر يزيد في معرفتك بذات الله وصفاته وأسمائه، وقد حث عليه بقوله ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (٢) وما بث من عجائب المصنوعات في نفسك. قال الله تعالى ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾ [٣]

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في آلاء الله وأياديه التي أوصلها إليك، ونعمه التي أسبغها عليك قال الله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [٤]وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [٥]وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾[٦]وثمرة هذا التفكر امتلاء القلب بمحبة الله، والاشتغال بشكره باطناً وظاهراً كما يحبه ويرضاه. واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في إحاطة علم الله بك، ونظره إليك، واطلاعه عليك، قال الله تعالى:
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [٧]

---

(١) أخرجه الأصبهاني في العظمة: بلفظ فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة، ، باب ما ذكر من الفضل في المتفكر، رقم الحديث ٤٣، ٢٩٩/١.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠١

(٣) سورة الذاريات: الآية: ٢٠

(٤) سورة الأعراف: الآية ٦٩

(٥) سورة النحل: الآية ١٨

(٦) سورة النحل: الآية ٥٣

(٧) سورة ق: الآية ١٦

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١)وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ (٢)الآية. وهذا التفكر ثمرته أن تستحيي من الله أن يراك حيث نهاك أو يفتقدك حيث أمرك.

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في تقصيرك في عبادة مولاك، وتعرضك لسخطه بإتيانك ما عنه نهاك قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(٤)وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾(٥) وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (٦)وهذا التفكر يزيد في خوفك من الله، ويحملك على لوم نفسك وتوبيخها، ومجانبة التقصير وملازمة التشمير؛ واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في هذه الحياة الدنيا، وكثرة أشغالها ووبالها، وسرعة زوالها، وفي الآخرة ونعيمها ودوامها. قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾(٧) وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾(٨) وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(٩). وهذا التفكر يثمر لك الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في قرب نزول الموت، وحصول الحسرة والندامة بعد الفوت.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٤

(٢) سورة المجادلة: الآية ٧

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٥

(٥) سورة الانفطار: الآية ٦

(٦) سورة الانشقاق: الآية ٦

(٧) سورة البقرة: الآية ٢١٩ – ٢٢٠

(٨) سورة الأعلى: الآية ١٦ – ١٧

(٩) سورة العنكبوت: الآية ٦٤

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١) وقال تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾(٢)وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ إلى قوله تعالى وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٣)وفائدة هذا التفكر قصر الأمل وإصلاح العمل وإعداد الزاد ليوم المعاد.

واعلم أنه ينبغي لك أن تتفكر في الأخلاق والأعمال التي وصف الله بها أولياءه وأعداءه، وفيما أعد للفريقين في العاجل والآجل. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾(٤)وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾(٥)وقال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾(٦) إلى آخر السورة، وقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ إلى قوله تعالى: لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٧)وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(٨)الآية، وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٩) وقال تعالى:﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ

---

(١)سورة الجمعة: الآية ٨

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩٩ — ١٠٠

(٣) سورة المنافقون: الآية ٩ – ١١

(٤) سورة الانفطار: الآية ١٣ – ١٤

(٥) سورة السجدة: الآية ١٨

(٦) سورة الليل: الآية ٥ — ٩

(٧) سورة الأنفال: الآية ٢ — ٤

(٨) سورة النور: الآية ٥٥

(٩) سورة العنكبوت: الآية ٤٠

بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[(١)] وقال تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ إلى قوله: وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [(٢)] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا إلى قوله: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٣)] وثمرة هذا التفكر محبة السعداء، وحمل النفس على اتباعهم والعمل بأعمالهم والتخلق بأخلاقهم، وبغض الأشقياء، وحمل النفس على اجتناب أعمالهم وأخلاقهم. وإن ذهبنا نتتبع مجاري الفكر خرجنا عن مقصودنا من الإيجاز وفيما أشرنا إليه كفاية للعاقل. وينبغي أن تستحضر عند كل نوع من التفكر ما يناسبه من الآيات والأخبار والآثار، وقد أشرنا إلى ذلك عند كل نوع بذكر شيء من الآيات المناسبة له. ومجاري الفكر كثيرة، وكلما كانت بصيرة العبد أنفذ، وكان علمه أغزر وأوسع، كان تفكره أعظم وأكثر.

وإياك والتفكر في ذات الله تعالى وصفاته من حيث تطلب الماهية وتعقل الكيفية، فقلما ولع بذلك أحد إلا وهوى في مهاوي التعطيل أو تورط في تورطات التشبيه، وقد روي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: (تفكروا في آيات الله ولا تتفكروا في ذات الله، فإن لن تقدروه حق قدره) [(٤)] ا هـ)) [(٥)] وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((فاعلم أن الفكر أصل كبير في إصلاح القلب واستقامته، وإثارة النيات الطيبات والأعمال الصالحات، ولكن ليس هو كل فكر، بل هو الفكر في آيات الله تعالى الباهرة وعجائب صنعه الباطنة والظاهرة ونعمه وآلائه المتكاثرة. وفيما وعد به أولياءه من أنواع كرامته في دار المثوبة وتوعد به أعداءه من فنون إهانته في دار العقوبة، ومنه الفكر في الدنيا، من حيث زوالها، وتشويش أحوالها وكثرة أكدارها وأقذارها.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧ — ٦٨

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١ - ٧٢

(٣)سورة يونس: الآية ٧ — ١٠.

(٤) سبق تخريجه: ينظر من (ص ٧٢) من هذه الرسالة .

(٥) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص ٥٨-٥٩.

وأما الفكر في شهواتها ولذاتها التي تميل النفس إليها، فإن كان من حيث إنها منغصة مكدرة منقضية، تساق إلى الأعداء وتصرف عن الأحباء فهو من الأفكار النافعة.

وإن كان من حيث ملاءمتها للنفس وموافقتها للطبع، وما فيها من الاستراحة والحلاوة عند من غفل قلبه عن ربه، حتى ربما غبط المتفكر فيها حال تفكره من مكن من العباد من تناولها، فالفكر فيها على هذا الوجه مما لا ينبغي ولا يحسن، بل هو مذموم قبيح لما فيه من تهييج الرغبة والحرص على الدنيا والسعي لجمعها)) [١]

وتكلم الإمام الحداد عن منافع وفوائد التفكر فقال الإمام الحداد ﷺ: ((وأما حسن التفكر واستقامته ففيه منافع كثيرة، وفوائد عظيمة. وقد قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ [٢]وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٣]وقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٤].

وروي عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ((تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة)) [٥] وقال علي كرم الله وجهه: ((لا عبادة كالتفكر)) [٦]

والفكر على أنواع كثيرة، وأشرف أنواعه وافضلها: التفكر في أفعال الله وآياته، وعجائب مصنوعاته في أرضه وسماواته. ومن أحسن التفكر في ذلك أثمر له زيادة المعرفة بالله، وهي الإكسير الأكبر اهـ)) [٧]

---

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص ٢٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٩ –٢٢٠

(٣) سورة الروم: الآية٢١

(٤) سورة يونس: الآية ١٠١

(٥) أخرجه الأصبهاني في العظمة: باب ما ذكر من الفضل في المتفكر، رقم الحديث ٤٣، ١/٢٩٩.

(٦) أخرجه المناوي عن النبي ﷺ وليس عن سيدنا علي ﷺ : ينظر زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي ،تحقيق: أحمد مجتبى، ، الناشر: دار العاصمة — الرياض، ١/٤٤٢.

(٧) الحداد: النصائح الدينية، ص٤٠٨-٤٠٩.

المبحث الثاني

منهج الإمام الحداد في إثبات الألوهية ونفي الشرك

المطلب الأول: التوحيد الأعظم في معنى الشهادتين:

أولا: فضل الشهادتين:

اعلم أن التوحيد الأعظم قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١)فهي كلمةُ التوحيدِ ولها فضائلُ عظيمة لا يمكنُ هاهنا استقصاؤُها، فلنذكر بعضَ ما وردَ فِيها: فهيَ كلمةُ التقوى كما قالَ عمرُ رضي الله عنه وغيرُه من الصحابة رضوان الله عليهم. وهي كلمةُ الإخلاصِ، وشهادةُ الحقِّ، ودعوةُ الحقِّ، وبراءةٌ من الشركِ، ونجاةُ هذا الأمرِ، ولأجلِهَا خُلِقِ الخلقُ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (٢)ولأجلِهَا أُرسلتِ الرُّسلُ وأنزلتِ الكتبُ، كما قالَ تعالى﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ (٣) ونحو هذه الآياتِ. وهذه الآيةُ أولُ ما عدَّدَ اللَّهُ من النعم في سورةِ النحلِ التي تُسَمَّى سورةُ النعم ولهذا قال ابنُ عيينةَ –رحمه الله– ما أنعمَ اللَّهُ على عبدٍ من العبادِ نعمةً أعظمُ من أن عرَّفهم لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأنَّ لا إلهَ إلا اللَّه لأهلِ الجنةِ كالماءِ الباردِ لأهلِ الدنيا. ولأجلِهَا أُعدَّتْ دارُ الثوابِ ودارُ العقابِ، ولأجلِهَا أُمرتِ الرسلُ بالجهادِ، فمنْ قالَها عصمَ مالَه ودمَه، ومن أباها فمالُه ودمُه هدر. وهي مفتاحُ الجنةِ. ومفتاحُ دعوةِ الرسلِ. وبها كلَّمَ اللَّهُ موسى كِفاحًا، وفي الحديث عن عياضِ الأنصاريِّ عن النبيّ ﷺ قال: ((إن لا إلهَ إلا اللَهُ كلمةُ حق على اللهِ كريمة ولها من اللهِ مكان وهي كلمة من قالَها صادِقًا أدخلَهُ اللَهُ بها الجنةَ،

---

(١) سورة محمد: الآية: ١٩

(٢) سورة الذاريات: الآية: ٥٦.

(٣) سورة النحل: الآية: ٢

ومن قالَها كاذبًا حقنتْ دمَهُ، وأحرزتْ مالَه، ولَقِي اللهَ غدًا فحاسَبَهُ» [١]. وهي مِفتاحُ الجنةِ كما تقدم، وهي: ثمنُ الجنةِ: كما في الحديث:

«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [٢] وهي: نجاة من النارِ: وهي: توجبُ المغفرةَ: كما في المسندِ عن شدَّادِ بن أوس وعبادةَ بنِ الصامتِ: أن النبيَّ ﷺ قال لأصحابهِ يومًا: «ارفعُوا أيدِيكم وقولُوا: لا إلهَ إلا اللَّهُ فرفعْنا أيدِينا ساعةً، ثم وضعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَهُ، ثم قالَ: الحمدُ للَّهِ، اللهُمَّ بعَثْتَني بهذهِ الكلمةِ، وأمرْتَني بها، ووعدتنِي بها الجنةَ، وإنَّك لا تخلفُ الميعادَ، ثم قالَ: أبشِرُوا فإن اللهَ قدْ غَفَرَ لكُم» [٣] وهي تمحو الذنوبَ والخطايا: كما جاء عن أُمِّ هانئ عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَسْبِقُهَا عَمَلٌ وَلَا تَتْرُكُ ذَنْبًا» [٤] وهي: تجدد ما درسَ من الإيمانِ في القلبِ: وفي المسند أن النبيَّ ﷺ قالَ لأصحابِهِ: «جدِّدوا إيمانَكم. قالوا: كيفَ نجدِّدُ إيمانَنَا؟ قال: قولُوا: لا إله إلا الله» [٥]، وهي لا يعدِلُها شيءٌ في الوزنِ، فلو وُزِنتْ بالسماواتِ والأرضِ رجحْت بهن. كما في المسندِ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «أن نوحًا قالَ لابنِهِ عندَ موتِهِ: آمرُكَ بلا إلهَ إلا اللَهُ، فإنَّ السماواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ لو وُضعِتْ في كِفة ووضِعَتْ لا إلهَ إلا اللَهُ في كفةٍ، رجحتْ بهن لا إلهَ إلا اللَهُ، ولو أن السماوات السبعَ والأرضينَ السبعَ كن في حلقةٍ مبهمةٍ قصَمتهُن لا إلهَ إلا الله» [٦]

وأيضًا عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن موسى عليه السلام قالَ: يا رب علِّمني شيئًا أذكرُك وأدعوكَ به، قال: يا موسى قلْ: لا إله إلا اللَّه. قالَ: يا ربِّ: كلُّ عبادِكَ يقولون هذا. قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت يا ربِّ. إنما أريد شيئا تخصُّنِي به. قال: يا مُوسى، لو أنَّ السماوات السبعَ وعامرَهنَّ غيري والأرضينَ السبعَ في كفةٍ، ولا إلهَ إلا اللَهُ في

---

(١) أخرجه الجرجاني: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين الجرجاني، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ،تحقيق: محمد حسن إسماعيل، ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، رقم الحديث ٩٧، ٣٢/١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، باب في التلقين، رقم الحديث ٣١١٦، ١٩٠/٣.

(٣)أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ١٧١٢١، ٢٨/ ٣٤٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب فضل لا إله إلا الله، رقم الحديث ٣٧٩٧، ١٢٤٨/٢.

(٥) أخرجه احمد في مسنده: رقم الحديث ٨٧١٠، ٣٢٨/١٤.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٦٥٨٣، ١١/ ١٥٠.

كفةٍ، مالتْ بهن لا إله إلا الله)) [(١)]وكذلك ترجحُ بصحائفِ الذنوب، كما في حديثِ السجلاتِ والبطاقةِ. وقد أخرجه أحمدُ: ((إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا، يا رب، فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا، يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم)) [(٢)] وهي: التي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله عز وجل: وفي الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه)) [(٣)]

وفيه أيضًا عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما قالَ عبدٌ: لا إله إلا اللَّه مخلصًا إلا فُتحتْ له أبوابُ السماءِ حتى تُفضِي إلى العرشِ ما اجتُنِبَتِ الكبائرُ)) [(٤)]ويروى عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه مرفوعًا: ((ما منْ شيء إلا بينهِ وبينَ اللَّهِ حجابٌ، إلا قولَ: لا إلهَ إلا الله كما أنَّ شَفتَيْكَ لا تحجبُهما كذلكَ لا يحجِبُها شيء حتى تنتهي إلى اللهِ عز وجلَّ)) [(٥)] وخرَّجَ النسائيُّ في كتابِ اليومِ والليلةِ من حديثِ رجلينِ من الصحابة عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: ((منْ قالَ: لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ مخلِصًا بها روحُه مصدِّقًا بها لسانُه، إلا فَتَقَ له السماءَ فتقًا، حتَى ينظرَ إلى قائِلِها مِنْ أهلِ الأرضِ، وحُقَّ لعبدٍ نظرَ إليهِ أن يعطِيَهُ سؤلَهُ)) [(٦)]وهي: الكلمةُ الَّتي يصدِّقُ اللهُ قائِلَهَا: كما أخرجَ النسائيُّ والترمذيُّ وابنُ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث ١٩٣٦، ١/ ٧١٠ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٦٩٩٤، ٥٧١/١١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٣٥١٨، ٥/ ٥٣٦.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٣٥٩٠، ٥/ ٥٧٥.

(٥) أخرجه ابن سمعون: ابن سمعون الواعظ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عنبس البغدادي، أمالي ابن سمعون الواعظ، تحقيق: عامر حسن صبري، ، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

(٦) النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، عمل اليوم والليلة، المحقق: فاروق حمادة، ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، رقم الحديث ٢٨، ص ١٥٠.

حبان من حديثِ أبي هريرةَ وأبي سعيدٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: ((إذا قالَ العبدُ: لا إلهَ إلا اللَّهُ واللَّهُ أكبرُ، صدَّقهُ ربُه. وقالَ: لا إلهَ إلا أنا وأنا أكبرُ. وإذا قالَ: لا إلَه إلا اللَهُ وحدَهُ، لا شريكَ لهُ، يقولُ اللَهُ: لا إلهَ إلا أنا وحدِي لا شريكَ لي، وإذا قالَ: لا إلهَ إلا اللَهُ وحدَه، لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، قال اللَّهُ: لا إلهَ إلا أنا، لي الملكُ، ولي الحمدُ، وإذا قالَ: لا إلهَ إلا اللَّهُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّهِ، قالَ اللَّهُ: لا إلهَ إلا أنا، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بِي. وكان يقولُ: من قالها في مرضِهِ ثم ماتَ لم تَطعمهُ النارُ)) (١) وهي: أفضلُ ما قاله النبيونَ كما وردَ ذلكَ في دعاءِ يومِ عرفة وهي: أفضلُ الذِّكْرِ: كما في حديثِ جابرٍ المرفوع: ((أفضلُ الذكرِ لا إلهَ إلا اللَهُ)) (٢) وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه قال:((أحبُّ كلمةٍ إلى اللَّهِ لا إلهَ إلا اللَّه، لا يقبلُ اللَّهُ عملاً إلا بِها)) (٣) وهي: أفضلُ الأعمالِ وأكثرُها تضعيفًا، وتعدلُ عتقَ الرقابِ، وتكونُ حِرزًا من الشيطانِ: وكما في الصحيحينِ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((من قالَ: لا إله إلا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مائةَ مرةٍ كانتْ له عدلَ عشرِ رقابٍ، وكُتبَ له مائةُ حسنةٍ، ومُحيَ عنه مائةُ سيئةٍ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ بهِ، إلا أحدٌ عملَ أكثرَ من ذلكَ)) (٤) اهـ)) .(٥)

فهذا نزر يسير من فضائلها، وقد اكتفيت بكلام الإمام الحداد على الشهادتين ولم أعلق عليه لكونه وفى وكفى، فلا عطر بعد عروس وكل ما قاله هو عقيدة أهل السنة والجماعة لم يخرج عن ذلك، وقد تكلم الإمام الحداد رضي الله عنه عن لا إله إلا الله وشرحها بكلام سهل العبارة، مفهوم الإشارة عظيم الدلالة، يوحي بعظمة إيمان المتكلم بها وحسن عقيدته ويقينه بربه، فقالرضي الله عنه: ((اعلم أنه لا إله إلا الله واجب الوجود لذاته الفرد الواحد الملك القادر، الحي القيوم القديم الأزلي، الدائم الأبدي، الذي هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، يفعل

(١) أخرجه الترمذي في سننه: وقال حديث حسن، باب ما يقول العبد إذا مرض، رقم الحديث ٣٤٣٠، ٥/٤٩٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب فضل الحامدين، رقم الحديث ٣٨٠٠، ٢/١٢٤٩.

(٣) الدينوري: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، المجالسة وجواهر العلم ،تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، -، دار ابن حزم بيروت — لبنان، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ، رقم الحديث٨٣٧، ٣/١٩٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث ٣٢٩٣، ٤/١٢٦.

(٥) ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله، ، الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، ٢/٢٧٤.

ما يشاء ويحكم ما يريد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تقدس وتعالى عن الشبيه والنظير، وعن الشريك والوزير، لا تحده الأزمان ولا يشغله شأن عن شأن، ، له الغنى المطلق عن كل شيء، بكل معنى ومن كل وجه وكل ما سواه مفتقر إليه، خلق الخلق أجمعين، وخلق أعمالهم خيرها وشرها، فتبارك الله أحسن الخالقين، يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، لا يسئل عما يفعل وهم يسألون خلقهم ورزقهم، وأنزل الكتب وبعث الرسل لهدايتهم، لطفا بهم وتفضلا عليهم، يجب توحيده وطاعته على عباده، بإيجابه على ألسنة رسله، لا يجب عليه لأحد شيء، لأنه المالك لكل شيء المستولي على كل شيء، فليس لأحد معه ملك ولا لأحد عنده حق، وعد المحسنين بثوابه فضلا، وتوعد المسيئين بعقابه عدلا. فالإله هو الجامع لجميع هذه الصفات، وهو الله الذي لا إله إلا هو لأن هذه الأوصاف ثابتة له تعالى، ولا يصح لغيره على الإطلاق الاتصاف بشيء منها، فضلا عن جملتها.

فمن نفى الإلهية عنه أو أثبتها لغيره، أو أشرك معه فيها سواه فقد أعظم البهتان وأحاط به الخسران، أولئك الذين قال فيهم عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(١)

ثانيا: لا إله إلا الله نفي وإثبات:

قال بامخرمة–رحمه الله– «إعلم أن لا إله إلاهو مركبة من نفي وإثبات ،غنما دخل فيها النفي لتحقيق معنى الإثبات فقولك (لا ليَ وَلي إلا انت)أعظم تحقيقاً من قولك (أنت وَليي) فهي تشير إلى نفي ما يستحيل كونه (مثل وجود الشريك والولد للباري عز وجل)وإثبات ما يستحيل فقده» (٢) قال الإمام الحدادفي بيان ذلك « أحدهما: نفي، وهو قولك لا إله، والآخر إثبات وهو قولك إلا الله، فإذا صدر النفي معقبا بالإثبات، ممن لا يشرك مع الله إلها آخر، فمعناه نفي تَوَهُّم من تَوَهَّم أن مع الله إلها آخر من المشركين والرد عليهم، وتقرير المعنى

---

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٧٩.

(٢) بامخرمة : عمر بن عبدالله بامخرمة ، الوارد القدسي في تفسير آية الكرسي، تحقيق خليل إسماعيل إلياس، الناشر تريم للدراسات والنشر، حضرموت اليمن ، ط١، ١٤٣٠هـ –٢٠٠٩م، ص٥٦.

الحاصل في القلب من التوحيد، فإنه يتأكد بتكرار هذه الكلمة، قال رسول الله ﷺ: ((جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله)) [(١)]

وإنما قلنا في صدر الفصل: ينبغي للموحد أن يقصد بنفيه الإلهية عما سوى الله، الرد على من يتوهم ذلك من المشركين ونحوهم، وسمينا اعتقادهم الفاسد توهما، لأنه إنما ينشأ عن تصور فاسد ورأي ضعيف، يؤذن بتغير المزاج وفقد العقل، وإلا فكيف يخفى على ذي بصر وسمع، فضلا عن ذي بصيرة وقلب، وجود من ظهرت به الأشياء وانفراده بها، ولكن من يضلل الله فما له من هاد، ومن يهد الله فما له من مضل، أولئك الذين ذهب الله بسمعهم وأبصارهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، صم بكم عمي فهم لا يرجعون.

ولله در القائل حيث يقول:

أيا عجبا كيف يُعصى الإله *** أو كيف يجحده الجاحد

وفي كلِ شيء له آية *** تدل على أنه واحد

ولله في كل تحريكة *** وتسكينة أبدا شاهد[(٢)]

قال بعض العارفين نفع الله بهم: من طلب دليلا على وحدانية الله، فالحمار أعرف بالله منه، ولولا الحرص على الإيجاز لأمور يعلمها الله، لأطنبنا في هذا الفن، إطنابا يبهر العاقل اللبيب، والله على ما أقول رقيب)) [(٣)]

وتكلم الإمام الحداد على شرح معنى الشهادتين فقال ﷺ: ((قال العلماء المحققون رضي الله عنهم: الإله هو المعبود بحق، والمعبود بحق هو الخالق الرازق والخالق لكل شيء والرازق له هو الله تعالى، فهو الإله وهو المعبود وحده لا شريك له، ومن المستحيل عقلا وشرعا أن يكون للعالم أكثر من إله، فما من إله إلا الله العزيز الحكيم، وفي الإشارة إلى كون ذلك محالا أعني أن يكون للعالم إلهان، قال الله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ

---

(١) أخرجه البزار في مسنده: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وأخرون، ، المدينة المنورة، الناشر مكتبة العلوم والحكم، ط١، ٥٢/١٧.

(٢) القائل هو أبو العتاهية: شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، ، ٤/٢.

(٣) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٢٦.

عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[١] وقال الله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٢]

وما ادّعى الإلهية مع الله أحد كالنمرود[٣] وفرعون، لعنة الله عليهما ولا ادعيت لأحد كالكواكب والأحجار، إلا وأثر النقص والافتقار والعجز والانقهار، المقتضية للحدوث والعبودية، ظاهر على المدعي لها من الأدميين، وعلى من ادعيت له من غيرهم.

والذي يظهر: أن المدعي للإلهية مع الله، كان الحامل له على ذلك توهما فاسدا وتخيلا باطلا، تولد من مشاهدة الاقتدار من نفسه، على بعض الأمور، يشير إلى ذلك قوله تعالى، فيما حكى عن الخليل عليه السلام حين حاجه النمرود في ربه ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾[٤]وفي التفسير: أنه أقام البرهان على احتجاجه الداحض، بإحضار رجلين فقتل أحدهما وترك الآخر، وفيما حكى سبحانه عن فرعون، حيث قال لقومه ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٥]إشارة إلى ذلك أيضا؛ ولا يبعد أن يكون مثل هذين اللعينين، كانا يعرفان بطلان ما ادعياه، ولكن حملهما البطر والأشر على الجحود، وعلى ادعاء ما ليس لهما بحق، ووجدا لذلك موضعا، من سخافة المنقادين لهما والمذعنين لطاعتهما. قال الله تعالى في شأن فرعون: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[٦].

وبلغنا أنه حين طلب منه قومه أن يجري لهم النيل، حين حبس عنهم، خرج بهم ثم خلا عنهم وجعل يمرغ خده في التراب، ويسأل ويتضرع ويدعو الله، فعند ذلك أجرى الله النيل

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية: ٩١.

(٣) وهو النمرود بن كنعان بن كوشبن سام بن نوح قاله مجاهد، وهو أول من ملك الدنيا كلها وأول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وهو الذي حاج نبي الله إبراهيم في ربه، ينظر البداية والنهاية لابن كثير، ٣٤٢/١.

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٥٨.

(٥) سورة الزخرف: الآية: ٥١.

(٦) سورة الزخرف: الآية: ٥٤.

بقدرته، استدراجا لعدوه، فقال فرعون عند ذلك لقومه: أنا الذي أجريته لكم [١]، فبان بذلك صحة ما ذكرناه» [٢]

ثالثا: حكم الكافر بالشهادتين:

النطق بالشهادتين شرط لإجراء الأحكام الدنيوية على المسلم مثل تزويجه المسلمة، والصلاة خلفه، والصلاة عليه إذا مات ودفنه في مقابر المسلمين، فإذا لم ينطق لعذر كالخرس، أو لم يتمكن من النطق بهما بأن مات عقب إيمانه بقلبه فهو ناج عند الله تعالى.

أما إذا استطاع النطق ووجد وقتا ولم ينطق بالشهادتين، فإن كان عدم النطق عنادا فهو كفر ولا عبرة بالتصديق القلبي، فهو حلال الدم والمال قال الإمام الحداد ﷺ: «وحسبك من شرح الحكم والفضيلة أن الكافر بهذه الكلمة أي (الشهادتين) ، حلال الدم والمال، مخلد في نار جهنم أبد الآباد، وأن الإنسان يعيش كافرا بالله سبعين سنة مثلا، فإذا قالها معتقدا لمعناها، عصم دمه وماله، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وأنه لو لقي الله تعالى عبد بذنوب الأولين والآخرين، ومع ذلك لا يشرك به شيئا، لكان يغفر له إن شاء وإن عاقبه بذنوبه كانت عقوبة منقضية لأنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد، والموحد هو المعتقد لمعنى هذه الكلمة الشريفة؛ وفي الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» [٣]وفي الحديث: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة» [٤]وفيه: «وليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا في نشورهم، وكأني بهم وقد خرجوا من قبورهم ينفضون التراب من رؤوسهم، يقولون ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [٥].

---

(١) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ط بدون، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ٢/٣١٣.

(٢) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) رقم الحديث ٢٥، ١/١٤.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: باب في التلقين، رقم الحديث ٣١١٦، ٣/١٩٠.

(٥) سورة فاطر: الآية: ٣٤.

وفيه: ((أنه يصاح برجل فتمد له تسعة وتسعون سجلا من الخطايا، كل سجل مد البصر فتطرح في كفة السيئات، فيقول الحق: إن لك عندنا حسنة، فتخرج له بطاقة مكتوب فيها: لا إله إلا الله فتطرح في الكفة الأخرى، فترجح بالسجلات كلها الحديث بمعناه)) [(١)].

وقد ذكر الشيخ ابن عطاء الله[(٢)]، في مفتاح الفلاح[(٣)] طرفاً من فضل هذه الكلمة وما يلحق به، ثم إن جميع المنافع والفوائد المرتبة على هذه الكلمة، في الدنيا والآخرة، لا يظفر بشيء منها من فرق بين الشهادتين، لأن حكمهما واحد.

ومن أقر بشهادة التوحيد وأنكر الشهادة للرسول، فليس من أهل التوحيد، والكلام فيمن يكفر بالرسول ويؤمن بوحدانية الله تعالى، وأما المؤمن بالوحدانية والرسالة، فليس عليه بأس إذا قال: لا إله إلا الله ولم يتبعها بشهادة الرسول، ولا يفوته بسبب ذلك شيء من الخيرات المرتبة على هذه الكلمة، فاعلم ذلك.

وفي الباب فروع ودقائق، لو استقصيناها لضاق عنها مجلد ضخم. والمقصود الإشارة إلى شيء من معاني كلمة التوحيد انتهى كلامه)) [(٤)].

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه عندما قيل له رضي الله عنه خاطركم بالدعاء لفلان بالثبات وهو شخص كبير السن، فقال: ((إذا أراد الثبات فليعَضَّ على قول لا إله إلا اللّه، ويلازمها، فإن الطريق قريب جدًّا، وإن كان فيه مشقة، كطريق العقبة، تشق مع قُرْبِه، وإنما البعد على من دار عن الطريق، ولا ترى أحداً يَفتِن أحداً في دينه، إنما يَفتن من فَتَن أحداً في دنياه، فلا يكاد أحد

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: ولفظه (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر.. الحديث، ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، رقم الحديث ٢٦٣٩، ٥ /٢٤.

(٢) تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري أبو الفضل، المالكي مذهبا، الشاذلي طريقا نشأ في الإسكندرية و بها تلقى ثقافته الأولى .فقد ولد سنة (٦٥٨هجريا ــ ١٢٦٠ ميلاديا) وتوفى في جمادى الآخرة سنة (٧٠٩ هجريا ــ ١٣٠٩ ميلاديا) وله مؤلفات أصول مقدمات الوصول وتاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس والطريق الجادة في نيل السعادة ولطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما .ومفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح وكتابه الفذ الحكم العطائية، .ينظر الحكم ص ١-٣.

(٣) ينظر السكندري: احمد بن محمد بن عطا الله السكندري، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ص٥١ .

(٤) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٣٠.

من الرافضة، ونحوهم من المبتدعة، أن تسمعه يتعرض لأحد ليمنعه عن دينه ليدخله في مذهبه، وهذه الكلمة (أي لا إله إلا اللّه) سهلة قريبة، فإذا رضي اللّه ورسوله بقولها مرة واحدة، بعد كفر كذا كذا سنة، فأحرى أن يقبلها ممن لازمها مدة عمره، وإن كان عليه شيء من الكبائر، فمن لقي اللّه بها يُرجَى منه تعالى له المغفرةُ ببركتها، وهي التي يشاغب الشيطان عليها، ويحرص أن يقطع الإنسانَ منها، وقد طلب النبي ﷺ من عمه أبي طالب أن يقولها مرة واحدة يشهد له بها، وكذلك الدجال لعنه اللّه، إذا جاء يدعي الربوبية، مع كثرة ما يجيء به من الفتن، إنما يرضى ممن تبعه أن يقول له بكلمة واحدة، بأن يقر له بالربوبية، فكذلك جميع الفتن وإن كثرت، ففي كلمة التوحيد للإنسان مخلص كاف من جميع الفتن)) [1] وللإمام الحداد أبيات تبين خلاصة هذه المعاني للشهادة ومطلعها:

ما في الوُجودِ ولا في الكَونِ مِن أَحَدِ *** إلا فَقيرٌ لِفَضلِ الواحِدِ الأَحَـدِ
مُـعَوِّلـونَ عَـلَى إحـسانَهُ فُـقَرَا *** لِفَيضِ أَفضالِهِ يا نِعْمَ مِن صَمَدِ
سُبحانَ مَن خَلَقَ الأَكوانَ مِن عَـدَمٍ *** وَعَمَّها مِنهُ بِالإفـضالِ وَالمـدَدِ
تَـبارَكَ اللهُ لا تَحـصى مَحامِـدُهُ ***وَلَـيسَ تُحصَرُ في حَدٍّ وَلا عَدَدِ
اللـهُ اللهُ رَبّـي لا شـَريكَ لَـهُ ***اللـهُ اللـهُ مَعْبُودي وَمُلتَحِدي
اللـهُ اللـهُ لا أَبغـي بِـهِ بَـدَلاً *** اللـهُ اللـهُ مَقْصُودي وَمُعتَمِدي
اللـهُ اللـهُ لا أُحصـي ثَنـاهُ وَلا *** أَرجو سِواهُ لِكَشفِ الضُرِّ وَالشِّدَدِ
الـله الـلهُ أَدعـوهُ وَأَسـأَلُهُ *** اللـهُ اللـهُ مَأمـولي وَمُستَنِدي
يا فَـردُ يا حَـيُّ يا قَيّـومُ يا مَلِكٌ *** يـا أَوَّلٌ أَزَلي يـا آخـرٌ أَبـدي
أَنتَ الغَني عَنِ الأَمـثالِ وَ الشركاء***أَنتَ المقَـدَّسُ عَن زَوجٍ وَعَـن وَلَـدِ [2]

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٢٧٧.
(٢) الحداد: ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، ص١٨٧ .

المطلب الثاني: الشرك

أولا: تعريف الشرك

(الشِّرْكُ) في اللغة: وجمعه أشراك كشبر وأشبار. و (الشرك) أيضا الكفر وقد أشرك بالله فهو (مشرك) [١] قال في لسان العرب وأشرك بالله: جعل له شريكا في ملكه، تعالى الله عن ذلك، والاسم الشرك. قال الله تعالى حكاية عن عبده لقمان أنه قال لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [٢]والشرك: أن يجعل لله شريكا في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد، وإنما دخلت التاء في قوله لا تشرك بالله لأن معناه لا تعدل به غيره فتجعله شريكا له. [٣]

والشرك في الاصطلاح: قال الزهري -رحمه الله-:((والشرك أن تجعل لله شريكاً في ربوبيته)) [٤]

وقال الراغب الأصفهاني-رحمه الله-: ((الشرك العظيم هو إثبات شريك لله تعالى يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر)) [٥] وقال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: ((وهذا هو الشرك الأعظم الذي يعبد مع الله غيره)) [٦] يستفاد مما تقدم أن الشرك هو أن تجعل شريكا لله تعالى في ربوبيته أو ألوهيته وتعبد معه غيره، بأن تدعو مع الله غيره أو تصرف له شيئاً من أنواع العبادات، كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة. وقد عقد الإمام الحداد مبحثاً خاصاً بالشرك وتكلم عن أصنافهم، والقول في دعوتهم، والشرك عند العرب، ودعم كلامه بالكتاب والسنة حيث قسم المشركون إلى قسمين قسم يقرون ويؤمنون بالله ولكنهم يشركون ويدعون معه إلها آخر، وقسم آخر وهم المعطلة الذين لا يقرون ولا يؤمنون بوجود الخالق أصلا، وهم أشد من القسم الأول قال الإمام الحداد ﷺ: ((أصناف المشركين وهم المشركون الّذين يدعون

---

(١) الرازي: مختار الصحاح، ١/١٦٤.

(٢) سورة لقمان: الآية: ١٣

(٣) ابن منظور: لسان العرب: فصل الشين المعجمة، ١٠/ ٤٥٠.

(٤) الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ١٠ /١٢

(٥) الأصبهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١ - ١٤١٢ هـ، ١/٤٥٣.

(٦) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٤/٤١٨.

مع الله إلهاً آخرَ، تعالى عما يقولون وعمّا يدّعون علوّاً كبيراً، وهم أصناف: منهم المشركون، ومنهم المعطّلون والجاحدون، إلى غير ذلك. وكلهم في ضلالة وظلمات بعضها فوق بعض، غير أن البعض منهم أشد ضلالة وكفرا، وأكثر بهتاناً وافتراءً وليس لأحدٍ منهم حجّة ولا برهان بوجه من الوجوه)) (١) ويبطل الإمام الحداد دعواهم ويرد على إشراكهم بمنطوق كلام رب العالمين، ويدعوهم إلى الله وإلى توحيده وإلى تأمل كلامه بالحكمة والرفق واللين، وهذا الرد للصنف الأول الذين يدعون مع الله إلهاً آخر، فيقول الإمام الحداد رضي الله عنه:

((القول في دعوتهم إلى الله وإلى توحيده، والإقرار له سبحانه بالألوهيّة والربوبية من غير شريك له في ذلك ولا منازع، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٢) وقال تعالى﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ (٤) وقال تعالى:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٦)

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٧) وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٩) وقال تعالى

(١) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٤٩.
(٢) سورة محمد: الآية: ١٩
(٣) سورة طه: الآية: ٩٨
(٤) سورة النساء: الآية: ٧١
(٥) سورة البقرة: الآية: ١٦٣
(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٨
(٧) سورة المؤمنون: الآية: ١١٧
(٨) سورة القصص: الآية: ٨٨
(٩) سورة النساء: الآية: ٤٨

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [(١)] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [(٢)] ا هـ)) [(٣)].

ثم يتصدى للرد على الصنف الثاني وهم المعطلة كما يسميهم ويطلق عليهم اليوم الملحدون، وهذا الصنف موجودون اليوم في عالمنا، وهذا الفكر يتبناه بعض شبابنا فنقول في إقناعهم والرد عليهم بما قرره الإمام الحداد حيث يقول‌رضي الله عنه: ((وإذا كان هذا التشديد العظيم الهائل، والوعيد الفظيع الشنيع، في حق من يدعو مع الله إلهاً آخر، ويشرك به سواه في الألوهية، مع أنه يُقِرُّ ويعترف لله بالألوهية والربوبية؛ فيكف يكون الحال، وعظيم الوبال والنكال في حق من ينكر أنه ليس للعالم إله من المعطِّلة، أو يقول: إن له إلهاً غير الله تعالى وتقدس عن قوله وافترائه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [(٤)] والأنعام والبهائم، بل والنباتات والجمادات مقرَّة ومعترفة وشاهدة لخالقها وموجدها بالألوهية والوحدانية والربوبية، ولو كانت تنطق لأعربت عن ذلك وأفصحت به، قال الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [(٥)] الآية، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [(٦)] ا هـ)) [(٧)]

ثانيا: التوحيد عند العرب:

قال ابن كثير –رحمه الله– ((فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى)) [(٨)] وقال الإمام ابن كثير –رحمه الله –

(١) سورة لقمان: الآية: ١٣

(٢) سورة المائدة: الآية: ٧٢.

(٣) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٤٩.

(٤) سورة الأعراف: الآية: ١٧٩.

(٥) سورة الإسراء: الآية: ٤٤.

(٦) سورة النحل: الآية: ٤٨ – ٥٠.

(٧) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٥١.

(٨) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٤/٤٨٣.

(عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[(١)] قال ابن عباس: رضي الله عنه «من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم: من خلق السموات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال، قالوا الله وهم مشركون به، وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة وفي الصحيحين: أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك وفي صحيح مسلم أنهم كانوا إذا قالوا لبيك لا شريك لك. قال رسول الله ﷺ (قدْ قدْ) أي حسب حسب لا تزيدوا على هذا» [(٢)]

وقال الإمام ابن كثير–رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[(٣)] يقول الله تعالى مقرراً أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين يعبدون غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض، و الشمس والقمر وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم. فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها فإذا كان الأمر كذلك فلم يُعبد غيره؟
ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته. [(٤)]وقال الإمام النووي –رحمه الله تعالى–: «وأن الوثني إذا قال: لا إله إلا الله فإن كان يزعم أن الوثن شريك لله تعالى صار كافرا، وإن كان يري أن الله تعالى هو الخالق ويعظم الوثن لزعمه أنه يقربه إلى الله تعالى لم يكن مؤمناً حتى يتبرأ من عبادة الوثن» [(٥)]. وقال الشهرستاني الشافعي–رحمه الله–: «القوم لما عكفوا على التوجه إليها الأصنام .كان عكوفهم ذلك عبادة وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها» [(٦)]

---

(١) سورة يوسف: الآية: ١٠٦

(٢) تفسير ابن كثير: ٤/٤١٨.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٦١

(٤) ابن كثير: تفسير ابن كثير: ٦/٢٩٤.

(٥) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة المتقين، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، ط٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ١٠/٨٤.

(٦) الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي، ٢/١٠٤.

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله-: ((قال عبدالله بن عباس ﷺ وغير واحد من علماء التفسير كان أول ما عبدت الأصنام أن قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد وصوروا صور أولئك فيها؛ ليتذكروا حالهم وعبادتهم فيتشبهوا بهم فلما طال الزمان جعلوا أجسادا على تلك الصور، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء الصالحين ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا)) (١) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني –رحمه الله-: ((وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك، وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين ويتمسحون بصورته)) (٢)قال الإمام الحدادﷺ: ((ولما كانت العرب قد أعطيت من التمييز، وأُيِّدت من المعقول بما لم يؤيَّد به غيرُها من الأمم لم يصدر عنها الإنكار لوجود الحق سبحانه وتعالى؛ بل أقرت بوجوده، وبكونه الخالق لكل شيء والرازق له، كما حكى الله ذلك عنها في كتابه، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣)، وقوله:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥) إلى غير ذلك من الآيات المصرِّحات بما ذكرناه عن مشركي العرب. ويبين ذلك ما حكى الله عنهم في قوله تعالى أنهم قالوا فيما أشركوا به من دون الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ (٦) أي أنهم جعلوها وسائل ووسائط، يقصدون بعبادتهم التقرّب إلى الله فأخطأوا في ذلك، ولكنهم أقرُّوا بوجود الحق وبكون الخالق لهم ولكل شيء، وأنهم إنما عبدوا ما عبدوه من الأصنام لتكون وسائل لهم عنده، ومقرِّبات لهم إليه؛ وكانوا – أعني مشركي

---

(١) ابن كثير: تفسير ابن كثير للقرآن العظيم، ٤٣١/٣.

(٢) ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد، ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ، ٨ /٦٦٩.

(٣) سورة الزخرف: الآية: ٩.

(٤) سورة العنكبوت: الآية: ٦١.

(٥) سورة المؤمنون: الآية: ٨٤ – ٨٥.

(٦) سورة الزمر: الآية ٣

العرب -يرجعون إلى الله في الشدائد، وكشف المهمات والمصائب، ولا يطلبون ذلك ولا يسألونه إلاّ منه، كما أخبر الله بذلك في كتابه عنهم في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ (٢) أي تتضرعونَ وَتستغيثون ولما قال رسول الله ﷺ لبعضهم: (كم لكم من إلهٍ؟ قال: عشرة. فقال عليه الصلاة والسلام: إلى أيِّهم ترجع عند الشدائد؟ فقال إلى الله، فقال: (أسلم يا فلان فإنه ليس لك من إله غير الله) الحديث، وقال عليه الصلاة والسلام لآخر وهو يدُّله على الله: (هو الذي إذا ضلّت راحلتك وأنت بأرض فلاة فدَعَوْتَهُ ردَّها عليك. وإذا أصابك عامُ سَنة فدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لك) (٣). وما أحسب أن أحداً يعقل إلاّ وهو متألِّه إلى إله، تقضي عليه بذلك فطرته التي فطره عليها، وتشهد له بربوبيته خِلْقَتُهُ التي خلق عليها، أصاب في ذلك من أصاب، وأخطأ من أخطأ وما من إله إلا الله العزيز الحكيم. فمصنوعاته سبحانه، ومخلوقاته التي ملأ بها أرضَه وسمواتِه، شاهدة له بالألوهية، وناطقة له بالوحدانية)) (٤)

ثالثا: نماذج من أهل التوحيد السابقين:

وقد ذكر الإمام الحداد نموذجين من أهل التوحيد والإيمان ذكرهم الله في كتابه، ووصفهم بالإيمان به، وزادهم فوق الإيمان الهداية وربط على قلوبهم برباط التوحيد الخالص وهم أصحاب الكهف وسحرة فرعون، قال تعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ (٥) فقال رضي الله عنه: ((ولما دُعِي أصحاب الكهف إلى عبادة غيره سبحانه وتعالى، وأن يعترفوا بالربوبية للعبد المربوب، الذي ليس بأهل

(١) سورة الإسراء: الآية: ٦٧

(٢) سورة النحل: الآية: ٥٣

(٣) أخرجه احمد في مسنده:، رقم الحديث ٢٠٦٣٦، ٣٤/ ٢٣٩.

(٤) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٥٣.

(٥) سورة الكهف: الآية: ١٣-١٤

لذلك أنكروا ولم يُقِرُّوا، ولم يعترفوا، لِمَا قذف الله في قلوبهم من النور، وألقى فيها من التصديق و الإيمان به تعالى:

﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (١)وكذلك شأن السحرة الذين جاء بهم فرعون اللعين، ليدفع بسحرهم وكيدهم بزعمه الحقَّ والبرهان الذي بُعث به موسى وهارون عليهما السلام، فعندما عرفوا وتحققوا أن الأمر الذي بُعِث به موسى وهارون عليهما السلام، أمر سماوي إلهي لا يطاق له دفاع، ولا يستطيع أحد أن يرده ولا يغالبه، أقروا بالحق واستسلموا، وأسلموا وآمنوا بالله وحده فقالوا: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ (٢) ولم يردَّهم عن ذلك، ولم يصرفهم عنه ما توعدهم به فرعون -لعنه الله- من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، وصَلبِهم على جذوع النخل؛ بل قالوا في الرد عليه والاستهانة بما توعَّدهم به: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إلى قوله تعالى: وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ (٣)ثم إنه لعنه الله لم يَسَعْه ولم يُمْكِنْه أن يردَّ عليهم، ولا أن يدفعهم عن الإيمان بالله؛ لأنه عرف وتبيّن له بأن لا حجة له بذلك، ولا قوة له على الدفع؛ فعدل إلى قوله لهم: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ (٤) تكبراً منه، ومدافعة بما لا ينفعه ولا يقوم له به حجة؛ لأن الإيمان بالله، والتوحيدِ له هيبة لا يمكن لأحد يعقل أن يدفع أحداً عنه، ولا يجادله فيه؛ لأنه الأمر الواضح البيِّن، الذي قامت به الحجج، واتفقت عليه الأدلة القاطعة من السمعيات والعقليات. فاعلم ذلك وتأمله حق تأمّله؛ فإنه أمر مهم ويكاد يشار إليه بما ذكره الله تعالى في آيات عديدة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ (٥) وقوله

(١) سورة الكهف: الآية: ١٤-١٦

(٢) سورة الأعراف: الآية: ١٢١ — ١٢٢

(٣) سورة طه: الآية: ٧٢-٧٣

(٤) سورة الأعراف: الآية: ١٢٣

(٥) سورة المؤمنون: الآية: ١١٧

تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [١] الآية، وقوله تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف:

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٢] فالمدَّعي مع الله إلهاً آخر لا تقوم له بما ادّعاه حجة البتة؛ بل حجّته بذلك بينة البطلان والاستحالة، فلذلك يعدِل المدعي لها إلى غير ذلك، كما عدل إليه فرعون -لعنه الله-. وكذلك نمرود فيما حكى الله عنه من محاجَّته إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إلى قوله تعالى: فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٣] ا هـ)) [٤]

رابعا: من معاني الشرك الخفية:

قال الإمام المناوي-رحمه الله-: (أخلصوا أعمالكم لله) فإن الإخلاص هو كمال الدين، وأعم ذلك البراءة من الشرك بأن لا تتخذ مع الله إلها آخر، لأن الشرك في الإلهية لا تصح معه المعاملة بالعبادة، وأخص منه الإخلاص بالبراءة من الشرك الخفي، بأن لا يرى لله تعالى شريكا في شيء من أسمائه الظاهرة، فإن الشرك في أسمائه تعالى لا يصح معه قبول كما قال فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما (أي عملا) خلص له من جميع الأغيار، فالإخلاص شرط لقبول كل طاعة ولكل عمل من المأمورات، خصوص اسم في الإخلاص كإخلاص المنفق بأن الإنعام من الله لا من العبد، وكإخلاص المجاهد بأن النصر من الله لا من العبد المجاهد، قال الله تعالى ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [٥] وكذا سائر الأعمال. وأساس ذلك طمأنينة النفس بربها في قوامها من غير طمأنينتها بشيء سواه، فمتى اطمأنت النفس بما تقدر عليه أو بما تملكه من مملوك أو بما تستند إليه من غير الله ردت جميع عبادتها لما اطمأنت إليه، وكتب اسمها على وجهه وكان عبد الرياء والمراء، وما المرء إلا عبد ربه تعس عبد الدينار

---

(١) سورة يوسف: الآية: ٤٠

(٢) سورة الكهف: الآية: ١٥

(٣) سورة البقرة: الآية: ٢٥٨

(٤) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٥٥ -٢٥٦.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٢٦

والدرهم والخميصة وهذا هو الذي أحبط عمل العاملين من حيث لا يشعرون (إنا لله وإنا إليه راجعون) قال الإمام الغزالي: سبيل النجاة أن تخلص عملك وتجرد إرادتك لله والقلوب والنواصي بيده سبحانه وتعالى فهو يميل إليك القلوب ويجمع لك النفوس ويشحن من حبك الصدور فتنال من ذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك وإن لم تفعل وقصدت رضا المخلوق دونه صرف عنك القلوب ونفر منك النفوس وأسخط عليك الخلق فتكون من الخاسرين›› [(١)]

وللشرك معان خفية دقيقة لاتؤثر في اصل الإيمان تكلم عليها الإمام الحداد رضي الله عنه بقوله:

‹‹وأيضا للشرك معان خفية دقيقة، لا ينجو منها إلا العارفون المحققون، وقد يقع المؤمن في شيء منها ولا يشعر، مثل أن يعتقد أن أحدا غير الله، يجلب نفعا أو يدفع ضرا بطريق الاستقلال، ومن ذلك شدة الحرص على الاستيلاء والاستعلاء على الخلق، ومحبة الاستقلال والاستيثار بالأمور واشتهاء المنزلة والتعظيم والمدح في قلوب الخلق وعلى ألسنتهم. وفي الحديث: ‹‹الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل›› [(٢)] وقد سمى ﷺالرياء الشرك الأصغر. وقد يشرك الإنسان مع الله نفسه أو غيره من هذه الحيثية، وهو لا يدري، فعلى المؤمن أن يحترز من خفايا الشرك كما يحترز من ظاهره جهده.

ثم أن الشرك بهذا الاعتبار، لا يؤثر في أصل الإيمان الذي يدور عليه أمر النجاة، ولكنه يقدح في كماله. وكان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يقولون: المعاصي بريد الكفر؛ فلْيبذُل المؤمن نهاية جهده وإمكانه في حفظ إيمانه وتقويته، وتأكيده وتثبيت أركانه، وليستعن بالله وليصبر على ذلك، ويداوم عليه حتى يأتيه اليقين.

ثم اعلم أن الإيمان هو أصل الأصول، وأنفس النفائس، وأعز الأشياء. وهو مع ذلك أشدها خطراً، وأشقها حفظاً، وأحوجها إلى حسن التعهُّد والتفقد، وحسن النظر والاحتياط، وكل عزيز ونفيس فعلى مثل ذلك يكون ويوجد. ولا يزال المؤمن الشفيق على دينه، المحتاط لإيمانه

---

(١) المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١ ١٣٥٦هـ، ٢١٧/١.

(٢) أخرجه السيوطي: بزيادة (الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، تحقيق يوسف النبهاني، بيروت / لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، رقم الحديث ٧١٤٠، ١٧٢/٢.

ويقينه سائلاً من الله ومتضرعاً إليه: في أن يُثَبِّتْه على دينه وإيمانه، وأن لا يُزيغ قلبه بعد إذ هداه إلى توحيده ومعرفته، وأن يكون خائفاً من سلب ذلك وتزلزله.

وقد كان بعض السلف يحلف بالله إنه ما أَمِنَ أحد على إيمانه أن يُسلَبَهُ إلاّ سُلِبَه، وذُكِر عن إبليس –لعنه الله– أنه قال: قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة؟ أقول متى يُعجَب هذا بعمله؛ أخشى أنه قد فطن.

فالأمر الذي عليه المدار والتعويل والذي لا ينبغي لعاقل من أهل الإيمان أن يكون أعظم اهتماماً به وأشدَّ حرصاً عليه وسعياً له من سلامة التوحيد وحفظ الإيمان حتى يموت ويخرج من الدنيا على ذلك بفضل الله وحسن تأييده وتثبيته؛ فإنه إن خرج من الدنيا على ذلك سلم من الشرِّ كله وفاز بالخير كله دائماً أبداً. وإن خرج من الدنيا على خلاف ذلك خسر خسراناً مبيناً، وهلك هلاكاً مؤبداً والعياذ بالله» [(١)].

(١) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٥٨.

المبحث الثالث

منهج الإمام الحداد في القضاء والقدر

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر والرضا به:

أولا: تعريف القضاء والقدر:

في اللغة جاء في لسان العرب: القضاء، وأصله القطع والفصل. يقال: قضى يقضي قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق. وقال الأزهري: القضاء في اللغة: على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله أو أتم، أو ختم، أو أدى أداء، أو أوجب، أو علم، أو أنفذ، أو أمضى فقد قضى. والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان.

قال: وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث، ومنه القضاء المقرون بالقدر، والمراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[(١)] أي: خلقهن[(٢)]،

والقدر في اللغة: هو مبلغ الشيء، وكذلك القدر. وقدرت الشيء أَقْدُرهُ وأَقدِرهُ.

قال الزبيدي والقدر: القضاء الذي يقدره الله – عز وجل –، وهو القدر أيضاً[(٣)]

وقال قَالَ اللَّيْث: القَدَر: الْقَضَاء الموفَّق. [(٤)]

وأما في الاصطلاح الشرعي: فهذا الجرجاني –رحمه الله– يعرف القدر فيقول: «القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء. والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال» [(٥)].

قال السفاريني الحنبلي –رحمه الله–: «القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه – عز وجل – قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل

(١) سورة فصلت: الآية: ١٢

(٢) ابن منظور: لسان العرب، فصل القاف، ١٨٦/١٥.

(٣) ابن فارس: مجمل اللغة، ٧٤٥/١.

(٤) الهروي: تهذيب اللغة، ٣٩/٩.

(٥) الجرجاني: التعريفات للجرجاني: ص١٧٤.

أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها» (١)

قال الزبيدي: «القدر: القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور. والقدر أيضا: مبلغ الشيء» (٢).

فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

والإيمان بالقدر من أصول الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال (أي جبريل عليه السلام) : صدقت. . .) (٣) والنصوص المخبرة عن قدرة الله أو الآمرة بالإيمان بالقدر كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ ﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٧) وقال: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ (٨).

وروى مسلم في صحيحه عن طاووس رضي الله عنه قال:

«أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر حتى العجزُ والكَيْس (٩)، أو الكَيْس والعَجْز» (١٠).

---

(١) السفاريني: ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ٣٤٨/١.

(٢) الزبيدي:، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٣/ ١٧٠.

(٣) أخرجه مسلم: باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم الحديث ٨، ٣٦/١.

(٤) سورة القمر: الآية: ٤٩

(٥) سورة الأحزاب: الآية: ٣٨

(٦) سورة الأنفال: : الآية: ٤٢

(٧) سورة الفرقان: : الآية: ٢

(٨) سورة الأعلى: : الآية: ١ – ٣

(٩) الكيس ضد العجز.

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه: باب كل شيء بقدر، رقم الحديث ٢٦٥٥، ٢٠٤٥/٤.

والنصوص في ذلك كثيرة جداً وهي الدالة على علم الله وقدرته ومشيئته وخلقه تدل على قدره تبارك وتعالى، فالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله ومشيئته وخلقه، كما سيأتي بيانه، وذكر النصوص الواردة في ذلك.

والقدر يدل بوضعه كما يقول الراغب الأصفهاني فيما نقله عنه ابن حجر العسقلاني – رحمه الله-: «على القدرة وعلى المقدور الكائن بالعلم» (١) فلله تعالى القدرة المطلقة، وقدرته لا يعجزها شيء، ومن أسمائه – تبارك وتعالى – القادر والقدير والمقتدر، والقدرة صفة من صفاته. وقد سئل الإمام أحمد – رحمة الله تعالى – عن القدر: فقال: «القدر قدرة الله» (٢)

وقد تقاطر أهل العلم على تقرير القدر والنصِّ على وجوب الإيمان به، وما من عالم من علماء أهل السنة الذين هم أعلام الهدى وأنوار الدجى إلا وقد نصَّ على وجوب الإيمان به، وبدَّع وسفَّه من أنكره وردَّه.

يقول النووي –رحمه الله تعالى– في شرحه لأحاديث القدر من صحيح مسلم: «وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها» (٣).

وقال في موضع آخر: «تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى» (٤) ويقول ابن حجر –رحمه الله تعالى–: «مذهب السلف قاطبة أن الأمور كلَّها بتقدير الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٥) اهـ» (٦).

قال الإمام الحداد ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، الحمد لله ذي الجلال والإكرام، الملك القدوس السلام، المؤمن المهيمن العلام. الذي منَّ علينا بأن هدانا إلى الإيمان

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب القدر، ١١/٤٧٧.
(٢) ابن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٨/٣٠٨.
(٣) النووي: شرح صحيح الإمام مسلم للنووي، ١٦/ ١٩٥.
(٤) المرجع السابق: ٢/١٥٥.
(٥) سورة الحجر: الآية: ٢١
(٦) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب القدر، ١١/٤٧٨.

والإسلام، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس والأنام، وبيَّن لنا في كتابه العزيز المبين، على لسان رسوله الصادق الأمين، شرائعَ الدِّين من الحدود والأحكام، ومناهج الحلال والحرام، وميَّز لنا بين الحقِّ والباطل، والهدى والضلالة، والطاعات والآثام؛ فوضحت بذلك المحجة للسالكين المهتدين، وقامت به الحجة على التاركين المعتدين. وله سبحانه وتعالى النعمة السابغة، والحجة البالغة على جميع العالمين من كل خاص وعام. خلق الخلق لما يشاء، واستعملهم فيما يشاء رحمة وفضلاً، وحكمة وعدلاً، ونوَّعهم في ذلك وفي غيره من أحوالهم وأفعالهم وسيرهم، وصوَّرهم على أنواع، وقسمهم فيه على أقسام؛ ليدل بذلك على عظيم قدرته الباهرة، وعلمه المحيط، ومشيئته القاهرة، وشؤونه الباطنة والظاهرة. وليس في شيء من ذلك بجائر على عبيده ولا بظلام. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. خلق الجنة وخلق لها أهلا؛ فهم بعمل أهل الجنة يعملون، وخلق النار وخلق لها أهلا؛ فهم بعمل أهل النار يعملون، وهم في جميع ذلك لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً. وليسوا بذلك في حال تقصيرهم عن القيام بحقه، والامتثال لأمره، والوفاء بعهده، ولا في ارتكاب نهيه، والعمل بمعصيته يعذرون؛ مهما كانوا مختارين وغير مستكرهين ولا مقهورين ولا مجبورين، وقد هلك المتنطعون والمتعمقون، والمترخصون المحتجون على ربهم، الذين قال فيهم عز من قائل: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[1]. اهـ)) [2] وسُئل الإمام الحداد ﷺ: ما الفرق بين أمر القضاء والقدر، وأمر الشرع. فقال:((القضاء والقدر هو الشرع، فمن أمرك بالإيمان به؟ إلا الشرع، فاعرف الحق واعمل به، واترك الباطل ولا عليك، فإن المبتدعة ضَلَّلوا أهل السنة بالقضاء والقدر، قالوا لهم أما رضيتم حتى كذَّبتم ربكم، والإعراض عن مثل هذا أحسن، فإن الغلوّ في مثل ذلك ما يحصل منه إلا التضليل، وفساد الدين، أو كما قال)) [3].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٦

(٢) الحداد: الدعوة التامة، ص١٠ .

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٣٦/١.

ثانيا: الرضا بقضاء الله وقدره:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١) فقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ يعني: أن جميع المصائب التي تنزل بالنّاس من أول الخليقة إلى آخرها، فإن الله قدّرها، ليس هناك مصيبة تحدُث في العالم إلاَّ وقد قّدرها الله سبحانه وتعالى (إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) أي: بقضائه وقدره، قال: علقمة–رحمه الله– (٢) والمعنى قوله: هو الرجل تصيبه المصيبة، إما في نفسه وإما في ماله وإما في ولده وإما في أهله وإما في أقاربه، فلا يجزع، ولكن يعلم أنها من عند الله، يعلم أن الله قد قدّرها وقضاها، وما قضاه الله وقدّره فلابد أن يقع، فالمؤمن إذ علم هذا يرضى بقضاء الله، ولا يجزع ولا يسخط، ويسلِّم لله، وقد سمّى الله هذا التسليم وهذا الرضى إيماناً، فقال: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ) يعني: يرضى بقضاء الله ويسلِّم له، وهذا هو الشاهد: إن الله سمى الصبر على المصيبة والرضى بقضاء الله وقدره إيماناً. (يَهْدِ قَلْبَهُ) فثمرة الرضا بقضاء الله والصبر والاحتساب هداية قلبه، لأن الله يجعل في قلبه الإيمان والبصيرة والنور، وهذه ثمرة الصبر على قضاء الله وقدره. أما الذي يجزع فإن ذلك يسبِّب العكس، يسبِّب عمى قلبه، واضطراب نفسه، فهو يكون دائماً في اضطراب وقلق. أما المؤمن فهو مرتاح، من هذا كله(٣) وضابط محل الرضا يقرره هو كما قال الإمام الحداد ﷺ: ((والرضا بقضاء الله تعالى واجب عندنا ومحله: أن ترضى بأفعاله تعالى جملة، وأنها فضل وعدل ومن الرضا عندنا: سكون القلب عند ورود المصائب في الأنفس والأموال، وحصول الشدائد من المخاوف والفاقات. والرضا بالمعاصي معدود عندنا من كبائر الذنوب ا هـ)) (٤)

ويقرر قاعدة أن الرضا ينتفي عنه الاعتراض، قال الإمام الحداد ﷺ: ((الرضا بالقضاء ينتفي معه الاعتراض على الله ويبقى معه الطلب لِما ينبغي أن يطلب، والهرب مما منه يهرب)) (٥).

---

(١) سورة التغابن: الآية: ١١

(٢) علقمة النخعي التابعي من كبار التابعين، وأحد النخعيين الثلاثة الذين هم: علقمة والأسود وإبراهيم من تلاميذ ابن مسعود.

(٣) الفوزان: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ٢/ ٨١-٨٢.

(٤) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص١١٨ -١٢٠.

(٥) الحداد: الحكم للإمام الحداد، ص ١٠.

ويقرر الإمام الحداد لوازم من رضي بالله ربا وهي أربعة عشر لازما، قال الإمام الحداد ﵁: ((واعلموا معاشر الإخوان أنه من رضي بالله رباً: لزمه أن يرضى بتدبيره واختياره له، وبمرِّ قضائه، وأن يقنع بما قسمه له من الرزق، وأن يداوم على طاعته، ويحافظ على فرائضه، ويجتنب محارمه، ويكون صابراً عند بلائه، شاكراً لنعمائه، محبًّا للقائه، راضياً به وكيلاً ووليا وكفيلاً، مخلصاً له في عبادته، ومعتمداً عليه في غيبته وشهادته. لا يفزع في المهمات إلا إليه، ولا يعول في قضاء الحاجات إلا عليه سبحانه وتعالى)) (١). ويقرر الإمام الحداد حال الرضا وشرفه عند الله إذ يقول ﵁: ((وأما الرضا عن الله تعالى: فهو حال شريف عزيز، قال الله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾(٢)وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)) (٣) وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله بحكمته جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الضيق والحرج في الشك والسخط...)) (٤) الحديث والراضي عن الله: هو الراضي بقضائه، فمهما قضى عليه سبحانه بما يخالف هواه، وبما لا تشتهيه نفسه من مصيبة في نفس أو مال، أو بلية أو شدة أو فاقة، فعليه أن يرضى بذلك ويطيب نفساً، ولا يسخط بقضاء الله ولا يتبرم، فإن الله تعالى له أن يفعل في ملكه ما يشاء، وليس له في سلطانه منازع ولا معارض)) (٥)وقال الإمام الحداد ﵁: ((وقد جعل الله بمشيئته رضاه في طاعته، وسخطه في معصيته، ووعد من أطاعه دخول جنته برحمته، وأوعد من عصاه دخول ناره بعدله وحكمته، فقال تعالى:

﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ (٦) اهـ)) (١).

---

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص٤٦.

(٢) سورة البينة: الآية ٨

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء في الصبر على البلاء ٤ /٦٠١.

(٤) أخرجه البيهقي: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ١ /٣٨٢.

(٥) الحداد: النصائح الدينية، ص ٤٠٣.

(٦) سورة النساء: الآية ١٣ - ١٤

ويقرر الإمام الحداد أن من ثمرات المحبة الرضا بالقضاء وهو علامة المحب مع محبوبه، وعدم الاعتراض على أفعال الله تعالى، وقسم الإمام الحداد أفعال الله إلى قسمين ما وقع على وجه الإجمال، وهذا القسم لا يعترض عليه ويرى المسلم أنها وقعت على وجه لا أحكم منه ولا أعدل ولا أفضل منه، وقسم آخر وقع على وجه التفصيل وقسمه إلى قسمين ما يلائم الإنسان وما لا يلائمه، وفي كلتا الحالتين يلزمه الرضا ظاهرا وباطنا قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وعليك بالرضا بقضاء الله تعالى، فإن الرضا بالقضاء من أشرف ثمرات المحبة والمعرفة، ومن شأن المحب أن يرضى بفعل محبوبه حُلواً كان أو مُراً، وقد قال ﷺ عن الله: ((من لم يرضَ بقضائي ولم يصبرْ على بلائي فليلتمس رباً سواي)) [٢]وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)) [٣] فالواجب عليك أيها المؤمن أن تعلم وتعتقد أن الله تعالى هو الذي يهدي ويضل ويشقي ويسعد ويقرب ويبعد ويعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويضر وينفع، فإذا علمت ذلك وآمنت به فالواجب عليك أن لا تعترض على الله في شيء من أفعاله لا ظاهرا ولا باطناً، ولسان الاعتراض أن تقول لم كان هذا، ولأي شيء كان هذا، وهلا كان هذا كذا، وبأي ذنب استحق فلان ما جرى عليه فمن أُجهلُ ممن يعترض على الله في مُلكه وينازعه في سلطانه؟ وهو مع ذلك يعلم أنه تعالى هو المنفرد بالخلق والأمر والحكم والتدبير يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[٤] بل الواجب عليك أن تعتقد أن جميع أفعال الله تعالى وقعت على وجه لا أحكمَ منه ولا أعدلَ ولا أفضلَ منه ولا أكملَ وهذا حكم الرضا بأفعال الله تعالى على وجه الإجمال، وأما على وجه التفصيل، فإن الأمور التي تخصك على قسمين: منها ما يلائمك كالصحة والغنى وهذا القسم لا يتصور فيه سخط إلا من حيث نظرك إلى من فُضِلَ عليك في ذلك فالواجب عليك عنده أن ترضى بما قسم الله لك من حيث إن له سبحانه وتعالى أن يفعل في ملكه ما يشاء أو من حيث إنه تعالى قد اختار لك ما هو الأصلح لك

(١) الحداد: رسالة المذاكرة، ص١٨.

(٢) الحدادي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري، التيسير بشرح الجامع الصغير الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٢ /١٨٢.

(٣) سبق تخريجه: من (ص ١١٩) من هذه الرسالة .

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٣

والأنسب لحالك وهذا أكمل، ومنها مما لا يلائمك كالمصائب والأمراض والآفات فحرام عليك أن تتبرم بشيء من ذلك أو تجزع عنده، بل الأكمل لك أن ترضى وتسلّم فإن لم تستطع فلتصبر ولتحتسب، قال النبيﷺ: ((اعبد الله تعالى بالرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير)) (١) وليس من الرضا في شيء ما يجده بعض الأغبياء من الطمأنينة عند ترك بعض المأمورات وارتكاب بعض المحظورات، فإن فعل المعاصي وترك الطاعات مما يسخط الله تعالى فكيف يرضى هو بشيء لا يرضى الله به قال الله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٢) وإنما رضي هذا المسكين عن نفسه وظن أنه رضي عن ربه، والرضا عن الله وعن النفس يبعد أن يجتمعا في موطن واحد.

وما أحسن ما قاله الإمام الغزاليرضي الله عنه في رسالته إلى أبي الفتح الدمشقي -رحمه الله-: الرضا هو أن ترضى بما يفعل الله باطناً وتفعل ما يرضيه ظاهراً؛ فإن أراد العبد أن يعرف ما عنده من الرضا فلْيلتمسه عند نزول المصائب وورود الفاقات واشتداد الأمراض فسوف يجده هناك أو يفقده. وكثيراً ما تسمع من سَفلة أبناء الزمان حين يقال لهم ما لكم تتركون الطاعات وتفعلون المحرمات فيقولون هذا شيء قد قضاه الله علينا وقدَّره لنا ولا محيص لنا عنه وإنما نحن عبيد مقهورون فهذا هو مذهب الجبرية بعينه، ومنتحله قائل بلسان حاله إن لم يقل بلسان مقاله: لا فائدة في إرسال الرسل وإنزال الكتب، ويا عجباً كيف يصدر ممن يدعي الإيمان الاحتجاج لنفسه على ربه ولله الحجة البالغة على جميع خلقه، أم كيف يرضى المؤمن لنفسه أن يتشبه بالمشركين القائلين: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾(٣)

---

(١) أخرجه أبن الأثير في جامع الأصول: بلفظ (فإن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا) رقم الحديث ٩٣١٥، ٦/٦٨٥.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٨

أو لا يسمع ما ردَّ الله عليهم به إذا يقول لنبيه: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(١) ثم إنه لا يسع المشركين إذا رجعوا إلى الله إلا أن يحتجوا بهذه الحجة الداحضة عند الله بل يقولون: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴾(٢) ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾(٣). ا هـ)) (٤) و الإمام الحداد يصف أعلى درجات الرضاربالقضاء فيقول رضي الله عنه: ((الرضا بالقضاء هو أن ترضى بكل ما يجريه اللّه عليك باطناً وتلتزم جميع أحكامه ظاهراً، والرضا مع تضييعها غرور وفتنة)) (٥). ويرى الإمام الحداد أن التسليم والرضى فيه الأجر فقال رضي الله عنه:

أَلاَ يَاصَاحْ يَاصَاحْ لا تَجْزَعْ وَتَضجَرْ *** وَسَلِّمْ لِلْمـقَادِيرْ كَي تُحَمَدْ وَتُـوُجَرْ

وَكُنْ رَاضي بِـمَا قَدَّرَ المَوْلَى وَدَبَّرْ *** وَلاَ تَسْخَطْ قَضَا اللّهْ رَبِّ الْعَرِشْ الأكبر(٦)

والإمام الحداد يرى أن كل ما يحصل للعباد هو الأنفع والأصلح لهم قال رضي الله عنه: ((ما وقع من أفعال اللّه هو الأصلح على أي وجه كان، وفيه حِكَم لا يحيط بعلمها الخلق، لأنهم لم يحيطوا علماً بكل شيء، وإن كان يَظُن في الشيء أن الأصلح خلافه، فيقول: لأي شيء يكون الشوك، وإنما الفائدة في الثمر، وكذلك لا حاجة إلى نحو الحيات والعقارب، ففيها حكم ومنافع، لا يحيط بها الوهم،أقل الحال أن لا يبطر الخلق إذا كان كل شيء على ما أرادوا)) (٧)

قال الإمام الحداد:

قَلبِي اصبِرْ عَلَى المكْتُوبْ وَالاَّ تَـصَبَرْ *** وَارْضَ بِالحُكم مِنْ رَبِّك حَلا عَنْدكْ أَومَرْ

فإن رَبَّكْ بِك الْطَف مِنكْ وَاعَلمْ وأَخْبَرْ *** لا تُعَارضَ وَلاَ تَجـزَع وَلاَ قَطُّ تَضَـجَرْ

فَان مَنْ يَسْخَطُ المـقَدُورْ مَا قَطُّ يَظفَرْ *** وَالذَّي يَرْض بِالمكْتُوبْ يُفْـلِح وَيُـجَبرْ

وَاعْلمِ أنْ الـقَضا قَدكَانْ بِالخَـير وَالشَر *** قَدْ جَرَى بُهْ قَلم في اللوَحِ مِنْ قَبَل يَظهر

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٨
(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠٦
(٣) سورة السجدة: الآية ١٢
(٤) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٨٥-١٨٧.
(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٩٨.
(٦) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٧٧ .
(٧) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٣٢٦.

سَلِمِ ٱلأَمِرْ تَسَـــلم لِلْـمُهيمِنْ وَتـؤْجَرَ *** جَل ذُو العَرشِ مَـوْلاَنا ٱلكَـبَيِر ٱلْمُكَبَر
مَالكُ المِلُكِ وَحَدَهْ مَا لَحَـدِ فَيِهْ مِنَ ذَرْ *** كُـلَهُ ٱلأَمَـرَ لُه دَبَّرْ وَقَـدَّر وَسَخَّرْ
فَاحِمَدَوهُ اشْكُروه فِي حَالَي النَـفْعِ وَالضُّرْ *** وَاذْكُروهُ اسْـأَلُوه لاَ تَسـأَلوُا غَيَرُهْ البَّرْ[1]

وهنا مقال لبعض الصوفية وهو أن يرضى العبد بما أقامه اللَّه فيه من الأشياء، ولا يطلب الخروج من ذلك، لأن اختيار اللَّه لعبده أحسن من اختياره لنفسه وهذا المقال فيه غموض وربما يحتج به العاصي وقد شرح الإمام الحداد هذا المقال وفك الإشكال الذي فيه، وبين كيف يرضى العبد بما أقامه الله فيه ووضع ثلاثة شروط لذلك حيث قال الإمام الحداد ﷺ: «إنه يقع كثيراً في كلام أهل التصوف: أنه ينبغي للعبد أن يرضى بما أقامه اللَّه فيه من الأشياء ولا يطلب الخروج من ذلك، لأن اختيار اللَّه لعبده أحسن من اختياره لنفسه، ولكن قد يلتبس الأمر على بعض المغترين من الجاهلين، فمن الظلمة الغشَمة من يحتج بإقامة اللَّه تعالى له فيما هو فيه، ومن المخلطين الذين يعملون الربا، ويأخذون المال من غير حِلِّه، ووضعه في غير حَقِّه، من يحتج بمثل ذلك، وذلك بهتان عظيم وضلال مبين، وإنما تكون إقامة اللَّه للعبد إذا كان فيما يحبه من الأمور والأحوال، ويكون عاملاً بطاعة اللَّه، وطالباً وراغباً في الترقي إلى ما هو فوق حاله ومقامه»[2] وقال الإمام الحداد ﷺ: «واعلم أنه يقع كثيرا في كلام أهل التصوف، أنه ينبغي للعبد أن يرضى بما أقامه الله تعالى فيه من الأشياء، ولا يطلب الخروج من ذلك بحكم ميل الطبع واتباع هوى النفس، وذلك لأن اختيار الله تعالى لعبده أحسن وأتم من اختيار العبد لنفسه، وتدبيره سبحانه للعبد أجمل وأكمل من تدبيره لنفسه، لأنه سبحانه أعلم وأحكم، وألطف وأرحم، ولكن قد يلتبس الأمر على بعض المغترين من الجاهلين والغافلين، فيظنون أن إقامة الله لهم فيما هم فيه هو أمر مطلق غير مقيد، وأمر عام غير مخصص، حتى إنا قد نسمع على ألسنة بعضهم من الكلمات الشنيعة، والاحتجاجات الداحضة ما لا أصل له ولا حجة فيه، ولا بينة به، فمن الولاة الظلمة الغشمة من يحتج بإقامة الله تعالى له فيما هو عليه من الظلم للعباد والفساد في البلاد، ومن الأغنياء وأبناء الدنيا المتخبطين المخلطين في أخذ الأموال من غير حلها، ووضعها في غير حقها، من يحتج

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٨٦.
(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٢٧/١.

بمثل ذلك من إقامة الله سبحانه وتعالى له فيما هو فيه، وذلك بهتان عظيم وضلال مبين. وبيانه أن إقامة الله للعبد لا تكون إلا فيما يحبه الله ويرضاه من الأمور والأحوال، هذا هو الشرط الأول.

(والثاني) أن يكون فيما هو فيه عاملا بطاعة الله تعالى، وسالكا سبيل مرضاة الله تعالى

(والثالث) أن يكون طالبا وراغبا في الترقي إلى ما هو فوق حاله ومقامه من الأحوال والمقامات المرضية ما وجد إلى ذلك سبيلا وطريقا، لا يمنعه من ذلك إلا العجز عنه، وعدم التمكن منه، ليس مجرد الكسل والتسويف، والميل إلى راحات النفوس، وشهوات الطباع. فتأمل هذه الجملة وأمعن النظر فيها، فإنها مهمة جدا والسلام اهـ» [١]

والإمام الحداد يبطل قاعدة الاحتجاج بالقدر ويضرب لنا الأمثلة حتى يفهم الإنسان معنى الاختيار قال الإمام الحداد ﷺ في القضاء والقدر: «هذه الأشياء هي أفعال العباد، فيؤمِن بأنها من اللَّه، ولا يحتج على اللَّه بالقضاء والقدر، بل يجتهد ويختار الأحسن حتى يُغلب، وقد عَلَّمك اللَّه القضاء والقدر فخذ به، لأن اختيارك من فِعْل اللَّه فماذا تحتج به، كما إذا حضر الطعام عندك وأنت جائع أو قَصَدك عدو من سبُع وغيره ومعك سلاح وأنت قادر فتترك ذلك فلا تأكل ولا تقاتل، وتقول: إن قدر اللَّه شيئاً هو يكون، فهو قَدّر لك بأن أعطاك الاختيار والقدرة، وفَصَّل لك أنواع الخير والشر، وبيّن الأحسن والأسوأ، فاجتهد أنت وتَحَرَّ ما يحسن، ولا تجلس وتعتذر، ومعك خصلتان يعتل بهما الناس، وما عرفوهما، لأنهم أخذوهما بجهل، جاهل عن جاهل، ولا يعلمونهما: القضاء والقدر، والتوبة، فيحتج بالقضاء والقدر، مع التقصير في حقوق اللَّه، والاحتجاج بهما مع المعصية معصية أكبر من تلك المعصية، وفي التوبة ربما تاب من بعض الذنوب فَنَقضها. وما جاء في طلب الرضا بالمقدور هو يعني في أمور الدنيا من فقر أو غنى، أو ربح في تجارة أو خسران، أو مرض أو صحة أو موت وأمثال ذلك، لا بأن ترضى بترك واجب أو فعل محرم، لأن اللَّه لا يرضى لعباده الكفر وكذلك فروعه، فمن قال لك ترضى لنفسك بالمعصية، ولم يرضها لك ربك...» [٢]

---

(١) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص ٥٣.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٢٦.

ويضع الإمام الحداد معيارا للإنسان إذا أراد أن يختبر نفسه هل عندها رضا بقضاء الله أم لا، فليختبرها في المصائب ويرى ردة فعلها عند الصدمة الأولى، فإن صبر واحتسب نال الثواب وإن جزع وتضجر خسر الثواب، قال الإمام الحداد ﷺ: ((ما الرضا إلا بالأقضية المرّة، وأما من وقع له ما يريده فرضي به، فلا يظن أنه رضي بذلك عن اللَّه، وكذلك من يعمل على ما يهواه، ويقول هذا مقدّر علي، فإن هذا مبتدع، واللازم عليك أن تُسَلِّمَ لقضاء اللَّه فيما كرهت، وتعملَ بطاعته، وشكا إليه رضي اللَّه عنه رجل ضيق الحال، فقال: ما عاد معك اليوم إلا الرضى والتسليم، لكن بشرط موافقة الأمر، فإذا وافق الأمر الرضى بالقضاء والقدر، تَمَّ أمره)) [(١)].

المصائب قسمان عند الإمام الحداد:

والمصائب التي تنزل بالإنسان قسمها الإمام الحداد إلى قسمين مصائب دنيوية من موت ومرض، ومصائب دينية من معاصٍ وغيرها وبين كيف يتعامل الإنسان مع ما ينزل به، كما بين معنى ما أصابك من سيئة فمن نفسك قال الإمام الحداد ﷺ:((وأما المصائب التي يؤجر عليها العبد فهي ما يصيبه في نفسه وماله وأقاربه من مرض وفاقة وموت ونقص، مهما صبر واحتسب. وأما مصائب الدين فأكثرها معاصي يعاقب الإنسان عليها ويمقت لأنها إنما تقع في الغالب بمقصد العبد واختياره، ولو وقعت منه مصائب الدنيا بالقصد والاختيار لعوقب عليها. مثال ذلك: لو جرح نفسه أو ولده باختياره أو أتلف ماله كان على ذلك معاقباً ومأزوراً، وأما اسم المصيبة فقد يعم الدنيوية منها والدينية، لكن موضع الأجر منها ما وقع من الدنيويات بغير اختيار من العبد وصبر لله واحتسب، وأما قول الله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [(٢)]وقد ذكرت ذلك في سؤالك تستدل به، فقد ذكر الله ذلك حكاية عن أقوام لم يرض قولهم، وذكر أهل التفسير أن المراد بالحسنة ها هنا: مثل الخصب والنصر والسيئة ضد ذلك من الجدب والهزيمة، ومثله قوله تعالى:

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد ، ٣٢٩/١.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٩

﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ [(١)] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى. وأما قوله عز وجل: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[(٢)] فإن للعلماء عن ذلك أجوبة من أحسنها قول بعضهم: إن بين الآيتين محذوفاً تقديره (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) يقولون: (ما أصابك من حسنة فمن الله) الآية، والحذف والإضمار في القرآن معروف)) [(٣)] والإمام الحداد تكلم كلاما عجيبا عن المصائب وكيف يتعامل الإنسان معها إذا نزلت به، ولا يتمن نزولها بحجة أنه سيصبر، كما يقرر التذكير عند الشدائد والبلايا والمصائب، وهو احتجاج على النفس وليس احتجاجاً لها وهذه مواقف وكلمات الإمام الحداد في المصائب.

ذُكِر عند الإمام الحداد رضي الله عنه رجل مات له ابن، فتعب عليه كثيراً، فقال نفع اللَّه به:

((لا بد للإنسان من الصبر، وإن لم يصبر رجع إلى التسلية، فإن الإنسان يتسلى كما تتسلى البهائم، فقد مات آباء الإنسان والأعِزة عليه، والناس مع الموت إلا مثل القافلة، هذا قد حط، وهذا يسير، وهذا يُحَمِّل، ومن مات ما عاد عُرِف له خبر، وغفل الناس عنه، كأن لم يكن، فإن الناس في دعوة الملائكة، فإنه ورد: ((إذا وضع الميت في قبره قالت الملائكة لمن حضر: إرجعوا إلى دنياكم، أنساكم اللَّه موتاكم)) [(٤)]، والمصائب أول ما تبدو عظيمة ثم لم تزل تضمحل، حتى تفنى كلها، وهذه الدنيا كثيرة البلايا والمصائب، ولهذا زهد الصالحون فيها. وكلم الإمام الحداد رجلاً ذهب بصره، رأى عليه أثر الجزع، فصبّره وذكر له قصة عروة بن الزبير رضي الله عنه، ثم قال: ((إن اللَّه يعطي عبده الكثير، وقد يأخذ منه القليل، ليدخره له عنده، وتفكرْ في نعم اللَّه الماضية عندك والموجودة، وذُكِر أن ابن عباس لما ذهب بصره أنشد

---

(١) سورة التوبة: الآية ٥٠

(٢) سورة النساء: الآية ٧٩

(٣) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص ١٦٥-١٦٧.

(٤) السيوطي: ولفظه إن مشيعي الجنازة قد وكل الله بهم ملكا فهم مهتمون محزونون حتى إذا أسلموه في ذلك القبر ورجعوا راجعين أخذ كفا من تراب فرمى به وهو يقول إرجعوا إلى دنياكم أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون في شرائهم وبيعهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم، السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تحقيق: عبد المجيد حلبي، ، الناشر: دار المعرفة — لبنان، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ١٠٨/١.

ففي لسـاني وقلبي للَّــهدى نور *** إن يُذْهِبِ اللَّه من عيـنيّ نورهما
وفي فمي صارم كالسيف مـأثور *** عقل زكي وقول غير ذي خطل[١]. ا هـ)) [٢]

وقال الإمام الحدادﷺ: ((لا تقل وأنت في عافية: لو ابتليتُ صبرتُ، فإن الغالب إن من يدعي الصبر مع اللَّه يُبتلَى، ولكن اسأل اللَّه تعالى العافية، فإذا ابتليتَ فاصبر، ولا تغتر في نفسك بأحوال أقوام بلغ بهم البلاء كل مبلغ، فصبروا، فلعلك لو ابتليتَ لم تصبر، فكم من قائل: لو ابتلاني اللَّه لصبرتُ، فلما حل به البلاء لم يصبر، فتراه إذا تحرك له ضرس، أو ضَرَب عليه عرق، بات سهراناً، وأما أولئك الذين صبروا، فإنهم انكشفت لهم الآخرة فشاهدوها، فلم يبالوا بالبلاء، ودانوا أنفسهم فلم يعبأوا بالرفاهية واستوت هي والشدة عندهم)) [٣].

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((وأما ذكر القضاء والقدر والتذكير به عند الشدائد والبلايا والمصائب فلا بأس به، وهو احتجاج على النفس وليس احتجاجاً لها، لأن العبد المبتلى والمصاب إذا علم أن المبتلي له هو ربُّه الرحيم به، وأنه بذلك البلاء سبق عليه الكتاب من الله تعالى تحقَّق وأيقَنَ أن ضمن ذلك له صلاح وخير كثير، فيحمله العلم بذلك على الرِّضا والتسليم لله الحكيم العليم. فقد وضح وتبيَّن لك أن الاحتجاج بالقدر عند الأمر والنهي محظور ومذموم، فاحذره، وعند البلاء والمصائب نافع، ولكن لمن يعقل عن الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [٤]وإن تذكر العبد عند المصائب والبلايا ما وعد الله عليها من الدرجات والحسنات، والكفارات للسيئات، فذلك حسن، وهو أنفع لعامة المسلمين وأقرب إلى أفهامهم، لأن النظر إلى العلم الأزلي والقضاء والقدر السابق يفتقر إلى فطنة وبصيرة يخلو عنها كثير من الناس، بخلاف الوعد الأخروي فإن كل أحد يفهمه، وكذلك الوعيد. ومن

---

(١) الحدادي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٤٨٨.
(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٩٦/١.
(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد ٢٧٦/١.
(٤) سورة الحديد: الآية ٢٢-٢٣

أجل ذلك كان التذكير بالوعد والوعيد عام المنفعة عند البلايا، وعند الطاعات، وعند المعاصي وغير ذلك ولهذا ترى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مشحونين بذكر الوعد والوعيد، والوعظ والتذكير بهما، فافهم هذه الجملة وتأملها ترشد وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ا هـ)) [(١)]

ثالثا: الدعاء والإلحاح لا يقدح في الرضا:

الدعاء عبادة تعبد الله بها عباده، والأنبياء جميعا عليهم السلام دعوا الله وسألوه، ورسولنا ﷺ سأل الله الرضا بالقضاء، وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام:

((اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين)) [(٢)]

وقال الغزالي –رحمه الله–: ((إن الله تعبد العباد بالدعاء؛ ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع، ويكون ذلك جلاء للقلب وسببا لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلباً لإزالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به)) [(٣)] وعن عائشة، رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

((إن الله عز وجل يحب الملحين في الدعاء)) [(٤)]، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم بدر للنبي ﷺ ((حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك)) [(١)] وهذا الإلحاح بما فيه رضاه والقرب منه

---

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص ٨٦–٨٧.

(٢) أخرجه النسائي في سننه: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي، السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، رقم الحديث ١٣٠٥، ٣/٥٤.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤/٣٥٤.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: رقم الحديث ١٠٧٣، ٢/٣٦٤.

لا يقدح في مقام الرضا لأنه عبودية حقة لله.

قال الإمام الحداد ﷺ: ((واعلم أن الدعاء والإلحاح فيه لا يقدح في الرضا بل هو من الرضا والدعاء معرب عن التحقق بالتوحيد وهو لسان العبودية وعنوان التحقق بالعجز والاضطرار والذل والافتقار، ومن تحقق بهذه الأوصاف عرف ووصل، وعلى غاية القرب من الله حصل، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: ((إن الدعاء مخ العبادة)) [٢] وسلاح المؤمن ونور السماوات والأرض وأن من لا يسأل الله يغضب عليهم. وقال مولانا جلت قدرته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [٣] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٤]وما وقع من الخليل عليه السلام من الإمساك عن الدعاء حين طرح في النار إنما ذلك لسرٍّ يختص بتلك الحال وإلا فقد حكى الله عنه الدعاء في مواضع عديدة من كتابه بل لم يحك عن أحد من الأنبياء أكثر مما حكاه عنه، فتفقه في كتاب الله واستخرج العلوم منه فإنها بجملتها مودعة فيه لا يشذ منها دقيق ولا جليل ولا جلي ولا خفي، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [٥]﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٦] اهـ)) [٧].

كما وضح الإمام الحداد الغموض في معنى الدعا للشاذلي فقال ﷺ :((في معنى نسألك اللطف فيما تجري به المقادير، معناه: أن المقدور لا راد له، ولكن يسأل اللطف في ذلك، كما قال أبو الحسن الشاذلي[٨]: لا نسألك دفع ما تريد، ولكن نسألك التأييد بروح منك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب ما قيل في درع النبي ﷺ، والقميص في الحرب، رقم الحديث ٢٩١٥، ٤١/٤.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، رقم الحديث ٣٣٧١، ٤٥٦/٥.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٠

(٤) سورة غافر: الآية ٦٠

(٥) سورة الأنعام: الآية ٣٨

(٦) سورة النحل: الآية ٨٩

(٧) الحداد: النصائح الدينية، ص ١٨٧-١٨٨.

(٨) أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد، الصوفي إليه تنتسب الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية، ولد ٥٧١هـ بقبيلة الأخماس الغمارية، تفقه وتصوف في تونس، وسكن مدينة شاذلة التونسية ونسب إليها، وتوفي الشاذلي بوادي حميثرة بصحراء عيذاب متوجها إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة ٦٥٦هـ.ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٢٣/٢٣.

فيما تريد، وأما نسألك الرضا بعد القضاء، فذلك عند الحاجة إلى الرضا، وأما قبله فإنه عازم عليه، وما يدريك عند حصوله، وأما برد العيش بعد الموت فذاك شيء آخر، وقبل الموت يرغبه في الدنيا، فمن سأله اللَّه كرهه اللَّه منه، كما يبغض الدنيا، ودعا النبي صلَّى الله عليه و آله وسلَّم لذاك الرجل الذي يكرهه: بكثرة المال والأهل، وكذا دعا بذلك لأنس بن مالك، فما الفرق بينهما؟ ، إن هذا دعاءٌ مع المحبة بسؤال امرأة صالحة فصار نافعاً، وذاك بخلافه فصار ضاراً)) [(١)].

واما احسن ماقاله الإمام الحداد في طلب اللطف والرضى بالقضاء فقال رضي الله عنه:

وقد رضينا قضاءَ اللهِ كَيفَ قَضَى *** واللُّطفُ نَرجُو وحُسْنُ الصَّبرِ إرشَادُ[(٢)]

ويكشف الإمام الحداد عن الاسرار والحكم الخفية في الدعاء فيقول رضي الله عنه: ((الدعاء مطلوب، لأن فيه إظهار الافتقار من العبد لسيده، وهناك أصناف من المخلوقات، لا يعلمون الغيب، ولا تظهر لهم أحوال الناس إلا بدعائهم، من ملائكة وشياطين، لأن الملائكة يحبون من الناس العبادة والدعاء وإظهارهم افتقارهم إلى ربهم، فيفرحون لهم بذلك، والشياطين يكرهون ذلك منهم، ويثبطونهم عنه، ويفرحون لهم بتركه، فيحصل بظهور الافتقار بالدعاء سرور الملائكة، وإرغام الشياطين، ولا يزال الإنسان مشبوحاً بين هذين الصنفين، الشياطين يجرونه من أسفل بالمعاصي، والملائكة يجرونه من أعلى بالطاعات، فإن غلبت الملائكة جرته من أيدي الشياطين من أسفل سافلين إلى أعلى عليين، وإن غلبت الشياطين، اجتذبته من أيدي الملائكة من عليين إلى أسفل سافلين، والعياذ باللَّه تعالى)) [(٣)].

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد ٣٣٢/١.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٩٢.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١١٠/١.

المطلب الثاني: منهج الإمام الحداد في أفعال العباد والمشيئة:

أولا: مذهب الإمام الحداد في أفعال العباد:

لا يخرج العباد وأفعالهم عن غيرها من المخلوقات، فقد علم الله ما سيخلقه من عباده، وعلم ما هم فاعلون، وكتب كل ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء، ومضى قدر الله فيهم، فعملوا على النحو الذي شاءه فيهم، وهدى مَن كتب الله له السعادة، وأضل مَن كتب عليه الشقاوة، وعلم أهلَ الجنة ويسرهم لعمل أهلها، وعلم أهلَ النار ويسرهم لعمل أهلها. والنصوص التي في الدلالة على هذا كثيرة وهي أصرح في الدلالة في هذه المسألة.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾ (٢) وقال: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٣) وقال: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥) وجاءت أحاديث كثيرة تواتر معناها على أن رب العباد علم ما العباد عاملون، وقدّر ذلك وقضاه وفرغ منه، وعلم ما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاء، وأخبرت مع ذلك كله أن القدر لا يمنع من العمل (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)

والأحاديث الدالة على أن أعمال العباد جفَّت بها الأقلام وجرت بها المقادير كثيرة منها: روى مسلم في صحيحه عن جابر ﷺ قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم ﷺ قال: يا رسول الله، بيّن لنا ديننا كأنّا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جَفَّت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال: لا، بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت بها المقادير قال: ففيم العمل؟ فقال: اعملوا فكلٌّ ميسر وفي رواية: كل عامل ميسَّر لعمله» (٦)

---

(١) سورة الصافات: الآية: ٩٦

(٢) سورة القمر: الآية: ٥٢

(٣) سورة فاطر: الآية: ١١

(٤) سورة الأعراف: الآية: ١٧٨

(٥) سورة النحل: الآية: ١٢٥

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم الحديث ٢٦٤٨، ٤/٢٠٤٠.

وروى مسلم في صحيحه عن علي ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد[١] فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مِخْصَرةٌ [٢]، فنكّس فجعل ينكث بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، وإلا قد كتبت شقيّه أو سعيدة. قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. فقال اعملوا فكل ميسر، أمّا أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأمّا أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [٣]) [٤]، وبين الرسول ﷺ في حديث آخر أنَّ الله – عز وجل – خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جفَّ القلم على علم الله. [٥]

ومن السنة حديث حذيفة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((الله يصنع كل صانع وصنعته)) [٦]

وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس ﷺ: ((الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد)) [٧] وقال اللالكائي –رحمه الله–: ((إن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عزَّ وجلَّ طاعتها ومعاصيها)) [٨]وسئل الإمام الحداد ما قولكم في أفعال العباد؟

فأجاب ﷺ، ونفع به الإسلام: ((اعلم وفقك الله تعالى أن مذهبنا والذي نعتقده وندين الله تعالى به، أن لا يكون كائن من خير وشر ونفع وضر، إلا بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته

---

(١) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٢) المخصرة: عصا صغيرة.

(٣)سورة الليل: الآية: ٥ – ١٠

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم الحديث ٢٦٤٧، ٤/ ٢٠٣٩.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: وقال حديث حسن، رقم الحديث ٢٦٤٨، ٢٦/٥.

(٦) أخرجه البزار في مسنده: رقم الحديث ٢٨٣٧، ٧/ ٢٥٨.

(٧) ابن القيم: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون ط، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م، ص ٦٥.

(٨) الخميس: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، ص ٥٣١.

ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وعندنا لذلك من النصوص السمعية الواضحة في الكتاب والسنة ومن البراهين العقلية المسلمة عند كل ذي بصيرة ما يجل عنه وكتب أئمتنا التي ألفوها في علم أصول الدين طافحة بذلك وهي في أيديكم» [١]

كما جعل الإمام الحدادمن صميم عقيدته الجامعة قوله: «وأنه تعالى مريد للكائنات، مدبِّر للحادثات؛ وأنه لا يكون كائن من خير أو شرٍّ، أو نفع أو ضُرٍّ، إلا بقضائه ومشيئته، فما شاءَ كان، وما لم يشأْ لم يكن؛ ولو اجتمع الخلق كلُّهم على أن يُحَرِّكوا في الوجود ذرةً، أو يُسَكِّنُوها دون إرادته لعجزوا عنه» [٢] وللإمام الحداد هذا البيت الجامع لقدرة المكون:

وَلاَ كَائِنٌ قَدْ كَانَ أَوْ هَوَ كَائِنٌ *** سِوَى بِمُرَادِ اللهَ مِنْ غَيْرِ حَاصِرِ[٣]

ولكي يثبت الإمام الحداد هذه العقيدة جاء في أذكار المساء التي رتبها هذا الذكر

بسم الله والحمد لله. . والخير والشرُّ بمشيئة الله[٤]

وبين الإمام الحداد أن للطاعة والمعصية مظهر وتنزل، رغم أنها كلها من عند الله فقال ﷺ: «الأشياء كلها صادرة من حضرة الإرادة، إرادة اللَّه تعالى، ولكن الطاعة مظهر نور وخير وتَنَزُّل إلى حضرة الملائكة، إلى حضرة المؤمنين، والمعصية مظهر نار وظلمة وتَنَزُّل إلى حضرة الشياطين، إلى حضرة الفاسقين، ولا عذر مع الاختيار في تجاوز الأحسن إلى ضده» [٥]

ثانيا: أراء الإمام الحداد في القدرية والجبرية:

وقد ضل في القدر طائفتان: إحداهما: الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع: أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى:

---

(١) الحداد: النفائس العلوية، ص ١١٨.

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص ٤١٦.

(٣) الحداد، ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٦٩.

(٤) الحداد: راتب الإمام الحداد .

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٤٣/١.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [(١)] وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [(٢)] الآية. وقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [(٣)]

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه. والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [(٤)] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [(٥)] وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

قال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله-: «وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خلقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره» [(٦)].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٥٢

(٢) سورة الكهف: الآية: ٢٩

(٣) سورة فصلت: الآية: ٤٦

(٤) سورة البقرة: الآية: ٢٥٣

(٥) سورة السجدة: الآية: ١٣

(٦) الخميس: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، ص ٥٣٤.

ويبين الإمام الحداد مذهبه وأنه مذهب أهل السنة والجماعة فيقول ﷺ: ((ومذهبنا برزخ بين مذهبين: أحدهما مذهب الجبرية القائلين أن العباد مجبورون على ما يأتون ويذرون مقهورون مضطرون في كل حال، تضاهي أفعالهم أفعال الناسي والمكره بل أفعال المجنون والنائم، وهذا المذهب يعرف بطلانه ببديهة العقل، لو لم يدل دليل على كونه باطلاً.

والثاني: مذهب المعتزلة القائلين أن أفعال العباد الاختيارية، خلق لهم؛ وأنهم إن شاءوا فعلوا وإن شاءوا تركوا.

وأما هيئة الكسب الذي نقول به فهو شيء يعرفه الإنسان من نفسه، إذ لا يعزب عن عاقل الفرق بين أفعاله الاضطرارية والاختيارية، وأنه في الاضطرارية منها مجبور، وفي الاختيارية غير مستقل، والذي ذكرناه من مذهبنا أولا يجب عندنا اعتقاده والإيمان به، ولا يصح الإيمان بدونه، وهو أن كل شيء أي شيء كان لا يكون إلا بقضاء الله تعالى ومشيئته سبحانه.

ومع ذلك فنحن نحب المطيع ونثني عليه ونحثه على التشمير في الطاعة، ونحذره الوقوع في المعصية، ونقول: بإثابة الله تعالى له ونبغض العاصي وننهاه عن المعصية، وندعوه إلى الطاعة ونقول: بمعاقبة الله تعالى له ونقيم الحدود ونرفع المظالم إلى الولاة. ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونعد قول العاصي منا إذا قال عندما يقال له: لم عصيت؟ قال هذا بقضاء الله وقدره، من أعظم الذنوب)) [1]

والإمام الحداد يرجح افضل الشرين ويعلل ذلك بقوله ﷺ: ((مذهب القدرية خير من مذهب الجبرية، وإن كانا باطلين، لأن الأولين إنما نسبوا لأنفسهم قدرة، وأما الآخرين فإنهم عطلوا الأحكام الشرعية، وهذا هو الزندقة بعينها، ومذهب الجبرية هو الغالب الجاري على ألسن العامة وأفعالهم، فهم زنادقة إلا أنهم ما علموا بذلك، لكونهم لا يعرفون العلم، أليس أحدهم يأكل باختياره، ويفعل باختياره، وهو بقضاء اللّه وقدره، ولكنه في ذلك مختار، وما جعل اللّه سبحانه وتعالى للإنسان اختياراً، إلا ليختار ما اختاره اللّه، والأسباب من اللّه تعالى، وهو الفاعل في الفعل، فليفعل من الأمور الشرعية المطلوب، وينتهي عن المنهيات في كل ما له اختيار فيه، وإذا ذهب عنه الاختيار حصل له العذر حينئذ، فما الفرق في رجلين، أحدهما سقط في بئر مع غفلته عن ذلك ومات، حتى إنه يُصلّى عليه ويجهز ويُدعى له، ويقال هو

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص١١٩.

شهيد، وحاله ممدوح، ثم إذا سمع آخر بمدح ذلك رمى بنفسه في البئر، هل يكون مثله في المدح؟ ، لا، بل يكون مذموم الحال، مستوجباً للعقاب؛ ولو عطل الناس الأحكام واعتلوا بالقضاء والقدر لبقُوا مثل الحمير والبهائم)) (١).

وقال الإمام الحداد ﷺ بعدما انجر الكلام إلى ذكر القَدَرية والجَبْرية، فذكر:((إن بعض الصالحين جاءه قَدَري، ليحاجه فقام القَدَري وقعد، فقال: ها أنا قمت بنفسي وقعدت، فقال له الصالح: فقم إذاً، فرام القيام فلم يستطع، فانقطعت حجته، وأما الجبرية المحتجون على اللَّه، فإذا قام أحدهم للمعصية مختاراً، وقال: إنما أقامني اللَّه لها، فنقول له: تكذب على اللَّه، إن اللَّه نهاك عنها، ولا نراك مكرهاً عليها، ومن قال لك افعلها، ولكن اللَّه تركك من حفظه، فأخذ بيدك الشيطان فَجَرَّك إليها)) (٢).

وفي قوله تعالى ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (٣)قال الإمام القرطبي-رحمه الله- ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (٤) قاصمة للقدرية وغيرهم. قال ابن جريج المعنى. لا يسأله الخلق عن قضائه في خلقه وهو يسأل الخلق عن عملهم، لأنهم عبيد، وقيل: لا يؤاخذ على أفعاله وهم يؤاخذون؛ وروي عن علي ﷺ أن رجلا قال له يا أمير المؤمنين: أيحب ربنا أن يعصى؟ قال: أفيعصى ربنا قهرا؟ قال: أرأيت إن منعني الهدى ومنحني الردى أأحسن إلي أم أساء؟ قال: إن منعك حقك فقد أساء، وإن منعك فضله فهو يؤتيه من يشاء. ثم تلا الآية: لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون؛ وعن ابن عباس ﷺ قال: لما بعث الله عز وجل موسى وكلمه، وأنزل عليه التوراة، قال: اللهم إنك رب عظيم، لو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت ألا تعصى ما عصيت، وأنت تحب أن تطاع وأنت في ذلك تعصى فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله إليه: إني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون(٥).

وقد ذكر الإمام الحداد حديث ابن عباس ﷺكما رواه الإمام السيوطي -رحمه اللَّه تعالى- في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عند قوله تعالى: (لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ) عن ابن عباس

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٤١.

(٢) المرجع السابق: ١/٣٢٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٣

(٤) سورة الأنبياء: الآية: ٢٣

(٥) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١١/٢٧٩.

رضي اللَّه عنهما قال: ((لما بعث اللَّه موسى عليه السلام، وأنزل عليه التوراة، قال: اللَّهم إنك رب عظيم، ولو شئت أن تطاع لأُطعت، ولو شئت أن لا تُعصى ما عُصيت، وأنت تحب أن تطاع، وأنت في ذلك تُعصى، فكيف هذا يارب، فأوحى اللَّه إليه إني لا أُسأل عما أَفعل، ثم سأل عُزَيْر مثل ذلك، فأجابه إني لا أُسأل عما أَفعل، فأبت نفسه حتى سأل أيضاً فأوحى اللَّه إليه إني لا أُسأل عما أَفعل، فأبت نفسه حتى سأل أيضاً، فقال: أتستطيع أن تصُرَّ صُرَّةً من الشمس، قال: لا أستطيع، قال: أفتستطيع أن تجيء بمكيال من الريح، قال: لا، قال أفتستطيع أن تجيء بمثقال من نور، قال: لا، قال: بقيراط، قال: لا، قال فهكذا لا تقدر على الذي سألت عنه، إني لا أُسأل عما أفعل أما إني لا أجعل عقوبتك، إلا أن أمحو اسمك من ديوان الأنبياء، فلا تذكر فيهم، فمحا اسمَه من الأنبياء، فلم يذكر فيهم، وهو نبي، فلما بعث اللَّه عيسى، ورأى منزلته من ربه، وعَلَّمَه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، ويبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، سأل ربه عن ذلك فقال: اللَّهم إنك رب عظيم، إلى آخر ما تقدم من سؤال موسى، فأوحى اللَّه إليه، إني لا أُسأل عما أفعل، وأنت عبدي ورسولي، وكلمتي ألقيتك إلى مريم، وروح مني، خلقتك من تراب، ثم قلت لك كن فكنت، لئن لم تنته لأفعلن بك كما فعلت بصاحبك بين يديك، إني لا أُسأل عما أفعل، فجمع عيسى عليه السلام من تبعه وخطبهم خطبة بليغة، فقال: القدر سر اللَّه فلا تَكَلَّفوه [١] انتهى)) [٢].

وذكر الإمام الحداد رضي الله عنه التفريط في الأمور، فقال: ((الحزم لا يَرُد القدر فكيف التضييع، وأنت ابق على المطلوب منك، حتى يغلبك القدر وأما إنك ترمي بنفسك في البئر، وتقول: مقدر عليَّ، استغفر اللَّه، هذا لا يجوز)) [٣].

ويوضح الإمام الحداد العلة الخفية التي تبيض وتسود الوجوه يوم القيامة فيقول رضي الله عنه: ((في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [٤] الآية، لم يقل نبيض وجوهاً ونسود وجوهاً، لأنه أحال ذلك إلى أعمالهم، لأن أعمالهم هي التي بيَّضتها وسوَّدتها، واللَّه سبحانه بعدما أعلمهم أنه خالق للخير والشر، أحالهم على أعمالهم،

---

(١) السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٦٢٢/٥.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٣٧/١-١٣٨.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٢٢/١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٦

ولو شاء لخلقهم بيضاً وأدخلهم الجنة، أو خلقهم سوداً وأدخلهم النار، والإيمان بالقضاء والقدر واجب، والاحتجاج به بدعة، وكان أصحاب بعض من المشايخ يتعاطى أموراً مُحَرَّمة فنهاه شيخه عنها مراراً، وهو يقول مكتوب عليَّ، فلما رآه مصراً على ذلك، ويحتج بهذا الكلام استعد له يوماً بجملة أو قال بحزمة من جريد النخل، فلما رآه فعل المنهيَّ أَمَر به، فبُطِحَ، فأمر بضربه بتلك الجرائد حتى كُسِّرت على ظهره، فصاح بالشيخ، فقال له الشيخ هذا مكتوب عليك فلا تَصِحْ» [1] وله ايضا رضي الله عنه هذا التفسير الإشاري: «في قوله تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [2]ومتى يشاء اللّه؟ إذا كنت قادراً تفعل باختيارك فقد شاء اللّه، واللّه سبحانه ما يسأل الناس إذا جاءوه يوم القيامة إلا عن الأعمال لا عن أمثال هذه الأشياء» [3] وللإمام الحداد رأي في مسألة الصلاح والأصلح والخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد، ويذكر المعنى الخفي لسر وجودها قال رضي الله عنه: «قد ينظر بعض من ضعفت بصيرته إلى هذا العالم فيرى ما فيه من الأشياء المتضادة المختلفة مثل النور والظلمة، والخير والشر، والصلاح والفساد، والنفع والضر، إلى غير ذلك، فربما يهجس في نفسه ويتصور في وهمه أنه لو كان العالم نورا وخيرا وصلاحا ونفعا فقط لكان أولى وأصلح، وربما يصدر منه الاعتراض على الله عز وجل في إيجاده أضداد هذه الأشياء، ويظن ويحسب أنه لا معنى لوجودها ولا حكمة في خلقها، وذلك ممن يتوهمه جهل وقصور وغفلة، لأن الله سبحانه وله الحمد أحكم الحاكمين، وله العلم المطلق المحيط بجميع الأشياء من جميع جهاتها، وهو أقدر القادرين، وأرحم الراحمين، وقد ورد في بعض الآثار عن الله تعالى أنه قال: إني أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير والشر وخلقت لكل واحد منهما أهلا، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال: لم، وكيف، انتهى الأثر بمعناه[4]. واعلم أن وجود هذا العالم على ما هو عليه من وجود الأشياء الكثيرة فيه المتغايرة أو المتضادة هو الوجود الأكمل الأحسن الذي لا أحكم منه ولا أصلح،

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٣٨.

(٢) سورة التكوير: الآية ٢٩

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٤٥.

(٤) البيهقي: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، ، ١/ ١٤٥.

بالنسبة إلى ما أريد العالم به وبما خلق لأجله، فاعلم ذلك. وبيانه أن العالم متردد في وجوده بين أربعة أحوال:

الأول أن يكون على وجوده هذا الذي هو موجود عليه من وجود التضاد فيه.

والثاني أن يوجد خير صرف ونفع محض. والثالث أن يوجد شر محض وضرر فقط. والرابع أن لا يوجد العالم أصلا، وليس لهذه الأحوال الأربعة خامس يتصور في العقل (أما العدم) فما هو بشيء، ولا حقيقة له في نفسه، فلا معنى له أصلا (وأما الخير المحض) فلو وجد العالم عليه لتعطلت وبطلت أشياء كثيرة من الحكم والمصالح، وكان العالم واقعا على نصف الوجود، فلا يتم ولا يحصل المقصود بوجوده الذي أريد به وخلق له، (وأما الشر والضرر المحض) فلو وجد عليه العالم لكان بحيث لا يكون فيه نفع ولا صلاح. فعلمت بما تقرر أن الحال الذي وجد عليه العالم هو الأصلح والأكمل والأولى والأحرى، وإلى قريب مما ذكرناه يرجع معنى المسألة التي ذكرها الإمام حجة الإسلام، في كتاب التوحيد من الإحياء إلى أن قال في تقريرها، (فليس في الإمكان أبدع مما كان) فإن قوله ذلك صحيح مسلم لا اعتراض عليه فيه، نعم، لما بالغ رحمه الله تعالى في تقرير المسألة، والمجال فيها ضيق، ضاقت العبارة عن إيراد المعنى المقصود بها، فقام الإشكال وحصل الغموض، وقصد الإمام في ذلك صحيح، والمعنى الذي أراده معناً شريفاً دقيقاً، وهكذا القول في المسائل الدقيقة، إذا أراد العالم العارف إيصال فهمها إلى من ليس من أهلها، ازدادت غموضا وإشكالا، وتهدَّف العالم بسبب ذلك لاعتراض من ليس من أهل ذلك العلم، ولا له قدم راسخة فيه.

ثم اعلم أن في وجود هذا العالم على ما هو عليه دلالات كثيرة على أسماء الله تعالى وصفاته، لا تتم إلا بوجود العالم على ما هو عليه. وفيه أيضا دلالات على الأمور الأخروية، هي لا تتم أيضا إلا بوجود العالم على ما هو عليه وفيه أيضا دلالات على العالم نفسه، لا تتم إلا بوجوده على ما هو عليه، وذلك أن النور لا يعرف كما ينبغي إلا بضده وهو الظلمة، والخير لا يعرف إلا بضده وهو الشر، وكذلك القول في الصلاح والفساد، والنفع والضر، والصحة والسقم، إلى غير ذلك من الأشياء المتضادة المتغايرة ›› [1].

---

(١) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، الفصل العشرون، ص٦٥-٦٨.

ثالثا: المشيئة:

يتكرر إسناد المشيئة إلى الله تعالى في الآيات ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١)، وقوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾(٢)، ولا شك أن الله تعالى قد أعطى العباد مشيئة تناسبهم، ولكن مشيئتهم مرتبطة بمشيئة الله، فلا يشاؤون إلا ما شاءه الله، فهو أولاً أثبت لهم المشيئة: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾(٣)، ثم ربط مشيئتهم بمشيئته: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤)، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (٥)والمشيئة صفة مرادفة للإرادة قال البيجوري: ((مذهب الجمهور من اتحاد المشيئة والإرادة وأنه يطلق إحداهما على الأخرى، والمعنى: أن كل ما يشاؤه الله تعالى فهو من حيث إنه مشاء له مراد له، وكلما يريده فهو من حيث إنه مراد له مشاء له، خلافاً للكّرامية الزاعمين بأن المشيئة صفة واحدة أزلية تتناول ما يشاؤه الله بها، والإرادة حادثة متعددة بتعدد المرادات)) (٦)وأخرج الآجري عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده قال: أتى رجل علي بن أبي طالب ﷺفقال: أخبرني عن القدر،؟ قال: (طريق مظلم، فلا تسلكه) قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه قال: أخبرني عن القدر؟ قال: (سر الله فلا تكلفه) قال: ثم ولى الرجل غير بعيد ثم رجع فقال لعلي: في المشيئة الأولى أقوم وأقعد، وأقبض وأبسط فقال له علي‌ﷺ: إني سائلك عن ثلاث خصال، ولن يجعل الله لك ولا لمن ذكر المشيئة مخرجا، أخبرني: أخلقك الله تعالى لما شاء، أم لما شئت؟ قال: لا، بل لما شاء قال: أخبرني، أفتجيء يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟

---

(١) سورة التكوير: الآية ٢٩

(٢) سورة المدثر: الآية ٥٦

(٣) سورة التكوير: الآية ٢٨

(٤)سورة التكوير: الآية ٢٩

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٢٧

(٦) البيجوري: تهذيب وشرح جوهرة التوحيد، ص ٩٠.

قال: لا، بل كما شاء، قال: فأخبرني، أجعلك كما شاء، أو كما شئت؟ قال: لا، بل كما شاء قال: فليس لك في المشيئة شيء)) [(١)]

ويقرر الإمام الحداد حال المشيئة وأنها بمقتضاها يترتب الثواب والعقاب فيقول‏ﷺ: ((حالُ المشيئة فيه تفصيل طويل ما هو حال الجبر، وفيه كلام طويل يعرفه الإنسان من أفعاله الاختيارية والاضطرارية، فلينظر الإنسان كل أمر، إذا شاء فَعَلَه، وإذا شاء تركه، فهو محل التكليف والثواب والعقاب، وهو غير كلام أهل الجبر، إنه مكتوب عليّ ومقدر عليّ، وكلهم محجوجون، فمن أين علموا أنه كتب عليهم، وقد احتج إبليس –لعنه اللَّه –بين يدي اللَّه تعالى بهذه الحجة، فما نفعته، قال اللَّه سبحانه له: لأي شيء ارتكبتَ معصيتي، وعصيتَ أمري، قال: يا رب هذا أمر قد كتبتَه علي، قال اللَّه سبحانه: متى علمتَ أني كتبتُه وقَدَّرتُه عليك، قبل الفعل أم بعده؟ ، قال: بل بعده، قال تعالى: بهذا أخذتُك. والتفاصيل الغامضة ما يعرفها إلا العالِمون، ولكن كله للَّه ومن اللَّه، وهذه المسألة مذكورة من زمن رسول اللَّه صلَّى الله عليه و آله وسلَّم بوجوهها الثلاثة، كما في قصة الذي أُتِيَ به إلى النبي صلَّى الله عليه و آله وسلَّم مراراً ليُحَدَّ في الخمر، فلم يقل كُتِبَ علي)) [(٢)]

الضلال والهداية من اللَّه وبمشيئته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [(٣)]ولكلٍ منهما اعوان قال الإمام الحداد في بيان ذلك ﷺ :((الضلال والهداية من اللَّه تعالى، لكنه يُضل على أيدي الشياطين، ويهدي على أيدي الأنبياء، فإذا كان الإنسان سائراً على السيرة السوية، فعرض له الشيطان، وقال له: تعال من هنا، فإن كان له تمييز به، وأراد الله تعالى ثباتَه، قال له: لا أتبعك فإني أعرف الطريق وقد مارستُها، ومن أراد إضلاله امتثل ما أمره به الشيطان)) [(٤)].

---

(١) الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ، الناشر: دار الوطن – الرياض / السعودية، ط٢، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، ٢/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٢٢/١.

(٣) سورة النحل: الآية: ٩٣

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١١٧/١-١١٨.

وقد تكلم القرآن عن ضرورة إسناد المشيئة إلى الله وبين عواقب ترك إسناد المشيئة إلى الله تعالى، فقال: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (١) وذكر الإمام الحداد ﷺ قول النبي سليمانﷺ: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرسانا أجمعون(٢)، الحديث، فقال: «ينبغي إسناد الأمور كلها إلى المشيئة، إلا ما لا خير فيه مما فيه سوء أدب، وليس هذا بحكم منه، إنما هو الفعل» (٣)

ويقرر الإمام الحداد أن الله لا يعطي بالاستحقاق وإنما يعطي بالمشيئةإذ يقول: «إن اللَّه سبحانه لا يعطي بالاستحقاق، إنما يعطي بالمشيئة، فإن وافق الاستحقاق المشيئة أكمل له الاستحقاق أو قال: أجزل له العطاء» (٤)

وله ﷺ هذا البيت: تَبَارَكَ رَبُّ الْعَرْشِ وَالأَرْضِ وَالسَّمَا *** وَكُلِّ الْــــبَرَايَا مِنْ أَخِيرٍ وَأَوَّلِ

لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ المــطَاعُ فَما يَشَا *** يَكُونُ عَلَى وفْقِ المِشِيئَةِ يَا وَلِى(٥)

رابعا: معني التبري عن الحول والقوة:

اخرج البيهقي عن أمير المؤمنين عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزَ وَالْكَيْسَ، وَإِلَيْهِ الْمَشِيئَةُ وَبِهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ» (٦)

قال الإمام الغزالي –رحمه الله– في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٧)«يشتمل على رُكْنَين عظيمين: أحدهما: العبادة مع الإخلاص والثاني: اعتقادُ أنه لا يستحق العبادة سواه، وهو لُباب عقيدة التوحيد، وذلك بالتَّبَرِّي عن الحَوْلِ والقوة، ومعرفةِ أنَّ الله منفردٌ بالأفعال

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٣

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من طلب الولد للجهاد، رقم الحديث ٢٨١٩، ٤ /٢٢.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٩٧/٢.

(٤) المرجع السابق: ٦٥/١.

(٥) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٢١.

(٦) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، القضاء والقدر ،تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض / السعودية، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ص٣٠٠.

(٧) سورة الفاتحة: الآية: ٥

كلها، وأن العبد لا يستقلُّ بنفسه دون معونَتِه؛ فقوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إشارة إلى تَحْلِيَةِ النفس بالعبادة والإخلاص، وقولُهُ (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) إشارة إلى تزكِيَتها عن الشِّرك والالتفات إلى الحَول والقوة.)) [(١)] ومنهج الإمام الحداد أن الإدارة والقوة والحركة الخالق لها الله، وأن الذي يصدر عن الإنسان من الأفعال الاختيارية تسمى الكسب وعليها يكون الثواب والعقاب، فلا قوة للإنسان إلا بقدرة الله، ومن ثم يشرح عبارة لاحول ولا قوة إلا بالله قال الإمام الحدادﷺ: ((وأما ما يعبر به عن معنى التبري عن الحول والقوة، فاعلم أن أجمع العبارات عن ذلك وأشملها، قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ قال حجة الإسلام (الغزالي) : الحول هو الحركة والقوة هي القدرة، ولا حركة ولا قدرة لأحد من الخلق على شيء من الأشياء إلا بالله القوي القادر وكلما جعل الله للمخلوقين إلى فعله أو إلى تركه سبيلا، كالقيام بالتكاليف فعلا وكفا، وكالسعي لطلب المعاش بأنواع الحركات من الحرف والصناعات، وما في معنى ذلك فالواجب على المؤمن، أن يعتقد أن الله تعالى هو الخالق المخترع لإراداتهم وقدرتهم وحركاتهم، وإنما لما يصدر عنهم من الأفعال الاختيارية، نسبة إضافة إليهم، تسمى الكسب والعمل، عليها يترتب الثواب والعقاب، ولكنهم ما يشاءون إلا أن يشاء الله ولا يقدرون على فعل شيء ولا على تركه، إلا أن أقدرهم الله و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [(٢)]وعلى القدرة والاختيار الذي جعل الله لعباده يترتب الأمر والنهي، فللأمور الصادرة عنهم بالقصد مع الاختيار، نسبة وإضافة إليهم وبحسب ذلك يثابون ويعاقبون.

فمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله، نفي الاستقلال، والاستبداد بالقوة والحول مع الاعتراف بوجود القدرة والاختيار اللذين جعلهما للعبد، فإن من زعم أنه ليس للعبد اختيار ولا اقتدار على شيء، وأن أفعاله الاختيارية كالاضطرارية، وأنه مجبور في كل حال، فهو مبتدع جبري وقد أبطل بزعمه الفاسد فائدة إرسال الرسل، وإنزال الكتب.

ومن زعم أن الإنسان يستقل بمشيئته وقدرته على أفعاله الاختيارية، فهو مبتدع معتزلي.

---

(١) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا القباني، ، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص٦٩.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٢

ومن اعتقد أن للإنسان المكلف قدرة واختيارا، يقدر بهما على امتثال ما أمره الله به وعلى اجتناب ما نهاه عنه، وأنه ليس مستقلا بذلك ولا خالقا له فقد أصاب السنة ودخل في الجماعة وسلم من البدعة، ولهذا شرح طويل وهو سبيل وعر قد تخبط فيه وضل عنه خلق كثير، وتحته سر القدر الذي حارت فيه الألباب، وأمر بالإمساك عن الخوض فيه سيد المرسلين(١).

فليقنع العاقل بالإشارة، وليكفه من ذلك أن يؤمن أن كل شيء خلقه الله، وأنه لا يكون كائن بدون مشيئته وقدرته، ثم ليطالب نفسه بامتثال الأوامر واجتناب المحارم وليقم الحجة لربها عليها على كل حال وفي الحديث: ((لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)) (٢). فافهم الإشارة في كونه كنزا تعلم أن معناه من الأشياء الخفية الغامضة، فإن الجزاء من جنس العمل كما قال ﷺ (((ركعتان في جوف الليل كنز من البر)) (٣) فجعل ثوابهما كنزا مخفيا لوقوعها في وقت بهذه المثابة وهو الليل. وورد أيضا: ((لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء، أيسرها الهم)) (٤) وإنما كانت دواء للهموم، لأنها إنما ترد غالبا عند فوات محبوب أو حصول مكروه، فيستشعر الإنسان عند الفوات وحصول ما يكره عجزه وضعفه، عن الوصول إلى ما يشتهي فيهتم لذلك، فإذا كرر على قلبه ولسانه معنى التبري من الحول والقوة، أنتج له ذلك يقينا، يعلم به أنه عاجز وضعيف، إلا أن قواه الله وأقدره، فيذهب إذ ذاك همه وتتسع معرفته بربه.

ويتضح هذا المعنى من قوله عليه الصلاة والسلام: (من آمن بالقدر ذهب همه) وفي إضافة الحول والقوة إلى اسمه (الله) الذي هو قطب الأسماء ورئيسها، وإتباعه غالبا بالاسمين الكريمين الدالين على صفتين من صفات الذات المقدسة العلو والعظمة، إشارة إلى نهاية التنزيه وغاية

---

(١) كما جاء في الحديث امسكوا عن القدر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الدعاء إذا علا عقبة، رقم الحديث ٦٣٨٤، ٨٢/٨.

(٣) أخرجه الغزالي: بداية الهداية ص٤٣.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه: سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، رقم الحديث ٥٠٢٨، ٥ /١٨٧.

التقديس عن أوهام توهمها من ضل السبيل وعمي عن الدليل وخاض في سر القدر، وفي حركات العباد بدون بصيرة فتنبهوا لذلك ا هـ» [١].

قال الإمام الحداد ﷺ: «المقادير أرواح، وأجسادها الأفعال الصادرة من الخلق، فالأجساد تُرى ويُدرك كنهها، والأرواح لا تُرى، ولا يُعرف كنهها، فكذلك الأفعال في المقادير، فيسافر الرجل ويقول أريد مكان كذا، ولا يعلم ما قُدِّر له، فربما مات قبل مقصده، وربما وافق القدر فوصل إلى حيث أراد، فالمقادير لا يُعلم بما جرت به ولو عُرِفت الأفعال، ففي الدنيا تخفى الأقدار وتظهر الأسباب، وفي الآخرة تظهر الأقدار وتخفى الأسباب» [٢]

(١) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٤٣-٤٦.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٢٤.

المطلب الثالث: الاحتجاج بالقدر:

أولا: منهج الإمام الحداد في الكلام على الاحتجاج بالقدر:

بسط العلماء القول في بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي والسيئات بوجوه كثيرة: منها بيان التوافق وعدم التعارض بين شرع الله وقدره، ذلك أن المحتجين بالقدر لم يفهموا العلاقة بين شرع الله وقدره، وبيان هذه العلاقة، أن الله خلق الخلق وجعل فيهم القدرة على الإيمان والكفر، قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (١) أي: ننظر أي شيء يصنع، أي الطريق يسلك، وأيُّ الأمرين يأخذ، قال: وهذا هو الاختبار(٢)، فالإنسان وإن كان مكلفاً شرعاً، إلا أن له حرية الاختيار كونا وقدراً، وهذا الأمر واقع مشاهد، فما من إنسان إلا وهو يشعر بهذه الحرية في الاختيار، وبناء على هذه الحرية جاء التكليف الشرعي بوجوب الإيمان وحرمة الكفر، فحين لا يؤمن الإنسان يكون هو الذي لا يريد الإيمان، وحين يكفر يكون هو من أراد الكفر.

وأقرب مثال يدل على بطلان الاحتجاج بالقدر أن يقال: إن الله ربط الأسباب بمسبباتها، فإذا أراد العبد النبات قام بزراعة الأرض وريها، وإذا أراد الولد تزوج، وهكذا إذا أراد الجنة آمن وعمل صالحاً، ولو قال العبد أنا أريد الولد ولن أتزوج وإن كان كتب لي ولد فسيأتيني لعُدَّ من أجهل الجاهلين، وكذلك إذا قال الإنسان: أريد الجنة ولن أعمل صالحاً، فإن كتب الله لي الجنة فسأدخلها عد كذلك من الجاهلين.

ومما يدل على بطلان الاحتجاج بالقدر، أنه لو كان الاحتجاج به صحيحاً لما كان هناك فائدة من بعث الرسل وإنزال الكتب، طالما أن كل إنسان مجبور على فعل ما يفعل، ولكان للعباد حجة على ربهم حيث سيحتجون على الله جل وعلا في عدم إجابتهم الرسل بقولهم: أمرتنا بالإيمان وأجبرتنا على الكفر، فكيف تحاسبنا على ما أجبرتنا عليه، والله يقول مبينا

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٣

(٢) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٩٢/٢٤.

الحكمة من بعثه الرسل: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١) ففي الآية دلالة ظاهرة على بطلان الاحتجاج بالقدر.

ومن أوجه بطلان الاحتجاج بالقدر إضافة لما تقدم أنه لو كان الاحتجاج به صحيحاً لاحتج به أهل النار عندما سئلوا: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (٢)فلو كان الاحتجاج بالقدر صحيحا، لقال أهل النار أجبرنا الله على فعل الكفر ثم عاقبنا عليه.

هذه بعض أوجه الرد على تلك الحجة الداحضة، والواجب على المسلم ألا ينساق وراء هذه الأعذار، وأن يكون حاله عند سماع أمر الله ورسوله كمن وصفهم الله بقوله:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣)، فكذلك كان حال الصحابة رضي الله عنهم إذا سمع أحدهم أمر الله ورسوله، امتثل وأذعن.

قال الإمام الحداد رضي الله عنه: «وأما الاحتجاج بالقدر الذي يجريه الشيطان اللعين على ألسنة كثير من عامة المسلمين ففيه خطر كبير؛ وهو أن أحدهم إذا قيل له وقد ترك بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات: لمَ فعلتَ ذلك، وخالفت أمر الله وأمر رسوله؟ فيقول: ذلك مقدَّر عليَّ، ومكتوب ومقضى، يَعْذُرُ بذلك نفسه، ويرفع الحرج عنها، ويحتجُّ على الله تعالى الذي له الحجة البالغة على جميع خلقه في كل حال ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾(٤)وأقول: إن قول العاصي هذا أعظم من معصيته، وأكثر ضرراً عليه في دنياه وآخرته، لأن معنى هذه المقالة يدلُّ من صاحبها أنه قالها عن اعتقاد باطن على تزلزل قواعد دينه من أصلها، فمتى يتوب هذا العاصي، ومتى يندم على فعله القبيح، ومتى يستغفر منه! وهو لا يرى له فعلاً ويرى أنه مجبور مقهور، ليس له اختيار ولا قدرة، وهذا هو بعينه مذهب الجبرية: وهم فرقة من المبتدعين في الدين، يقولون بعدم الاختيار على ضدِّ ما تقوله المعتزلة: وهم فرقة أخرى

---

(١) سورة النساء: الآية: ١٦٥

(٢) سورة المدثر: الآية: ٤٢ – ٤٦

(٣) سورة النور: الآية ٥١

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٣

من أهل البدعة. ومعتقد أهل الحق و السنة والجماعة: وسط بين هاتين الفرقتين وهو كما قال بعض العلماء: خارج من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

ومعتقد أهل السنة جعلنا الله منهم بفضله: أنه لا يكون كائن صغير ولا كبير إلا بقضاء الله تعالى ومشيئته، وإرادته وقدرته؛ وأنَّ العباد وأفعالهم خيرها وشرُّها خلق الله تعالى، ثم بعد ذلك يطالبون أنفسهم بامتثال أوامر الله كلَّ المطالبة، ولا يُرخِّصون لها في ترك شيء منها ويحملونها على ترك المنهيات وعلى اجتنابها رأساً.

وإن وقعوا في شيء منها بادروا إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار، وإن فرطوا في شيء من الأوامر بادروا بقضائه وتابوا إلى الله تعالى من تركه، ولا يحتجون لأنفسهم على الله أبداً، ولا يعذرونها بسبق القدر، ولا يرخصون في ذلك لأحد، فإن الله تعالى وصف بعض أعدائه في كتابه بالاحتجاج بالمشيئة ثم أنكر عليهم ذلك ووبخهم عليه، ولم يقبله منهم ورده عليهم وكذبهم فقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ ﴾[(١)]وفي الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[(٢)]فإياك والاقتداء بالمشركين في الاحتجاج على الله ربِّ العالمين.

وحسبُك من القدر الإيمان به خيره وشرِّه، ثم كلِّفْ نفسَك الامتثالَ لأمر الله والاجتنابَ لنهيه، وتُبْ على الدوام من تقصيرك عن القيام بحقه تعالى، واستعن بالله تعالى، وتوكل عليه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إذا ذُكِرَ القدرُ فأمسكوا» [(٣)] فنهى عن الخوض فيه، لما في ذلك من الخطر وكثرة الضرر.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٨-١٤٩

(٢) سورة النحل: الآية ٣٥

(٣) أخرجه الحارث في مسنده: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق:، حسين أحمد الباكري، ، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م، رقم الحديث ٧٤٢، ٧٤٨/٢.

وسأل رجل علياً ﷺ، عن القدر؟ فقال له في جوابه: «هو بحر عميق فلا تلجه، وطريق مظلم فلا تسلكه، سرُّ الله تعالى فلا تكلفه» [١]. وسأل رجل من ولاة الأمور محمد بن واسع – رحمه الله –عن القدر؟ فقال له: جيرانك من أهل القبور لك في التفكُّر فيهم شغلٌ شاغل عن القدر. وقد مضى عمل السلف والخلف من أهل الحق على الإيمان بالقدر خيره وشرِّه، وانعقد إجماعهم – رحمة الله عليهم – على ذلك، وعلى الإمساك عن الاحتجاج بالقضاء والقدر عند ترك الأمر وإتيان النهي، وكانوا يرون ذلك من أعظم المنكرات – أعني الاحتجاج بأمر القدر عند ارتكاب المحارم وترك الواجبات – فإن كنت من أهل الحق فاقتدْ بهم، واسلكْ سبيلهم، وإلا فقد سمعت ما قال الله تعالى للمتَّبعين غير سبيل المؤمنين، واسمعه الآن، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[٢].

ثم اعلم – رحمك الله – أنه لا يجوز ولا يصحُّ للمؤمن أن يعتقد في نفسه أنه لا حرجَ ولا جُنَاحَ عليه إذا ترك واجباً أو فعل محرماً، لأن القدر غالب له وسابق عليه، ثم إذا صدر منه فعلٌ أو تَرْكٌ لا يرضى الله به، فإن احتج بالقدر على إقامة العذر لنفسه وهو باق على الاختيار والتمييز فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً.

وقد خشيتُ أن تكون هذه البلية قد دَبَّت إلى أناس من المنسوبين إلى العلم والصلاح، فضلاً عن غيرهم من عامة المسلمين، ويكاد يدلُّ على وجود هذا الأمر منهم أنه لا يظهر عليهم كثير توَجُّعٍ وتَأَلُّمٍ وتَأَسُّفٍ عندما يصدر من بعضهم ما يلامُ عليه ويذمُّ به شرعاً. فليتقِ اللهَ مؤمنٌ أحس من نفسه بذلك، وليتكلَّف نفيهَ عنها، وليعلم أن الله لا يعذره بالقدر، ولا يقبل منه الاحتجاج به ما دام مختاراً أبداً، فإذا سمعت من أحد المسلمين هذه الحجة الساقطة فازجره عنها، وعرِّفه بأن إثمه في الاحتجاج بالقضاء والقدر على ترك الأوامر وفعل المحرمات، أعظم من إثمه على نفس الترك للواجب والفعل للمحرم. فليتق الله ولا يجمع على نفسه بليتين، ويقودها إلى سخط ربِّه من جهتين[٣].

(١) سبق تخريجه: من(ص١٤١) من هذه الرسالة .

(٢) سورة النساء: الآية ١١٥

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص ٨٥-٨٦.

ويبين الإمام الحداد مفهوم حديث ابن عباسﷺ قال الإمام الحداد ﷺ: ((واعلم أن الأمة لو اجتمعت. . . الحديث [١] أي غير مُستقلين بذلك، بل سعوا فيه، ووافق القدر في حصوله، فالإيمان بالقدر إجمالاً واجب، فلا يُحتج به في فعل معصية أو ترك طاعة، فإن هذه بدعة وهي تضر بالعامة، وهي حجة لا تنفع، يحتجون بقَدَرِ اللَّه، فالإيمان واجب، وبعد ذلك إذا أَصَبْتَ معصية تب منها واعمل الطاعة وأنت مع ذلك تؤمن أنها بِقَدرِ اللَّه)) [٢]. ويحذر من الاعتراض بلم وأخواتها وأن يرضى العبد بقضاء الله قال الإمام الحدادﷺ: ((وليحذر العبد عند ذلك من: لو، ولم، وكيف، وليعلم أن الله تعالى حكيم عادل في جميع أفعاله وأقضيته، وأنه لا يقضي لعبده المؤمن بشيء وإن كرهته نفسه إلا ويكون له فيه خير وخيرة، وعاقبة حسنة، فليحسن ظنه بربه، وليرض بقضائه، وليرجع إليه بذله وافتقاره، وليقف بين يديه بخضوعه وانكساره، وليكثر من حمده والثناء عليه في يسره وعسره، وشدته ورخائه)) [٣]

ويحذر الإمام الحداد من قول لم وكيف فيقولﷺ: ((فالذي يقول: لم، وكيف، ولو، عندما يرى الأشياء التي لا يعرف وجهها ولا يطلع على معنى الحكمة فيها، هو المعترض على الله تعالى المنازع له في تدبيره سبحانه)) [٤]. قال الإمام الحداد:

لَوْ وَلِمْ وَكَيفْ، قُوْلُ ذي الْحَمَقْ *** يعْتَرِضْ عَلَى اللهِ، الذِى خَلَقُ

وَقَضَى وَقَدَّرْ، كُلَّ شيء بِحَقّ *** يَا قَـلْبِي تَنَبَّهْ، وَاتْرُكِ المجُـوُنْ

(لاَ يَكْثُرُ هَمُّكْ مَا قُدِّرْ يَكُونْ) [٥]

وقال خَلِّهَا تَجْرِى بِعَيْنِ اللهِ فِي *** بَحْرِ أَقْدَارِ المهَيْـمِنِ ذِي العُلَى

وَتَأَدَّبْ ثُمَّ سَلِّمْ لِلإِلهْ *** فِي الذِى يَقْضِيهِ وَاحْذَرْ لَوْ وَلاَ [٦]

ويقرر الإمام الحداد أن مسألة القضاء هي اعتقاد في الباطن قال ﷺ: ((مسألة القضاء إنما هي اعتقاد في الباطن، لا مسألة احتجاج بها وإظهار لها، ومن أظهر ضَلَّ، فتُعْتَقد ولا تكون

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٢٥١٦، ٦٦٧/٤.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٢٣/١.

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص٤٠٣.

(٤) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص٦٦.

(٥) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٨٩.

(٦) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٥٥٥.

في الأعمال، أليس تحريكك يدك باختيارك، فهذا هو الكسب والاكتساب ولا يُظهرها أو يتكلم بها للعامة إلا من أراد أن يَضِلَّ و يُضِلَّ، وقد قيل: إنها مسألة غامضة لا تتضح إلا يوم القيامة، وقالوا: الرضا بالقضاء أن تفعل ما يرضَى اللَّه به ظاهراً، وترضى بما يقضيه باطناً، فهذا هو الحق والصواب، وما كان غير ذلك فهو باطل، وماذا وقع للعامة من قولهم، في كل ما فعلوه: هذا مقدَّر علينا، وإذا جاء ما فيه هواهم وغرضهم، قالوا ذلك، وإذا جاء خلاف ذلك ضاقوا به ذرعاً، وقامت عليهم القيامة›› (١).

ثانيا: حديث محاجة موسى لآدم عليهما السلام:

عن طاوسﷺ: قال سمعت أبا هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ ‹‹احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق فقال رسول اللهﷺ: فحج آدم موسى مرتين›› (٢)

قلت مما يستفاد من هذا الحديث كما قال العلماء إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد، وأن كل شيء بقدر الله تعالى وقضائه، وأنه ليس لأحد أن يعير أحدا بذنب كان منه، لأن الخلق كلهم تحت العبودية سواء وإنما يتجه اللوم من قبل الله سبحانه وتعالى إذ كان قد نهاه فباشر ما نهاه عنه، وأن آدم لم يحتج بالقدر على الذنب وإنما احتج به على المصيبة، وهذا هو اعتقاد أهل السنة، فإن القدر يحتج به في المصائب ولا يحتج به في الذنوب والمعايب.

قال الإمام الحداد ﷺ: ‹‹في حديث محاجة موسى لآدم عليهما السلام، وقوله: فحج موسى آدمُ، إن هذا أمر قد مضى وتاب منه آدم، وكم قد بقي يبكي ذنبه، حتى بكى عليه نحو مائتي سنة، ما إنه جلس يضحك ويحتج بالقضاء والقدر، ولو أن العمل ما هو إلا بالقضاء والقدر، لكن إلى الإنسان منه شعبة، هي محل التكليف، وبِحَسبها يثاب ويعاقب، وهي الاختيار، فما دام يميز بين الفعل والترك، ويعرف الأحسن منهما ويمكنه ذلك مع الاختيار، فلا حجة له، والحاصل: إن المدح والذم متعلقان بالاختيار، حتى إن الإنسان قد يثاب مع

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب وفاة موسى وذكره بعد، رقم الحديث ٣٤٠٩، ٤/ ١٥٨.

عدمه، فيما لو فعله معه لَذُمَّ به، كمن يسقط في بئر وهو غافل، أو فَعَل ما فيه تلفه، وأما المضطر المجبور، فلا ثواب له، ولا عقاب عليه، لعدم الاختيار» (١).

وقد يحتج بعض الناس بسبق القدر فيرد عليهم الإمام الحداد ﷺ بقوله : «وليحذر كل الحذر مهما وقع في شيء منها من الاحتجاج بسبق القضاء والقدر عليه من الله بالوقوع فيها، وأن ذلك مكتوب عليه، وليس له محيص عنه؛ فإن ذلك من الحجج الداحضة التي لا تغني عن صاحبها شيئاً ولا تنفعه، بل تضره وتزيده من الله بُعداً، وتعرّضه للمقت والسخط من الله.

وعلى الجملة، فالإيمان بالقدر خيرِه وشرِّه واجب في أصل عَقْد الإيمان، والاحتجاج به على الله غير جائز، بل ذلك من الأمور المخطرة الشنيعة، وما دام الإنسان واختياره معه فليس له رخصة ولا سَعة في أن يترك أوامر الله ويرتكب نواهِيَه،

وليس ينفعه قوله: هذا مقضِيٌّ وقد كتب عليَّ. ومن أين له علم ذلك؟. ومسألة القدر هذه مسألة مشكلة، وفيها أغوار بعيدة يتعسّر العلم بها على الخاصة فضلاً عن العامة» (٢).

ثالثا: مخاطبة العامة بالقضاء والقدر مضر:

الخوض في القضاء والقدر بالظن وعدم العلم ومحاولة علم ما لا تهتدي العقول إلى معرفته لا يجوز، فقد روى أحمد عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال لهم: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده، بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده» (٣) واخرج الطبراني عن ثوبان، عن النبي ﷺقال: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا» (٤)

والمنهي عنه في هذه الأحاديث هو الخوض فيها بالباطل والظن، وفي الحديث الذي ذكرناه أخيرا ما يدل على ذلك، ألا وهو قوله إذا ذكر أصحابي فأمسكوا فليس معناه كما هو

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣١٠.

(٢) الحداد: الدعوة التامة التذكرة العامة، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٦٦٦٨، ١١/ ٢٥٠.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢ رقم الحديث١٤٢٧، ٢/ ٩٢.

معلوم الإمساك عن ذكر فضائل الصحابة وجهادهم، إنما معناه الإمساك عن ذكرهم بالباطل، وإليك أقوال بعض العلماء في ذلك منها سئل ابن عمرﷺ عن القدر فقال: ((شيء أراد الله عز وجل ألا يطلعكم عليه؛ فلا تريدوا من الله عز وجل ما أبى عليكم)) وقال وهب بن منبه–رحمه الله–: ((نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه)) وجاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة– رحمه الله– يجادله في القدر فقال له: ((أما علمت أن الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس كلما ازداد نظرا يزداد تحيرا)) . وقرر هذا الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه حيث قال: ((وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر على أنامه، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[(١)] . . .)) [(٢)]

وكذلك يقال في القدر، أما ما يؤثر عن بعض العلماء من أن القدر سر الله في خلقه، فهذا صحيح يجب إدراكه لكل من يبحث في القدر، لكن هذا محصور في الجانب الخفي من القدر، ألا وهو كونه سبحانه وتعالى أضل وهدى، وأمات وأحيا، ومنع وأعطى، وقسم ذلك بين عباده بقدرته ومشيئته النافذة، فمحاولة معرفة سر الله في ذلك لا تجوز؛ لأن الله حجب علمها حتى عن أقرب المقربين، أما جوانب القدر الأخرى وحكمه العظيمة ومراتبه ودرجاته وآثاره، فهذا مما يجوز الخوض فيه، وبيان الحق للناس فيه، بل بيانه مما يندب إليه، وينبغي شرحه وإيضاحه للناس؛ إذ الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان التي ينبغي تعلمها ومعرفتها. وأورد الإمام الحداد أن في القضاء إشكالا لا يزول إلا يوم القيامة كما قال سيدنا علي كرم الله وجه: ((لا يظهر سر القضاء والقدر إلا يوم القيامة)) [(٣)].

---

(١) سورة الانبياء: الآية ٢٣

(٢) الخميس: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، ص ٥٢١.

(٣) الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/ ٨.

قال الإمام الحداد ﷺ : ((وأمر القضاء والقدر خفي جدا، وأمر دقيق لا شيء أخفى منه وينبغي أن تفطم عنه العامة بالكلية حتى لا يخوضوا فيه أبدا؛ فإن الخوض فيه زندقة، ولئلا يغتروا، فإن هذه أمور دقيقة جدا، ولا أخفى منها أدق من بيت العنكبوت، لأنها تنزلت قليلا قليلا. وكلما لها تدق حتى انتهت إلى العلماء وهي في غاية الضعف والدقة، فلا وصلت إلى العامة إلا وهي شيء لا يكاد يدرك بسبب ذلك، وفي الخوض فيها خطر عظيم، لا ينبغي أن يفشى، ومنه فرت القدرية حتى سقطوا في الجانب الآخر)) (١)

وقال ايضاً ﷺ: ((لم تظهر مجاري القضاء والقدر إلا بعد تعدي خطة الاختيار، وما يتكلم في القضاء والقدر وفي الرجاء مع العامة في هذا الزمان إلا الأحمق)) (٢).

والإمام الحداد يرى أن حقيقة القدر فيها إشكال لا ينكشف إلا يوم القيامة قال ﷺ: ((ومسألة القدر فيها إشكال لا يزول، وهي على ثلاث درجات: مذهب القدرية وقد انقرضوا، حتى لم يبق اليوم منهم أحد، والجبرية، ومذهب أهل السنة وسط بينهما)) (٣).

وقال ﷺ: ((يكفي الإنسان بعد الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ذكر الوعد والوعيد عن الخوض في مسألة القضاء والقدر، لأن فيها إشكالا لا ينحل إلى يوم القيامة، وكل من تكلم في حلها زادها إشكالا، فلا تطمع في حلها)) (٤).

وينبه الإمام الحداد على مضرة مخاطبة العامة بالقضاء والقدر لكونه يشكك عليهم فيقول: ((هو مضر بالعامة، حتى غيرهم، وليس هذا مقصود الإيمان، فإن مقصوده العمل مع الاحتجاج لله تعالى على النفس لا بالعكس، وهذا هو مذهب الجبرية، ومذهب القدرية خير منه)) (٥)

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/١٥٢.

(٢) المرجع السابق: ١/٣٣٠.

(٣) المرجع نفسه: ١ /٣٢٨.

(٤) المرجع نفسه: ١/١٤٢.

(٥) المرجع نفسه: ١/٣٢٦-٣٢٧.

المطلب الرابع: الكلام على الأسباب ومسبباتها:

أولا: منهج الإمام الحداد في الكلام على الأسباب:

الله (مسبب الأسباب) أي المتوصل بها إلى مسبباتها، أي خالق الأسباب المتوصل بها إلى المطلوب. قال أهل اللغة: السبب الحبل، وكل شيء يتوصل به إلى أمر من الأمور. وفي عرف الشرع: ما يلزم من وجوده الوجود، ويلزم من عدمه العدم لذاته(١)، قال الإمام الغزالي–رحمه الله– حينما تكلم على مجاري اليقين وذكر منها التوحيد فقال: «التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن، فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فإن غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الإشراف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته» (٢)

قال الشعراوي –رحمه الله–: «فإياك أن تنظر إلى الأسباب، وتنسى المسبب؛ لأن لله ملك الأشياء التي تحوزها والأدوات التي تحوز بها؛ بدليل أنه سبحانه حين يشاء يسلبها منك، فتنبه أيها الغافل، وإياك أن تظن أن الأسباب هي الفاعلة، بدليل أن الله سبحانه وتعالى يخلق الأسباب؛ ثم يشاء ألا تأتي بنتائجها، كمن يضع بذور القطن مثلا ويحرث الأرض، ويرويها في مواعيدها، ثم تأتي دودة القطن لتأكل المحصول» (٣) وذكر الإمام الحداد ﷺ الأسباب ومسبباتها، فقال: «إنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وقوع كل شيء مع سببه، أن كذا يقع بكذا، وكذا بكذا، وعلى هذا، والعالم من أوله إلى آخره مدبر على أيدي الملائكة، لا على أيدي بني آدم، حتى بنو آدم مدبرون بالملائكة، حتى إن الإمام الغزالي ذكر: إن في باطن الآدمي سبعة ملائكة، يدبرون غذاءه، هذا يدفع القوت إلى المعدة، وهذا يستخرج الفضلة منها، وهذا يدفع الدم إلى الكبد، هذا في السفلي من العالم، وفي العلوي هذا يسوق السحاب، وهذا يحمل الماء، وإنما تدبير أمر الأرض وأحوال الدنيا بأيدي بني آدم، لإقامة أمر

---

(١) السفاريني: لوامع الأنوار البهية، ٣٩/١.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، ٧٤/١.

(٣) الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، ٥٩٩٤/١٠.

الله وأحكامه، وإذا أردت أن الله يجري بك على العادة من لطفه وكرمه، فأجر أنت على العادة من طاعته وعبادته، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله أمرا سبب له أسبابا، وأظهره سبحانه في الأسباب، ولا يظهر بالقدرة في الدنيا إنما يظهر بالقدرة في الآخرة، فالقدرة في الدنيا تابعة للأسباب، وفي الآخرة الأسباب تابعة لها، والقدرة في الدنيا خافية في الأسباب، والأسباب ظاهرة بها، وفي الآخرة القدرة ظاهرة، والأسباب خافية فيها، ويجعل سبحانه لكل أمر سببا غير سبب الآخر، ليعلم الناس وسيع قدرته تعالى›› (١)

وقد تنبه الإمام الحداد إلى حسن النية والمقصد في تعاطي الاسباب والحرف فقال ﷺ:

‹‹ الأسباب والحرف منها ما هو على صاحبه نعمة، ومنها ما هو عليه نقمة، فما يمنعه من أداء حقوق الله والصلوات مثلا في أول أوقاتها وفي الجماعة فهو نقمة، وما كان لأجل الاستمساك، والاستغناء عن الناس، مع أداء حقوق الله، وفعل الأوامر في أوقاتها فهو نعمة، وينبغي أن يعمل بنية نفع نفسه ونفع غيره ومن يأتي بعده، فإن معظم الناس اليوم في بيوت الأولين وفي أموالهم، وقد مر كسرى أنو شروان على رجل مسن شيبة، وهو يغرس نخلا، فقال له: لم تغرس وأنت في هذا السن، ولعلك لا تدرك ثمرته، فقال: غرسوا وأكلنا، ونغرس ويأكلون، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقال له: إن النخيل لا تثمر إلا بعد عشر سنين، وهذا أثمر لي في ساعة واحدة، فأمر له بمثلها، وقال: إنه رجل حكيم، فقال له: إن النخل لا يثمر إلا في السنة مرة واحدة، وهذا أثمر لي في يوم مرتين، فأمر له بأربعة آلاف ثالثة، وقال لخازنه: سر بنا لئلا يتم الخزانة علينا›› (٢)

ثانيا: الإنسان يأخذ بالأسباب ولا يعتمد عليها:

ذهب عامة الفقهاء، ومحققو الصوفية إلى أن التوكل على الله لا يتنافى مع السعي والأخذ بالأسباب من مطعم، ومشرب، وتحرز من الأعداء وإعداد الأسلحة، واستعمال ما تقتضيه سنة الله المعتادة، مع الاعتقاد أن الأسباب وحدها لا تجلب نفعا، ولا تدفع ضرا، بل السبب (العلاج) والمسبب (الشفاء) فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته، وقال سهل –رحمه الله-: ‹‹من قال التوكل يكون بترك العمل، فقد طعن في سنة رسول الله ﷺ›› (٣). وقال الرازي–رحمه

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ١/١١٠-١١١.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ١٨٩.

الله-: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [(١)] ((دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقول بعض الجهال وإلا كان الأمر بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل. بل التوكل على الله: أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على الله تعالى)) [(٢)]

وجمهور علماء المسلمين على أن التوكل الصحيح إنما يكون مع الأخذ بالأسباب، وبدونه تكون دعوى التوكل جهلا بالشرع وفسادا في العقل [(٣)] وقيل لأحمد: ما تقول فيمن جلس في بيته ومسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي؛ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبيﷺ (جعل رزقي تحت ظل رمحي) [(٤)] وقال عمر رضي الله عنه: ((لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة)) [(٥)]. وقد تواتر الأمر بالأخذ بالأسباب في القرآن وسنة الرسول ﷺ. أخرج الترمذي في سننه: ((أن رجلا جاء إلى النبيﷺ وأراد أن يترك ناقته وقال: أأعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ فقالﷺ: أعقلها، وتوكل)) [(٦)] وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [(٧)] والغنيمة اكتساب، وقال تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [(٨)] والضرب عمل، وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [(٩)] وتكلم الإمام الحداد رضي الله عنه في تعاطي الأسباب، وعدم الاعتماد عليها، فقال: ((كل الأشياء من الله، ولكن لا تنسب إلى المليح إلا المليح، والشر ليس إليك، وأما قولك: كله من الله ولله، فلا يعرفه إلا العلماء الأكابر، وإذا قال: هذا وقع لي من الله، فلا شك أنه من الله، ولكن بأسباب موقوفة على أسباب،

---

(١) سورة آل عمران / ١٥٩

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، ٩ / ٦٨

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط٢: ١٤٢٧ هـ، دار السلاسل – الكويت، ١٤/١٨٦.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: وهو جزء من حديث بعثت بين يدي الساعة بالسيف، رقم الحديث ٥١١٤، ٩/١٢٣.

(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢/ ٦٢.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٢٥١٧، ٤/ ٦٦٨.

(٧) سورة الأنفال: الآية: ٦٩

(٨) سورة الأنفال: الآية: ١٢

(٩) سورة الملك: الآية: ١٥

فخذ الشيء من الوجه الذي أذن لك فيه، ولا تكن كالذي رأى في يد رجل شيئا فنهبه منه وقال: هذا جاءني من الله، فنهب هو منه شيئا آخر، فقال: وهذا أيضا جاءني من الله، فإذا كان أحد معه شيء، فقال: هذا من الله، فلا ينبغي لآخر ليس معه شيء، أن يقول: كيف يعطيك ولا يعطيني، فإذا أراد مثل ذلك فينبغي أن يعرف الوجه الذي حصل له هذا منه، فيعمل فيه مثل عمله ليحصل له مثل ما حصل له، وناس كثيرون يغلطون في الصواب، فيحتاجون إلى التعليم ولو أراد شبام أو الشحر، مثلا، لاحتاج إلى جمال، فينبغي أن يعرف أمور الدين بهذا الوجه. وإذا قال أعطانيه الله فيحتاج إلى شاهد من الشريعة، قال الله تعالى في قسم الفيء: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [١]، ثم قسمه تعالى بنفسه بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [٢]، ثم قال: والدنيا كلها مفروغ منها، والناس فيها بين ناج وفائز، وهالك وخاسر، وهذه أمور قد فرغ منها، ولا مدخل للعمل فيها، ولكن إذا مات الإنسان على الإسلام فلا يبالي بشيء)) [٣]

وربط الإمام الحداد الأسباب بالمسبب والقضاء والقدر وأن الناس من حيث لا يشعرون يخدمون تلك الأسباب فقالﷺ: ((إذا أراد الله أمرا جعل له سببا، لأنه سبحانه لا يكلم الناس، فيقول لهم افعلوا كذا، واتركوا كذا، ثم قرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [٤] الآية، والله سبحانه هو الفاعل)) [٥].

كما قال ايضا ﷺ: ((الأشياء من القضاء والقدر، لا من الأسباب، والأسباب مظهر لها ومنه طول العمر بالبر، وقصره بالفجور، والأسباب وما تعلق بها من القضاء والقدر فإذا بر وطال عمره أو فجر وقصر عمره، فهو مقضي عليه بأن يفعله، ومقضي عليه بأن يحصل له من العمرين ما حصل)) [٦].

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧

(٢) سورة الحشر: الآية: ٨

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٢٨-٣٢٩.

(٤) سورة الشورى: الآية ٥١

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٢٧.

(٦) المرجع السابق: ١/١٤٠.

وذكر امثلة على تلك الخدمة للقدر فقال رضي الله عنه : ((الناس كلهم يخدمون القضاء والقدر، لأنهم يسعون في تنفيذه ويعرف تخصيصه بظهوره عليهم، ولو قلت لشخص سر إلى البلد الفلاني لتموت فيها لأبى، ولكنه يسير لقصد حاجته، وقد قضي أجله فيها، فيموت بها، وكل يسعى في نفع نفسه، فيصير النفع لغيره بسببه، وينتفع بعضهم من بعض، ولا أحد قصد إلا نفع نفسه)) (١). وقال ايضاً : ((لرجل يأمره بالحج، وذكر حديث: (إنما الأعمال بالنيات)(٢)ثم قال: الإنسان ينوي ويتحرك، ويتم الله ما أراد، فقد توافق الحركة القضاء والقدر، فإن وافقتهما تم العمل، وإن لم توافق ذلك لم يتم العمل، ولكن يبقى الإنسان على ما نوى من خير وشر)) (٣).

قلت وهذه حكمة الله جعل السبب خادما للقضاء والقدر ولكن مع ذلك لا يحيل الإنسان على تلك المقادير بل يقيم الأسباب ويتوكل على الله كما اشار إلى هذا الإمام الحداد رضي الله عنه فقال: ((ما يحيل على المقادير إلا العاجز، فأعط الأمور حقها أولا، فإذا أعجزتك فحينئذ كلها إلى المقادير، فلو أعطى الأشياء حقها، وساعدته بها المقادير، وقام فيها على الوجه المطلوب، كان محمود الحال إلى آخر الزمان، وقال الإمام الحداد رضي الله عنه : ما مع الإنسان إلا جهده، والأقدار تحكم عليه، لا يحكم عليها)) (٤).

ويقرر الإمام الحداد الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليهابقوله رضي الله عنه: ((الإنسان ضعيف، ما يريد بطبعه إلا العطا دون المنع، والعافية دون البلاء، وهذا لا يكون ولكن عطاء ومنع، وعافية وبلاء، وكذلك في كل شيء، ولكن إذا نزل بك شيء من ألم تريد دفعه، أو نفع ترجو حصوله، فاسع فيه بما له من الأسباب، كالتداوي، حتى يجيك ما يغلبك، حتى لا تبقى لك قدرة على شيء، فحينئذ تنحى عن طريق القضاء والقدر، ولو كان للإنسان عبد ما يريد منه إلا العطاء الدائم وكل ما يحب، ولا يحتمل من سيده ما يكره، ضاق منه سيده وباعه في الحال، وهذا سر الرياضة والانقياد، كالزئبق لو فتل حصل بفتله قلب الأعيان ذهبا وفضة،

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد: ١٤٢/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث ١، ١ /٦.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٢٢/١.

(٤) المرجع السابق ، ١٤٣/١.

ونحن وإياكم على ما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[(١)] اهـ))[(٢)]

والإنسان بطبعه عجول دائماً يريد الثمرة والنتجية ولا يعلم أن كل شيء بوقته لا بسببه قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((الأشياء تكون بأوقاتها، لا بأسبابها، ألا ترى الأمور تتم أسبابها فلا تقع، وقد تقع بأدنى من ذلك، وما على الإنسان إلا أن يطلب الفرج واللطف، ولا يبالي من أي وجه يجيء، وقد تكون العقوبات على أشياء سبقت وأشياء نسيت، لأن العلم إليه سبحانه، وما يكون من الله سبحانه مظهر عذاب إلا وترى فيه الرحمة أكثر، من أجل أن الله سبحانه وتعالى سبقت رحمته غضبه، كالريح، فإنه أهلك بها قوما، وقد رحم بها على ما ذكر في القرآن أقواما كثيرين)) [(٣)]. وقال ايضاً رضي الله عنه: ((لرجل يريد السفر: المقدورات لا بد لها من أوقات، المقدورات لا بد لها من أوقات، كذا كررها مرتين، ثم قال: وما ليس بكائن فلا قدر ولا وقت، اللهم خر لنا واختر لنا)) [(٤)].

ويبين الإمام الحدادأن تلك الأسباب ربطها المسبب بحكم فقال رضي الله عنه: ((لله أسرار وحكم في ترتيب الأسباب، وارتباط منافعها بعضها إلى بعض، واحتياج البعض منها إلى البعض، وهذا عالم الأسباب، جميع أموره تتوقف على الأسباب وهو موضع قوله: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [(٥)] إلى قوله تعالى ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [(٦)]، وأما عالم الأمر فهو شيء آخر، لا حكم فيه للأسباب، ولا للكاف والنون، ولا احتياج إليها)) [(٧)]

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((لا يكون من الأرض شيء من المنافع والفوائد إلا وله سبب سماوي، وبالعكس لا يحصل شيء من السماء من العقوبات، من منع قطر أو عاهة أو أي شيء إلا وله سبب أرضي، وإذا اعتبرت رأيت جميع الخيرات الدينية والدنيوية كلها إنما هي من

---

(١) الأعراف: الآية ١٤٤

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٣٥/١.

(٣) المرجع السابق: ١٣٥/١-١٣٦.

(٤) المرجع نفسه: ٣٢٥/١.

(٥) سورة عبس: الآية ٢٥

(٦) سورة عبس: الآية ٣٢

(٧) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٤٢/١.

السماء، أو سببه من السماء، فالقرآن نزل من السماء، وهو السبب في الهداية، والماء نزل من السماء، وهو السبب في النبات)) [١].

وذكر الإمام الحداد ﷺ أمثلة في ترتيب الأسباب وهذه حكمة الله وأن هذا الترتيب في الدنيا فقط لأنها عالم الأسباب، وأما في الآخرة فالقدرة والفعل من الله مباشرة دون أسباب. قال الإمام الحداد: ((إذا أراد الله أمان الأرض، وضع الأمان في قلب الخائف والمخيف، فحصل الأمان، هذا فعله وعليهم الأسباب، ولهم الاختيار وإليه القدرة والفعل، هذا في هذا العالم، لأنه عالم الأسباب والحكمة، فترى الإنسان لو أراد أن يسافر أو يفعل أو يترك، ونحو هذا كل ذلك باختياره، وأما في الآخرة فإليه تعالى الفعل والقدرة، وليس لهم اختيار ولا سبب، بل لو أرادوا فعل شيء ما قدروا، وتولته الملائكة دونهم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٍ ﴾ [٢]، وقال: هذا في الآخرة، لأن إذ ذاك لا توجد أسباب، ولأن الأسباب قد استوفوها في الدنيا، وقد فسر قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٣] المطر، وما توعدون الجنة، لأنها في السماء، فينزل لهم اليوم المطر من السماء الذي هو سبب الرزق، ثم يسكنهم الجنة في الآخرة)) [٤]

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((إذا حكمت الأقدار، تيسرت الأسباب أو تعسرت، وقعت المسببات، ولم يعذر مع الاختيار، وأما إذا لم تسبق الأقدار فلم تقع، فلا عذر له أيضا مع الاختيار، وهذه مسألة قد تخفى، فيحتج الإنسان بالأقدار مع ثبوته على المعصية، أو كما قال، وقال ﷺ: الخلق مكلوفون على ما خلقوا له، فإن الله تبارك وتعالى أراد بهم، وأراد منهم فالسعيد من وافق ما أراد به الحق وأراد منه، والشقي من اختلفت به الأمور)) [٥].

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد ، ١/١٣١-١٣٢.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٣٣

(٣) سورة الذاريات: الآية ٢٢

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٢٢.

(٥) المرجع السابق: ١/١٤٤.

ثالثا: معنى الزيادة في العمر الواردة في بعض الأحاديث:

قال الإمام النووي -رحمه الله-: في شرحه لحديث «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» [١] ينسأ مهموز أي يؤخر والأثر الأجل لأنه تابع للحياة في أثرها وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وأجاب العلماء بأجوبة، الصحيح منها أن هذه الزيادة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك والثاني أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [٢] يمحو الله ما يشاء ويثبت فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره ولا زيادة بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث والثالث أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت.» [٣]وهناك تفسير رابع وهو أن للإنسان عمرا دنيويا وعمرا برزخيا فإن أطاع زيد من عمره البرزخي إلى عمره الدنيوي وإن عصى نقص من عمره الدنيوي وزيد في عمره البرزخي وهذا الرأي مال إليه الإمام الحداد، قلت فلا بأس بالجمع بين رأي الإمام النووي ورأي الإمام الحداد وهو أن مقصود الزيادة في العمر كثرة الطاعات والأعمال الصالحات وبهذا نجمع بين الرأيين سواء بالبركة في الأوقات أو بالزيادة في العمر فمقصودهما واحد.

سئل الإمام الحداد: عن معنى الزيادة في العمر الواردة في بعض الأحاديث؟ فأجاب رضي الله عنهفقال: «قد صح أن العمر لا يزيد ولا ينقص كتابا سابقا. وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في معنى الزيادة الواردة، فذهب بعضهم إلى ظاهر الأحاديث. وقال: تكون الزيادة والنقص مشروطة بأسباب، مثاله: أجل فلان كذا وكذا، فإن فعل كذا زيد له كذا، وكذلك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم الحديث ٥٩٨٦، ٥/٨.

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٣) النووي: شرح النووي على مسلم، ١١٤/١٦.

يقال في نقصه، فإنه قد ورد. وقال بعضهم وهو ابن عباس رضي الله عنهما: إن للإنسان أجلا في الدنيا من مولده إلى موته، وأجلا في البرزخ من موته إلى بعثه. وكل مسمى فإن أطاع الله تعالى زيد من أجله البرزخي على أجله الدنيوي، وإن خالف وعصى نقص من أجله الدنيوي فزيد على أجله البرزخي، فلم يكن زيادة من خارج، ولم يبدل الكتاب السابق، وهذه هو الصحيح عندي. وقال بعضهم: معنى الزيادة الواردة بركة تكون في عمره، حتى يزن عمره القصير عمر غيره الطويل، من غير أن تكون زيادة حسية. والمطلوب من طول العمر: إنما هو اتساعه لتتسع دوائر العمل الصالح، وقد حصل ذلك لهذا العبد الموفق، وكان طولا حقيقيا وزيادة معنوية فتأمل هذا الجواب، وخذه بحقه)) [١] وقال ﷺ: ((رب مسخر للقضاء والقدر، مأجور في الشرع، ورب مسخر له مأزور في الشرع، وكل أحد مسخر للقضاء والقدر، ولكنه لا حجة لأحد، لأنه لا جبر، وكل الأشياء من القضاء والقدر، لا من الأسباب، والأسباب مظهر لها ومنه طول العمر بالبر، والأسباب وما تعلق بها من القضاء والقدر)) [٢].

رابعا: الكلام في الأرزاق:

خلق الله الخلق وأجرى فيهم أمره، وقضى فيهم بحكمه، وامتن على بني آدم بالرزق والتكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [٣]، وجعل الرزق بيده وحده، وأسبغه على خلقه، وقسمه بينهم بحكمته،. وجعله من آيات وحدانيته في الكون، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [٤]قدر أرزاق العباد وهداهم إليها، وهدى من يأتي بها إليهم، فأعطى من شاء بفضله، ومنع من شاء بعلمه وعدله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [٥]وليس ضيق الرزق هوانا، ولا سعته فضيلة عند الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ

---

(١) الحداد، النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٦٨-٦٩.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٣٩-١٤٠.

(٣)سورة الإسراء: الآية: ٧٠

(٤) سورة النمل: الآية: ٦٤

(٥) سورة النحل: الآية ٧١

عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴾[1]، بل إعطاؤه ومنعه امتحان وابتلاء، والإكرام إنما هو بالطاعة، والهوان بالمعصية. وطلب الرزق مما أقض مضاجع بعض الناس، فأصبح الصغير ينشده والكبير يطلبه، وأحاديثهم عنه وحوله؛ من طلب مال وولد وأهل والرزق ليس باجتهاد وكد فحسب، إنما هو فضل من الله تولى قسمته بين عباده، لن يأخذ أحد ما لم يقدر له، ولن يحرم عبد ما كتب له، قال الله سبحانه: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[2] ويقرر الإمام الحداد أن الأرزاق مقدرة والمعاصي قد تؤخرها، وأطلق الكلام في ذلك لكونه موضوع ذا حساسية يعايشه الناس وقد يفهمونه على غير مراده فقال ﷺ: ((الأرزاق مقدرة، ولكن إذا عصوا قال للخزنة: أخروا أرزاقهم في الخزائن، وإذا أحسنوا عجل لهم، أو يجعلها لهم فيها مرة، ثم ترد عليهم في وقت آخر لعصيانهم كما ترى كثيرا من السيول تأتي وتروح ضياعا لا يحسنون تربيتها، هذه هي التي كانت أخرت لهم ثم أردفت لهم، مثل العبد السوء، إذا عصى يجوعه سيده نحو أربعة أيام، ثم يجمع عليه رزق تلك الأيام مع رزقه الحاضر حتى يكثر عليه ويمل الأكل)) [3]ويلفت الإمام الحداد النظر إلى قضية تأخير الرزق بسبب الذنوب فيقول ﷺ: ((إن عمر بن الخطاب ﷺقال: إذا غضب الله على قوم أخر أرزاقهم عن أوقاتها ولا يمنعهم منها ولا ينقصها، فيرسل المطر في غير وقته والحصاد في غير وقته فإنه كذلك وليس هو على أصله بل دون ذلك، وقال بعضهم: لا يمنعهم ولا ينقصها ولا يؤخرها بل يبقيها ويدخرها لهم في الخزائن حتى يرضى، فإذا رضي أرسلها عليهم كلها بالتمام)) [4]. واكد على ذلك ايضاً بقوله ﷺ: ((لا يحدث شيء من الأمور السماوية كمنع قطر، وقحط ونحو ذلك مما يشغل الناس، إلا بحدوث شيء من العباد كمنع زكاة وقطع رحم وعدم المبالاة بالفقراء، ونحو هذا)) [5].وذكر الإمام الحداد ﷺ: حديثا ((إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)) [6]

---

(١) سورة الفجر: الآية: ١٥ – ١٦

(٢) سورة الزخرف: الآية: ٣٢

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٠٧/١.

(٤) المرجع السابق، ١٠٩/١.

(٥) المرجع نفسه ، ٢ /١٨٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب العقوبات، رقم الحديث ٤٠٢٢، ١٣٣٤/٢.

فقال: ((للرزق جهات متعددة، وكذلك الذنوب، فقد يكون الذنب في جهة الرزق، فإذا حصل ذنب في جهة رزق، كأن كان رزقه في البيع والشراء، فأذنب ببخس وتطفيف ونحو ذلك، حرم ذلك الرزق، بأن ذهبت بركته وتلاشى عليه فيفتقر، وحصلت له آفة أذهبته من يده، كما هو مشاهد في أهل الربا ومانعي الزكاة وغيرهم، ويحرم الرزق المقابل لذنبه خاصة دون غيره، فإن كان له رزق في الحراثة أو غيرها، ولم يذنب في جهته، فلا يحرم الرزق منه بذنبه في جهة البيع والشراء ونحو ذلك، وإن كان ذنبه فيما هو عام لجميع الأرزاق أو أكثرها كالنقد، حرم الرزق بذلك المعنى من جميع الجهات التي يأتيه رزقه به منها، لأن عليه مدارها، وإن أحسن في الكل حصلت له البركة والنمو في الجميع، أو أحسن في البعض ففيه دون غيره، ويجبر خلل كل واحد بالإحسان فيه دون الآخر، كما يجبر خلل العبادة بعضها ببعض، كذلك كما تجبر الصلاة بالصلاة، والصوم بالصوم ولا عكس، وإن كان الذنب بأمر خارج عن أسباب الرزق كزنا وترك صلاة وغير ذلك عم الضرر العمر والرزق، فإن توالت عليه أرزاقه مع عصيانه فذلك استدراج له، أو كما قال)) (١).

وتكلم الإمام الحداد يوما في أمر الرزق وأنه مقدر لكل فرد يعيش في مملكة ربه،فقال رضي الله عنه: ((إن الله لا يعاقب في أمر الرزق بالتقتير إلا المغترين بالله كثيرا، ثم ذكر: إن رجلا قال لموسى عليه السلام: أريد أن أوصيك بوصية تبلغها إلى ربك عند مناجاتك له، قل له: إن فلانا يقول: لا ترزقني، فإني غير محتاج لرزقك، فلما ناجاه قال: يارب أنت أعلم بما قاله عبدك فلان، فقال سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام: قل له: إن خرجت من مملكتي منعتك من رزقي، وما أعجب هذا فأين يخرج من مملكته، والأرض أرضه، والسماوات ملكه)) (٢).

ويبين لنا الإمام الحداد ضابط الرزق المضمون وهو الكفاف قال رضي الله عنه: ((الرزق المضمون هو الكفاف، وهو ما لا يمكن العبادة وإقامة حقوق الله إلا به، وما فوق ذلك فمقسوم، والشك في المضمون كفر، ولا يجوز فيه قصد تجربة، بأن يقول: أجلس وأنظر إن كان جاءني شيء، فإنه إن كان بقي له حياة، فلا بد وأن يجيئه، وإلا فالميت لا يطعم قوتا، بل يصرف إلى الحي، ومن جلس في داره مجربا واشتد به الجوع، يجب عليه تحصيل حاجته بما أمكنه، وإن لم

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٦٩.

(٢) المرجع نفسه، ١/١٠٨.

يمكنه إلا بالسؤال سأل بقدر الحاجة، وهو فيه معذور، فإن لم يفعل حتى مات جوعا، مات عاصيا لأنه قتل نفسه، إلا إذا لم يمكنه بحال، وسمعته رضي الله عنه يقول: إن السؤال من الفواحش، كالزنا والسرقة، ما أبيح من الفواحش إلا هو، عند الضرورة» (١). وله رضي الله عنه :

قد ضمن تعالى، بالرزق القوام *** في الكتاب المنزل، نورا للأنام

فالرضا فريضة، والسخط حرام *** و القنوع راحة، والطمع جنون

(لا يكثر همك ما قدر يكون) (٢)

وقال: وفي الرضا بقضاء الله سيدنا *** الخير للعبد والأرزاق بالقسم(٣)

خامسا: ذكر أمر المعاش والفقر والغنى:

لما وجدت أن بعض المصنفين للحديث النبوي، قد جعلوا أبوابا مستقلة بعضها يمتدح الفقر، ويذم الغنى، وفي الوقت نفسه، نجد أحاديث أخرى فيها الاستعاذة بالله من الفقر، وفيها الثناء على المال الصالح، ووجدت أن هذا المسلك، يحدث اضطرابا في الفهم، لأحاديث الغنى والفقر، وحبذا لو تكون دراسة تستوعب الأحاديث الواردة في الجانبين، وتحليل ما ورد فيها، والخلوص إلى النتيجة التي تلازم القارئ عندما يقرأ حديثا متفردا يذكر الغنى أو الفقر؛ سواء بوب له بالمدح أو الذم، والباحث يركز هنا على مفهوم الفقر الممدوح في الإسلام

وخلاصة منهج الإمام الحداد في الفقر والغنى أن الغني ليس هو صاحب المال، والفقير ليس هو فاقد المال؛ الغنى غنى النفس، والراحة راحة القلب، والجمال جمال الطبع، والله جل وعلا يبين لنا أن المنزلة في الآخرة، والمكانة عند الله ليست بجمع المال، ولا بإنجاب العيال، وإنما بصالح الأعمال، فمفهوم الفقر الممدوح كتابا وسنة هو الفقر المقرون بالصبر وقد سئل الإمام الحداد عن حكم الفقر والغنى وما بينهما من التفاضل، وما ورد فيهما من الأحاديث، مما يوهم التنافي. فأجاب رضي الله عنه، فقال: «الحمد لله الذي جعل الفقر زينة لعباده الصالحين وحلية لخاصته المفلحين، وذلك إذا قارنه منه الرضا والتسليم، والشكر والصبر على ما ابتلاهم به العزيز العليم، فأما إذا قارنه الجزع والضجر والاعتراض على القضاء والقدر فهو من البلاء العظيم، المؤدي إلى العذاب المقيم، فالمدح الواقع على الفقر كتابا وسنة، المراد به الفقر المقرون

(١) المرجع السابق: ١٠٨/١.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد، ص ٤٩٨.

(٣) المرجع السابق: ص٤٧١.

بالصبر والرضا وحسن الأدب مع الله تعالى وذلك نحو قولهﷺ: ((الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس)) [١]والذم واقع على الفقر المراد به فقر مقرون بتسخط المقدور وضيق الصدر بمواقع القضاء، حتى ينتهي بصاحبه إلى الاعتراض على الله تعالى في تدبيره. وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: ((كاد الفقر أن يكون كفرا. . . الخ)) [٢]. ولما كان الفقر أقرب إلى السلامة والفلاح من الغنى، دنيا وأخرى، تخيره أجلاء الخليقة من الأنبياء والأولياء سلفا وخلفا، فالفقير الراضي الشاكر على فقره، من الله سبحانه بمكان لا يبلغه الغني وإن بذل نفسه وماله في سبيل ربه تعالى. والفقير المتسخط شر من شرار الأغنياء، لأن بليته في الاعتراض على الله تعالى وهو أمر فظيع. وأما بلية الغنى فنهايتها الاغترار بالدنيا والتمتع بها على وجه غير مرضي، هذا جواب مسألتك فتفقه فيه. اهـ)) [٣]. ويبين الإمام الحداد مبدأ طلب الرزق وأن الإنسان لا يطلب الرزق من الناس بل يطلبه من رب الناس، ويضع مبدأ جميلا أن الرزق دائم حليف الدين فمن أقام الدين أحبه الناس وأعطوه.قال ﷺ: ((الذي ترجوه من الناس قدر إنك ترجوه من الله، ومن تميز بالدين لا يعلق قلبه بالناس، أو يقول للناس: عظموني واصطنعوا إلي. واظب على قراءة القرآن والطاعة، لكن مع الإخلاص، ولا عليك من الناس، إذا رأوه متمسكا بالدين عظموه، وقد يرد الزائد، والرزق مقسوم، لو تمنيت ترده ما ارتد إلا بالذنب، قال النبي صلى الله عليه و آله وسلم (إن العبد قد يصيب الذنب يمنعه الرزق) [٤] واسأل ربك البركة، فإن القليل مع البركة كثير، والكثير مع عدمها قليل كقصة صاحب الدينار وإذا حصل للإنسان رزق، فصرفه في الشهوات، فما الفائدة، هل شيء غير الحساب؟)) [٥].

---

(١) أخرجه السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م، ص٦٦٢.

(٢) أخرجه التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، ٣ /١٤٠٣.

(٣) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٦٦-٦٧.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه: بلفظ وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، باب العقوبات، رقم الحديث ٤٠٢٢، ١٣٤٣/٢.

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٩٩/٢.

وذكر الإمام الحداد رؤية الأشياء من الله تعالى، فقالﷺ: ((لو أن رجلا أتاه سائل فأعطاه شيئا، لا شك أنه يرجو عليه ثوابا، ويرى أنه فعل شيئا، وينسى أن الله تعالى هو الذي أقدره على الفعل، وأنه هو الذي يسر له ما تصدق به، وأنه هو الذي ساق إليه السائل.
وفي المعاصي النفس تدعو إليها والشيطان يزينها له وينسيه عاقبتها ليطمئن بها قلبه وينوي العود إليها ويصر عليها)) (١).

وقال الإمام الحداد –رحمه الله–: ((اقصد محبة الله، وهذه الأمور تجيك عرض، أيعوز الله أن يعطيك خرقة وكسرة، لو كان هو مانعا ذلك أحدا لمنعه الكفار، فإذا أردت أن تعرف الله، فانظر إلى الكفار، كيف يرزقهم وينعمهم، تعرف إن الدنيا بأسرها هم شاغل، ولا ترى أروح ممن يأكل كسرة خبز على دكة أو في مكان مثل الطلب أي (السائلون) فإنهم أروح من غيرهم بكثير)) (٢)

والإمام الحداد لا يرى محسنا إلا الله فهو الذي عليه المعول، وهو المحرك لعبيده ويبن لنا معنى الاستشراف ومفهوم حديث ((جبلت القلوب على حب من أحسن إليها)) (٣) حيث سأله سائل قائلا: إن جدك عليه الصلاة والسلام يقول (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها) فقال ﷺ: ((نحن لا نرى محسنا إلا الله فإن كان ولا بد فكالهباء تحسبه شيئا، فإذا فتشته لم تجد شيئا، يريد أن رؤيته للخلق بهذه المثابة، والتعبير عن ذوق من لا يرى إلا الله في العطاء والمنع عسير، ولا تكاد العبارة تقع عليه، ولكن يستدل على صاحب هذا المقام بالعلامات الظاهرة والمعول عليه، والذي لا بد منه في الأخذ من أيدي الخلق، استعمال العلم والأدب ظاهرا وباطنا أما العلم الظاهر فهو أن لا تأخذ إلا ما يسوغ لك أخذه شرعا، وأما الباطن فهو أن لا تأخذ شيئا وأنت عنه في غناء إلا بنية إخراجه، ولا شيئا استشرفت إليه النفس. ومعنى الاستشراف: أن ترجوه وتطمع فيه من موضع معين، وهذا من الآداب الباطنة والتزامها فضل والواجب من باطن العلم أن تؤمن يقينا أن الله تعالى هو المعطي حقيقة، فإنه هو الرزاق لذلك المعطي، والآمر له بالإعطاء والمجازي له بما هو أجل وأفضل من عطائه، وهو الذي سلط على قلبه البواعث القاهرة، التي لا يستطيع لها خلافا، وهو الذي زين له البذل

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد: ١٤٢/١.
(٢) المرجع السابق ، ٣٠٠/٢.
(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في الحلية: ١٢١/٤.

واخطرك على باله، وألقى في نفسه أن الخير والمنفعة في الاصطناع إليك، فما أحسن إلا إلى نفسه. فقل لي: هل يبقى مع استشعار هذا الأمر من العلم بالله، نظر إلى الخلق أو وقوف معهم؟ ومع هذا كله، فلا تغفل عن شكر المحسنين ومودتهم والدعاء لهم، من حيث إنه سبحانه أمر بذلك، وما جعلهم محلا للمعروف، وموضعا للخير وواسطة بينه وبين عباده، إلا وهو يحب لهم ذلك، ويحب معاملتهم به وشكرك إياهم شكر لله عند التحقيق))[١]

وللإمام الحداد ملمح حول قضية يغفل عنها حتى طلاب العلم ألا وهي خواص السور أو الفضائل وما تجلب أو تدفع مثال قراءة سورة الواقعة وأن قراءتها تدفع الفاقة كما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: ((من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا) قال: وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة)) (٢) وقد سئل الإمام الحداد عن ترتيب سورة الواقعة، فقال ﷺ: ((فاعلم أنه ورد: أن قراءتها كل ليلة أمان من الفاقة، وهي الحاجة إلى الخلق، أعني حاجة تشين الإنسان في دنياه ومروءته. وقد قيل لابن مسعود ﷺ عند موته: تركت أولادك فقراء فقال: ما منهم أحد إلا وقد أعطيته كنزا، وهو سورة الواقعة. وخواص السور والآيات القرآنية والأذكار والأدعية النبوية أمر غير مجهول وكتب السنن طافحة بها وقد ألف الإمام الغزالي في ذلك كتابا سماه: الذهب الإبريز في خواص الكتاب العزيز. وليس في ترتيب الواقعة ونحوها لجلب المنافع ودفع المضار الدنيوية ما يقدح في عمل ولا نية، نعم لا ينبغي أن يكون الباعث على قراءتها مجردا من المقاصد الدينية. وللعبد في التحرز من الحاجة إلى الناس – إذا عقل – أفضل نية، فإن المؤمن الفطن لا يقصد بالاستغناء عن الناس وبالسلامة في النفس والأهل، وما شاكل ذلك مما يقترن به من الراحة واللذة الصورية، بل يقصد به الخلاص من آفات تضر الدين، وقد تظهر على كثيرين من المبتلين بشيء من هذه البليات ومن ثم اشتد حرص الأكابر، على سؤال العافية من الله المعنوية والحسية وذلك خوفا من انفسهم، لما هي مجبولة عليه من الضعف والتزلزل عند ورود الأشياء المنافرة لها. وقد تكرر

(١) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٥٤-٥٦.

(٢) أخرجه ابن السني: أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بـ ابن السني، عمل اليوم والليلة، تحقيق: كوثر البرني ، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن – جدة / بيروت، رقم الحديث ٦٨٠، ص٣٨٢.

من الرسول ﷺ الاستعاذة من الفقر والأمراض وقال: (كاد الفقر أن يكون كفرا) [(١)] لما يتهدف له المبتلى به، من التبرم بالقضاء والسخط للمقدور والجزع.

قال سفيان الثوري –رحمه الله–: «ما أجزع من البلاء لأنه يؤلمني، ولكن أخشى أن أبتلى فأكفر. ثم إن كمال العبد في رضاه باختيار ربه له واكتفائه بعلمه، واعتنائه باختياره وتدبيره عن تدبير نفسه واختيارها» [(٢)].

(١) أخرجه التبريزي: مشكاة المصابيح، ٣ /٢٤٠٣.

(٢) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٥٧.

المبحث الرابع

مقامات الدين الإسلام والإيمان والإحسان

المطلب الأول: مقامات الدين وأولها الإسلام:

أولا: حديث مقامات الدين:

أخرج مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)) [(١)]

يستفاد من هذا الحديث ما يأتي:

أولا: أن الإيمان هو التصديق بجميع القضايا الاعتقادية التي جاء بها النبي ﷺ من وجود الله وربوبيته ووحدانيته وصفاته، والتصديق بالملائكة، والبعث والرسل والكتب السماوية والقدر وجميع الشؤون الغيبية.

ثانيا: أن أركان الإسلام خمسة بعضها لساني قلبي كالشهادتين، وبعضها بدني كالصلاة، وبعضها مالي كالزكاة والحج.

ثالثا: أن الإحسان وهو مقام المراقبة أعلى مقامات الدين، وهو منهاج النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم الحديث ٨، ١/ ٣٦.

رابعا: ظاهر الحديث أن الإسلام والإيمان حقيقتان متباينتان، وأن الإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة. والإيمان على الأعمال الباطنة. قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: وعن الإمام أحمد الجزم بتغايرهما[١]، وعن المزني صاحب الشافعي أنهما عبارة عن معنى واحد قال الحافظ: ولكل من القولين أدلة متعارضة، والذي عليه البخاري أن الإسلام والإيمان والدين عبارات مختلفة عن معنى واحد[٢]، والناظر في النصوص، يرى أنهما إذا اجتمعا افترقا كما في حديث جبريل هذا، وإذا افترقا اجتمعا فإذا ذكر الإسلام وحده كان جامعا لمعنى الإسلام والإيمان معا، وإذا ذكر الإيمان وحده كان جامعا لمعنى الإيمان والإسلام معا وهذا يدل على أنهما في الأصل اسمان لحقيقة واحدة كما ذهب إليه البخاري ويرى ابن حجر في ذلك رأيا وسطا حيث يقول: ((والذي يظهر من مجموع الأدلة أن لكل منهما حقيقة شرعية، لكن كل منهما مستلزم للآخر، بمعنى التكميل له، فكما أن العامل لا يكون مسلما إلا إذا اعتقد، فكذلك المعتقد لا يكون مؤمنا كاملا إلا إذا عمل، وحيث يطلق الإيمان في موضع الإسلام، أو الإسلام في موضع الإيمان، أو يطلق أحدهما على إرادتهما معا، فهو على سبيل المجاز ويتبين المراد بالسياق، فإن وردا معا في مقام السؤال حملا على الحقيقة، وكان لكل منهما معنى خاصا، وإن لم يردا معا أو لم يكن في مقام سؤال أمكن الحمل على الحقيقة أو المجاز، بحسب ما يظهر من القرائن، قال: وقد حكى ذلك الإسماعيلي عن أهل السنة والجماعة)) [٣]

خامسا: أن وقت قيام الساعة أمر غيبي اختص الله بعلمه دون سواه. [٤]

قال الإمام الحداد ﷺ: ((ثلاث مقامات الدين مترتبة، لا يحصل للإنسان الثاني حتى يحكم الأول، مقام الإسلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان)) [٥].

---

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام، ١/١١٥.

(٢) المرجع السابق، ١/ ١١٤.

(٣) المرجع نفسه، ١/١١٥.

(٤) قاسم: حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، ، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ١/ ١٣٨-١٣٩.

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٢٧١.

ثانيا: مقام الإسلام:

والإسلام في اللغة: هو الاستسلام الذي هو موضع الطاعة والانقياد لله عز وجل[1]

والإسلام في الاصطلاح: هو الانقياد والاستسلام وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى واستسلم فيها لأمره فهي إسلام[2]

قال الإمام الحداد ﷺ: عن حديث جبريل لما سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان:

((الإسلام مجرد عمل فقط، والإيمان مجرد علم وتصديق، والإحسان مشترك بينهما، فالأول في الجوارح والثاني في القلب والثالث فيهما فالأول ظاهر الثاني، والثاني باطنه، والثالث خالصهما وهو الغاية من الإيمان والإسلام إذا اجتمعا صارا إحسانا)) [3].

ويبين الإمام الحداد أن لا طريق للإيمان إلا من طريق الإسلام وأن الإسلام ظاهر الدين والإيمان باطنه والإحسان ثمرتهما قال الإمام الحداد ﷺ: ((المقام مقامان: مقام إسلام، ومقام إيمان، فإذا حققت مقام الإسلام، صار هو طريقك إلى الإيمان، ولا طريق إليه إلا منه ومن أراد الإيمان من غير طريق الإسلام، بقي لا إسلام ولا إيمان، والأول ظاهر الثاني، والثاني باطنه، والثالث خالصهما، وهو الغاية من الإسلام والإيمان، إذا اجتمعا صارا إحسانا، وقوله: صدقت يشعر بأن بينهما معرفة سابقة، وفي قوله: تشهد، أي تعتقد عن اعتقاد في القلب، ويقين في الباطن، لا إيمان المنافقين، وإيمانهم باطل، وإيمان العوام ناقص، وفي الحديث حث على طلب العلم، وعلى تكرير المعلم على المتعلمين، ليرسخ حفظهم، وعلى تخصيص أكمل الحاضرين بالخطاب)) [4]

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ١٢/ ٢٩٥.

(٢) الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين حيدر، ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ٣٩٢.

(٣) الحداد: بشرى الفؤاد بترجمة الإمام الحداد، ١٥.

(٤) المرجع السابق، ٢/٤.

ثالثا: الحكم على من لا يدين بأمور الإسلام وهو مسلم:

قال ابن رجب -رحمه الله-: ((وأكثر أصحابنا أن ظاهر مذهب أحمد تكفير تارك الصلاة فلو لم تكن الصلاة من الإسلام لم يكن تاركها عنده كافرا، والنصوص الدالة على أن الأعمال داخلة في الإسلام كثيرة جدا)) [١] والإمام الحداد لا يحكم بكفر ولا بإسلام من لا يدين بأمور الإسلام من صلاة ونحوها وضرب لنا مثالا في التوقف عن الحكم ممن هذه صفتهم وذلك حين سئل عن أموال أهل البادية فقال الإمام الحداد ﷺ: ((أموال أهل البادية كلها بيت مال؛ لأنهم لا يدينون بأمور الإسلام، وإن أقروا بها، لا صلاة ولا زكاة، ولو سئلت عن مثل هؤلاء لم أجزم بأنهم مسلمون أو كافرون، وهذا هو محل التوقف وقول: لا أدري، لأنهم لا يقرون بالشهادة تعبدا، وإنما يقولونها بغير قصد عندما يتكلمون أو يتعجبون ولا يفعلون أركان الإسلام، فبهذا يكاد يحكم بكفرهم، ولكنهم يقرون بها، ويعتقدون من يفعلونها، فبهذا يرجى أن يكونوا مسلمين، فظاهر أحوالهم يمنع أن يقال بإسلامهم، وباطنهم يمنع أن يقال بكفرهم، ففي مثل هذا: التوقف أسلم، لأن معهم شبهة إسلام، فلهذا حسن التوقف فيهم، ولو قد خرج المهدي لكان أول من يجاهد هؤلاء وأمثالهم)) [٢]

قلت وهذا المذهب هو الأسلم كما قال الإمام أبوبكر الباقلاني: ((إن إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة إسلام واحدة، أسلم من تكفير مسلم واحد، بألف شبهة كفر)) [٣]

(١) ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمود بن شعبان واخرون، ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، ، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م، ١٢٦/١.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٢٣/٢-٢٢٤.

(٣) المرجع السابق: ٣٨/١.

رابعا: حكم المسلم إذا صدر منه فعل الكافر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [١] قال الإمام ابن حجر في فتح الباري شرح البخاري (قوله باب علامات المنافق)

لما قدم أن مراتب الكفر متفاوتة وكذلك الظلم أتبعه بأن النفاق كذلك، وقال الشيخ محيي الدين مراد البخاري بهذه الترجمة أن المعاصي تنقص الإيمان كما أن الطاعة تزيده، وقال الكرماني مناسبة هذا الباب لكتاب الإيمان أن النفاق علامة عدم الإيمان أو ليعلم منه أن بعض النفاق كفر دون بعض، والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه[٢]

ومنهج الإمام الحداد في المسلم إذا صدر منه عمل الكفار أنه منافق وليس كافرا؛ لأنه مقر بالشهادتين وناطق بها فكيف نكفره، وأمره ملتبس ولكن هذا حكمه في الدنيا يعامل معاملة المسلمين، وأما عند الله فالله أعلم بحاله، وهذا الحكم فيهم أميل للقلب لما فيه من الاحتياط، قال الإمام الحداد ﷺ: «فعل الكافر إذا صدر من المؤمن فهو النفاق وفاعله منافق، لأن المؤمن بين، والكافر بين، كل مقر بما هو عليه ظاهرا وباطنا، وأما المنافق فمتلبس بالحالين، الإسلام على ظاهره، والكفر في باطنه» [٣]

---

(١) سورة النساء: الآية: ١٣٨ – ١٤٠

(٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/٨٩.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٢٧٤.

خامسا: الإنسان يشكر الله على نعمة الإسلام ويسأله الموت عليها:

نعمة الإسلام من أعظم النعم، فمن أكرمه الله بها ينبغي عليه أن يحافظ عليها ويسأل من الله الثبات على ذلك حتى يأتيه الموت وهو على تلك النعمة فيفوز بالسعادة الكبرى والبشرى في الآخرى وهي الجنة، وفي المقابل من مات على غير الإسلام خسر الدنيا والآخرى، قال الله تعالى في شأن بيان ذلك: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١) لذلك ينبغي للمسلم أن يشكر الله على هذه النعمة فهي أساس السعادة في الدنيا والأخرة قال الإمام الحداد رضي الله عنه مبينا عظم شأن النعم وأن أعظمها الإسلام: ((فينبغي للمسلم: أن يرجو من فضل الله، أن لا يسلبه نعمة الإسلام، من بعد أن أنعم عليه بها ابتداء من غير وسيلة منه، ويخاف مع ذلك من التغير، لتقصيره في الشكر على هذه النعمة التي هي أعظم النعم؛ وينبغي أن لا يزال سائلا من الله تعالى، متضرعا إليه، أن يرزقه حسن الخاتمة...)) (٢) وقال ايضا :((الناس في مقام الشكر، وهم يحسبون أنهم في مقام الصبر، لأنهم ليسوا في بلاء، وإن كان بهم شيء من ذلك فما هم فيه من النعم يغلب عليه، لأنك إذا تفكرت فيما أنت فيه من نعمة الإسلام والتوحيد، رأيت أنك في أتم ما يكون، لأنه لا عيش مع كفر، إلا إن الإنسان خلق ضعيفا)) (٣)ويقرر الإمام الحداد أن الموت على الإسلام أمر الله عباده أن يطلبوه فقال: رضي الله عنه في مفهوم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٤) ((أمر منه سبحانه بالموت على الإسلام، وهو دين الله الذي أخبر في كتابه أنه الدين عنده، وأنه لا يقبل من أحد سواه، وأنه الدين الذي رضيه لرسوله ولعباده المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١)وليس يقدر الإنسان على أن يميت نفسه على الإسلام،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥

(٢) الحداد: سبيل الإدكار، ص٥٧.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٢٧٦-٢٧٥.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ١٠٢

(٥) سورة آل عمران: الآية: ١٩

(١) سورة المائدة: الآية: ٣

ولكن قد جعل الله له سبيلا إلى ذلك، إذا أخذ به كان قد أتى بالذي هو عليه، وامتثل ما أمره به وهو أن يختار الموت على الإسلام، ويحبه ويتمناه، ويعزم عليه، ويكره الموت على غيره من الأديان، ولا يزال داعيا متضرعا وسائلا من الله أن يتوفاه مسلما، وبذلك وصف الله الأنبياء والصالحين من عباده فقال مخبرا عن يوسف بن يعقوب-عليه السلام-: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (١) وعن السحرة حين آمنوا فتوعدهم فرعون بالعقوبة: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾(٢)وحكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام الوصية بالموت على الإسلام فقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(٣)وعلى الإنسان الاجتهاد في حفظ إسلامه وتقويته بفعل ما أمر به من طاعة الله تعالى، فإن المضيع لأوامر الله متعرض للموت على غير الإسلام، فإن تركه لذلك دليل على استهانته بحق الدين معلنا الاستخفاف به، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر. وعليه أيضا أن يجانب المعاصي والآثام، فإنها تضعف الإسلام وتوهنه، وتزلزل قواعده وتعرضه للسلب عند الموت، كما وقع ذلك -والعياذ بالله - لكثير من الملابسين لها، والمصرين عليها وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾(٤) ما يدل على ذلك، فتأمله، وخذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى، و اجتناب محارمه، وإن وقعت في شيء منها فتب إلى الله تعالى منه، واحذر كل الحذر من الإصرار عليه. ولا تزال سائلا من الله حسن الخاتمة، وقد بلغنا أن الشيطان - لعنه الله - يقول: قصم ظهري الذي يسأل الله تعالى حسن الخاتمة. أقول: متى يعجب هذا بعمله! أخاف أن قد فطن، وأكثر من الحمد والشكر لله على نعمة الإسلام، فإنها أعظم النعم وأكبرها، فإن الله لو أعطى الدنيا بحذافيرها عبدا ومنعه الإسلام لكان ذلك وبالا عليه، ولو أعطاه الإسلام ومنعه الدنيا لم يضره ذلك، لأن الأول يموت فيصير إلى النار، وهذا الثاني يموت فيصير إلى الجنة، وعليه أن لا تزال خائفا وجلا من سوء الخاتمة، فإن الله

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢٦

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٢

(٤) سورة الروم: الآية ١٠

مقلب القلوب، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء. وفي الحديث الصحيح: «والذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، وحتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» [(١)] الحديث. وفيه غاية التخويف لأهل التقوى والاستقامة، فضلا عن أهل التفريط والتخليط. وكان بعض السلف الصالح يقول: والله ما أمن أحد على دينه أن يسلب إلا سلب. وقدكان السلف الصالح – رحمة الله عليهم– في غاية الخوف من خاتمة السوء مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم، حتى قال بعضهم: لو عرض علي الموت على الإسلام بباب الحجرة، والشهادة بباب الدار، يعني الشهادة في سبيل الله، لاخترت الموت على الإسلام على باب الحجرة، على الشهادة على باب الدار، لأني لا أدري ما الذي يعرض لقلبي فيما بين الحجرة إلى باب الدار! ا هـ» [(٢)] ومن الأذكار التي جمعها الإمام الحداد ذكر– يا ذا الجلال والإكرام أمتنا على دين الإسلام– [(٣)]ويذكر الإمام الحداد نماذج ممن يختم لهم بسوء الخاتمة قال ﷺ : «واعلم أنه كثير ما يختم بالسوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، والذين يتتبعون عورات المسلمين، والذين ينقصون المكيال والميزان، والذين يخدعون المسلمين ويغشونهم ويلبسون عليهم في أمور الدين والدنيا، والذين يكذبون أولياء الله، وينكرون عليهم بغير حق، والذين يدعون أحوال الأولياء ومقاماتهم من غير صدق، وأشباه ذلك من الأمور الشنيعة. ومن أخوف ما يخاف منه على صاحبه سوء الخاتمة، البدعة في الدين، وكذلك إضمار الشك في الله ورسوله واليوم الآخر. فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم. اللهم يا أرحم الرحمين، نسألك بنور وجهك الكريم، أن تتوفانا مسلمين، وأن تلحقنا بالصالحين» [(١)] وله

وأن يتوفانا على خير ملة *** على ملة الإسلام خير المواهب[(٢)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ (فو الله إن أحدكم – أو: الرجل – يعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.. الحديث) باب في القدر، رقم الحديث ٦٥٩٤، ١٢٢/٨.

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص ٣٣.

(٣) الحداد: راتب الإمام الحداد: ص٨.

(١) الحداد، النصائح الدينية، ص٣٦.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٦٣.

المطلب الثاني: مقام الإيمان:

أولا: تعريف الإيمان:

الإيمان في اللغة مصدر: آمن يؤمن إيمانا؛ فهو مؤمن. واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن (الإيمان) معناه: التصديق[١]

واصطلاحا: تحدثت عن الإيمان اصطلاحا طوائف عديدة من أهل العلم من الفقهاء وأهل الحديث والمتكلمين والمفسرين وغيرهم، وقد تناول ذلك كل من التهانوي والعيني فقالا ما خلاصته: معنى الإيمان باعتبار عرف الشرع اختلف فيه أهل القبلة على أربع فرق:

الأولى: الإيمان فعل القلب فقط أي تصديق الرسول ﷺ في كل ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقا جازما مطلقا.

الثانية: الإيمان عمل (إقرار) باللسان فقط بشرط حصول المعرفة بالقلب، فإن لم تحصل كان صاحب ذلك مؤمن الظاهر كافر السريرة.

الثالثة: الإيمان عمل القلب واللسان أي الاعتقاد الجازم والإقرار بالشهادتين، وقد نسب هذا إلى أبي حنيفة وعامة الفقهاء وبعض المتكلمين.

الرابعة: الإيمان فعل القلب واللسان وسائر الجوارح، وقد نسب القول بذلك إلى أصحاب الحديث ومالك والشافعي والأوزاعي،[٢] والإمام الحداد جعل الإيمان اعتقادا وتصديقا بالقلب حتى يصير كاليقين وإقرارا باللسان وعملا بالجوارح وهذا إيمان الصادقين خرج بهم المنافقين والكافرين قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[٣] قال الإمام الحداد رضي الله عنه: «الإسلام مجرد عمل فقط، والإيمان مجرد علم وتصديق، والإحسان مشترك بينهما، والأول في الجوارح، والثاني في القلب، والثالث فيهما، والأول

---

(١) ابن منظور: تهذيب اللغة، ١٥/ ٣٦٨.

(٢) بن حميد: المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤، ٣/٦٤٠-٦٤١.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٤

ظاهر الثاني، والثاني باطنه، والثالث خالصهما، وهو الغاية من الإسلام والإيمان، إذا اجتمعا صارا إحسانا)) (١)

فالإيمان هو الأصل وهو صدق التوحيد، والتوكل والإخلاص من أجل فروعه وأشرف ثمراته، وما تحقق عبد بهذه المعاني الشريفة، وبنى على قواعدها قوله وفعله إلا صار الشيطان يفرق من ظله، ومن لم يتحقق بهذه الأوصاف فللعدو بقلبه إلمام ومن حوله تطواف وكل من عرى عنها وخلى منها، فقد فارق دينه وارتحل عنه إيمانه ويقينه، والرجيم وليه وقرينه، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا.

ثانيا: حكم إيمان المقلد:

المقلد شخص متصف بالتقليد، ومعنى التقليد: قبول قول الغير من غير دليل، فكأنه بقبوله جعله قلادة في عنقه. وإذا ثبت أن الإيمان هو التصديق القلبي فقط، وأن الأعمال ليست داخلة فيه، ثبت أن إيمان المقلد صحيح يثاب عليه إذا وجد منه التصديق المذكور، فينال الثواب الموعود المسطور بفضل الله الملك الغفور، سواء وجد منه ذلك التصديق عن دليل أو عن غير دليل، إلا أنه يكون عاصيا بترك النظر والإمعان في الاستدلال على الإيمان. واختلف أهل الملة من الأنام، في أن إيمان المقلد صحيح أم لا؟ اختلف العلماء في إيمانه صحة وفسادا، وحاصل الخلاف فيه أقوال منها:

١- عدم صحة إيمان المقلد، فيكون المقلد كافرا، وعليه السنوسي.

٢- الاكتفاء بالتقليد مع العصيان - إن كان فيه أهلية للنظر - وإلا فلا عصيان.

٣- إن من قلد القرآن والسنة القطعية صح إيمانه لإتباعه القطعي، ومن قلد غير ذلك لم يصح إيمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم.

٤- الاكتفاء به من غير عصيان مطلقا، لأن النظر شرط كمال، فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر، فقد ترك الأولى.

-والقول الحق الذي عليه المعول من هذه الأقوال هو الثاني. والصواب أن هذا الخلاف جار في النظر الموصل لمعرفة الله تعالى دون غيره كالنظر الموصل لمعرفة الرسل. (١)

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٤-٥ .

(١) البجيوري: تهذيب شرح جوهرة التوحيد، ص٣٦.

وقد سئل الإمام الحداد عن حكم إيمان المقلد فأجاب بقوله: «وأما المسألة التي أومأت إليها من علم الاعتقاد والأصول. فاعلم أن إيمان المقلد فيما نراه ونقوله إيمان صحيح لا يمترى في صحته، محصل له علم ومعرفة بأول هذا الدين وابتداء ظهوره، وما كان ﷺ يقبله من أجلاف العرب وسكان البوادي منهم وهذا أمر واضح جلي وأما أنت وأمثالك فلسنا نرى أنك من التقليد بل أنت من أهل الاستبصار وممن شرح الله صدره للإيمان والإسلام.

وعندنا أن من قرأ القرآن وفهم فيه ولو بعض فهم، فهو من المؤمنين المستبصرين إذا أيقن وآمن بما فيه، لأن القرآن متواتر على القطع ومعجز على القطع، ولم يزل الحال كذلك من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا. فكيف يكون مقلدا من كان إيمانه عن علم صح وثبت بالتواتر من غير نكير ولا منازع في ذلك بل يصح الإيمان مع الاستبصار بدون ذلك من العلم.

وأما ذكره قول السنوسي[١] فحديث آخر. والرجل من علماء الكلام والمتعصبين عليه وكل يؤخذ من كلامه ويترك غير رسول الله ﷺ ، كما قالت الأئمة.» [٢]

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: «إن أهل الزمان ما صححوا إيمانهم بالنظر والسؤال، حتى إن عامتهم إيمانهم قاصر عن إيمان المقلدين لقلة بصائرهم، وقد أدركنا الناس يعلمون الصغار: (قل رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا، ولد بمكة وبعث بها، وهاجر إلى المدينة ومات بها) فما زال الأمر ينقص حتى لم يبق لأمثال هذه الأشياء أثر، فإذا كان هذا في أمور الإيمان، الذي هو الأصل، فماذا يكون غيره، وعلى هذا ينقص الدين شيئا فشيئا، حتى يرفع ولم يبق منه شيء، ثم رجعت فراستهم في أمور الدنيا» [٣].

---

(١) وهو قوله الذي تقدم بعدم صحة إيمان المقلد .

(٢) الحداد، النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ١٦٧.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ، ١/٣٦٩.

ثالثا: التحذير من ضعف الإيمان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ (١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٣) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (٤) وعن أبي الدرداءرضي الله عنه، قال: ((الإيمان يزداد وينقص)) (٥) وعن عمير بن حبيبرضي الله عنه قال: ((الإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وخشيناه، فذلك زيادته، فإذا غفلنا وضيعنا، فذلك نقصانه)) (٦) قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: ((وقد اختلف العلماء في زيادة الإيمان ونقصانه على أقوال. والعقيدة في هذا على أن نفس الإيمان الذي هو تاج واحد، وتصديق واحد بشيء ما، إنما هو معنى فرد، لا يدخل معه زيادة إذا حصل، ولا يبقى منه شيء إذا زال، فلم يبق إلا أن تكون الزيادة والنقصان في متعلقاته دون ذاته. فذهب جمع من العلماء إلى أنه يزيد وينقص من حيث الأعمال الصادرة عنه، لا سيما أن كثيرا من العلماء يوقعون اسم الإيمان على الطاعات، لقولهصلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون بابا فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) (٧) ا هـ)) (٨). وقال المفسر ابن عاشور -رحمه الله -ومسألة زيادة الإيمان ونقصه مسألة قديمة، والخلاف فيها مبني على أن الأعمال يطلق عليها اسم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ (١) يعني صلاتكم. أما التصديق القلبي

---

(١)سورة المدثر: الآية: ٣١

(٢) سورة الأنفال: الآية: ٢

(٣) سورة التوبة: الآية: ١٢٤

(٤)سورة الأحزاب: الآية: ٢٢

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب في الإيمان، رقم الحديث ٧٠، ١/ ٢٨.

(٦) أخرجه الآجري: الشريعة للآجري، رقم الحديث ٢١٥، ٢/٥٨٠.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: باب شعب الإيمان، رقم الحديث ٣٥، ١/ ٦٣.

(٨) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/٢٨٠.

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣

وهو عقد القلب على إثبات وجود الله وصفاته وبعثه الرسل وصدق الرسول، فلا يقبل النقص، ولا يقبل الزيادة، ولذلك لا خلاف بين المسلمين في هذا المعنى، وإنما هو خلاف مبني على اللفظ[١]، والاحاديث الدالة على زيادة الإيمان ونقصه وضعفه كثيرة، منها عن أبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ: ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)) [٢] وعن أنس، عن النبي ﷺقال: ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير قال أبو عبد الله: قال أبان، حدثنا قتادة، حدثنا أنس، عن النبيﷺ: من إيمان مكان من خير)) [٣] قلت فنقول: إن كل دليل دل على زيادة الإيمان فإنه يدل أيضا على نقصانه، وكذلك العكس، وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص. قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لباب زيادة الإيمان ونقصانه من صحيح البخاري: ثم شرع المصنف يقصد الإمام البخاري يستدل لذلك بآيات من القرآن مصرحة بالزيادة، وبثبوتها يثبت المقابل، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة)) [٤].

وقال رسول اللهﷺ: ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)) [٥].

قال الإمام الحداد ﷺ: ((وأما ضعف الإيمان فهو بلية عظيمة، وخلة ذميمة تنشأ عنها أمور مذمومة مثل ترك العمل بالعلم و ترك الأمر والاهتمام بالرزق وخوف الخلق إلى غير ذلك من الأخلاق المشؤومة، وعلى قدر إيمان العبد يكون امتثاله للأمر واجتنابه للنهي. وأول دليل على ضعف إيمانه تركه للموافقات وارتكابه للمخالفات. فعلى كل مؤمن أن يسعى في تقوية إيمانه والأمور التي يقوى بها الإيمان ويزيد ثلاثة:

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٤/ ١٦٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث ٤٦٨٢، ٤/ ٢٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم الحديث ٤٤، ١/١٧-١٨.

(٤) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/٤٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، رقم الحديث ٤٩، ١/ ٦٩.

أحدها: أن يصغي بسمعه إلى الآيات والأخبار التي فيها ذكر الوعد والوعيد وأمور الآخرة، وإلى قصص الأنبياء وما أيدوا به من المعجزات، وما حل بمعانديهم من المثلات. وإلى ما كان عليه السلف الصالح من الزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة؛ وإلى غير ذلك من الأدلة السمعية.

الثاني: أن ينظر بعين الاستبصار والاستدلال إلى ملكوت السموات والأرض وما بينهما من عجائب الآيات وبدائع المصنوعات.

الثالث: أن يواظب على العمل بالصالحات و يحترز من الوقوع في المعاصي والسيئات، فإن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة ويقل بالمعصية. وكل هذه المذكورات يزيد بها الإيمان ويقوى بها الإيقان، والله المستعان» (١). وينبه الإمام الحداد إلى نظافة القلوب بقوله ﷺ: «واعلموا معاشر الإخوان أيدنا الله وإياكم أن خير القلوب وأحبها لله: ما كان نظيفا نقيا من الباطل والشكوك، ومعاني الشر كلها، واعيا للحق والهدى، ومعاني الخير والصواب وفي الحديث: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر؛ فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر، وقلب مربوط على غلافه فذلك القلب المنافق، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء العذب، ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه ذهبت به» (٢) و يقرر الإمام الحداد أن حقيقة الإيمان تكون في الأمور الغيبية، قال ﷺ: «إنما الإيمان في الأمور الغيبية، فلو كان في الأمور الحسية لما احتاج إلى التنبيه عليه، وفي هذا تفاوت بعيد، ثم قال: ولا تستبعده وإن كان منك قريبا لأنه أمر غيبي، فانظر إلى حال النائم بجنبك كيف يرى الرؤيا، وإنه كذا وكذا، وأنت لا تعلم به وربما صاح فتظهر لك» (١).

---

(١) الحداد: رسالة المذاكرة، ص٣٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: بلفظ آخر القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد: فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف: فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق عرف، ثم أنكر، وأما القلب المصفح: فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم، فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه وإسناده ضعيف، رقم الحديث ١١١٢٩، ١٧ /٢٠٨.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ١٨٠.

رابعا: الإيمان هو اليقين ومراتبه ومقاماته:

قال ابن القيم –رحمه الله–: ((فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح. وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره. وقال الجنيد–رحمه الله–: اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول، ولا يتغير في القلب. وقال أبو بكر الوراق: اليقين ملاك القلب. وبه كمال الإيمان. وباليقين عرف الله)) [١].

وعرف الإمام الحداد اليقين بقوله ﷺ: ((واليقين عبارة عن تمكن الإيمان من القلب واستيلائه عليه، على وجه لا يتصور معه التزلزل والتشكك بحال)) [٢] كما جعله ثمرة الإيمان فقال ﷺ : ((الإيمان إذا باشر القلب يكون هو اليقين)) [٣].كما قال ﷺ: ((الإيمان: اليقين، وتزعزعه الأوهام، وكلما كثرت ضعف، وكلما قلت قوي)) [٤]ويبين الإمام الحداد محل اليقين بقوله :ﷺ ((واليقين: هو الإيمان الخالص الصادق كما تقدم ومحله باطن القلب، وقد جعل الله رحمته للعبد سبيلا إلى تحصيل اليقين بملازمة العبادات والنظر في ملكوت الأرض والسموات وتدبر الآيات المنزلات، فمن قوي يقينه وتزين باطنه وظاهره بملازمة العمل الصالح نال القرب من ربه ونزل بحبوح جنات الأنس به واجتنى ثمرات الوصول إلى كريم حضرته)) [٥].

ولليقين مراتب ودرجات ومقامات حيث قال ابن القيم –رحمه الله–: ((وهو على ثلاث درجات، الدرجة الأولى: علم اليقين وهو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق. والوقوف على ما قام بالحق.

الدرجة الثانية: عين اليقين وهو المغني بالاستدلال عن الاستدلال. وعن الخبر بالعيان. وخرق الشهود حجاب العلم.

الفرق بين علم اليقين وعين اليقين: كالفرق بين الخبر الصادق والعيان. وحق اليقين: فوق هذا.

---

(١) ابن القيم: ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،ص ٣٧٤-٣٧٦.

(٢) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٧٥.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/ ٢٣٤.

(٤) المرجع السابق: ١٠٤/١.

(٥) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٧٧.

الدرجة الثالثة حق اليقين. وهو إسفار صبح الكشف. ثم الخلاص من كلفة اليقين. ثم الفناء في حق اليقين» (١)

قال الإمام الحداد ﷺ: «اعلم أن علم اليقين يعبر به عن الإيمان الصادق المؤيد بالبراهين الصحيحة والأدلة الصريحة، وعين اليقين مرتبة فوقه وهي أن يستغني الإنسان عن الاستدلال لظهور الحق له من طريق العيان أو قريب منه. وأما حق اليقين فهو المرتبة العليا المشار إليها بالكشف المطلق الأسنى، المخصوص به أكابر الأولياء وخواص العارفين الأصفياء وفيها رسخت أقدام الأنبياء وكمل ورثتهم من الصديقين» (٢)وقال الإمام الحداد ﷺ :«وأهل الإيمان في اليقين على ثلاث درجات:

الأولى: وهي درجة أصحاب اليمين التصديق الجازم مع إمكان التشكك والتزلزل لو جاء ما يقتضيه، ويعبر عنها بالإيمان.

الدرجة الثانية: وهي درجة المقربين استيلاء الإيمان على القلب، وثباته فيه حتى لا يجوز النقيض، بل لا يتصور وجوده فضلا عن إمكانه، وفي هذه الدرجة يصير الغيب كأنه شهادة ويعبر عنها باليقين.

الدرجة الثالثة: وهي درجة النبيين وكمل ورثتهم من الصديقين أن يصير الغيب شهادة ويعبر عنها بالكشف والعيان.

وبين أهل كل درجة في درجتهم تفاوت بعيد، وكل فاضل والبعض أفضل، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم اهـ» (٣)

وقال ايضاً ﷺ في ذكر صفات قلوب اهل اليقين : «قال علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –: إن لله في الأرض آنية ألا وهي القلوب، فخيرها أصفاها وأصلبها وأرقها، ثم فسر ذلك فقال: أصفاها في اليقين، وأصلبها في الدين، وأرقها على المؤمنين» (١) قلت(٢): واليقين

---

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، ٢/ ٣٧٨-٣٨٠.

(٢) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ٧٧.

(٣) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص ٢١-٢٤.

(١) أخرجه الصفوري عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس عن الإمام علي، الصفوري عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ، الناشر: المطبعة الكاستلية — مصر، عام النشر: ١٢٨٣هـ، ١/ ٥٧.

(٢) هذا الكلام للحساوي .

عبارة عن تمكن الإيمان من القلب واستيلائه عليه، وهو الطمأنينة التي سألها إبراهيم عليه السلام ربه فيما أخبر عنه بقوله:

﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [١] فبان من هذا أن اليقين غاية الإيمان ونهايته وفي الحديث: ((اليقين هو الإيمان كله)) [٢] ، وما نزل من السماء أشرف من اليقين، وكفى باليقين غنى. وقال أيضا عليه الصلاة والسلام ((سلوا الله اليقين والعافية، فإنه ما أوتي أحد بعد اليقين أفضل من العافية)) [٣] وأما الصلابة في الدين فهي القوة فيه، والثبات عليه، والغيرة له حتى يقول الحق وإن كان مرا، ولا يخاف في الله لومة لائم. وبذلك وصف الله أحباءه في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤] اهـ)) [٥]. وقال الإمام الحداد رضي الله عنه : ((في قوله ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [٦] فهذا وصف من دعاه ربه إلى توحيده وطاعته على لسان رسوله فأبى واستكبر، وجحد وكفر، ومن آمن بلسانه وصدق بظاهره، وأنكر بقلبه فهو المنافق، والذي له ما للكافر وعليه ما عليه من غضب الله ولعنته.

ومن آمن بقلبه ولسانه، وضيع ما فرض الله عليه من طاعته، وارتكب ما حرم الله عليه من معصيته، فأمره في غاية الخطر، ويخشى عليه إن لم يتداركه الله بالتوفيق لتوبة خالصة قبل مماته أن يلتحق بالمنافقين والكافرين، ويكون معهم في نار الله الموقدة ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ [١] اهـ)) [٢]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: بدون لفظ هو، باب قول النبيﷺ: بني الإسلام على خمس، ١/١٠.

(٣) أخرجه احمد في مسنده: رقم الحديث ٥، ١/ ١٨٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٤

(٥) الحداد: النصائح الدينية، ص٥٣.

(٦) سورة فاطر: الآية ٤٢

(١) سورة الهمزة: الآية ٦- ٩

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص٥٨.

واليقين يتقوى بأسباب تكلم عليها الإمام الحداد قال رضي الله عنه: ((وعليك أيها الأخ الحبيب بتقوية يقينك وتحسينه، فإن اليقين إذا تمكن من القلب واستولى عليه صار الغيب كأنه شهادة، وعند ذلك يقول الموقن كما قال علي كرم الله وجهه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا". واليقين عبارة عن قوة الإيمان وثباته ورسوخه حتى يصير كالطود الشامخ، لا تزلزله الشكوك، ولا تزعزعه الأوهام، بل لا يبقى للشكوك والأوهام وجود البتة. فإن جاءت من خارج لم تصغ إليها الأذن ولم يلتفت إليها القلب والشيطان لا يستطيع الدنو من صاحب هذا اليقين بل يفر منه ويفرق من ظله ويقنع بالسلامة، كما قال رسول الله ﷺ: ((إن الشيطان ليفرق من ظل عمر وما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر)) [1]

ويقوى اليقين ويحسن بأسباب: منها وهو الأصل والذي عليه المدار أن يصغي العبد بقلبه وأذنه إلى استماع الآيات والأخبار الدالة على جلال الله تعالى وكماله وعظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والأمر، والسلطان والقهر وعلى صدق الرسل وكمالهم وما أيدوا به من المعجزات وما حل بمعانديهم من أنواع العقوبات وما ورد في اليوم الآخر من إثابة المحسنين ومعاقبة المسيئين. وإلى كون هذا الأمر كافيا في إفادة اليقين الإشارة بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[2] الآية.

السبب الثاني: أن ينظر بعين الاعتبار في ملكوت السماوات والأرض، وما بث الله فيهما من عجائب المصنوعات، وبدائع المكونات وإلى إفادته اليقين الإشارة بقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ﴾[3].

السبب الثالث: أن يعمل على مقتضى ما آمن به ظاهرا وباطنا ويشمر في ذلك ويبذل الاستطاعة فيما هنالك. وإلى إفادته الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ (والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك)باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث ٣٢٩٤، ١٢٦/٤.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٥١

(٣) سورة فصلت: الآية ٥٣

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩

ومن ثمرات اليقين السكون إلى وعد الله، والثقة بضمان الله، والإقبال بكنه الهمة على الله، وترك ما من شأنه أن يشغل عن الله تعالى، والرجوع في كل حال إلى الله واستفراغ الطاقة في ابتغاء مرضاة الله. وعلى الجملة فاليقين أصل الإيمان وسائر المقامات الشريفة والأخلاق المحمودة والأعمال الصالحة من فروعه وثمراته، والأخلاق والأعمال تابعة لليقين قوة وضعفا، وصحة وسقما. قال لقمان عليه السلام لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل العبد إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «اليقينُ الإيمان كله» [(١)].

ومقامات اليقين تسعة قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

عَلَيْكَ بِتَصْحِيحِ الأَسَاسِ الذَّي هُوَالْ *** يَقِينُ وَرُوحُ الـدِّينِ مِنْ غَـــيْرِ رِيبَةِ
فَمِنْ عِلْمِه إِنْ صَحَّ صَـحَّتْ لَكَ الْ *** حَقِـيقَةُ مِنْ إِحْسَـــانِكَ المعْنَـــوِيَّةِ
مَـقَامَـاتُهُ تِسْـعٌ عَـلَيْكَ بِـحِـفْظِهَا *** وَإِحْــكَامِهَا وَابْدَأْ بِتَصْحِيـــحِ تَوْبَةِ
وَخِـوْفٍ وَنْعْمَ الـخَوْفُ لِلْعَبْدِ سَائِقٌ ***وَنِـــعْمَ الرَّجَا مِنْ قَـائِدٍ لِلســــّعَادَةِ
وَصـَبْرٍ جَمِـــيلٍ عِنـْدَ كُـــلِّ بَلِـيَّةٍ *** وَأَمـْرٍ وَنَـــهْيٍ أَوْ رُكُـونٍ لِـــشَهْوَةِ
وَشْـــكْرٍ عَلَى النعماء بِرُؤْيَةِ مُنْعـــِمٍ *** وَصَرْفِ الذَّي أَسْداهُ فِي سُبْلِ طَاعَةِ
وَصَحِّحْ مَقَامَ الزُّهْدِ فَهْوَ العِمَادُ وَال *** تَّـوَكُّلُ وَهَـــوْ الـــزَّادُ في كُلِّ رِحْـلَةِ
وَحْبَ إِله العَــــالَمِينَ مَعَ الرِّضَـا *** بِكُلِّ الـــذِي يَقْضِيه في كُـلِّ حَالَةِ
وَجَاهِدْ تُشَاهِدْ وَاغْنِمِ الوَعْدَ بِالهُدَى *** هُـــدَى نَصَّـــهُ في الْعَنْكَبُوتِ بِآيَةِ
وَحَافِظْ عَلى المفْرُوضِ مِنْ كُلِّ طَاعَةِ *** وَأَكْـــثِرْ مِنَ النَّفْلِ المـــفِيدِ لِـــقُرْبَةِ
بِكْنْتُ لَهُ سَـمـْعاً إِلَى آخـرِ النـبَا *** عَـــنِ اللهِ في نَصِّ الرَّسُـولِ المثْبَتِ
وَجَانِبْ هُدِيتَ النَهْيَ مِنْ كُلِّ جَانِب*** وَمَا تَشْـــتَهِيهِ النَّفْسُ مِنْ كُـلِّ لَذَّةِ[(٢)]

---

(١) سبق تخريجه: من (ص١٨٧) من هذه الرسالة .

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١١٦-١١٧.

المطلب الثالث: مقام الإحسان:

أولا: معنى الإحسان في ترك المحرمات والشهوات:

قال ابن حجر -رحمه الله-: «الإحسان هو مصدر تقول أحسن يحسن إحسانا، ويتعدى بنفسه وبغيره تقول أحسنت كذا إذا أتقنته وأحسنت إلى فلان إذا أوصلت إليه النفع والأول هو المراد؛ لأن المقصود إتقان العبادة وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلا محسن بإخلاصه إلى نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود، وأشار في الجواب إلى حالتين أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله كأنك تراه أي وهو يراك، والثانية أن يستحضر أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل وهو قوله فإنه يراك، وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته وقد عبر في رواية عمارة بن القعقاع بقوله أن تخشى الله كأنك تراه، وكذا في حديث أنس وقال النووي معناه أنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه، فهو دائما يراك فأحسن عبادته وإن لم تره فتقدير الحديث فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنه يراك. قال وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من التلبس بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله مطلعا عليه في سره وعلانيته» [١] قال الإمام البغوي -رحمه الله-: «معنى الإحسان هاهنا: الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معا» [٢].

قال الإمام الحداد رضي الله عنه: «كذلك ينبغي لك أن تحسن في ترك ما تتركه لله من الأعمال السيئات، والمحرمات، والشبهات، والشهوات. ومعنى الإحسان في تركها: أن تتركها إخلاصا لله سبحانه وتعالى وتعظيما له، وحياء منه، وخشية ورهبة وخوفا منه. لا حياء من الخلق ولا رياء لهم، ولا خشية منهم، وكذلك إذا تركتها ظاهرا تمنع نفسك باطنا من التحدث بها والميل إليها، واشتهاء الوقوع فيها حسبما تستطيع من ذلك. ومن الإحسان في الترك أن تعدل عن

---

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/ ١٢٠.

(٢) البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد الشاويش،: الناشر المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ١/ ١١.

مظان ذلك من المواطن التي تخشى وقوعك فيها، وعن مخالطة من يجرك إليها أو يميل بك إلى القرب منها من قرناء السوء، فاعلم ذلك وبالله سبحانه التوفيق)) [(١)].

والمراقبة لله هي مرتكز الإحسان قال الإمام الحداد ﷺ: ((وعليك يا أخي بمراقبة الله تعالى في حركاتك وسكناتك ولحظاتك وطرفاتك وخطراتك وإراداتك وسائر حالاتك، واستشعر قربه منك، واعلم أنه ناظر إليك ومطلع عليك، لا يخفى عليه منك خافية ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[(٢)]، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[(٣)] وهو معك أينما كنت، بالعلم والإحاطة والاقتدار ويدلك مع الهداية والإعانة والحفظ إن كنت من الأبرار، فاستحي من مولاك حق الحياء، واجتهد أن لا يراك حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك، واعبده كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ومتى رأيت من نفسك تكاسلا عن طاعته أو ميلا إلى معصيته فذكرها بأن الله يسمعك ويراك ويعلم سرك ونجواك، فإن لم يفدها هذا الذكر لقصور معرفتها بجلال الله تعالى فاذكر لها مكان الملكين الكريمين اللذين يكتبان الحسنات والسيئات واتل عليها ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[(٤)] فإن لم تتأثر بهذا التذكير فذكرها قرب الموت وأنه أقرب غائب ينتظر، وخوفها بهجومه على غرة وأنه متى نزل بها وهي على حالة غير مرضية تنقلب بخسران لا آخر له، فإن لم ينفعها هذا التخويف فاذكر لها ما وعد الله به من أطاعه من الثواب العظيم وما توعد به من عصاه من العذاب الأليم، وقل لها يا نفس ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار فاختاري لنفسك إن شئت طاعة تكون عاقبتها الفوز والرضوان والخلود في فسيح الجنان، والنظر إلى وجه الله الكريم المنان، وإن شئت، معصية يكون آخرها الخزي والهوان والسخط والحرمان والحبس بين

---

(١) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ٣٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٦١

(٣) سورة طه: الآية: ٧

(٤) سورة ق: الآية ١٧ — ١٨

طبقات النيران، فعالج نفسك بهذه الأذكار عند تقاعدها عن الطاعة وركونها إلى المعصية فإنها من الأدوية النافعة لأمراض القلوب.

ثم إنه إن ثار من قلبك عند استشعارك أن الله يراك حياء منه يمنعك عن مخالفته ويحملك على التشمير في طاعته فعندك شيء من حقائق المراقبة.

واعلم أن المراقبة من أشرف المقامات وأرفع المنازل وأعلى الدرجات وهي مقام الإحسان المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [(١)] وكل واحد من المؤمنين يؤمن بأنه الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويعلم أن الله معه أينما كان لا يخفى عليه شيء من حركاته وسكناته، ولكن الشأن في دوام هذا المشهد وحصول ثمراته التي أقلها أن لا يعمل فيما بينه وبين الله عملا يستحي أن يراه عليه رجل من الصالحين، وهذا عزيز وما وراءه أعز منه إلى أن يصير العبد في آخر الأمر مستغرقا بالله تعالى وفانيا عمن سواه، قد غاب عن الخلق بشهود الحق والتحق بمقعد صدق عند مليك مقتدر» [(٢)]والإمام الحداد يركز على لب الإحسان ويرى أنه هو أساس القبول ويضع قاعدة عظيمة في معناها، ألا وهي الإحسان في أعمال أهم من الأعمال وهذا بيت القصيد في الإحسان قال ﷺ: «الإحسان في أعمال أهم من الأعمال عند المحققين من العارفين أرباب البصائر واليقين. وذلك أن إقامة صورة الأعمال من صلاة، وصيام، وتلاوة، وذكر الله تعالى من غير إحسان لها وإتقان، وإحكام لمعانيها الباطنة، وما يجب لله تعالى فيها من تعظيم، وخشوع، وحضور معه تعالى، وتأدب بين يديه بما يليق ويناسب تلك الحضرة المقدسة وذلك الجناب الرفيع تعب وعناء محض لا طائل تحته، وإليه يشير قوله عليه الصلاة والسلام: «كم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب. وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش» الحديث[(١)]وقال علي ﷺ: لا خير في تلاوة لا تدبر فيها؛ وربما يرجع المباشر لصور الأعمال من غير إحسان لها مع التعب فيها بشيء من الإثم كما يقع ذلك لبعض المرائين ومن لا يحسن قراءته في صلاته وركوعه وسجوده ولا يقيمهما على الوجه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قوله: (إن الله عنده علم الساعة)، رقم الحديث ٤٧٧٧، ٦، ١١٥/٦.

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ٩٢-٩٣.

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: بلفظ آخر وهو رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، رقم الحديث ١٦٩٠، ١/ ٥٣٩.

الواجب عليه فيكون قد باشر عبادة باطلة يتعب فيها ويأثم بسببها فإذا عملت فأحسن، وأعط كل وظيفة من عملك ما يجب لله تعالى فيها وما يستحب من الأحكام الظاهرة والمعاني الباطنة، من الحضور مع الله تعالى والإخلاص له وحسن الأدب بين يديه تعالى فيكون العمل القليل الذي تحسنه أفضل عند الله وأزكى من العمل الكثير الذي لا تحسنه ولا تقيمه لله تعالى كما يجب وكما ينبغي، فاعلم ذلك واعمل عليه، والله يتولى هداك.

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة)) الحديث(١). فانظر وتفهم قوله ﷺ: (إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء) تعرف أن الأمر بالإحسان عام في كل شيء وهو عين الأشياء حتى إنها إذا انفكت عنه صارت سيئة قبيحة، أو غير حسنة ولا مليحة... اهـ)) (٢)قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((في قوله تعالى﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٣) فانظر كيف يخص الإحسان ويشترطه في الأعمال، تعلم به أن الإحسان في العمل أهم من العمل نفسه، وفي الحديث: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء. الحديث) (٤) فإذا عملت طاعة فتأن فيها وتثبت وأحسن، وأعط كل جزء منها ما يكمل به ويتم: من الخشوع والحضور مع الله فيه تكن من المحسنين، ويكون الله سبحانه وتعالى معك إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٥) اهـ)) (١)

ثانيا: الإحسان هو الإخلاص:

الإخلاص لغة: مصدر أخلص يخلص وهو مأخوذ من مادة (خ ل ص) التي تدل على تنقية الشي ء وتهذيبه والخالص كالصافي إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه. (٢)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، رقم الحديث ١٩٥٥، ٣/١٥٤٨.

(٢) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص٣٧-٣٨.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٧

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، رقم الحديث ١٩٥٥، ٣/ ١٥٤٨.

(٥) سورة النحل: الآية ١٢٨

(١) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٣٤.

(٢) الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٢٩٢.

واصطلاحا: قال الكفوي: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السر والقول والعمل وقال المناوي الإخلاص: تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه، فكل ما يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمى خالصا.
وقيل: الإخلاص عمل يعين على الإخلاص. وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من التهمة والخلل وقال الجرجاني: الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهدا غير الله تعالى وقيل هو: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه الفطري وتحقيقه أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمى خالصا، قال تعالى: ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا ﴾ (١) من بين فرث ودم لبنا خالصا فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الفرث والدم، ومن كل ما يمكن أن يمتزج به. وحقيقة الإخلاص: التبري عن كل ما دون الله تعالى، والإخلاص هو الذي يوحد حياة المسلم، ويجعلها كلها لله، كما يجعله كله لله، فصلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين[٢]ولا يتحقق الإخلاص في العمل إلا بعنصرين أساسيين:
الأول: استحضار النية فيه، فإنما الأعمال بالنيات، ومن أدى العمل أداء آليا، بغير نية طيبة أو خبيثة، لم يدخل في زمرة المخلصين.
والثاني: تجريدها من الشوائب الذاتية والدنيوية، حتى تخلص لله سبحانه والقرآن يعبر عن هذه النية المشروطة بعبارات مختلفة مثل: إرادة الآخرة، أو إرادة وجه الله، أو ابتغاء وجهه أو ابتغاء مرضاته يقول تعالى﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [١]وقال تعالى:﴿ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا ﴾ [٢]اهـ)) [٣]
قال الإمام الحداد ﷺ: ((قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[٤]وقال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [١] فعليك أيها المؤمن وفقك

(١) سورة النحل: الآية ٦٦
(٢) بن حميد: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، ٢/ ١٣٤.
(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٥.
(٣) القرضاوي: يوسف بن عبدالله القرضاوي، الإخلاص، ص٦
(٤) سورة الذاريات: الآية ٥٦

الله بالتفرغ لعبادة ربك بقطع ما يقطع عنها من القواطع، وصرف ما يصرف عنها من الصوارف و الموانع.

واعلم أن العبادة لا تصح بدون العلم، و العلم والعبادة لا ينفعان إلا مع الإخلاص. فعليك به فإنه القطب الذي عليه المدار والأصل الذي عليه المعول. وهو كما قال أبو القاسم القشيري –رحمه الله–: ((الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد، وهو أن تقصد بطاعتك التقرب إلى الله دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله)) (٢) قال: ويصح أن يقال: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة الخلق. انتهى، وهو القصد في هذا الباب)) (٣)

قال الإمام الحداد ﷺ: ((وأما حسن النية والإخلاص لله: فذلك من أعظم المنجيات وأهمها قال الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ (٤)وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (٥)وقال عليه الصلاة والسلام: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى)) (١)وقال عليه الصلاة والسلام: ((إنما يبعث الناس على نياتهم)) (٢) وقال عليه الصلاة والسلام: ((من غزا ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى)) (٣) وقال عليه الصلاة والسلام: ((نية المؤمن خير من عمله. . . الحديث)) (٤)، وذلك لأن النية عمل القلب، والقلب أشرف من الجوارح، فكان عمله خيرا من عملها، ولأن النية تنفع بمجردها، وأعمال الجوارح بدون النية لا نفع لها. وفي الحديث:

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٥٦

(٢) النووي: بو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بستان العارفين، الناشر: دار الريان للتراث، ص٢٧.

(٣) الحداد: رسالة المذاكرة، ص٣٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٩

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب بدء الوحي، رقم الحديث ١، ١/ ٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: رقم الحديث ٤٢٢٩، ٢ / ١٤١٤.

(٣) أخرجه النسائي في سننه: بزيادة في سبيل الله: رقم الحديث ٣١٣٨، ٦/ ٢٤.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: رقم الحديث ٥٩٤٢، ٦ /١٨٥.

«فمن هم بحسنة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة» [١]. فعليك رحمك الله بحسن النية وبإخلاصها لله، ولا تعمل شيئا من الطاعات إلا أن تكون تنوي بها التقرب إلى الله وابتغاء وجهه وطلب رضاه، وإرادة الثواب الأخروي الذي وعد به سبحانه على تلك الطاعة من باب الفضل والمنة.

ولا تدخل في شيء من المباحات حتى الأكل والشرب والنوم، إلا وتقصد بذلك الاستعانة على طاعة الله، وحصول التقوي به على عبادته تعالى، فبذلك تلحق المباحات بالطاعات، فإن للوسائل أحكام المقاصد. والمغبون من غبن في حسن النية.

واجعل لك في طاعاتك ومباحاتك نيات كثيرة صالحة، يحصل لك بكل واحدة منها ثواب تام من فضل الله، وما عجزت عنه من الطاعات والخيرات، ولم تتمكن من فعله فانوه واعزم عليه عند الاستطاعة، وقل بصدق وعزم وصلاح نية: لو استطعته لفعلته، فقد يحصل لك بذلك ثواب الفاعل، كما بلغنا أن رجلا من بني إسرائيل مر في وقت مجاعة على كثبان من رمل، فقال في نفسه: لو كانت هذه طعاما، وكان لي، لقسمته على الناس، فأوحى الله إلى نبيهم (قل لفلان: قد قبل الله صدقتك، وشكر الله حسن نيتك [٢]) . وفي المأثور: (أن الملائكة إذا صعدوا بصحيفة العبد إلى الله تعالى، يقول الله تعالى لهم سبحانه: اكتبوا له كذا وكذا. فيقولون: إنه لم يعمله. فيقول تعالى: إنه نواه) [١]. وقال تعالى في الإخلاص ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: من حديث إن الله كتب الحسنات، باب من هم بحسنة أو بسيئة، رقم الحديث ٦٤٩١، ٨/١٠٣.

(٢) الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/٤٥.

(١) أخرجه ابن الجوزي: بلفظ تصعد الملائكة بالأعمال فينادي الملك: ألق تلك الصحيفة: ألق تلك الصحيفة، قال: فتقول الملائكة: ربنا قالوا خيرا وحفظناه عليهم. فيقول تبارك وتعالى: لم يرد به وجهي قال: وينادي الملك: اكتب لفلان كذا وكذا مرتين فيقول: يا رب إنه لم يعمله. فيقول جل وعز إنه نواه نواه. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/ ١٥٧.

(٢) سورة البينة: الآية: ٥

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[١]وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «أخلص دينك يجزك العمل القليل» [٢] وسئل عليه الصلاة والسلام عن الإيمان فقال: «هو الإخلاص لله» وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان منها خالصا له وابتغي به وجهه» [٣] وقال عليه الصلاة والسلام: «من أخلص لله أربعين يوما أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» [٤].

ومعنى الإخلاص: أن يكون قصد الإنسان في جميع طاعاته وأعماله مجرد التقرب إلى الله، وإرادة قربه ورضاه، دون غرض آخر من مرآة الناس، أو طلب محمدة منهم، أو طمع فيهم.

قال سهل بن عبد الله التستري –رحمه الله –: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى لا يمازجه شيء، لا نفس ولا هوى ولا دنيا. انتهى

فالذي يعمل لقصد التقرب إلى الله، وطلب مرضاته وثوابه هو المخلص، والذي يعمل لله ولمرآة الناس فقط، ولولا الناس لم يعمل أصلا، أمره خطر هائل، ورياؤه رياء المنافقين.

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العافية من جميع البليات. . . اه» .[٥]

ويقرر الإمام الحداد أن صلاح النية يقوم على أمرين عظيمين قالﷺ : «قو همتك وارفعها، واجعلها لله تعالى، وأخلص نيتك، وأصلح عملك، واقصر نيتك على أمرين، لا تتعداهما: الأول أن تكون جميع أفعالك وحركاتك وسكناتك وأحوالك ظاهرا وباطنا لله تعالى، أو فيما هو وسيلة إلى ذلك، والثاني: اجعل ميزانك في الآخرة يرجح بما هو لله تعالى على ما هو لنفسك، لتكون ممن ثقلت موازينه، فأولئك هم المفلحون، ومن ثقلت أمور نفسه على ما هو لله، فأولئك الذين خسروا أنفسهم» [١]

(١) سورة الزمر: الآية: ٣

(٢) أخرجه الأصبهاني في الحلية: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١/ ٢٤٤.

(٣) أخرجه النسائي في سننه: بلفظ (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه) رقم الحديث ٤٣٣٣، ٤/٢٨٦.

(٤) أخرجه الأصبهاني في الحلية: بلفظ أخر وهو (ما من عبد يخلص العبادة لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)، ١٠/٧٠ .

(٥) الحداد: النصائح الدينية، ص ٤٠٣-٤٠٦.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٢٤٨.

وذكر الإمام الحداد ﷺ: ((أناسا فقال: إن الله ما قبل أعمالهم لأنهم عملوا بلا علم، ولو قبلها لرفعت ورحمهم، ولا يقبل الله عملا حتى يكون أوله علم وآخره إخلاص)) (١)

وفي حديث إذا التقى المسلمان بسيفهما مثال واضح لما يترتب على حسن النية أو سوءها أو القصد وليس ذات الفعل فأفهم الإشارة وقد بينها الإمام الحداد عندما ذكر حديث:

((إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار)) (٢) فقال الإمام الحداد ﷺ: ((هذا يدخلها بالنية والعمل، يعني القاتل، وهذا يدخلها بالنية فقط، بخلاف ما إذا استسلم أحدهما وقتله الآخر، فالمقتول يسلم، ويبوء القاتل بالإثم، كما قص الله في ابني آدم)) (٣)

والإخلاص مقام ومرتبة لا ترى بالأبصار ولا تدرك بالحواس بل حقيقة باطنية قلبية، وهي عطاء من الله وهبة يهبها لمن يشاء، وما على الإنسان إلا السعي لها مع عدم ادعائها، كما يرد الإمام الحداد على من يقول بنقص ثواب من عمل رجاء الجنة وسماهم أهل الشطح ويرى أنهم زنادقة، وأن العجب بالعمل مرض قلبي يحتاج مجاهدة للتخلص منه وتحقيق مقابله وهو الإخلاص وهو عزيز، قال الإمام الحداد ﷺ: ((اعمل لله خالصا، لا لشيء آخر، ثم إن أعطاك بعد ذلك شيئا، فهو من باب الفضل والمنة، ولا يسع أمور الآخرة إلا هذا، ومن خالفه ممن قال من أهل الشطح: بنقص من عمل رجاء الجنة أو خوف النار، ونقله الناس عنهم، وسموهم لذلك زنادقة، لأن هذا مذهب الزنادقة، وكلما كثر الشطح كثر الاعتراض، والإخلاص ما يتبين إلا بالامتحان، ولو هو يسمع أو يقرأ الكتب وما يذكر فيها، فإن الهوى لا يذهب، إنما هو مختف كاللص، ولا يموت، وإن اختفى قليلا فما تحس به إلا وقد ظهر عند مقتضاه، انظر قصة الذي دعته نفسه إلى الجهاد، فخالفها حتى تبين له أن موجب داعيتها، أن يموت قتلا في الجهاد، فيتحدث الناس أنه استشهد...)) (١)وتكلم الإمام الحداد في الإخلاص عند العارفين ، فقال ﷺ :((**لا أحد يدعي الإخلاص،** بل يلزم حده ولا يتعدى طوره، ويعتقد في نفسه الرياء، فإنه إن كان كذلك فقد وقف عند حده، وعرف قدره، ولم يتعد طوره وإن لم يكن كذلك لم يزده ذلك إلا رفعة وقدرا عند الله تعالى، وأين

(١)الحساوي: تثبيت الفؤاد: ١/ ٣٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)، رقم الحديث ٣١، ١/١٥.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/ ٣٥.

(١) المرجع السابق ، ١/٢٩٠.

الإخلاص اليوم، ومما يدلك على أنه عزيز لا يكاد يوجد، قول الإمام الشافعي رحمه الله: وددت أن لو انتفع الناس بهذا العلم، يعني علمه ولا ينسب إلي منه حرف [(١)]، فكم أعجبنا كلامه هذا ولو قلت لمصنف كتاب: امح اسمك منه، أو اكتب عليه اسما آخر، أو لا تكتب عليه رسم أحد، لأن الأجر حاصل لك، فلا حاجة إلى نسبته إليك لأبى، وهذا يدل على عدم إخلاصه. اهـ)) [(٢)] ويضع الإمام الحداد معيار وميزان معاملة الله قالﷺ: ((معاملة الله كلها ينبغي أن تخرج فيها بكليتك من حج وجهاد فتخلص له حتى يزلفك، وإلا فهو غني عنك وعن عملك ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(٣)] والتردد فيها كالارتداد، بخلاف أمور الدنيا، فإن التردد فيها يكون كفارة لها، كأن كان خادم دولة، فقال: ليتني ما خدمتهم)) [(٤)]

ثالثا: الصدق مع الله:

الصدق مع الله في المعاملة ناتج عن استشعار المراقبة لله، فالصادق دائما يراقب ويشعر أنه مراقب، والصادق هو المخلص والعكس صحيح والإمام الحداد تكلم عن الصدق كشريك للإخلاص والمراقبة وعرفهما بتعريف جامع يوحي عن صدقه وحسن مراقبته في معاملته لربه، قال الإمام الحدادﷺ: ((ومن المنجيات الفاضلة: الصدق مع الله، والمراقبة لله، وحسن التفكر وقصر الأمل، وكثرة ذكر الموت والاستعداد له. أما الصدق: فقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[(١)]وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾[(٢)]وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾[(٣)]. وقال

(١) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) الناشر: دار الفكر، ١/ ١٢.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٥٩/١.

(٣) سورة البينة: الآية ٥

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ١٩١.

(١) سورة التوبة: الآية: ١١٩

(٢) سورة المائدة: الآية: ١١٩

(٣) سورة الأحزاب: الآية: ٢٣

تعالى: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾(١). وقال عليه الصلاة والسلام: ((الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا)) (٢).

وأول الصدق مجانبة الكذب في جميع الأقوال، ثم إن للصدق مدخلا في جميع الأعمال والنيات، والأحوال والمقامات.

ومعنى الصدق فيها: الثبات عليها، والإتيان بها على الوجه الحسن الأكمل الأحوط، مع بذل الاستطاعة، ونهاية الجد والتشمير لله في الظاهر والباطن.

وأما المراقبة لله: فمعناها: استشعار قرب الله من العبد على الدوام، وإحاطته به، ومعيته له، واطلاعه عليه، ونظره إليه. قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾(٣)وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(١)وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢)وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))(٣) . فالمراقبة من مقام الإحسان، ومن تحقق بها أثمرت له: الخشية لله تعالى، والحياء من الله تعالى أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، أو يراه متثاقلا عن طاعته، متكاسلا عن عبادته، مشتغلا عن خدمته، غافلا عن ذكره وحسن معاملته. اهـ)) (٤).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: ٢٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ آخر (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}، رقم الحديث ٦٠٩٤، ٨/٢٥.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٢

(٤) سورة طه: الآية ٤٦

(١) سورة ق: الآية ١٦

(٢) سورة الحديد: الآية ٤

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قوله: (إن الله عنده علم الساعة)، رقم الحديث ٤٧٧٧، ٦/ ١١٥.

(٤) الحداد: النصائح الدينية، ، ص ٤٠٨.

كما قال ﷺ: ((إذا لم تراقب الله فراقب الناس، لأنك بذلك تسلم من الإثم))

أقول [١]: معناه إذا لم تترك ما نهيت عنه امتثالا لأمر الله أو خوفا منه فتثاب على ذلك، فاتركه حياء من الناس، تسلم من الإثم حيث لم يحصل لك ثواب، فتحوز أقل الغنيمتين، فالسلامة إحدى الغنيمتين اهـ)) [٢]

ويذكر الإمام الحداد ركن وعماد الشرع فيقول شعرا :

وَالصِّدقِ وَالإخْلاَصِ لله احْتَفِظْ *** بِهُما فَإِنَهُما عِمادُ المِشرعِ[٣]

---

(١) القائل الحساوي .

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ولفظ أقول وما بعده للحساوي، ١٨١/٢.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٣٦٤.

المبحث الخامس
مباحث متعلقة بالإلهيات

المطلب الأول: الرجاء والخوف:

أولا: أصل الرجاء والخوف:

إن المؤمن الموحد المحسن، حبه لله تعالى مقرون بالإجلال والتعظيم إنه حب المملوك لمالكه، حب العبد لسيده، حب المخلوق المقهور الضعيف لله الواحد القهار. ولذلك فإن المحبين الصادقين هم في هذا المقام في مقام المحبة هم في مقام موزون بين الرجاء والخوف.

فرجاؤهم معلق برحمة الله تعالى ولا يخافون إلا الله، وقد جمع الله تعالى أركان هذا المقام الإيماني الإحساني الرفيع في وصفه للملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والصالحين العابدين فقال جل جلاله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾(١) لكي يبقى المسلم مطمئناً ومتيقظاً، يحدوه الأمل والرجاء في رحمة الله ومغفرته وهو كذلك يخشى ويخاف من الله سبحانه، وهذا هو المنهج الوسط العدل.

فالرجاء منزلة عظيمة من منازل العبودية وهي عبادة قلبية تتضمن ذلاً وخضوعاً، أصلها المعرفة بجود الله وكرمه وعفوه وحلمه، ولازمها الأخذ بأسباب الوصول إلى مرضاته، فهو حسن ظن مع عمل وتوبة وندم.

والخوف كذلك منزلة عظيمة من منازل العبودية وهو من عبادات القلوب التي لا تكون إلا لله سبحانه، وصرفها لغيره شرك أكبر. إذ أنه من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه، ونفاذ مشيئته في خلقه. والإمام الحداد تكلم عن أصل الرجاء والخوف وهذا التقرير للأصل يعتبر تعريفا جامعا يغني عن تعريفات أهل اللغة والاصطلاح وجعلهما أي الرجاء والخوف من أشرف ثمرات اليقين وقسم حال الناس فيهما إلى ثلاثة أقسام حيث قال ﷺ :((وعليك بالرجاء والخوف فإنهما من أشرف ثمرات اليقين وقد وصف الله بهما عباده السابقين فقال وهو أصدق القائلين:

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٧

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾(١) وقال رسول الله ﷺقال الله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي فلْيظنَّ بي ما يشاء)) (٢)وقال عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ((وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمِنَني في الدنيا أخفته يوم أبعث عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمَنته يوم أجمع عبادي)) (٣)

وأصل الرجاء معرفة القلب بسعة رحمة الله وجوده وعظيم فضله وإحسانه وجميل وعده لمن عمل بطاعته فيتولد من هذه المعرفة حالة فرح تسمى الرجاء. وثمرته المقصودة منه كثرة المسارعة في الخيرات، وشدة المحافظة على الطاعات فإن الطاعة هي السبيل الموصلة إلى رضوان الله وجنته.

وأما الخوف فأصله معرفة القلب بجلال الله تعالى وقهره وغناه عن جميع خلقه وشديد عقابه وأليم عذابه اللذين توعد بهما من عصاه وخالف أمره فيتولد من هذه المعرفة حالة وجَل تسمى الخوف. وثمرته المقصودة منه ترك المعاصي وشدة الاحتراز منها فإن المعصية هي الطريق الموصلة إلى سخط الله ودار عقوبته.

وكل رجاء وكل خوف لا يحملان على فعل الموافقات وترك المخالفات معدودان عند أرباب البصائر من الترَّهات والتهويسات التي لا حاصل لها ولا طائل تحتها فإن من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه لا محالة.

واعلم أن الناس ثلاثة عبدٌ قد أناب إلى ربه واطمأنت نفسه به وانقشعت ظلمات شهواته بإشراق أنوار قربه فلم تبق له لذة إلاَّ في مناجاته ولا راحة إلا في معاملته، فصار رجاؤه شوقاً ومحبة وخوفه تعظيماً وهيبة، وعبدٌ لا يأمن على نفسه من التقاعد عن المأمورات والركون إلى

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٧

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: وقال صحيح على شرط مسلم، رقم الحديث ٧٦٠٣، ٤/ ٢٦٨.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه: : بلفظ (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة) رقم الحديث ٦٤٠، ٢/ ٤٠٦.

المحظورات، والذي ينبغي لهذا العبد استواء الخوف والرجاء حتى يكونا كجناحي الطائر. وفي الحديث: ((لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)) [(١)] وهذا حال أكثر المؤمنين.

وعبدٌ قد غلب عليه التخليط واستولى عليه التفريط، فاللائق به غلبة الخوف عليه لينزجر عن المعاصي إلا عند الموت فينبغي أن يكون رجاؤه غالباً على خوفه لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) [(٢)] اهـ)) [(٣)] فالرجاء في الله والخوف من الله من المنجيات العظيمة والإمام الحداد بين كيف يكون المؤمن بينهما قال الإمام الحداد ﷺ:

((ومن المنجيات الرجاء في الله والخوف من الله: والرجاء والخوف من المقامات الشريفة، وقد وصف الله بهما أنبياءه والمرسلين وأتباعهم بإحسان من صالحي المؤمنين قال الله تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [(٤)] وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [(١)] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [(٢)] وقال تعالى: ﴿ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴾ [(٣)] وقال تعالى

---

(١) قال في اللآلئ هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح.وقال في المقاصد وتبعه في الدرر لا أصل له في المرفوع وإنما يؤثر بعض السلف: فرواه البيهقي عن مطرف قال لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه بميزان ما كان بينهما خيط شعرة ورواه عن شعبة قال لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ما زاد خوفه على رجائه ولا رجاؤه على خوفه.

ومعناه صحيح وقال الروذباري الخوف كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه وإذا انتقص واحد منهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا جميعا صار الطائر في حد الموت.ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، أخرجه البيهقي أيضا في شعبه .وفي التنزيل ... (يرجون رحمته ويخافون عذابه) ... وقال الزركشي لا أصل له.

لكن قال السيوطي أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ثابت البناني من قوله كانا سواء، انتهى.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم الحديث ٢٨٧٧، ٤/ ٢٢٠٦.

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٥٧

(١) سورة الأنبياء: الآية: ٩٠

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢١٨

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٤٨ - ٤٩

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[(١)] وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني...» [(٢)] الحديث. وقال عليه الصلاة والسلام: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً للقيتك بقرابها مغفرة» [(٣)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «قال الله تعالى: وعزتي، لا أجمع لعبدي خوفين ولا أمنين، فإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة» [(٤)]. وقال عليه الصلاة والسلام: «رأس الحكمة مخافة الله» [(٥)]ودخل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على شاب يعوده وهو في الموت فقال له: «كيف تجدك؟ فقال أخاف ذنوبي أرجو رحمة ربي. فقال عليه الصلاة والسلام: ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف» [(٦)] .

واعلم: أن الخوف زاجر، يزجر الإنسان عن المعاصي والمخالفات. والرجاء قائد، يقود العبد إلى الطاعات والموافقات، فمن لم يزجره خوفه عن معصية الله عز وجل، ولم يقده رجاؤه إلى طاعة الله تعالى، كان خوفه ورجاؤه حديث نفس لا يعتد بهما، ولا يعول عليهما، لخلوهما عن ثمرتهما المقصودة، وفائدتهما المطلوبة.

ثم الأفضل للمؤمن المستقيم على طاعة الله أن يكون بين الخوف والرجاء، حتى يكونا كجناحي الطائر، وكفتي الميزان، وقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا» [(١)] قال الإمام الحداد:

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: ٦٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} ٩/ ١٢٠.

(٣) أخرجه الترمذي بلفظ: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة، رقم الحديث ٣٥٤٠، ٥/ ٥٤٨.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه: رقم الحديث ٦٤٠، ٢/ ٤٠٦.

(٥) أخرجه البيهقي في شعبه: رقم الحديث، ٧٣٠، ٢/ ٢٠٢.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٩٨٣، ٣/٣٠٢.

(١) سبق تخريجه: من (ص٢٠٤) من هذه الرسالة .

وَالخَوفِ لِلَّه ٱلعَظِيمِ وِبالرَّجَا *** فَكِلاهُما مِثلُ الدَّواءِ ٱلأنفعِ(١)

وأما المؤمن المخلط الذي يخشى على نفسه من الوقوع في ترك الطاعات، وركوب المنهيات فالأصلح له والأولى به، غلبة الخوف عليه، فإن الخوف يقبض النفس ويزجرها عن طغيانها وتعديها، ومن كان بهذا الوصف من غلبة النفس واستيلاء الشهوة، وكان الرجاء مع ذلك غالباً عليه، ربما كان سبباً في هلاكه، لأنه كلما ذكر نفسه الأمارة بسعة رحمة الله، وكثرة تجاوزه عن الذنوب، ازداد على الله تجرؤا، ومن طاعته تباعداً، وفي معصيته وقوعاً، فيهلك من حيث لا يشعر. وقد وقع في ذلك طوائف من عامة المسلمين المغترين بالله، والرجاء على هذا الوضع هو الرجاء الكاذب، وهو الاغترار بالله، وليس من الرجاء المحمود في شيء، لأن الرجاء المحمود هو الذي يقود العبد إلى العمل بطاعة الله، ويحمله على سلوك سبيل مرضاته. فليحذر المؤمن من الرجاء الذي يكون بهذه المثابة، فإنه غرور من الشيطان، وشر ساقه إليه في معرض الخير. وأما إذا نزل الموت بالإنسان، فالأليق به غلبة الرجاء، وحسن الظن بالله كيفما كان حاله، لقوله عليه الصلاة والسلام: ((لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله)). (٢) اهـ.)) (٣).

ثانيا: الرجاء أوسع من الخوف:

قد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها، ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر، ويظهر يوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد إلا ما زرع، ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة، فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضا طيبة وألقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته، ثم نقى الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده، ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته، سمي انتظاره رجاء، وإن بث

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٣٦٤.

(٢) سبق تخريجه: من (ص٢٠٤) من هذه الرسالة .

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص ٣٨٧-٣٨٩.

البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلا ثم انتظر الحصاد منه، سمي انتظاره حمقا وغرورا، لا رجاء، وإن بث البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضا، سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فإذن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات. فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت، وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات، أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق قال الإمام الحداد ﷺ: ((الرجاء أوسع من الخوف، لأن النفس مغرورة، ومن لا معه معرفة بقدر خوفه، يخشى عليه الانقطاع، إن وضع على عبده عَدْلَه ما نفعه عمل، وإن عامله بفضله يرجى له السلامة بأدنى شيء، أو نحو هذا أو معناه، والخوف أهم من الرجاء، لأن فقده مضر ويسوق إلى المعاصي، والنفس كالمرأة السوء، كن شديداً عليها في الظاهر، مع التحنن عليها في الباطن، وهي قط لا تدعو إلا إلى الشر، ومِنْ لازِمِ الرجاءِ والخوفُ، وُسْعُ المعرفة، وأما هؤلاء فيرجون بلا خوف ولا معرفة، وقد قيل: الخوف كله للراجين، والرجاء كله للخائفين اهـ))[1]. وهناك مسألة وهي هل يجوز العمل لرجاء الثواب أم لا يجوز لأنه شيء يقدح في العبودية والإمام الحداد فصل الجواب عن هذه المسألة وقسم العاملين إلى ثلاثة أقسام، إذ سئل الإمام الحداد ﷺ عن حكم من يعمل على رجاء الثواب. فأجاب ﷺ: ((بأن ذلك رجاء محمود وسعي مبارك مشكور، وعليه يعمل السلف والخلف من صالحي المؤمنين، فإن العبد خلق ضعيفاً لا غنى به عن فضل ربه الغني الكبير. هذا جملة الجواب والكلام يطول في تفصيله، ولكنا نذكر من ذلك طرفا يسيرا فنقول:

العاملون لله تعالى على ثلاثة أقسام فمنهم من يعمل خشية العقاب وهم الخائفون. ومنهم من يعمل على رجاء الثواب وهم الراجون. ومنهم من يعمل امتثالا للأمر وهم العارفون، ولا

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٨٢.

بد للعارفين من الرجاء والخوف. وللخائفين من الرجاء والمعرفة. ولكن ينسب العبد إلى ما هو الغالب عليه من المقامات والأحوال.

وما وقع في كلام بعض أهل التصوف، مما يوهم نقصا أو انحطاطا في حال من يعمل على رجاء الثواب أو خوف العقاب، فذلك محمول على قصد التنبيه به على أن الذي يعمل لمجرد امتثال الأمر أفضل من الراجي الخائف والأمر كذلك. ولكنها مقامات بعضها فوق بعض، وليس للعبد أن يقيم نفسه في الذي يختار منها بل الأمر لله تعالى يقيم من يشاء من عباده حيث يشاء ولا بد أن يقيم الحق تعالى في كل مقام من المقامات الثلاثة طائفة من المؤمنين لا تصلح أحوالهم ولا تستقيم قلوبهم إلا بالعمل على وفق ما أقيموا فيه.

وربما أشار بعض أهل المعرفة في تنزيل مقام من يعمل على الرجاء والثواب، إلى حال من لو لم يرغب بثواب أو تخوف بعقاب لكان لا يعمل أصلا وليس في قلبه من تعظيم الحق وإجلاله، ما يحمله على امتثال أمره واجتناب نهيه والمسألة في نفسها غامضة، وقد رأيت فيها ما يشبه الغلط والشطح لبعض أهل الطريق.

ثم أقول: العمل على امتثال الأمر وابتغاء الرضا والقرب حسن جميل. والعمل على رجاء الثواب والرهبة من العقاب حسن جميل، والجامع من أهل الله تعالى هو الذي يعمل على المقامات الثلاثة بالتمام والكمال. ولكنه عزيز.

فليعرف الإنسان ما أقيم فيه وليعمل عليه. ولا يكون كالأجير السوء إن لم يعط الأجر لم يعمل، ولا كالعبد السوء لولا خشية الضرب لم يتأدب. ولكن يعمل لله تعالى لأنه سيده ومولاه ولأنه أمره ونهاه، ويرجو الثواب من باب الفضل والمنة، ويخاف العقاب لسوء أدبه وتقصيره في عبادة ربه، ويرجو العافية منه عفواً من الله تعالى وتفضلا. فهذه هي الطريقة السمحة والمحجة البيضاء، وعليها مضى الصالحون والعلماء. ومن تأمل كلامهم وسيرهم، وكان ذا بصيرة علم ما ذكرناه وعرفه تحقيقا، ونستغفر الله تعالى ونحمده كثيرا)) [(١)]

فينبغي للمؤمن أن يتوسط بين الرجاء والخوف لا يغلب أحدهما على الآخر قال الإمام الحداد رضي الله عنه :((ينبغي أن يُتوسط بين الخوف والرجا، لأنه إذا اشتد خوفه انقطع، ألا ترى لما ذكر النبي

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص ٥٠- ٥٢.

صلّى الله عليه و آله وسلَّم بعث النار كيف جزع الصحابة، حتى ذكر لهم يأجوج ومأجوج، ومن قد دعاه اللّه إلى الدين فهو على خير، إذ لو لم يُرد له ذلك، لما دعاه إليه، ولكن لا يغتر ولا ينهمك في شهوات الدنيا، فإن أقل الحال يشتد عليه الموت بسبب ذلك)) (١)

ويضع الإمام الحداد معيارا في مخاطبة العامة في الرجاء لأن هناك كثيراً من الناس دائماً يستشكل عليه فهم الأحاديث التي تدل على سعة رحمة الله وعفوه وجزيل كرمه، وبين النصوص التي فيها الوعيد والعذاب الشديد حتى بعض الدعاة لا يستطيع في خطابه أن يوفق بينهما والإمام الحداد بين كيف يتم التخاطب مع العوام في الرجا والخوف ووضع منهجا سهلا في كيفية خطاب العوام وعامة الناس بذلك حيث قال: ﷺ: ((وعليك إذا تكلمت في الرجاء مع العامة بالاقتصار على ذكر الرجاء المقيد، وهو أن تذكر الوعد الجميل والثواب الجزيل المتوقف على فعل الحسنات وترك السيئات.

واحذر أن تخوض معهم في الرجاء المطلق وذلك مثل أن تقول: العبد يذنب والرب يغفر، ولولا الذنوب لم يظهر عفو الله وحلمه، وما ذنوب الأولين والآخرين في سعة رحمة الله إلا كنقطة في بحر لجي ونحو ذلك. وهذا الكلام حق ولكنه يضر بالعامة وربما أغراهم بركوب المعاصي فتكون أنت السبب في ذلك، وما كل حق يقال، ولكل مقام رجال اهـ)) (٢).

ثالثا: مفهوم حديث (لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين. . الخ

ينبغي للعبد أن يجمع بين ثلاثة أمور: وهي المحبة والخوف والرجاء، فإن القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فقد أصبح عرضة لكل صائد وكاسر، والاقتصار على واحد من هذه الأمور الثلاثة دون الباقي انحراف عن الجادة، وخلل في السلوك، فعبادة الله بالخوف وحده يورث اليأس والقنوط وإساءة الظن بالله جل وعلا، وهو مسلك الخوارج، وعبادته بالرجاء وحده يوقع في الغرور والأمن من مكر الله، وهو مسلك المرجئة، ولهذا قال السلف قولتهم المشهورة: من عبد الله بالحب وحده

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٤٣/١.

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص ١٥٧-١٥٩.

فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريٌ - أي خارجي - ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف والحب والرجاء فهو مؤمن موحِّد.

ولكن السلف استحبوا أن يُغلَّب في حال الصحة جانب الخوف على جانب الرجاء، لأن العبد لا يزال في ميدان العمل، وهو بحاجة ما يسوقه إلى العمل، وأما في حال الضعف والخروج من الدنيا، فإن عليه أن يقوي جانب الرجاء، لأن العمل قد أوشك على الانتهاء، وحتى يموت وهو يحسن الظن بالله، وللإمام الحداد مفهوم للحديث الشريف الذي يبين حال العبد في معنى الخوفين والأمنين.

قال الإمام الحداد ﷺ: (في حديث: (لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، فإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة) [١]، قال:

« أما خوفه في الدنيا، بأن يجتنب ما نُهي عنه من حرام ومكروه وفضول ونحو ذلك، وأمنه بالغفلة عن الله وتضييع ما ذكر، يتناول كل ما يشتهيه، ويقول كل ما أراد ولا يبالي، ولا يمنع نفسه مما يُذم» [٢] والإمام الحداد يعطي معادلة رائعة وهي أن دموع الإنكسار إن لم تخرج في الدنيا خرجت في الآخرة،قال ﷺ : «لا أنفع في هذا الزمان من البكاء والاستغفار، ومن معه خوف من الله في الدنيا أمنه في الآخرة، وبالعكس، ولا بد من خروج العرق والدموع، فإن لم يخرج ذلك في الدنيا خرج في الآخرة، قال الله تعالى: (وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة، وإن خافني في الدنيا أَمَّنْتُه في الآخرة» [٣] كما أخبر بذلك عنه نبيه عليه السلام، وقيل في قوله تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[١] أي لأنهم خافوا وحزنوا في الدنيا، فلا يعاد عليهم ذلك ثانياً، فينبغي للإنسان أن يتوب ويتقي ويخاف. اهـ» [٢]

ويؤكد ذلك بقوله: وَأَشْعِرِ الْقَلْبَ خَوْفاً لاَ يُفَارِقُهُ *** مِنْ رَبِّهِ مَعَهُ مِثْلٌ مِنَ الرَّغَبِ[١]

---

(١) سبق تخريجه: من (٢٠٥ص) من هذه الرسالة .

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/١٠٥.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه: بلفظ (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة) رقم الحديث ٦٤٠، ٢/ ٤٠٦.

(١) سورة يونس: الآية ٦٢

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٢٣٥-٢٣٦.

رابعا: التحذير من القنوط من رحمة الله:

إذا طالعنا الحالة النفسية عند الكثير من المجرمين والعاصين بعد ارتكابهم للذنب الكبير، نرى أن حالة من الألم والندم تصيبهم بحيث لا يتصورون بقاء طريق العودة مفتوحاً أمامهم، ويعتبرون أنفسهم ملوثين بشكل لا يمكن تطهيره، ويتساءلون: هل من الممكن أن تُغْفَرَ ذنوبنا؟ وهل أن الطريق إلى الله مفتوح أمامنا؟ هذه الآية تعطي الأمل في أنَّ طريق العودة والتوبة مفتوح أمامهم. وهي قوله تعالى ﴿ **قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾(٢)

هناك عدَّة أمور يمكن أن تكون علاجاً لحالة اليأس الأخروي وهي:

١- باب التوبة مفتوح:

من المشاكل التي تقف عائقاً في طريق بعض المسائل التربوية هو إحساس الإنسان بعقدة الذنب من جرَّاء الأعمال القبيحة السابقة التي ارتكبها، خاصة إذا كانت هذه الذنوب كبيرة، إذ أنَّ الذي يستحوذ على ذهن الإنسان، إن أرادة التوجه نحو الطَّهارة والتقوى والعودة إلى الله، كيف يتخلص من أعباء الذنوب الكبيرة السّابقة؟

التعاليم الإسلامية حلّت هذه المشكلة، عندما أفصحت عن أن التوبة والإنابة يمكن أن تكون أداةً قاطعةً وحاسمةً للانفصال عن الماضي وبدء حياة جديدة، أو حتى يمكن أن تكون بمثابة ولادة جديدة للتائب، إذا تحققت بشرطها وشروطها. وأما المقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ، ومن البديهي أنَّ هذه العودة لا يمكن أن تتم بدون قيد أو شرط، وأن البارئ تعالى حكيم ولا يفعل شيئاً عبثاً، فإذا كانت أبواب رحمته مفتوحةً أمام عباده، ودعوته إياهم للتوبة مستمرة، فإن وجود الاستعداد عند العباد أمرٌ لا بدَّ منه.

ومن جهة أخرى، يجب أن تكون عودة الإنسان صادقة، وأن تحدث انقلاباً وتغيراً في داخل ذاته.

من ناحية ثانية، يجب أن يبدأ الإنسان بعد توبته بإعمار أسس الإيمان والعقيدة وبناءها التي كانت قد دُمرت بعواصف الذنوب.

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٨١.

(٢) سورة الزمر: الآية ٥٣

ومن ناحية ثالثة، يجب أن يصلح الإنسان بالأعمال الصالحة عجزه الروحيّ وسوء خلقه، فكلما كانت الذنوب السابقة كبيرة، عليه أن يقوم بأعمال صالحة أكثر وأكبر.

والإيمان بالشفاعة يفتح أمام الإنسان نافذة نحو النور، ويبعث فيه الأمل بالعفو والصفح، وهذا الأمل يجعله يسيطر على نفسه، ويعيد النظر في مسيرة حياته، بل ويشجعه على تلافي سيئات الماضي. وهنا تحذير مهم بين الخوف والرجاء صحيح أنَّ اليأس من رحمة الله من الكبائر، إلَّا أنَّ الأمن من مكر الله وعذابه أيضاً من الكبائر، وهذا ما يدعونا إلى تحذير الإنسان من كلا الأمرين، اليأس والأمن.

من هنا نرى القرآن الكريم يُعد أن من صفات المؤمنين الخوف والرجاء من الله تعالى، فلا يأمنون غضب الله تعالى، ولا ييأسون من رحمته، والتوازن بين الخوف والرجاء هو ضمان تكاملهم وسلوكهم في الطريق إلى الله تعالى، والحاكم على وجودهم دائماً، لأن غلبة الخوف تجر الإنسان إلى اليأس والقنوط، وغلبة الرجاء تغري الإنسان في الذنوب وتجعله في غفلة، وكلاهما عدوٌّ للإنسان في سيره التكاملي إلى الله تعالى. وقد عرف الإمام الحداد الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله إذ قال ﷺ : ((وليحذر المؤمن كل الحذر من الأمن من مكر الله، ومن القنوط من رحمته، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١). وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (٢)

والأمن من مكر الله: عبارة عن تمحض الرجاء وذهاب الخوف من الله بالكلية، حتى لا يُجوز أن الله لا يعذبه ولا يعاقبه.

وأما القنوط: فهو عبارة عن تمحض الخوف وذهاب الرجاء بالكلية، حتى لا يُجوز أن الله يرحمه ويتجاوز عنه، وذهاب الرجاء بالكلية، حتى لا يجوز أن الله يرحمه ويتجاوز عنه، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله: من كبائر الذنوب، فاحذر منهما أيها المؤمن، وكن بين الخوف والرجاء، ولا تغتر بربك، ولا تجترىء عليه، فإن ربك سريع العقاب،وإنه لغفور رحيم)) (١)

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٩

(٢) سورة الحجر: الآية ٥٦

(١) الحداد: النصائح الدينية: ص٣٩٠-٣٩١ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ-رحمه الله-: ((من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الإفراط)) (١) وكثير من المغترين دائما يرددون عبارة (إن الله يغفر الذنوب جميعا) والإمام الحداد تصدى للرد عليهم وإبطال اغترارهم وتسويلهم عمل الذنوب بحجة وجود أماني المغفرة، وبين لهم حقيقة (إن الله يغفر الذنوب جميعا) قال الإمام الحداد ﷺ : ((فالقانط والآمن جاهلان بالله واقعان لا محالة في ترك الطاعة وفعل المعاصي؛ فإن القانط يترك الطاعة لأنه يرى أنها لا تنفعه والآمن يرتكب المعصية بظنه أنها لا تضره نعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء.

وإياك وأماني المغفرة القاطعة عنها وهي ما تسمعه على لسان طائفة من المغترين من قولهم: (إن الله يغفر الذنوب جميعا) وهو غني عنا وعن أعمالنا وخزائنه مملوءة بالخير ورحمته وسعت كل شيء، مع إصرارهم على فعل المعاصي وترك الأعمال الصالحة، وكأنهم يقولون بلسان أحوالهم إن الطاعات لا تنفع وإن المعاصي لا تضر وهذا بهتان عظيم، وقد قال الله تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ (٣)وقال رسول الله ﷺ: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)) (٤).

ولو أنك قلت لواحد من هؤلاء المغرورين: اقعد عن الكسب والتجارة والله تعالى يأتيك برزقك لسخر منك، وقال ما رأينا شيئا يجئ إلا بالسعي والطلب، بل بالكد والنصب، مع أن الله تعالى قد تكفل له بالدنيا ولم يتكفل له بالآخرة فهل ذلك إلا انعكاس وانتكاس على أم الرأس! وقد قال الحسن البصري -رحمه الله-: ((إن أماني المغفرة قد لعبت بأقوام حتى

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٤٤/٤.

(٢) سورة الزلزلة: الآية: ٧ – ٨

(٣) سورة النجم: الآية: ٣١

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: وقال هذا حديث حسن، رقم الحديث ٢٤٥٩، ٦٣٨/٤.

خرجوا من الدنيا مفاليس» [١]، يعني من الأعمال الصالحة، قال رحمه الله: إن المؤمن جمع إحسانا وخوفا، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا فالمؤمن لا يصبح إلا خائفا، ولا يمسي إلا خائفا، يعمل ويقول: لعلي أنجو! والمنافق يترك العمل ويقول سواد الناس كثير وسوف يغفر لي. انتهى.

وقد كان الأنبياء والأولياء مع كمال معرفتهم بالله وحسن ظنهم به وصلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم أو عدمها بالكلية في غاية من الخوف والإشفاق ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [٢] ا هـ» [٣]ويحذر الإمام الحداد من اماني المغفرة فيقول ﷺ : «وأما أماني المغفرة ودخول الجنة من غير سعي لذلك بفعل المأمورات، والمسارعة إلى الخيرات، مع ترك المحظورات، ومجانبة السيئات، فهو حمق وغرور، وموالاة للشيطان – لعنه الله – بقبول تزويره وتلبيسه، وترويجه للشر في معرض الخير، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [٤] فمن ظن أنه يذنب ثم لا يتوب إلى الله توبة صحيحة، وأنه تعالى يغفر له، وكذلك يتكاسل عن الطاعات ويتشاغل عنها بأمور الدنيا، ويتوهم مع ذلك أن الله تعالى يكرمه ويرفعه في درجات الجنة مع المحسنين فهو المتمني المغرور، العاجز الأحمق، وذلك لأن الله تعالى يقول وقوله الحق: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [١].

ثم وصف الله الذين أحسنوا بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [٢]واللمم: هو الصغائر من الذنوب التي لا يكاد العبد يخلو منها،

---

(١) بن عثمان: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، الناشر: مطبعة الحلبي الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨هـ، ٣/ ١١١.

(٢) سورة الأنعام: الآية: ٩٠

(٣) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص ١٥٧.

(٤) سورة النساء: الآية: ١١٩ – ١٢٠

(١) سورة النجم: الآية: ٣١

(٢) سورة النجم: الآية: ٣٢

وقال تعالى﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[١] أي لا نجعلهم سواء عندنا لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٢] فأبطل حسبانهم وتوهمهم، وذم حكمهم بذلك، أعني: ظنهم التسوية بينهم و بين أهل الإحسان عند ربهم. وقد وصف الله ملائكته وأنبياءه عليهم السلام، وعباده المؤمنين في كتابه بالأعمال الصالحة، وبالملازمة لها، والمسارعة فيها مع الخوف والخشية والإشفاق والوجل، فقال تعالى في الملائكة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[٣]وقال تعالى في الأنبياء: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[٤] وقال أيضا فيهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[٥]وقال تعالى في المؤمنين: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾[٦]وقال أيضا فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[١]ولما سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى:

---

(١) سورة ص: الآية: ٢٨

(٢) سورة الجاثية: الآية: ٢١

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٢٦ – ٢٨

(٤) سورة الإسراء: الآية: ٥٧

(٥) سورة الأنبياء: الآية: ٩٠

(٦) سورة الأنبياء: الآية: ٤٨ – ٤٩

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٧ – ٦١

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ [١]أهو أن الرجل يزني ويسرق ثم يخاف قال: ((لا، بل هو الرجل يصلي ويصوم، ويتصدق،ويخاف أن لا يقبل منه...الحديث)) [٢] ولما وصف الله بعض أعدائه وصفهم بالغرور والتمني فقال عن واحد منهم: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾[٣] يعني من جنته التي أعجب بها ونسي نعمة الله عليه فيها، وتكبر بها وافتخر على من هو خير منه من عباد الله!

فانظر ذلك في جملة قصته التي حكاها الله عنه، وعن العبد الصالح في قوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴾. [٤] وقال تعالى عن آخر من الأعداء المغرورين: ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴾ [٥]يعني في الآخرة، فكذبه الله وتوعده بالعذاب وإنزاله به. وقال تعالى عن آخر منهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ ﴾. [٦]

فانظر الآن – رحمك الله – بأي شيء وصف الله أحبابه وأولياءه وبغضاءه وأعداءه، فبأي الفريقين اقتديت وتشبهت كنت معه، فإن من تشبه بقوم فهو منهم، كما ورد.

وقد تبين لك عن ملائكة الله وأنبيائه وعباده الصالحين: أنهم كانوا يسارعون في الخيرات وأنهم ملازمون لصالح العمل، ومجانبون للسيئات والزلل، مع الخوف من الله والوجل، وأن الأعداء كانوا على الضد من ذلك: على العصيان وترك الإحسان، مع الغرور، والأمن من مكر الله، والتمني على الله، فاختر لنفسك صحبة خير الفريقين، وتشبه بهم في الأعمال والأوصاف، تكن معهم إن شاء الله تعالى.

واعلم أن أماني المغفرة مع الكسل والبطالة من أضر شيء على الإنسان، وقد فشت على ألسنة المخلطين من أهل هذا الزمان، ولذلك طولنا الكلام فيها رجاء أن ينفع الله به من

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: ٦٠ .

(٢) السفاريني: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ١/ ٤٣٦.

(٣) سورة الكهف: الآية ٣٦

(٤) سورة الكهف: الآية ٣٢

(٥) سورة مريم: الآية ٧٧

(٦) سورة فصلت: الآية ٥٠

وقف عليه منهم، فيتنبه من غفلته، و يستيقظ من رقدته عندما يعلم أن أهل النبوة وأهل الصلاح كانوا في نهاية الخوف من الله، حتى كان نبينا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: ((لو آخذني الله أنا وابن مريم بما جنت هاتان - يعني السبابة والإبهام - لعذبنا ثم لم يظلمنا شيئا)) (١).

ولا شك أن الأنبياء والأولياء أعرف بالله وبكرمه العظيم ورحمته الواسعة من غيرهم، فلم يبق إلا أن يكون أهل التخليط والتفريط أولى بالخوف من كل وجه، وعلى كل حال.

واعلم أن المتمني المغرور مقطوع الحجة بأيسر مؤنة، فإذا قال: إن الله تعالى لا تضره الذنوب، ولا تنفعه الطاعة، وهو غني عني وعن عملي، فقل له: صدقت، ولكن الذنوب تضرك والطاعات تنفعك، وأنت فقير إلى العمل الصالح.

ثم قل له: اقعد عن الكسب والحركة والسعي للمعاش، فإن الله تعالى قد ضمن لك الرزق، وخزائن السماوات والأرض في قبضته، فسوف يقول لك: صدقت، ولكن لا بد من السعي والحركة، وقلما رأينا شيئا يحصل بدون ذلك. فقل له: إن الدنيا التي أمرك الله بتركها، ونهاك عن الرغبة فيها، وضمن لك قدر الكفاية منها لا تحصل إلا بالسعي والطلب. والآخرة التي رغبك الله فيها، وأمرك بطلبها، وأخبرك في كتابه وعلى لسان نبيه بأنك لا تنجو فيها من عذابه، وتفوز بثوابه حتى تسعى لها وتجتهد في طلبها نراك مضيعا لها، وغير متكرث بها، فما أنت إلا شاك مرتاب، أو أحمق مغرور، قد عكست الأمر، ووضعت الأشياء في غير مواضعها. فبأي حجة، وبأي وجه تلقى الله، وتلقى رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- الذي أرسله إليك يدعوك من الدنيا إلى الآخرة؟! فعند ذلك تنقطع حجته، ولا يدري ما يقول واعلم - رحمك الله - يقينا أنه كلما كان الإيمان أقوى والعمل أصلح، كان الخوف أكثر، وكلما كان الإيمان أضعف والعمل أسوأ، كان الخوف أقل، والأمن والاغترار أغلب، فاعتبر ذلك في نفسك وفي غيرك تجده بينا.

وعلى الجملة، فأن المؤمن الصادق هو الذي يعمل بالصالحات، ويخلص فيها، ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله، ويجانب السيئات، ويبعد عنها، ويخاف أن يبتلى بها، ويخشى

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه: بدون لفظ أنا، رقم الحديث ٦٥٧، ٢/ ٤٣٢.

العقاب على ما عمله منها، ويرجو المغفرة من الله بعد التوبة والإنابة إلى الله، فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من المخلطين، وأمره في غاية الخطر.

فافهم هذه الجملة، وطالب نفسك بها تنج وتفز إن شاء الله تعالى. اهـ›› (١).

ويبين الإمام الحداد حكم المصر غلى الذنب المتعلل بالقدر قالرضي الله عنه : ‹‹المصر على الذنوب مع رجاء العفو متمن، والمتعلل مع ذلك بالقضاء والقدر مبتدع، وهذه مسألة قديمة، حتى اعتل بها الكفار، ولكنها شاعت عند العامة فأول ما يلام على المعصية احتج بذلك، وجعلوه كالجبر، وليس هذا عذرا لمن بقي معه الاختيار، أو كما قال›› (٢) كما قال أيضاً رضي الله عنه: ‹‹ وكذلك من أضر الأشياء على الواقعين في معاصي الله تعالى وترك أوامره أماني المغفرة، وقوله: إن الله كريم رحيم، يغفر الذنوب للعصاة ولا يبالي وذلك صحيح وحق لله ولكن لا بد للعبد من امتثاله لأمر سيده الكريم الرحيم، واجتنابه لما نهاه عنه، وعليه أن يبذل جهده واستطاعته في ذلك، ويستفرغ فيه طاقته وإمكانه، ثم يرجو بعد ذلك غفران ربه ورحمته، ولا يتمنى ولا يغتر من غير جد ولا سعي؛ فيكون بذلك ممن قال فيهم تبارك وتعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا ﴾(٣) وقال تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾(٤)وقال رسول الله ﷺ ‹‹الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني›› (٥) ومعنى دان نفسه: حاسبها. وقال عمر رضي الله عنه: ‹‹حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله تعالى›› (١) وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح: رضي الله عنه ‹‹ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص٧٣-٧٩.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٣٢٦/١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦٩

(٤) سورة مريم: الآية ٥٩/١٩

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث، ٢٤٥٩، ٤ /٦٣٨.

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه: بلفظ آخر «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية»، ٧ /٩٧.

بادروا السيئات القديمات بالحسنات الجديدات؛ فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء، وعلم حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن)) (١).

وقال الحسن البصري – رحمه الله –: إن أماني المغفرة قد لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفاليس(٢) (يقول: من الأعمال الصالحة) . وقال أيضا: وإياكم وهذه الأماني فإنها أودية النوكى أي (الحمقى) .

واعلم أن الله تعالى لم يذكر الرحمة والمغفرة في وصفه لنفسه بذلك، إلا وقيد ذلك بقيود وشرطه بشرائط مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤)ونحو ذلك من الآيات، وما وجد منها مطلقا فيحمل على المقيد منها، وقد قال عز من قائل كريم: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾(٥)الآية، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾(٦)، فقد علم وتبين أن الرجاء بلا عمل ولا سعي غرور وأماني. ومع ذلك العمل والسعي رجاء وحسن ظن اهـ)) (٧)

ومن حِكم الإمام الحداد ﵁: ((أجهل الجاهلين من تزيده المعرفة بسعة رحمة الله جرأة على معاصيه)) (١) وهذا مثال يذكره الإمام الحداد لحال من يذنب ليتوب قال ﵁: ((مثل الذي يذنب ليتوب، مثل الذي يدنس بدنه وثيابه ليغتسل! وما هكذا ينبغي. إنما ينبغي أن يحترز

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٧ /١١٦.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، الوجل والتوثق بالعمل، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، الناشر: دار الوطن – الرياض، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص ٢٧؛بمعنى آخر.

(٣) سورة طه: الآية ٨٢

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٨

(٥) سورة الجاثية: الآية ٢١

(٦) سورة ص: الآية ٢٨

(٧) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص ٢٣٨–٢٤٠ .

(١) الحداد: الحكم للإمام الحداد، ص ١٨.

من الدنس ما استطاع، ثم إن وقع بحكم الغفلة والسهو، كان الواجب عليه التنظف في الحال)) [١].ويذكر الإمام الحداد شرحاً لحديث الذنوب مع بيان الحكم من ذلك فيقول ﷺ: ((في حديث ((لو لم تذنبوا لخلق الله قوما يذنبون، فيستغفرون فيغفر لهم)) [٢] يعني أنك لا تتقصد ذلك، ولا تنكر وجوده في الكون، فلله فيه حكم، ولو لم يكن من الحكم في ذلك، إلا ليكون الناس درجات بعضهم فوق بعض، ومن أنكر وجوده، أو تقصد فعله، فهو عاص فاسق، وهو كمن يتقصد شرب السم)) [٣].ويغُوص الإمام الحداد في دقائق مشاعر القلب وما يداخله اثناء عمل الطاعة والمعصية ويعالج هذه المداخلة بالنظر في عواقبها فيقول ﷺ: ((إذا عملت الطاعة، فانظر إن شئت في بدايتها التي كانت بحول الله وقوته وحسن توفيقه، وبذلك ينتفي الإعجاب، ويبقى شهود المنة لله تعالى. وإن شئت نظرت في نهايتها التي هي جزيل الثواب، وحسن المآب، وعنده تعظم الرغبة وتخف المداومة. والأول أتم. وإذا وقعت منك المعصية، فإياك أن تنظر إلى بدايتها التي هي التقدير، فيدعوك ذلك إلى الاحتجاج على الله، وهو أعظم من المعصية. ولكن ينبغي أن تنظر في نهايتها التي هي أليم العقاب، وعنده تبادر إلى التوبة، وتعظم الرهبة)) [٤]

خامسا: التعامل مع وساوس الصدر، وحديث النفس:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [١] قال ابن عمر ﷺ: نسختها الآية التي بعدها، يعني قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٢]ومثله عن ابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنهما. وقال جل ذكره: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ ﴾ [١]أي: لم يضيق عليكم في أحكامه، فيكلفكم ما تعجزون عنه. وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: ((إن الله سبحانه وتعالى تجاوز عن أمتي ما

(١)الحداد: الحكم للإمام الحداد: ص١٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: بلفظ (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم) باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم الحديث ٢٧٤٩، ٤/٢١٠٦.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٩٨/١.

(٤) الحداد: الحكم للإمام الحداد، ص١٩.

(١)سورة البقرة: الآية: ٢٨٤

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٨٦

وسوست به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به» [٢]. وعن أبي هريرةﷺ، قال: جاء ناس من أصحاب النبيﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: وقد وجدتموه قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان» [٣]

قال أبو سليمان الخطابي[٤]: قولهﷺ: ذلك صريح الإيمان، معناه أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم، والتصديق به، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان، وذلك أنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيمانا صريحا. وروي في حديث آخر: أنهم لما شكوا إليه ذلك، قال: (الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة) [٥].

قال الإمام الحدادﷺ: « من أضر الأشياء على الإنسان في حال صلاته، وتلاوته للقرآن، وذكره لله تعالى، وساوس الصدر، وكثرة الخواطر، وحديث النفس بالماضيات والمستقبلات، وإذا استغرق القلب بها وأمعن فيها أفسدت عليه حقيقة هذه العبادات ومعناها، وما هو المراد منها، وربما تفسد عليه صورة العبادة والظاهرة منها، فيصير حاله كحال من لم يقم بها أصلا، أو أسوأ حالا منه، كما يعرف ذلك من يهتم له ويجربه ممن يهمه أمر دينه، والقيام بحق ربه، والسعي لآخرته.

ثم إن كانت تلك الخواطر وأحاديث النفس بطاعات لا تعلق لها بما هو فيه فذلك من خداع الشيطان وتلبيسه على الإنسان، وترويجه الشر في معرض الخير، وإن كانت بأمور من

---

(١) سورة الحج: الآية: ٧٨

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده: أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، مسند الحميدي، تحقيق حسن سليم أسد الداراني، ، الناشر: دار السقا، دمشق — سوريا، ط١، ١٩٩٦ م، رقم الحديث ١٢٠٧، ٢٩٥/٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم الحديث ١٣٢، ١١٩/١.

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان الخطابي البستي كان يشبه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام علما وأدبا، وزهدا وورعا، وتدريسا وتأليفا. ومن مشهور كتبه في اللغة: كتاب غريب الحديث، وهو غاية في بابه، وله معالم السنن في شرح سنن أبي داود، وأعلام السنن في شرح البخاري، وكتاب الشجاج، وغير ذلك. مات الخطابي في بست، في حدود سنة أربعمائة. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ، ١٦٠/١.

(٥) البغوي: شرح السنة، ١/ ١٠٧.

المباحات كان ذلك أنزل وأسفل، وإن كانت بأمور أخرى من المعاصي والسيئات كان ذلك أسوأ وأقبح، وربما يصد العبد بسببها عن حضرة الله تعالى ويكون من الممقوتين والمبعدين.

فليحذر العبد من ذلك كل الحذر، ولا يخل نفسه وأحاديثها ووساوسها التي لا خير فيها، وهو بين يدي الله تعالى يذكره ويناجيه ويصلي لوجهه، ويتلو كتابه العزيز ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] وقال تعالى ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٢] اهـ)) [٣] والإمام الحداديين حكم الخواطر الغير أختيارية فيقول ﷺ: ((الخواطر غير الاختيارية لا تضر، فقد حصل مثل ذلك لسيدنا عمر يوم الحديبية[٤]، وإنما على الإنسان ما فيه اختياره، وما وراءه فأمره إلى الله، ما عليه في ذلك شيء [٥]وقال ايضاً في شأن المؤاخذة بتلك الخواطر: ((في الخواطر، من حيث المؤاخذة بها، وهو أمر واضح وبيانه على سبيل الإجمال، أن الخاطر ما دام مترددا خيرا كان أو شرا لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب حتى يقع الجزم والتصميم فعند ذلك تتوجه المجازاة عليه من جنسه)) [١]

وهذا ملمح للإمام الحداد يذكر فيه فن القيادة للنفس فيقول ﷺ : ((وإذا آنست من نفسك أيها المريد تكاسلا عن الطاعات، وتثاقلا عن الخيرات؛ فقدها إليها بزمام الرجاء، وهو أن

---

(١) العنكبوت: الآية ٦

(٢) فصلت: الآية ٣٥- ٣٦

(٣) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، الفصل الرابع والثلاثون، ص١٢٤.

(٤) كما جاء في صحيح البخاري، من حديث حبيب بن أبي ثابت قال: حدثني أبو وائل، قال: كنا بصفين، فقام سهل بن حنيف، فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى» . فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدا»، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: «نعم» ٤/ ١٠٣.

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٦٧/١.

(١) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٦٧.

تذكر لها ما وعد الله به العاملين بطاعته من الفوز العظيم، والنعيم المقيم، والرحمة والرضوان، والخلود في فسيح الجنان، والعز والرفعة والشرف والمكانة عنده سبحانه، وعند عباده.

وإذا أحسست من نفسك ميلا إلى المخالفات، أو التفاتا إلى السيئات؛ فردها عنها بسوط الخوف، وهو أن تذكرها وتعظها بما توعد الله به من عصاه من الهوان والوبال، والخزي والنكال، والطرد والحرمان والصغار والخسران.

وإياك والوقوع فيما وقع فيه بعض الشاطحين -المغالين- من الاستهانة بشأن الجنة والنار، وعظم ما عظم الله ورسوله. واعمل لله لأنه ربك وأنت عبده، واسأله أن يدخلك جنته، وأن يعيذك من ناره بفضله ورحمته.

وإن قال لك الشيطان- لعنه الله-: إن الله سبحانه وتعالى غني عنك وعن عملك، ولا تنفعه طاعتك، ولا تضره معصيتك؛ فقل له صدقت، ولكن أنا فقير إلى فضل الله وإلى العمل الصالح، والطاعة تنفعني والمعصية تضرني، بذلك أخبرني ربي في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. فإن قال لك: إن كنت سعيدا عند الله؛ فإنك لا محالة تصير إلى الجنة سواء كنت طائعا أو عاصيا، وإن كنت شقيا عنده فسوف تصير إلى النار وإن أنت مطيعا؛ فلا تلتفت إلى قوله، وذلك لأن أمر السابقة غيب لا يطلع عليه إلا الله وليس لأحد من الخلق فيه شيء، والطاعة أدل دليل على سابقة السعادة، وما بين المطيع وبين الجنة إلا أن يموت على طاعته، والمعصية أدل دليل على سابقة الشقاء، وما بين العاصي وبين النار إلا أن يموت على معصيته اهـ)) [(١)]

سادسا: مفهوم حديث لن يدخل أحد الجنة بعمله:

اعلم أن مذهب أهل السنة: أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غيرهما من أنواع التكليف، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع، ومذهب أهل السنة أيضا: أن الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى الله، بل العالم ملكه، والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين، وأدخلهم النار كان عدلا منه وإذا أكرمهم ونعمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك، ولكنه أخبر وخبره صدق، أنه لا يفعل هذا، بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته

---

(١) الحداد: رسالة آداب سلوك المريد، ص ٣١-٣٣.

ويعذب المنافقين ويخلدهم في النار عدلا منه. وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل، ويوجبون ثواب الأعمال، ويوجبون الأصلح، ويمنعون خلاف هذا في خبط طويل لهم، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع. وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما قوله تعالى: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة، فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات: أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها، وهي من الرحمة (١) .

والإمام الحداد تكلم عن هذا الموضوع وتطرق إلى ذكر الأمثلة التي تعتبر نماذج يقتدى بها في العمل الصالح، وبين أن العمل الإنسان المحتاج إليه وأما الله فغني عنا وعن أعمالنا، ولكن اقتضت حكمته وعدله أن يثيب الطائع المحسن ويعاقب العاصي المسيء، ومع هذا لا يعتمد الإنسان على العمل بل يعتمد على فضل الله ويتوكل عليه والله أعلم. قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((ثم اعلم أن المؤمن البصير بالدين، الراسخ في العلم واليقين: هو الذي يحسن العمل لله، ويجتهد في ذلك بكليته. ثم يعتمد على الله وعلى فضله، ولا يعتمد على عمله وإحسانه. وعلى هذا الوصف مضى الأنبياء والعلماء وصالحو السلف والخلف عليهم السلام والرحمة والرضوان.

وإلى ذلك أشار –صلى الله عليه وآله وسلم– بقوله: ((لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)) (١).

ثم كان صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد في الأعمال الصالحة إلى الغاية والنهاية، حتى تورمت قدماه من طول القيام بالليل.وأما الذي يجتهد في الأعمال الصالحة ويعتمد عليها فهو معجب بنفسه، جريء على ربه، وربما يبتلى ليستبين له عجزه وعدم صلاحيته لشيء من الصالحات لولا فضل الله ورحمته،

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم، ١٧/١٦١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ «لن ينجي أحدا منكم عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا» باب القصد والمداومة على العمل، ٨/ ٩٨.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾. [١]

وكما بلغنا: أن عابدا عبد الله خمسمائة سنة، فإذا كان يوم القيامة يقول الله له: يا عبدي ادخل الجنة برحمتي. فيقول: يا رب، بل بعملي! فيأمر الله به فيحاسب على نعمة البصر فتستغرق جميع عبادته، وتبقى عنده نعم الله كثيرة، فيأمر به إلى النار؛ فيقول: يا رب! أدخلني الجنة برحمتك، فيأمر به إليها ويثني عليه ويمدحه جل وعلا[٢]. فقد ظهر أنه لا بد من أمرين: أحدهما: إصلاح العمل. والثاني: الاعتماد على الله دونه.

وما أحسن ما قاله الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني ﷺ، حيث يقول في ذلك: بك لا نصل، ولا بد منك. يعني أننا لا نصل بالعمل دون فضل الله، ولا بد من العمل امتثالا لأمر الله.

وقال الشيخ أبو سعيد الخراز –رحمه الله تعالى–: من ظن أنه بالعمل يصل فهو متعن، ومن ظن أنه بدون العمل يصل فهو متمن[٣] – يعني أن يصل إلى الله، والمتمني: هو الذي لا يعمل ويزعم أنه متكل على فضل الله، وذلك غرور وحماقة لا يصح منه الاتكال على الله وعلى فضله إلا مع العمل الصالح كما تقدم. وقال الحسن البصري – رحمه الله –: إن أماني المغفرة قد لعبت بأقوام حتى خرجوا من الدنيا مفاليس أي: من الأعمال الصالحة. [١]

وقال أيضا: إن المؤمن جمع إحسانا وخوفا، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا[٢].

قلت [٣]: وذلك عجيب جدا، لأن الخوف بصاحب الإساءة أليق؛ لتعرضه بإساءته لسطوات الله، وإنما أمن مع الإساءة لانتكاس قلبه، وعمى عين بصيرته، ولكن

---

(١) سورة النور: الآية ٢١

(٢) أخرجه البيهقي: شعب الإيمان، ٦/ ٣٤١.

(٣) هذا القول ينسب للإمام علي انظر ابن عثمان، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، ١٤٢/٢.

(١) سبق تخريجه: من (ص ٢١٩) من هذه الرسالة .

(٢) أخرجه ابن المبارك: بلفظ جمع إحسانا وشفقة، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، الزهد ويليه الرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ص٣٥٠.

(٣) هذا من كلام الإمام الحداد .

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [(١)] اللهم اهدنا، وكن لنا يا ربنا وليا مرشدا إلى ما تحبه منا، و ترضى به عنا، فقد فوضنا إليك أمرنا، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين›› [(٢)]قال الإمام الحداد ﷺ : ‹‹وليعلم أن حق الله على عباده ولزوم طاعته، ووجوب عبادتهم إياه، وخدمتهم له من الأمور التي لا يستطيع أحد من العباد أن يقوم بالبعض منها، ولو بلغ في الطاعة والعبادة ما عسى أن يبلغ، واجتهد وجد وشمر، حتى يستوفي إمكانه ويستفرغ استطاعته ووسعه، فليعترف العبد بتقصيره عما يجب عليه القيام به من عبادة ربه، وليعترف بمنة الله عليه فيما وفقه له من طاعته وخدمته، ولا يعجب بنفسه ولا بعمله فيهلك من حيث يرجو النجاة، ويخسر من حيث يأمل الربح؛ وقد قال عز من قائل عظيم: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٣)].

وقال رسول اللهﷺ: لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته هذا مع ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من نهاية الجد والتشمير، والاجتهاد في عبادة الله حتى قام من الليل إلى أن تورمت قدماه، مع ما له من المكانة والمنزلة عند الله التي لا يساويه فيها أحد من عباد الله المكرمين، وأصفيائه المقربين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وحديث الرجل العابد الذي عبد الله خمسمائة سنة في الجزيرة، وأنه يوقف بين يدي الله، فيقول له سبحانه وتعالى: (يا عبدي ادخل الجنة برحمتي، فيقول بل بعملي يا رب، فيأمر الله به، فيحاسب بنعمة البصر فتستغرق جميع عباداته خمسمائة عام وتبقى نعم الله عليه كثيرة، فيأمر الله به سبحانه إلى النار، فيقول: يا رب، أدخلني الجنة برحمتك فيأمر الله به سبحانه إلى الجنة برحمته) وفي الحديث طول.

فليعلم العبد المتعبد لله، أن الفضل لله عليه أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا، وعلى كل حال وفي كل موطن، وكيفما تقلبت به الأحوال فليحمد الله ويشكره، وليعترف بالمنة له والنعمة، وبالقصور والتقصير عما يجب له من الحق، ومن العبادة والخدمة، ولو بلغ من ذلك ما بلغ، وانتهى فيه إلى ما عسى أن ينتهي. وقد بلغنا: (أن لله ملائكة منذ خلقهم الله تعالى وهم في

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٧

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص٧٣-٨٢.

(٣) سورة النور: الآية ٢٠

عبادته، منهم القائم لا يركع، والراكع لا يسجد، والساجد لا يرفع إلى يوم القيامة؛ فإذا كان ذلك اليوم رفعوا رؤوسهم إلى ربهم، وقالوا: سبحانك. ما عبدناك حق عبادتك) الأثر في ذلك بهذا المعنى أو قريب منه(١).

وعلى المشغول بعبادة الله تعالى أن يكون في عبادته خاشعا لله وخاضعا، حاضر القلب لا يغفل عن الله، ولا يكون مشغول الظاهر بعبادته تعالى، ومشغول القلب بحديث النفس في أمور الدنيا وأحوال المعاش وذكر الناس؛ فيكون بذلك سيئ الأدب مع ربه حيث يعبده، ويعمل له بظاهره دون باطنه، وبجسمه دون قلبه، وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» (٢).

وكذلك يحذر من العمل مع العجلة فيه، وقلة التأني حتى لا يتمكن مع ذلك من إعطاء العبادة حقها من واجب أو مسنون متأكد، مثل الذي لا يرتل في قراءته ولا يتدبر، ولا يطمئن في ركوعه واعتداله وسجوده وجلوسه؛ فلا يحصل بسبب ذلك من صلواته وقراءته على طائل ولا نافع، وربما تبطل العبادة بسبب ذلك من أصلها إذا أخل منها بواجب؛ فيكون قد تلبس بعبادة غير صحيحة، فيخرج منها مأزورا غير محمود ولا مأجور اهـ» (١).

وأكد الإمام الحداد أن المعاصي تزيد النفاق كما أن الطاعات تزيد الإيمان ووضع منهجا جيدا للعاصي إذا عصى ربه كيف يرجع إليه ولا يغتر بالأماني قال الإمام الحداد ﷺ: « وأما النفاق فزيادته بالأعمال السيئة: من ترك الواجبات، وارتكاب المحرمات، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من أذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقل قلبه، وإن لم يتب؛ زاد ذلك حتى يسود قلبه» (٢) فذلك الران الذي قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: بلفظ إن لله في سماء الدنيا ملائكة خشوعا لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم ثم قالوا: ربنا ما عبدناك حق عبادتك، رقم الحديث ٤٥٠٢، ٣/٩٣.

(٢) أخرجه مسلم: بلفظ «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، رقم الحديث ٢٥٦٤، ٤/١٩٨٧.

(١) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص ٢٣٠ -٢٣٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: بلفظ آخر إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقل منها، فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل (كلا بل ران على قلوبهم) هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، ١ /٤٥.

يَكۡسِبُونَ ﴾ [(١)]فلا شيء أشر وأضر على الإنسان في الدنيا والآخرة من الذنوب، ولا يكاد يخلص إليه سوء، ولا يناله مكروه إلا من جهتها، قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[(٢)] فينبغي للمؤمن أن يكون على نهاية الاحتراز منها، وفي غاية البعد عنها، و إن أصاب منها شيئا فليبادر بالتوبة منه إلى الله، فإنه تعالى يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، ظلموا أنفسهم فعرضوها لسخط الله بالوقوع في معصيته، ثم بالإصرار عليها بتركهم التوبة منها التي أمرهم ربهم بها ووعدهم بقبولها، ووصف نفسه بذلك فقال تعالى:

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[(٣)] فتأملوا رحمكم الله هذه الآية، وما جمعت من المعاني الشريفة، و الأسرار اللطيفة الباعثة على الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، وغير ذلك، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[(٤)]. اهـ)) [(١)].

---

(١) سورة المطففين: الآية ١٤

(٢) سورة الشورى: الآية ٣٠

(٣) سورة غافر: الآية ٣

(٤) سورة غافر: الآية ١٣-١٤

(١) الحداد: النصائح الدينية، ، ص ٥١

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أولا: التعريف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الإنسان كثير النسيان كثير الخطأ، نفسه تأمره بالسوء والشيطان يغريه بالمعاصي، وإذا كانت الأجسام تمرض، وتصيبها العلل والآفات وذلك يستلزم وجود الطبيب، الذي يصف الدواء المناسب، لتعود الأجسام إلى اعتدالها، فكذلك النفوس والقلوب تصيبها أمراض الشهوات والشبهات فتقع فيما حرم الله من سفك الدماء واستباحة الفروج وشرب الخمور وظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل والصد عن سبيل الله والكفر بالله وغيرها.

وأمراض القلوب أشد خطراً من أمراض الأجسام وذلك يستلزم وجود الطبيب الماهر ولكثرة أمراض القلوب، وما ينشأ عنها من الشرور والفساد كلف الله المؤمنين بعلاج تلك الأمراض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى الوظائف الإسلامية بل هو أشرفها وأعلاها، وهو وظيفة الأنبياء والرسل –عليهم السلام–، وقد جعل الله الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس لقيامها بهذه الوظيفة العظيمة، وإذا عطلت الأمة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انتشر الظلم والفساد في الأمة واستحقت لعنة الله وقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل، لتعطيلهم هذه الشعيرة العظيمة، فهي أصل من أصول هذا الدين والقيام بهما جهاد في سبيل الله والجهاد يحتاج إلى تحمل المشاق والصبر على الأذى.

وهي رسالة عظيمة لذا يجب على من يقوم بها أن يتحلى بالأخلاق الكريمة ويعرف مقاصد الشرع ويدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ويعاملهم باللين واللطف لعل الله يهدي من يشاء على يديه

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر موجود في الأمم السابقة، بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وأصل المعروف توحيد الله، والإخلاص له، وأصل المنكر الشرك بالله، وعبادة غيره. وجميع الرسل بعثوا يدعون الناس إلى توحيد الله، الذي هو أعظم المعروف، وينهون الناس عن الشرك بالله، الذي هو أعظم المنكر والإمام الحداد توسع في هذا الباب وأورد أدلته من الكتاب والسنة وعرفه وهذا بعض كلامه.

قال الإمام الحداد–رحمه الله–: ((في قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [1] والفلاح: هو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من أعظم شعائر الدين، وأقوى دعائم الإسلام، وأهم الوظائف على المسلمين وبهما قوام الأمر وصلاح الشأن كلّه، وبإهمالهما تتعطَّل الحقوقُ، وتُتَعَّدى الحدودُ، ويخفى الحقُّ، ويظهر الباطل.

والمعروف: عبارة عن كل شيء أمر الله بفعله، وأحب من عباده القيام به.

والمنكر: كل شيء كره الله فعله، وأحب من عباده تركه.

والقيام بذلك، أعني الأمر والنهي، لابدَّ منه، ولا رخصة في تركه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)) [2] وفي رواية أخرى: وليس وراء ذلك – يعنى الإنكار بالقلب – من الإيمان مثقال ذرة وقال عليه الصلاة والسلام: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر)) [3]وقال عليه الصلاة والسلام: ((والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم أو ليبعثن الله عليكم عقاباً من عنده)) [1]. وقال عليه الصلاة والسلام: ((إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم، فقد تُوُدِّعَ منها)) [2] ومعنى ذلك: فقد ذهب خيرها، ودنا هلاكها.

وعليك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه القطب الذي عليه مدار الدين، ولأجله أنزل الله الكتب وأرسل المرسلين، وقد انعقد على وجوبه إجماع المسلمين، وتظاهرت نصوص الكتاب والسنة على الأمر به والتحذير من تركه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم الحديث٤٦، ١/ ٦٩.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء في رحمة الصبيان، رقم الحديث ١٩١٩، ٤/ ٣٢٢.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: بلفظ (والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، وليأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، وليلعننكم كما لعنهم) رقم الحديث ١٠٢٦٧، ١٠/ ١٤٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: بلفظ آخر «إذا رأيت أمتي تهاب فلا تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم» مرجع سابق، ٤/ ١٠٨.

واعلموا معاشر الإخوان جعلنا الله وإياكم من القوامين بالقسط، الآمرين به، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدين، وأهم المهمات على المؤمن، وقد أمر الله بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحث عليه ورغب فيه، وشدد في تركه فقال تعالى﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [١]وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [٢]وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٣]وقال تعالى ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[٤] وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ((من رأى منكن منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الأيمان)) [١]وقال عليه الصلاة والسلام: ((يا أيها الناس، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)) [٢]، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقاً، ولا يقرب أجلاً، وأن الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عُمُّوا بالبلاء)) [٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)) [٤] وسئل صلوات الله عليه عن خير الناس فقال:

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٠٤

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١١٠

(٣) سورة التوبة: الآية: ٧١

(٤) سورة المائدة: الآية: ٧٨ – ٧٩

(١) سبق تخريجه: من (ص ٢٣٠) من هذه الرسالة .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث ٤٠٠٤، ٢/ ١٣٢٧.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط: رقم الحديث ١٣٦٧، ٢/٩٥.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، رقم الحديث ٢١٧٤، ٤/ ٤٧١.

«أتقاهم للرب، وأوصلهم للرحم، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر» [(١)] وبلغنا أنَّ الله تعالى عذَّب قرية فيها ثمانية عشر ألفاً، أعمالهم كأعمال الأنبياء غير أنهم كانوا لا يغضبون لله [(٢)].

فقد تبين واتضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا رخصة لأحد في تركهما عند القدرة والإمكان، وأن من أضاع ذلك وتساهل فيه فهو متهاون بحق الله، وغير معظم لحرماته كما ينبغي، وقد ضعف إيمانه وقلَّ من الله خوفه وحياؤه. فإن كان سكوته رغبة في الدنيا، وطمعاً في الجاه والمال، ويخشى أنه إذا أمر أو نهى سقطت منزلته، وضعف جاهه عند من أمره أو نهاه من العصاة والظلمة، فقد عظم إثمه، وتعرض بسكوته لسخط ربه ومقته. فأما إذا سكت عن الأمر والنهي لعلمه أنه يحصل له إذا أمر أو نهى مكروه في نفسه أو ماله، فقد يجوز له السكوت إذا تحقق ذلك وكان المكروه الذي يحصل له شديداً وله وقع ظاهر. ولو أمر ونهى مع ذلك كان له أجر عظيم، وثواب جزيل، وكان ذلك منه دليلاً على محبة الله، وإيثاره على نفسه، وعلى نهاية الحرص على نصرته لدينه، كما قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[(١)] وما أحسن حال العبد إذا ضرب أو حبس أو شتم بسبب قيامه بحقوق ربِّه، وأمره بطاعته، ونهيه عن معصيته! ذلك دأب الأنبياء والمرسلين، والأولياء الصالحين، والعلماء العاملين، كما هو منقول في أخبارهم، ومعروف من سيرهم وآثارهم، ولا خير في الجبن والضعف المانعين من نصرة الدين، ومجاهدة الظالمين والفاسقين، لردهم إلى طاعة الله رب العالمين. فإن الغضب لله والغيرة عند ترك أوامره، وارتكاب نواهيه وزواجره، شأن الأنبياء والصديقين، وبذلك وصفوا، واشتهروا وعرفوا، كما ورد في الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يغضب لنفسه، فإذا انتهك شيء من حرمات الله تعالى لم يقم لغضبه شيء، وكما قال عليه الصلاة والسلام في حقِّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «قوله الحق، وماله في الناس من صديق» [(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص٦٥.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، ٢/ ٣٢٠.

(١) سورة لقمان: الآية ١٧

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، ٣٤٢/٢.

وقال تعالى في وصف أحبابه من المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾(١) فتبين أن المؤمن الكامل لا يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة المنكرات حتى يغيرها أو يحال بينه وبين ذلك بما لا طاقة له على دفعه. وأما المنافق ومن ضعف إيمانه جداً، فإذا رأوا المنكرات تعللوا وعذروا أنفسهم بالأعذار الركيكة التي لا تقوم بها حجة عند الله وعند رسوله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- وتراهم إذا شتموا أو ظلموا بشيء من أموالهم يقومون أتم القيام ويغضبون أشد الغضب. ومن فعل معهم ذلك يخاصمونه ويصارمونه الزمان الطويل، المضيعين لحقوق الله تعالى. وأن المؤمنين الصادقين على العكس من ذلك، يغضبون لله ولا يغضبون لأنفسهم، ويقاطعون من عصى الله وترك أمره،

ويصارمونه إذا لم يقبل الحق، ويصفحون ويتجاوزون عمن ظلمهم أو شتمهم، فانظروا الفرق ما بين الفريقين، وكونوا مع أحسنهم فريقاً، وأقومهم طريقاً، و ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) ا هـ)) (٣).

وللإمام الحداد فهم في تفسير قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١)قال ﷺ: في قوله تعالى:((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ: أي جماعة (يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) وهو أعني الخير على الجملة، الأمان والطاعة، والدعوة إلى ذلك منزلة عند الله رفيعة، وقربة إلى الله عظيمة قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه من غير أن ينقص من آثامهم شيء)) (٢) وقال عليه الصلاة والسلام: ((الدالُّ على الخير كفاعله)) (٣). فمن جعل الدعاء إلى الخير (أي الدعوة) دأبَه وشغلَه فقد أخذ بحظٍّ وافرٍ من ميراث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم،

(١) سورة المائدة: الآية ٥٤

(٢) سورة الأعراف: الآية: ١٢٨

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص٢٤٧-٢٥٠.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب من سن سنة حسنة أو سيئة رقم الحديث ٢٦٧٤، ٤/ ٢٠٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، ٥/ ٤١.

وسار على سبيله التي قال الله تعالى فيها﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١) فلم يكن شغله عليه الصلاة والسلام في جميع أوقاته غير الدعوة إلى الله بقوله وفعله، ولذلك بعثه الله، وبذلك أمره، كما قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾(٢). فأقرب الناس من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأولاهم به في الدنيا والأخرة، أحرصهم على هذا الأمر، وأكثرهم شغلاً به، وأتمهم دخولاً فيه، أعني به الدعوة إلى الخير المفسَّر بالإيمان والطاعة، والنهي عن ضديهما اللذين هما الكفر والمعصية. وقوله تعالى: ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣) والفلاح: هو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة)) (٤)

ثانيا: حكم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراتبهما وعواقبهما:

هذه مسألة عظيمة يجب على أهل الإسلام أن يعنوا بها، وأن يعظموها كما عظمها الله، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد بين الله سبحانه وتعالى أن من صفات المؤمنين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ليس خاصًا بالرجال دون النساء، وبالنساء دون الرجال، بل على الجميع، وليس خاصًا بأهل الحسبة، الذين لهم أجور، مكلفين بهذا الشيء، لا بل يعم الجميع، لكونه أشد وجوبًا وأعظم مسؤولية، ولكن الأمر عام للجميع للعلماء والعامة، والصغير والكبير، للمكلفين والأمراء والقضاة، كل منهم عليه واجبه، وعليه قسطٌ من هذا الأمر، قال الإمام الحداد ﷺ: ((واعلم أن الأمر بالمعروف واجب، والنهي عن المحرم واجب والأمر بالمندوب والنهي عن المكروه مستحب. ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية، فحيث قام به البعض من المسلمين سقط الحرج بقيامهم عن الباقين، واختص الثواب بالقائمين فقط. وحيث قصروا فيه كلهم عم الإثم والحرج كل عالم بالمنكر منهم يستطيع إزالته وتغييره بيد أو لسان.)) (١)

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٦

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤

(٤) الحداد: النصائح الدينية، ص٣٨-٣٩.

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص٢٥١.

وقال الإمام الحداد في بيان مراتب الإنكار للمنكر ﷺ: ((وأول ما يجب عند مشاهدة المنكر: التعريف والنهي بلطف ورفق وشفقة، فإن حصل بذلك المقصود وإلا انتقل منه إلى الوعظ والتخويف، والغلظة في القول والتعنيف، ثم إلى المنع والقهر باليد وغيرها، ومباشرة تغيير المنكر بالفعل.

وأما الرتبتان الأوليان: التعريف باللطف، والوعظ والتخويف، فهما عامتان والغالب فيهما الاستطاعة، ومدعي العجز عنهما متعلل ومتعذر في الأكثر بما لا يقوم به عذر.

وأما الرتبة الثالثة: التي هي المنع بالقهر، وتغيير المنكر باليد، فلا يستطيعه ويتمكن منه في الأكثر إلا من بذل نفسه لله تعالى، وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله، وصار لا يخاف في الله لومة لائم، أو كان مأذوناً له في تغيير المنكر من جهة السلطان.

والحاصل: أن الإنسان يأتي من ذلك بما يستطيع، ولا يقصر في نصرة دين الله، ولا يعتذر في إسقاط ذلك بالأعذار التي لا يصح ولا يسقط بها ما وجب عليه من أمر الله تعالى.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: ((والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)) (١).

وقال عليه الصلاة والسلام: ((ليس منا لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)) (٢).

والواجب عليك إذا رأيت من يترك معروفاً أو يفعل منكراً أن تعرفه بكون ذلك معروفاً أو منكراً، فإن لم يدعه فعليك بوعظه وتخويفه، فإن لم ينزجر فعليك بتغييره وقهره بالضرب وكسر آلة اللهو المحرمة وإراقة الخمر ورد الأموال المغصوبة من يده إلى أربابها. وهذه الرتبة لا يستقل بها إلا من بذل نفسه لله، أو كان مأذوناً له من جهة السلطان، وأما الرتبتان الأوليان أعني التعريف والوعظ فلا يقصر عنهما إلا جاهل مخبِّط أو عالم مفرِّط.

ومن الواجب على من رأى منكراً لا يستطيع تغييره والنهي عنه، أن يبغض فاعله، ويكره ويكره فعله بقلبه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (فإن لم يستطع فبقلبه) ويبغض المصرين على المعاصي من القرابات، وعليه أن يفارق ذلك الموضع، فإن مشاهدة المنكرات وحضورها

---

(١) أخرجه البغوي: شرح السنة، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث ٤١٥٤، ١٤/٣٤٥.

(٢) سبق تخريجه: من (ص٢٣٠) من هذه الرسالة .

بالاختيار غير جائز. ومن نهاه عن منكر فلم ينته وأصر على منكره، فعليه أن يهجره ويجانبه حتى يترك المنكر، ويتوب إلى ربه منه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((من أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله، والبغضُ في الله)) (١)وعليك بكراهة المعاصي وكراهة المصرين عليها وبغضهم في الله وهذا واجب كل مؤمن. وإذا ظُلمت أو شُتمت فظهر عليك من الغضب وتغير الوجه ووجدت من كراهة الفعل والفاعل ما لا يكون مثله ولا أعظم منه عند سماعك المنكر ومشاهدته، فتحقق أنك ضعيف الإيمان وأن عرضك ومالك أعز عليك من دينك)) (٢).

وتكلم الإمام الحداد عن عواقب وما يترتب على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحكم الشخص الذي يرى المنكر ولا ينكره وضرب لنا أمثلة من الأمم الماضية وما حل بها لما تركوا هذه الشعيرة قال الإمام الحداد ﷺ: ((وقد ثبت أن الذي يشاهد المنكرات، ولا ينكرها مع القدرة شريك لأصحابها في الإثم، وكذلك الذي يرضى بها وإن لم يكن حاضراً عندها، بل وإن كان بينه وبين الموضع الذي تعمل فيه مثل ما بين المشرق والمغرب.

والذي يخالط أهل المنكر ويعاشرهم؛ وإن لم يعمل بعملهم معدود عند الله منهم، وإن نزلت بهم عقوبة أصابته معهم، ولا ينجو ولا يسلم إلا بالنهي، ثمَّ بالمجانبة والمفارقة لهم إن لم يقبلوا وينقادوا للحق، والحب في الله لأهل طاعته، والبغض في الله لأهل معصيته من أوثق عُرَى الإيمان، وقد بلغنا عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: ((لما أحدث بنو إسرائيل الأحداث نهتهم علماؤهم فلم يستجيبوا لهم، فخالطوهم بعد ذلك وواكلوهم، فلمَّا فعلوا ذلك ضرب الله بقلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم)) (١)

وفي قصة أهل القرية التي كانت حاضرة البحر: أنهم لما استحلوا الاصطياد المحرَّم عليهم يوم السبت؛ تفرَّقوا ثلاث فرق: ففرقة اصطادوا واستحلوا ما حرم الله عليهم، وفرقة أمسكوا ونهوهم ولم يفارقوهم، وفرقة فارقوهم وخرجوا من بين أظهرهم بعد النهي لهم، فلما نزلت العقوبة عمَّت الأولى وكذا الثانية، لإقامتهم مع أهل المعصية وإن لم يعملوا بعملهم. ونجت

---

(١) أخرجه أحمد: بلفظ إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله، رقم الحديث١٨٥٢٤،٣٠/٤٨٨.

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص ٣٩- ٤٣.

(١) أخرجه أحمد في مسنده: بلفظ لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود، وعيسى ابن مريم الحديث) ٦/ ٢٥٠.

الفرقة الثالثة، وذلك قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[1] فمسخهم الله قردة ولعنهم، كما في الآية الأخرى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾[2] وتكون الهجرة والمجانبة لأهل المعاصي، عند الإياس من قبولهم للحق.»[3]

ثالثا: محذورات وآداب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الإسلام يتميز بأنه دين راقي في خطابه راقي في معاملته مع العدو الكافر فضلا عن المسلم العاصي، وقد علمنا ديننا آداب كل شيء حتى كيف يقضي أحدنا حاجته، فمن باب أولى كيف يهدي النصيحة لمن خالف، فللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آداب ومحذورات تكلم عنها الإمام الحداد برقي في الطرح وتلطف بالمنصوح وأهم شيء إخلاص الناصح في قصده ونيته، وهذا قلما تجد لها نظيراً في الكتب قال الإمام الحداد ﷺ: «وليحذر كل الحذر من أمر بمعروف ونهى عن منكر من الكبر والأنفة ورد الحق، والقول لآمره وناهيه: عليك نفسك! وما في معنى ذلك من نزول مقت الله به وحلول غضبه عليه، ويكون حاله كحال من قال الله فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[1]. وأما الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فلا عليه من ذلك، وإن رُدَّ عليه قوله كان أبلغ في ثوابه وأعظم في أجره، فليصبر وليحتسب.

وليكن قصده تخليص نفسه وتخليص أخيه من الإثم، وليكن حاله كحال من وقع أخوه المسلم في هلكة أو ورطة من الورطات، كحرق أو غرق وهو قادر على تخليصه وإنقاذه، بل أولى. فإن هلاك الدين والتعرض لسخط رب العالمين أشد وأعظم من هلاك الدنيا، وتلف النفوس الذي لا يفوت به إلا مفارقة هذه الحياة الفانية، وهذه الدار الزائلة، بل لا مناسبة ولا مقاربة بين إتلاف الدين، وبين تلف الدنيا، وإن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ساع في خلاص نفسه ونجاتها، سواء أخذ بقوله أم لم يؤخذ به. وقد بلغنا أن الرجل يتعلق بالرجل يوم

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦٥

(٢) سورة النساء: الآية ٤٧

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص ٣٩- ٤٣.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٦

القيامة وهو لا يعرفه، فيقول له: مالك إليَّ! وما بيني وبينك معرفة، فيقول: كنت تراني على الخطأ والمنكر فلا تنهاني[1]. وفي الحديث: ((مثل القائم على حدود الله، ومثل الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين من أسفل إذا استقوا الماء يمرون على من فوقهم فقالوا: لو خرقنا خرقاً في نصيبنا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)) [2] والمعنى: أن الذي يأمر وينهى ساع لنفسه، ومجتهد في نجاتها بالسلامة مما جعل الله عليه من الإثم لو سكت عن الأمر والنهي مع الاستطاعة، وبما يرجو من ثواب الله وكريم وعده، الذي وعد به من نصر دينه وقام بأمره قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾. [2]

ومن أهم الآداب وآكدها على من أمر بمعروف أو نهى عن منكر: مجانبة الكبر والتعنف، والتعيير، والشماتة بأهل المعاصي، فإن ذلك قد يبطل الثواب ويوجب العقاب، وربما يكون داعياً إلى رد الحق وعدم قبوله والاستجابة له؛ فليحذر كل الحذر من ذلك، وليكن رفيقاً شفيقاً ليناً، رحيماً متواضعاً، مخفوض الجناح، والله الموفق والمعين وبه الثقة وعليه التكلان)) [3] وقال الإمام الحداد ﷺ: ((الفرق بين التأني والتواني: أن التأني التوقف حتى يتبين الأمر، والتواني مع تبينه يقف عنه، ويتساهل فيه ويتركه، والتأني في الخير محمود، والتواني فيه مذموم، وقد يتبين لك الأمر ولكنك غير معد له عدته، فلا ينبغي لك الإقدام عليه)) [4]ومذهب النبوة اللطف في المعاملة والرفق في المخاطبة قال الإمام الحداد ﷺ: ((خذ مع أهل الزمان بالرفق ما أمكنك، ولا تشدد عليهم، فإن حبالهم رامّة، وما كنت تعلّمه أحدهم في يوم

---

(١) أخرجه السفاريني عن أبي هريرة: شمس الدين، أبو العون محمد بن السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب الناشر: مؤسسة قرطبة – مصر، ط٢، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م، ١/ ٢٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث ٢٤٩٣، ٣/ ١٣٩.

(١) سورة الحج: الآية ٤٠

(٢) سورة محمد: الآية ٧

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص٢٥٥-٢٥٧.

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٧٥/١.

اجعله في ثلاثة أيام، لأن قلوبهم مائلة أو قال منصرفة، وخصوصاً الصغار، ما معك منهم إلا الترقوة واللطف بهم والرفق، ومثال أهل الزمان كالبعير الشارد، فلا تضربه فتزيده شروداً)) (١).

ويذكر الإمام الحداد ضابطاً في السكوت عن الامر والنهي فيقول ﷺ: ((وإذا علمت وتحققت أنك إذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر لا يستمع لك ولا يقبل منك أو علمت أنه يحصل عليك بسببه ضرر ظاهر في نفسك أو مالك جاز لك السكوت وصار الأمر والنهي بعد أن كان واجباً من الفضائل العظيمة الدالة من فاعلها على محبة الله وإيثاره على من سواه، وأما إذا علمت أن المنكر يزيد بسبب النهي أو يتعدى الضرر إلى غيرك من المسلمين فالسكوت حينئذ أولى وربما وجب)) (٢) كما يضع الإمام الحداد ضابط العذر الذي يقبل والذي لا يقبل قال ﷺ: ((ولا يقبل الله الأعذار الباردة، والتعللات الكاذبة التي يتعلل بها أبناء الزمان في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك كقولهم: إنه لا يقبل منَّا مهما أمرنا أو نهينا. أو أنه يحصل لنا بواسطة الأمر والنهي أذى لا نطيقه، وأشباه ذلك من توهمات من لا بصيرة له، ولا غيرة على دين الله. وإنما يجوز السكوت عند تحقق وقوع الأذى الكثير، أو تيَّقن عدم القبول، ومع وجود ذلك فالأمر والنهي أفضل وأولى، غير أنه يسقط الوجوب.

والعجب أن أحدهم إذا شُتِمَ أو أُخِذَ من ماله ولو شيئاً يسيراً تضيق عليه الدنيا، ولا يمكنه السكوت ولا يتعلَّل بشيء من تلك التعلُّلات التي يتعلَّل بها في السكوت على المنكرات.

فهل لهذا محمل، أو وجه سوى أن أعراضهم وأموالهم أعزُّ عليهم من دينهم!

وإذا سلَّمنا لهم أنه لا يُسمَعُ منهم إذا أُمِرُوا أو أنكروا، فما الذي يحملهم على مخالطة أهل المنكر ومعاشرتهم! ؟ وقد أوجب الله عليهم تركهم والإعراض عنهم ما لم يستجيبوا لله ورسوله.)) (١) وذكر الإمام الحداد قضية عظيمة يقع فيها الكثير بحسن او سوء نية وهي التفتيش عن المنكر وهذا حكمه قال ﷺ: ((واعلم أنه ليس بواجب على أحد أن يبحث عن المنكرات المستورة حتى ينكرها إذا رآها، بل ذلك محرَّم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ (٢) وإنما

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٥٧.
(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص ٣٩- ٤٣.
(١) المرجع السابق: ص٤٣.
(٢) سورة الحجرات: الآية ١٢

الواجب هو الأمر بالمعروف عندما ترى التاركين له في حال تركهم، والإنكار للمنكر كذلك فاعلم هذه الجملة، فإنا رأينا كثيراً من الناس يغلطون فيها .)) [(١)]

وقال ايضا رضي الله عنه: ((وكذلك فاحذرو من التجسس والتجسُّسَ هو طلب الوقوف على عورات المسلمين ومعاصيهم المستورة، قال عليه السلام: ((من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته)) [(٢)] الحديث عليكم بستر عورات المسلمين، والكف عن ذكرها وإشاعتها، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [(٣)]. وقال عليه الصلاة والسلام: ((من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)) [(١)]. ولا يكثر الخوض في عيوب الناس وذكر مساوئهم وكشف عوراتهم، إلا كل منافق ممقوت.

والذي يجب على المسلم إذا رأى من أخيه المسلم عورة أن يسترها عليه، وأن ينصحه في السر بلطف وشفقة ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)) [(٢)] اهـ)) [(٣)]

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((واعلم أن المعصية إذا سترت لم تضر إلا مرتكبها فإذا ظهرت ولم تُغيَّر عمَّ ضررُها)) [(٤)]. وينبه الإمام الحداد على التثبت والتحري في الاخبار ويضع ضابطا في التصديق فيقول رضي الله عنه: ((ومن المهم: أن لا تصدق، ولا تقبل كل ما ينقل إليك، من أفعال الناس وأقولهم المنكرة حتى تشاهد ذلك بنفسك، أو ينقله إليك مؤمن تقي لا يجازف، ولا يقول إلا الحق، وذلك لأن حسن الظن بالمسلمين أمر لازم، وقد كثرت بلاغات الناس بعضهم على بعض، وعمَّ التساهل في ذلك، وقلت المبالاة، وارتفعت الأمانة، وصار المشكور عند الناس من وافقهم على هوى أنفسهم وإن كان غير مستقيم لله والمذموم عندهم من

---

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص ٣٩- ٤٣.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: رقم الحديث ١٠٦٨٢، ٥٠٣/١٣.

(٣) سورة النور: الآية ١٩

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، ، ٢/ ٨٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: من حديث «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا .. الحديث » باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث ٢٦٩٩، ٤/ ٢٠٧٤.

(٣) الحداد: النصائح الدينية: ص٢٥٣-٢٥٤.

(٤) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٢٦.

خالفهم وإن كان عبداً صالحاً، فتراهم يمدحون من لا يستأهل المدح لموافقته إياهم وسكوته على باطلهم، ويذمون من يخالفهم، وينصحهم في دينهم! !

هذا حال الأكثر إلا من عصمه الله، فوجب الاحتراز والتحَفُّظ والاحتياط في جميع الأمور، فإنَّ الزمان مفتون، وأهله عن الحق ناكبون إلا من شاء الله منهم وهم الأقلُّون)) . (١)

كما يذكر الإمام الحداد ضابط العزلة والهجرة فيقول رضي الله عنه: ((وعليك إذا أمرت أو نهيت بالإخلاص لله تعالى، والرفق وحسن السياسة، وإظهار الشفقة؛ فما اجتمعت هذه الخصال في عبد مع كونه عاملاً بما أمر به مجتنباً لما نهى عنه إلا كان لكلامه صولة وهيبة في الصدور ووقع في القلوب وحلاوة في الأسماع وقل أن يُرَدَّ عليه مع هذا كلامه، وكل من تحقق بمراقبة الله والتوكل عليه وتخلَّق بالرحمة على عباده لم يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة المنكر حتى يزيله أو يحال بينه وبين ذلك بما لا قدرة له على دفعه.

وعليك إذا تفاحش ظهور المعاصي والمنكرات في موضع أنت فيه وأيست من قبول الحق بالعزلة فإن فيها السلامة، أو بالهجرة إلى موضع آخر وهي أولى فإن العذاب إذا نزل على موضع يعم الخبيث والطيب ويكون للمؤمن الذي لم يقصر في نصرة دين الله كفارة ورحمة ولغيره عقاباً ونقمة والله أعلم.)) (١)

ويؤكد الإمام الحدادعلى مبدا الرفق والشفقة والرحمة قال رضي الله عنه: ((اعلم: أن **الأخذ بالرفق واللطف**، وإظهار الشفقة والرحمة عليه مدار كبير عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعليك به، ولا تعدل عنه، ما دمت ترجو نفعه وحصول المقصود به، وفي الحديث: ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه)) (٢)

وورد أيضاً: ((أنه لا يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه)) (٣)وكذلك ينبغي للإنسان: أن يكون عاملاً بما يأمر به، مجتنباً لما ينهى عنه، فإنه يكون

---

(١) الحداد: النصائح الدينية: ص٤٢-٤٣.

(١) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٢٦- ١٢٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه : بلفظ إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ،رقم الحديث ،٢٥٩٤، ٤/٢٠٠٤.

(٣) النص لسفيان: ابن خلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: يحيى مراد، ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص٢٤.

لكلامه وقع في القلوب، وهيبة الصدور، وقد ورد الوعيد الشديد في حق من يأمر بالخير ولا يأتيه، وينهى عن الشر ويأتيه، وهذا هو الأفضل والأولى. وإلا فعلى الإنسان أن يأمر وينهى وإن كان غير عامل بما يدعو إليه، فإن العالم الذي لا يعمل بعلمه ولا يعلمه الناس أخس حالاً، وأشد عقاباً من الذي يعلم ولا يعمل. والله أعلم›› (١)

ويحذر الإمام الحدادمن المداهنة فيقول ﷺ: ‹‹وإياك والمداهنةَ فإنها من الجرائم وهي أن يكون الحامل لك على السكوت الخوف من فوات مال أو جاه أو نفع يكون من قبل المباشر للمنكر أو غيره من الفسقة›› (٢)

وقال ايضاً في شأن المداهنة وخطورتها والمداراة وأهميتها: ‹‹واحذروا معاشر الإخوان أرشدكم الله من المداهنة في الدين، ومعناها: أن يسكت الإنسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن قول الحق وكلمة العدل، طمعاً في الناس، وتوقعاً لما يحصل منهم من جاه أو مال، أو حظ من حظوظ الدنيا، فقلما فعل ذلك أحد إلا أذله الله وأهانه، وسلط عليه الناس، وحرم ما يرجوه مما في أيديهم.

وأما المداراة فهي مباحة، وربما تندب، ومعناها: أن يبذل الإنسان شيئاً من دنياه لصلاح دينه، أو لصلاح دنياه، أو لسلامة عرضه من مذمة أهل الشر، وفي الحديث: ‹‹ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة›› (١) فإذا استكفى الإنسان ما يخافه من شر الأشرار بما لا يضره في دينه، لم يكن عليه في ذلك بأس ولا جناح إن شاء الله. ولكن العدول عن الأشرار ومجانبتهم أحسن من ذلك وأحوط. وهذا الذي ذكرناه إنما يكون عند الابتلاء بهم، وإلا فلا رخصة لمؤمن تقي في الاحتراز منهم›› (٢)

---

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص ٢٥٢.

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٢٦.

(١) أخرجه السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان، ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، رقم الحديث ٩٨٩، ١/ ٥٨٩.

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص٢٥٢-٢٥٣.

رابعا: الغيرة وأقسامها:

إن الغيرة خلق كريم جبل عليه الإنسان السوي الذي كرمه ربه وفضله، وقد أعلى الإسلام قدرها وأشاد بذكرها، ورفع شأنها حتى عد الدفاع عن العرض والغيرة على المحارم جهادا يبذل من أجله الدم، ويضحى في سبيله بالنفس، ويجازى فاعله بدرجة الشهيد في الجنة. ومعنى الغيرة: تغير القلب وهيجان الغضب، والإمام الحداد قسم الغيرة إلى قسمين الأولى إذا انتهكت محارم الله وهذه يسميها الغضب لله، والثانية غيرة الزوجة على زوجها قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((واعلم أن الغيرة قسمان: أحدهما أن يغار الإنسان لربه إذا هتكت محارمه وضيعت حقوقه ويسمى الغضب لله أيضا، وعنه يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبغض الظالمين والدعاء عليهم، كما وقع ذلك لنوح وموسى –عليهما السلام–. والثاني من القسمين: غيرة الإنسان على شيء يختص به، لا يقبل الشركة، الزوجة ونحوها وقد تفرط هذه الغيرة بالإنسان، حتى يتهم من ليس بمتهم ويكره أن يشاركه غيره في شيء لا يضيق بالمشاركة، كالعلم والعبادة والشرف والرفعة وربما يبغض ويحسد من صار له من هذه الأشياء نصيب، وهذا ليس من الغيره المحمودة في شيء. وأما غيرة الله تعالى، فمعناها أنه يغار سبحانه على عبيده أن يعبدوا غيره وأن يقعوا في معصيته ومخالفة أمره، ويغار أيضا عليه أن يشاركوه في صفاته الخاصة، الكبرياء والعظمة والعلو والعزة فإن هذه الصفات وما في معناها لا تليق إلا بالله الملك الحق الجبار لا إله إلا هو العزيز الحكيم)) (١)

وسُئل الإمام الحداد رضي الله عنه عن قوله أيضا فيمن يستعين بنعم الله على معاصيه: فقال :((إن تمني زوال النعمة عنه لا يكون من قبيل الحسد، بل هو من قبيل الغيرة لله تعالى. فاعلم أن الحق ما ذكره رحمه الله ولكن لو جعل الإنسان مكان تمني زوال النعمة عن العاصي، سؤال الهداية له والتوفيق لشكر ربه، ووضع النعمة حيث يحب لكان أحسن)) (٢)

---

(١) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٧١.

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩–٧٠.

المطلب الثالث: الاعتصام والخروج على الأئمة:

أولا: الأمر بالاعتصام ونبذ الفرقة:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)) (١)، قال الإمام النووي –رحمه الله–: ((وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه والحبل يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم ويوصلون بها المتفرق فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور وأما قوله ﷺ ولا تفرقوا فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام)) (١) قال الإمام الحداد ﷺ: (قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (٢) أمر بالاعتصام بدين الله، وهو التمسك والأخذ به، والاستقامة عليه، والاجتماع على ذلك، ونهي عن التفرق فيه، لأن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، كما قال عليه الصلاة والسلام.

ولما كان قيام هذا الدين الشريف في أصله بالاجتماع، والمعاونة واتحاد الكلمة. كان الافتراق فيه وعدم المساعدة على إقامته موجبا لوهنه وضعفه، فظهر أن الاجتماع في الدين أصل كل خير وصلاح، والتفرق فيه أصل كل شر وبلاء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣).

أمر بشكره تعالى على نعمة الألفة التي أنعم الله بها عليهم بعد العداوة الشديدة التي كانت بين الأوس والخزرج وهم أنصار الله ورسوله خصوصا، وبين سائرهم عموما، فإنهم إنما كانوا يقتتلون ويتناهبون، ويأكل بعضهم بعضا حتى بعث الله فيهم رسوله، وأنزل عليه كتابه،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب النهي عن كثرة المسائل في غير حاجة، رقم الحديث ١٧١٥، ٣/ ١٣٤٠.

(١) النووي: شرح الإمام النووي على مسلم، ١٢/ ١١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٣

فجمع به شتاتهم، وألف بين قلوبهم، وأزال به ما كان بينهم من الضغائن والعداوات، والفتن والمقاطعات، فأصبحوا بنعمته إخوانا في دينه ونصرة رسوله، وتعظيم شعائره.

وقد ذكر الله تعالى ذلك في معرض الامتنان على رسوله عليه السلام في قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [(١)] وقد كانوا من قبل أن يبعث الله إليهم رسوله على شفا حفرة من النار، وذلك بما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأصنام، فأنقذهم الله منها بما شرعه لهم من توحيده، والعمل بطاعته؛ فطلب منهم سبحانه أن يشكروه على ذلك، ويعرفوا حق نعمته عليهم في إنقاذهم من الضلالة، واجتماعهم بعد الفرقة وحذرهم في ضمن ذلك من موجبات الفرقة، والاختلاف بعد الاجتماع والائتلاف﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[(١)] أي تزدادون هدى إلى هداكم، كما قال الله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[(٢)] اهـ)) [(٣)]

ثانيا: النهي عن التشبه بالمتفرقين المختلفين في دينهم من أهل الكتاب:

قال الإمام الطبري –رحمه الله –في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: ولا تكونوا، يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه من بعد ما جاءهم البينات، من حجج الله، فيما اختلفوا فيه، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه، وخالفوا أمر الله، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله وأولئك لهم، يعني: ولهؤلاء الذين تفرقوا، واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم، يقول جل ثناؤه: فلا تتفرقوا، يا معشر المؤمنين، في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم، ولا تفعلوا فعلهم، وتستنوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم، كما جاء عن الربيع في قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ﴾ ، قال: هم أهل الكتاب، نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا، كما تفرق واختلف أهل الكتاب، قال الله

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٢

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣

(٢) سورة محمد: الآية ١٧

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص٣٧-٣٨.

عز وجل: وأولئك لهم عذاب عظيم. وعن ابن عباس ﷺ، قوله: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ونحو هذا في القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله. وعن الحسن في قوله: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم، قال: هم اليهود والنصارى[(١)] قال الإمام الحداد ﷺ: ((قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[(٢)]نهي من الله لعباده المؤمنين عن التشبه بالمتفرقين المختلفين في دينهم من أهل الكتاب (وأولئك) الذين اختلفوا في دينهم (لهم عذاب عظيم) فاستعظم رحمك الله جدا عذابا سماه الإله العظيم عظيما، وتفكر فيه، وانج بنفسك منه، وذلك بملازمة الكتاب والسنة، و مجانبة الزيغ والبدعة، والآراء المختلفة، والأهواء المتفرقة. واعلم أنه كما تفرق أهل الكتاب واختلفوا في دينهم، فقد تفرقت هذه الأمة واختلفت أيضا على وفق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة)) [(١)] وقد افترقت هذه الأمة على هذا العدد من زمان قديم، وتم ما وعد به الصادق الأمين على وحي الله تعالى وتنزيله، ولما سئل عليه الصلاة والسلام عن الفرقة الناجية من هي؟ قال: ((التي تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابي)) [(٢)]وأمر عليه الصلاة والسلام عند الاختلاف بلزوم السواد الأعظم؛ وهو الجمهور الأكثر من المسلمين. ولم يزل أهل السنة بحمد الله تعالى من الزمن الأول إلى اليوم هم السواد الأعظم، وصح أنهم الفرقة الناجية بفضل الله لذلك،

---

(١) ابن جرير الطبري: تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، ٧/ ٩٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٥

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: من غير جملة (كلها في النار إلا فرقة واحدة) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ١/ ٢١٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: من حديث «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» مرجع سابق، ٥/ ٢٦.

ولملازمتهم للكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين)) [١]قلت: وهو معنى ما جاء في حديث أبي أمامة عند الطبراني: (كلهم في النار إلا السواد الأعظم) وأصرح من ذلك ما رواه الطبراني بلفظ:((كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم. قالوا يا رسول الله ﷺ من السواد الأعظم؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي) فالمراد بالجماعة والسواد الأعظم وما أنا عليه وأصحابي شيء واحد، ولا شك أنهم أهل السنة والجماعة[٢] وقيل: التقدير أهلها من كان على ما أنا عليه وأصحابي من الاعتقاد والقول والفعل، فإن ذلك يعرف بالإجماع، فما أجمع عليه علماء الإسلام فهو حق وما عداه باطل)) [١]

ثالثا: الخروج على الحكام:

قال أهل الحديث والسنة: بوجوب الصبر وعدم جواز الخروج على الحاكم مطلقا، عملا بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم الآمرة بالصبر مثل ((كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل)) [٢]. ورعاية لوحدة الأمة وعدم الفرقة واجتماع الكلمة واحتمال أخف الضررين، ولأن كثيرا من الصحابة والتابعين امتنعوا عن الخروج، بل اعتزلوا الفتنة ولم يساعدوا الخارجين، وبناء عليه لا يجوز الخروج على الحاكم إلا بإعلان الكفر صراحة، فإذا كفر بإنكار أمر من ضروريات أو بدهيات الدين، حل قتاله، بل وجب، منعا من فساده وفوات مصلحة تعيينه، وإلا فلا، حفاظا على وحدة الأمة، وعدم الفوضى. قال صلى الله عليه وسلم: ((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)) [٣] وسئل رسول الله ﷺ عن خلع الحكام، فقيل: أفلا ننابذهم؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة)) [٤].

---

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص٤٤-٤٥.

(٢) المباركفوري: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م، ١/ ٢٧٥.

(١) الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/ ٢٥٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٢١٠٦٤، ٣٤/ ٥٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم الحديث ٧١٤٤، ٩/ ٦٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه : بَابُ خِيَارِ الْأَئِمَّةِ وَشِرَارِهِمْ ، رقم الحديث ١٨٥٥، ١٤٨١/٣

وقال: ((إلا أن تروا كفرا بواحا ـ أي ظاهرا ـ عندكم من الله فيه برهان)) [(١)] قال الإمام الحداد ﷺ: ((وليس الخروج على الأئمة عندنا كفرا بل لا يجوز عندنا لعن أحد إلا إذا علمنا أنه مات كافرا، وأن رحمة الله تعالى لا تناله بحل كإبليس. ومع ذلك فلا فضيلة في لعن من هذا وصفه، ويجوز عندنا لعن العاصين والفاسقين والظالمين عموما)) [(٢)].

وقال أيضاً الإمام الحداد ﷺ: ((نصلي خلف كل بر وفاجر، كما في الحديث، ولا نعيد، لأن هذا تعنت وغلو في الدين، وقد صلى الأئمة خلف الدول الظالمين والمبتدعين، كدول بني العباس وغيرهم، وإذا صلينا جمعة لا نعيد ظهرا)) [(١)].

رابعا: مفهوم حديث (إن الله حمى أمتي أن تجتمع على ضلالة)

قال المناوي -رحمه الله -:((لا تجتمع على ضلالة ولهذا كان إجماعهم حجة فإذا رأيتم اختلافا) في أمر الدين كالعقائد أو الدنيا كالتنازع في شأن الإمامة العظمى فعليكم بالسواد الأعظم) أي الزموا متابعة جماهير المسلمين وأكثرهم فهو الحق الواجب فمن خالفه مات ميتة جاهلية)) [(٢)] قال الإمام الحداد ﷺ: في حديث:

((إن الله حمى أمتي أن تجتمع على ضلالة)) [(٣)]يعني أنهم لا يجتمعون كلهم عليها، بل لا بد من قائم على الحق ولو قليلا، وما ورد أنهم السواد الأعظم، لعله لم يصح، لأنه لم يبق في زمن بني العباس، من لم يقل بخلق القرآن إلا القليل، أحد يظهره ويدين به، وأحد يظهره، وظهوره وخفاه بحسب ملوكهم، فالناس على دين ملوكهم، يعني: يظهرون ما يكون عليه ملوكهم، إما إنه كذلك وإما تقية وخوفا)) [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»رقم الحديث ٧٠٥٦، ٤٧/٩.

(٢) الحداد: النفائس العلوية في المسال الصوفية، ص١٢١.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٨٦/١.

(٢) المناوي: التيسير شرح الجامع الصغير، ٣١٣/١.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب السواد الأعظم، رقم الحديث ٣٩٥٠، ١٣٠٣/٢.

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٣٤٧.

خامسا: حكم قتال المسلمين:

قال الإمام الحداد ﵁: ((ثم إن من أكبر الكبائر الموبقات، وأعظم الجرائم المهلكات: قتال المسلمين بعضهم بعضا على الرياسة والملك، وحظوظ الدنيا والحمية والعصبية التي هي من أمور الجاهلية، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [(١)] وقال عليه الصلاة والسلام: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قالوا: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه)) [(١)] وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة يوم النحر في حجة الوداع: ((إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ويحكم، انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)) الحديث[(٢)] وقال عليه الصلاة والسلام: ((سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر)) [(٣)] وقال عليه الصلاة والسلام: ((لن يزال الرجل في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما)) [(٤)] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)) [(٥)]. وقال عليه الصلاة والسلام: ((من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة، لقي الله مكتوبا بين عينيه: آيس من رحمة الله)) [(٦)]. والتشديدات في هذا الباب كثيرة هائلة، فليحذر المسلم من ذلك كل الحذر، ولا يعرض نفسه للوقع في سخط الله تعالى وغضبه، ولعنته وعذابه العظيم، والإياس من رحمته، نسأل الله العافية والسلامة من جميع أنواع الخزي والبلاء في الآخرة والأولى، لنا ولأحبابنا وكافة المسلمين اهـ)) [(٧)].

---

(١) سورة النساء: ٩٣ الآية

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)رقم الحديث ٣١، ١٥/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الخطبة أيام منى، رقم الحديث ١٧٣٩، ١٧٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، رقم الحديث ٤٨، ١٩/١.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: رقم الحديث ٩٠٧١، ٢٢١/٩.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب التغليظ في قتل مسلم ظلما، رقم الحديث ٢٦١٩، ٨٧٤/٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب التغليظ في قتل مسلم ظلما، رقم الحديث٢٦٢٠، ٨٧٤/٢.

(٧) الحداد: النصائح الدينية، ص ١٧١ -١٧٢.

المطلب الرابع: الحب في الله

أولا: معنى الحب لله تعالى:

للإنسان في هذه الحياة حاجات يود قضاءها، ومطالب يرجو نوالها، ومصالح يتمنى نجاحها، وله أيضا ميول ورغبات وشهوات يحاول إرضاءها وإشباعها والتمتع بها، وكل من ساعده على قضاء حاجة أحبه، ومن وافقه على هواه مال إليه، ومن خالفه في مصلحة، أو صادمه في أهوائه كرهه وأبغضه. فالحب والبغض من طبيعة الإنسان، ومن صفاته المتأصلة فيه، لا مفر منهما، ولا عاصم عنهما، ولن يخلو إنسان من حب أو بغض، فقد وجد الحب مع أبينا آدم -عليه السلام- وكان الحب والبغض بين أولاده سببا في قتال قابيل وهابيل، وشربت الأرض دم أول قتيل نتيجة حب القاتل لحسن حظ المقتول، فتولد البغض لأخيه الذي أنتج القتل، فهكذا يتسلط الحب والبغض على النفس، فتصدر الأعمال والأقوال تبعا لهما، يصدر عن الحب الائتلاف والمودة والتعاون والرحمة، فتسعد الجماعات والأمم والأفراد، ويصدر عن البغض القطيعة والهجران والتفرقة والاختلاف والخذلان والقسوة والشدة، فتفرق الجماعة وتفسد الأمم، وكثيرا ما يسير الإنسان وراء هواه في حب الناس وبغضهم، ويحكم أغراضه في الرضا عنهم أو كرههم، ولا يوجه حبه وبغضه في وجه الحق والدين والعقل.

لهذا كله وضع الإسلام ميزانا للحب والبغض، وحد حدودا للرضا والسخط، حتى لا تضيع الحقوق، ويفنى الأفراد بين حب أعمى وبغض عقيم؛ لهذا يضع الإسلام الميزان الحق في الحب والبغض، يمنع شرهما، ويجعلهما سلاحين من أسلحة الحق والعدل وإسعاد الأفراد والأمم.

فالميزان الحق في ذلك أن يكون حبك وبغضك لله، فأنت تحب لله وتبغض في الله، تحب المؤمنين الصالحين، وتبغض الكافرين المفسدين، تحب أولياء الله، وتبغض أعداء الله، تحب من أحب الله ولو خالف آراءك وتبغض من يبغضه الله ولو وافقك أحيانا.

والإسلام يربط أتباعه برباط الحب الذي يوجد المجتمع المتحاب، ورسول الله ﷺ يعلن عن الوسائل التي تقوي هذا الحب، فتارة بالسلام وتارة بالكلام وتارة بالهدية وهكذا، وقديما قيل: جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

والحب في المجتمع الإسلامي يقوم على الإخلاص لله، لا رياء ولا نفاق، ولا مصالح دنيوية تربط بين هؤلاء، إنه الإخلاص لله وحده لا شريك له، والحق أن الحب إذا شابته أغراض فإنه ينتهي كما بدأ كحب الشيطان الذي يوقع الإنسان في معصية الله ويزين له ذلك، الحق أن المسلم إذا أحب لله ذاق أثر ذلك في نفسه من الراحة والاطمئنان، ونال في الآخرة الأجر العظيم الذي أعد الله للمتحابين فيه، ولهذا حرص الإسلام على القواعد التي تجعل هذا الحب واقعا ملموسا يعيشه المسلم، ويستظل به في هذه الدنيا، إن الإسلام يشيع الحب بين أتباعه حتى يكون المجتمع متآلفا.

والحب ليس كلمة تقال، وإنما هو واقع يعيشه المحب لحبيبه، نصح وإرشاد، بذل وعطاء، تضحية وإيثار، تفقد ودعاء، إنها معان عظيمة تظهر على المتحابين، ولهذا لما كان هذا العمل عظيما كان الجزاء عليه كبيرا من الرحيم الرحمن. وأما في الآخرة، فإن الناس تغبطهم لهذا النعيم الذي هم فيه، والإمام الحداد تكلم عن الحب في الله واشبع الكلام فيه تعريفا وتفصيلا وأدلة من الكتاب والسنة وبين معنى الحب الحقيقي لله كيف وبماذا يكون إذ بدأ ﷺ بقوله: ((وأما الحب في الله: فهو من أشرف المقامات وأرفعها قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ﴾ [(١)]وقال تعالى: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [(٢)]وقال عليه الصلاة والسلام: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها...)) [(٣)]الحديث وقال عليه الصلاة والسلام: ((أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني بحب الله. . الحديث)) [(٤)].

ومعنى الحب لله تعالى: ميل وتعلق وتأله، يجده العبد في قلبه إلى ذلك الجناب الأقدس الرفيع، مصحوبا بنهاية التقديس والتنزيه، وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى، لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه، ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٥

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٤

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب حلاوة الإيمان، رقم الحديث ١٦، ١/١٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: باب مناقب أهل بيت النبيﷺ، رقم الحديث ٣٧٨٩، ٥/ ٦٦٤.

ثم إن من صدق في محبة الله تعالى دعاه ذلك إلى إيثار الله على ما سواه، وإلى التشمير لسلوك سبيل قربه ورضاه، وإلى الجد في طاعته، وبذل الاستطاعة في خدمته، وترك ما يشغل عن ذكره، وحسن معاملته من كل شيء. ومن أعظم ما يدل على محبة الله: حسن الاتباع لرسول الله ﷺ قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) اهـ)) (٢)وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وبحسب المحبة لله تكون المتابعة لحبيب الله إن كثيرا فكثير، وإن قليلا فقليل والله على ما نقول وكيل)) (١)والإمام الحداد يضع مقياس لمن يدعي الحب في الله يقول رضي الله عنه: ((وعليك بالحب في الله حتى يصير سبحانه أحب إليك مما سواه بل حتى لا يصير لك محبوب إلا إياه. وسبب وجود الحب من جهة المحبوب، إما وجود كمال فيه أو حصول نوال منه، فإن كنت ممن يحب لأجل الكمال فالكمال والجمال والجلال لله وحده لا شريك له في شيء من ذلك، وما يلوح على صفحات بعض الموجودات من معنى كمال أو يبدو عليها من رونق جمال فهو المكمل والمجمل لها سبحانه وتعالى بل هو الموجد لها والمخترع ولولا أنه أنعم عليها بالإيجاد لكانت مفقودة معدومة ولولا ما أفاض عليها من أنوار جمال صنعته لكانت قبيحة مشئومة. وإن كنت ممن يحب لأجل النوال فلست ترى إحسانا ولا تشاهد امتنانا ولا ترى إكراما ولا تبصر إنعاما عليك وعلى سائر الخلق إلا والله تعالى هو المتفضل بجميع ذلك بمحض الجود والكرم فكم من خير قد أسداه إليك! وكم من نعمة قد أنعم بها عليك!

فهو سيدك ومولاك الذي خلقك وهداك، والذي له مماتك ومحياك، والذي أطعمك وسقاك، وكفلك ورباك وأسكنك وآواك، يرى القبيح منك فيستره، وتستغفره منه فيغفره، ويرى الجميل منك فيكثره ويظهره، وتطيعه بتوفيقه ومعونته فينوه باسمك في الغيوب ويقذف تعظيمك وحبك في القلوب، وتعصيه بنعمته فلا يمنعه وجود العصيان عن

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ، ص ٤٠١- ٤٠٢.

(١) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص ١٨١.

إفاضة الإحسان، فكيف ينبغي لك أن تحب غير هذا الإله الكريم؟ أم كيف يحسن منك أن تعصي هذا الرب الرحيم؟›› [١]

وتكلم الإمام الحداد عن أصل المحبة وثمرتها فقال رضي الله عنه: ‹‹واعلم أن أصل المحبة المعرفة وثمرتها المشاهدة وأدنى درجاتها أن يكون حب الله تعالى هو الغالب على قلبك، ومحك الصدق في ذلك أن لا تجيب أحب الخلق إليك إذا دعاك إلى ما يكون سخط الله في فعله كالمعاصي أو في تركه كالطاعات. وأعلى درجاتها أن لا يصير في قلبك حب لغير الله البتة. وهذا عزيز ودوامه أعز منه، وعند دوامه تضمحل البشرية بالكلية وعنه ينشأ الاستغراق بالله الذي لا يبقي معه شعور لاوجود وأهله بحال.

(واعلم) أن محبة رسول الله ﷺ وسائر أنبياء الله وملائكته وعباده الصالحين وما يعين على طاعته كل ذلك من محبته تعالى.قال ﷺ: ‹‹أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي›› [١]وقال عليه الصلاة والسلام عن الله: ‹‹وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في[٢] اهـ›› [٣].

ثانيا: الحب في الله والبغض في الله:

لقد أقام الإسلام المجتمع الإسلامي على المحبة والوئام بعد أن كان الناس أعداء في شحناء وبغضاء وخصام، وقد ظهر هذا الحب العظيم في المحبة التي غرسها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، تلك المحبة التي عجزت الدنيا أن تأتي بمثلها إلا في الإسلام وبالإسلام، لقد وصلت المحبة بينهم أن يعرض الرجل التنازل عن إحدى زوجتيه بطلاقها حتى يتزوجها أخوه المهاجر. إنه الإيثار الذي وصف به القرآن هؤلاء الرجال رضوان الله عليهم، وتكفي محبة الأنصار للمهاجرين وبغضهم للمنافقين واليهود في ترجمة معنى الحب لله والبغض في الله قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ‹‹وعليك بالحب في الله والبغض في الله فإنه من أوثق عرا الإيمان، وقال رسول الله ﷺ: ‹‹أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله تعالى›› [٤]فإذا أحببت

---

(١) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٨٢.

(١) سبق تخريجه: من (ص٢٥١) من هذه الرسالة .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث ٢٢٠٣٠، ٣٦/ ٣٥٩.

(٣) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص ١٨١ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، ، ٤/ ١٩٨.

العبد المطيع لله لكونه مطيعا أو أبغضت العاصي لله لكونه عاصيا لا لغرض آخر فأنت ممن يحب في الله ويبغض في الله حقيقة، وإذا لم تجد في نفسك محبة لأهل الخير لخيرهم وكراهة لأهل الشر لشرهم فاعلم أنك ضعيف الإيمان.

(وعليك) بمصاحبة الأخيار واعتزال الأشرار ومجالسة الصالحين ومجانبة الظالمين، قال عليه الصلاة والسلام: ((المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)) (١)وقال عليه الصلاة والسلام: ((الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء)) (١)

واعلم أن مخالطة أهل الخير، ومجالستهم تزرع في القلب محبة الخير وتعين على العمل به، كما أن مخالطة أهل الشر ومجالستهم تغرس في القلب حب الشر وحب العمل به، وأيضا فإن من خالط قوما وعاشرهم أحبهم ضرورة سواء كانوا أخيارا أو أشرارا، والمرء مع من أحب في الدنيا والآخرة اهـ)) (٢).

ووضع الإمام الحداد معيارا في ضابط الإحسان إلى الأصحاب من أجل الله، فقال رضي الله عنه: ((وأما الإحسان إلى الأصحاب: فهو مأمور به، ومرغب فيه، ومندوب إليه. وللأصحاب حقوق تجب مراعاتها وتتأكد المحافظة عليها، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾(٣).

وروي عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال: ((ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته يوم القيامة هل أقام فيها حق الله أو أضاعه؟)) (٤)وقال عليه الصلاة والسلام: ((خير الأصحاب خيرهم لصاحبه، وخير الجيران خيرهم لجاره)) (٥) وقال

---

(١) أخرجه احمد في مسنده: رقم الحديث ٨٤١٧، ١٤/ ١٤٢.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: بلفظ اخر «الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، .. الحديث، رقم الحديث ٥٤٦٦، ٣/٣٨٧.

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٨٢.

(٣) سورة النساء: الآية ٣٦

(٤) ذكره العجلوني: إسماعيل بن محمد العجلوني الدمشقي، أبو الفداء، كشف الخفاء ومزيل الإلباس،تحقيق: عبد الحميد بن أحمد هنداوي، ، الناشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ١/٢٥٥.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: بلفظ آخر (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره) باب ما جاء في حق الجوار، رقم الحديث١٩٤٤، ٤/ ٣٣٣.

عليه الصلاة والسلام: ((ما تحاب اثنان إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه)) (١) وفي رواية (أرفقهما بصاحبه)

وأصل الصحبة صدق المحبة وصفاء المودة، ومهما كان ذلك في الله ولله فثوابه عظيم. وقال عليه الصلاة والسلام: ((قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتباذلين في)) (١) وقال عليه الصلاة والسلام: ((يقول الله تعالى يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)) (٢) وقال عليه الصلاة والسلام: ((من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا حبه إلا لله)) (٣) وقال عليه الصلاة والسلام: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فذكرهم حتى قال: ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه...)) (٤)الحديث.

فإذا أحب الإنسان الإنسان وألفه وصاحبه لأنه يحب الله ويعمل بطاعته كان ذلك من المحبة في الله تعالى. وإذا أحبه وصحبه لأنه يعينه على دينه ويساعده على طاعة ربه فقد أحبه في الله. وإذا أحبه وصحبه لأنه وجد طبعه يميل إليه ونفسه تأنس به، أو لأنه يعينه على دنياه وأسباب معاشه التي يتمتع بها فتلك محبة طبعية ليست من المحبة لله في شيء، وتلك صحبة نفسانية اقتضاها ميل الطبع ولكنها مباحة، ولعلها لا تخلو من خير إن شاء الله تعالى.

وأما إذا أحبه وصاحبه لأنه يعينه على المعصية والظلم، ويساعده على أسباب الفسق والمنكر فتلك محبة وصحبة مذمومة قبيحة، وهي في سبيل الشيطان وليست من الله في شيء، وهي التي تنقلب في الآخرة عداوة وربما انقلبت في الدنيا قبل الآخرة، قال الله تعالى:

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٥) فينبغي لك أيها الأخ أن لا تحب ولا تصحب إلا أهل التقوى وأهل العلم، وأهل الزهد في الدنيا من عباد الله الصالحين،

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، ، بلفظ (ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى الله عز وجل أشدهما حبا لصاحبه)، رقم الحديث٢٨٩٩، ٣/ ١٩٢.

(١) سبق تخريجه من (ص ٢٥٣) من هذه الرسالة .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب في فضل الحب في الله، رقم الحديث ٢٥٦٦، ١٩٨٨/٤.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: باب الإيمان، رقم الحديث ٣، ٤٤/١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم الحديث ٦٦٠، ١٣٣/١.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٦٧

وأوليائه المؤمنين، فإن المرء مع من أحب في الدنيا والآخرة كما في الحديث الصحيح، وكما قال عليه الصلاة والسلام: ((المرء من جليسه، والمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)) (١) وقال عليه الصلاة والسلام: ((الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء)) (٢) فصحبة المتقين والصالحين قربة إلى الله، وهي الصحبة المحمودة المشكورة، وفي فضلها وردت الأخبار والآثار الكثيرة وهي المحبة لله وفي الله التي عظم فضلها وثوابها، وارتفع قدرها ومحلها من الدين.

وأما صحبة الأشرار، ومن لا خير في صحبته من الغافلين المعرضين عن الله وعن الدار الآخرة فهي الصحبة المذمومة الممقوتة، لأن أهل الشر والفساد يتعين بغضهم في الله، وتجب مباعدتهم ومجانبتهم، وذلك من المهمات في الدين. ومن أحب في الله ولله من بر من عباد الله واتقى، أبغض لا محالة من عصى الله وأعرض عن طاعته، فإن الحب في الله والبغض في الله متلازمان لا يصح أحدهما بدون الآخر، وهما من الدين بمنزلة عالية رفيعة، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ((من أوثق عرا الإيمان الحب في الله والبغض في الله))(١) . وقال عليه الصلاة والسلام: ((أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله))(٢) إلى أن قال: فتبين بما ذكرنا: أنه ينبغي للمؤمن ويتعين عليه أن يحب أهل الخير والدين والعلم والصلاح أحياء وأمواتا، ويبغض أهل الباطل والفساد والظلم والفسوق أحياء وأمواتا.

وينبغي له أيضا: أن يختار صحبة الأخيار والأبرار، ويجتنب صحبة الأشرار والفجار. وفي الحديث: ((لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي))(٣) وإن من لم يجد مؤمنا تقيا، برا صالحا يصحبه ويعاشره فالعزلة والانفراد خير له وأصلح من مخالطة أهل الشر والفساد، فإن خلطة المفسدين عظيم ضررها، وكثير شرها، وفيها آفات كثيرة، وبليات هائلة عاجلة وآجلة، فمنها:

---

١) سبق تخريجه: من (ص ٢٥٤) من هذه الرسالة.

(٢) سبق تخريجه: من (ص ٢٥٤) من هذه الرسالة.

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه: رقم الحديث ٣٠٤٢١، ١٧٠/٦ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، رقم الحديث ٤٥٩٩، ١٩٨/٤.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه: باب الصحبة والمجالسة، رقم الحديث ٥٥٥، ٣١٥/٢.

استراق الطبع من حيث لا يشعر الإنسان، ومنها: أن مشاهدة أهل الغفلة والإعراض تقتضي الأنس بهم، والميل إلى ما هم عليه من سوء الحال، وتهون على القلب وقع المعاصي، وتجر إلى التشبه بهم، والاستحسان لأقوالهم وأفعالهم، وفي ذلك يقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *** فكل قرين بالمقارن يقتدي(١)

وقال الآخر:

ما يبرئ الجرباء قرب سليمة *** منها؛ ولكن السليمة تجرب

وبهذا السبيل تعرف ما في خلطة الأخيار وأهل الصلاح من المصالح والمنافع، والفوائد العاجلة والآجلة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك: إما أن يحذيك – أي يعطيك –، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه رائحة طيبة ومثل الجليس السوء كنافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة منتنة(١).

فإن قلت: قد يصحب الإنسان صاحبا من أهل الخير والطاعة، ثم يطرأ عليه ما يغير ذلك من الغفلة والمعصية، فما الذي ينبغي لصاحبه أن يعامله به؟

فأقول ينصحه باللطف والرفق حتى يرده إلى الله، فإن رجع وإلا وعظه وأغلظ عليه وخوفه بالله. فإن لم ينفع ذلك وأيس معه جانبه وأعرض عنه، وانتظر فيه أمر الله. فإن عاد إلى ما كان عليه من الخير عاد له، وإلا فلا خير في صحبة من لا خير فيه.

فإن قلت: الذي ينبغي للإنسان ويتعين عليه: بغض أهل المعاصي ومجانبتهم، وترك المعاشرة والمخالطة لهم، ومع ذلك فالإنسان مأمور بالنصيحة للمسلمين عموما، وبدعوة أهل الشر والمعصية إلى الخير والطاعة؟

فأقول: الأمر كذلك، ولكن النصيحة والدعوة إلى الخير لا تقتضي معاشرة ومخالطة، بل إذا لقيهم ورأى للنصيحة والدعوة إلى الخير موضعا فيهم فعل ذلك معهم، وإن قصدهم بذلك وكان من أهله إلى أماكنهم من غير معاشرة ولا مخالطة فهو أيضا مأمور به ومندوب إليه من

---

(١) القائل هو طرفة ابن العبد: الأعلم، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ٧١/١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة " باب المسك، رقم الحديث ٥٥٣٤، ٩٦/٧.

أهله، وفي محله فاعلم ذلك، ولا يلبس عليك الشيطان. فإن السبيل واضح، والحق غير ملتبس بالباطل.

ثم اعلم: أنه ينبغي لك إذا قصدت صحبة أحد ومصادقته، ليكون لك جليسا ومعاونا على أمور آخرتك ودنياك أن تقدم قبل عقد الصحبة واختيارها حسن النظر والاختبار، والتفتيش عن أحوال من تريد أن تصحبه وتتخذه صديقا، فإن كان يصلح لذلك صحبته وإلا تركت، فليس كل أحد يصلح للصحبة والمعاشرة، ورب صحبة لم تتقدمها الخبرة وحسن النظر تعود وحشة وعداوة في أسرع وقت.

وقد قال حجة الإسلام -رحمه الله تعالى-: «إذا أردت صحبة أحد فراع فيه خمس خصال: العقل، والخلق الحسن، والصلاح، وأن لا يكون حريصا على الدنيا، وأن لا يكون كذابا. انتهى كلامه مختصرا، وهو الغاية من ذلك والكفاية»[1].

ثم إذا انعقدت الصحبة، وتمت المودة بينك وبين صاحب فقد توجهت عليك له حقوق لا بد لك من القيام بها، وإلا كانت الصحبة صورة بلا حقيقة لا نفع فيها ولا طائل لها.

وحقوق الصحبة كثيرة، وجملتها: أن تحب له ما تحب لنفسك من الخير، وأن تكره له ما تكرهه لنفسك من الشر، وأن تنزله منزلة نفسك في الاهتمام بأموره، والسعي في مصالحه، وقضاء حوائجه، والسرور بمساره والاغتمام بمكارهه.

وأن تجتهد في إدخال السرور عليه بكل وجه أمكنك، وأن تحفظه حاضرا وغائبا وحيا وميتا. وأن تحسن الوفاء مع أهله وأولاده وأقاربه بعد مماته وفي حياته كذلك، وأن تواسيه من مالك عند حاجته، وإن آثرته على نفسك كان أحسن وأفضل، على مثل ما كان عليه السلف الصالح رحمة الله عليهم، فقد كانت لهم سير وأفعال مع من صحبهم وعاشرهم محمودة حتى كان أحدهم يأتي إلى بيت صديقه في غيبته فيأكل من طعامه، ويأخذ من متاعه ما أراد، وكان الآخر يفعل مع أخيه كذلك.

وقيل لبعضهم: أخوك أحب إليك أم صديقك؟ فقال: إنما أحب أخي - أي من النسب - إذا كان صديقي، وقال بعضهم لبعض من قدم عليه: هل يدخل أحدكم يده في جيب أخيه فيأخذ منه ما أراد؟ فقال: لا. فقال: لستم إذا بإخوان.

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٧١/٢.

وكان الرجل منهم يقوم بأولاد صديقه وأهله بعد وفاته، حتى أنهم لا يفقدون من أبيهم إلا وجهه، وحكاياتهم في ذلك كثيرة معروفة.

وهذا أمر قد تودع منه من زمان سابق، ولم يبق من الأخوة في الله والصداقة إلا صور ورسوم لا حاصل تحتها! وقد أشبع الكلام في شرائط الصحبة وحقوقها وآدابها: الإمام حجة الإسلام في كتاب الصحبة من (الإحياء) ، وذكر من ذلك في (بداية الهداية) نبذة صالحة. وعلى الجملة: فكل ما يجب عليك لعامة المسلمين من الحقوق، أو يستحب، ففعل ذلك مع الصديق والصاحب آكد وجوبا، وأكثر استحبابا اهـ» [١].

قال الإمام الحداد:

فَإِيَّاكَ أَنْ تَختَار صُحْبَةَ مَنْ تَرَى *** لَهُ ظَاهِراً يُعْجِبْكَ مِنْ قَبْلِ أنْ تَبْلِي

لَقَدْ عَزَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ مُوَافِقٌ *** يَعِينُكَ فِي مَجْدٍ وَيَنْهَاكَ عنْ سُفْلِ

إِذَا قُلْتَ خَيْراً قَالَ لَبَيْكَ مُسْرِعاً *** وَإِنْ قُلْتَ شَرَّاً قَالَ أَقْلِيكَ أَوْ تَقْلِي

فَمَا عَيْشُ مَنْ يُمْسِي وَيُصْبِحُ فَاقِداً *** أَخَاً ثِقَةً مَأْمُونْ فِي الجِدِّ وَالْهَزْلِ

يُؤَزِارُهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَرُومُهُ *** وَيَحْفَظُهُ فِي النَّفْسِ وَالمالِ وَالأَهْلِ

مُظَاهَرَةُ الإِخْوَانِ أَمرٌ مُقَرَّرٌ *** عَلَيْهِ يَدُورُ الشَّأْنُ فَاسْتَوْصِ بِالخلِّ [٢]

---

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص ٣٠٣-٣٠٨ .

(٢) الحداد: الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، ص١٥٠.

الفصل

الثاني

النبوات

الفصل الثاني

منهج الإمام الحداد في الكتب والنبوات وفيه ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: الإيمان بالكتب السماوية وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: حاجة الناس للكتب السماوية.**
- **المطلب الثاني: الإيمان بالكتب السماوية.**
- **المطلب الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم.**

المبحث الثاني: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول: معنى الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام إجمالا.**
- **المطلب الثاني:مسألة إيجاب بعثة وحاجة الناس للرسل عليهم السلام**
- **المطلب الثالث: مسألة نسخ شرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام.**
- **المطلب الرابع: صفات الرسل الأربع الأمانة الصدق التبليغ الفطانة.**
- **المطلب الخامس: مباحث عقدية متعلقة بالإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.**

المبحث الثالث: منهج الإمام الحداد في الكلام على نبوة نبينا محمد ﷺ والصحابة وآل البيت رضي الله تعالى عليهم أجمعين وفيه أربعة مطالب وهي:

- **المطلب الأول: نبوة نبينا محمد ﷺ.**
- **المطلب الثاني: مقام السنة في الدين.**
- **المطلب الثالث: البدعة عند الإمام الحداد.**
- **المطلب الرابع: منهج الإمام الحداد في الصحابة والخلافة وآل البيت رضوان الله عليهم أجمعين.**

المبحث الأول
الإيمان بالكتب السماوية

المطلب الأول: حاجة الناس للكتب السماوية:

الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، وأرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وعلاقته بهم في المعاملة قائمة على الكرم الإلهي، والعفو والمغفرة، وإنارة سبل الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، ولا يأخذ الله تعالى عبده بالشدة إلا ليربيه نتيجة انحرافه فينأى عن الضلال ويستقيم مع ربه، أو ليجازيه بعدله على تمرده وظلمه وعصيانه بعد أن أمهله فلم يزدجر، ووعظه فلم يتذكر، ودعاه فلم يلب النداء.

هذه هي أصول المعاملة بين الله وبين عباده، ولا يمكن معرفة الخط الإلهي الحكيم وإدراك التشريع الرباني الكامل، والشعور بما بين العبد وربه من علاقة طيبة رحيمة جميلة إلا إذا نزل بذلك من عند الله كتاب فيه ما يريد الله أن يقوله لعباده، وما يأمرهم به وما ينهاهم عنه، ويرشدهم إليه لتتحقق مصالحهم في دنياهم، وليجازيهم بما رتبه على أوامره ونواهيه من جزاء.

وفيه بيان أنواع العلاقات بين الإنسان وربه وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والكون.

وفيه بيان بعض ما في الكون من مخلوقات لها صلة بالإنسان مع أنه لا يراها وعليه أن يتخذ منها مواقف معينة كالملائكة والجن والشياطين وغيرهم.

وفيه بيان مصير الإنسان وجزائه، في اليوم الآخر بالجنة أو النار، وفيه غير ذلك مما لا يمكنه الوصول إليه عن طريق آخر غير طريق الوحي الإلهي المنزل على نبي أو رسول اختاره الله سبحانه واصطفاه ليتلقى عن الله وحيه ويبلغه إلى الناس ويسير فيهم على هدي هذا الوحي منفذا له ومطبقا بدقة لكل ما فيه من تشريعات وأخلاق وآداب.

لهذا كله الناس بحاجة إلى الكتب السماوية وقد استدل الإمام الحداد على حاجة الناس لها وبها تقوم الحجة والمؤاخذة ،وبها يُعرف المعروف والمنكر قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وعليك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه القطب الذي عليه مدار الدين، ولأجله أنزل الله الكتب وأرسل المرسلين)) [1] كما ذكر الإمام الحداد في حكمه أن إنزال الكتب رحمة من الله سماها رحمة الهداية والبيان فقال رضي الله عنه:((رحمةٌ تطلبك، ورحمةٌ تطلبها.فالتي تطلبك: رحمة الهداية

---

(١) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٢٣.

بالبيان. ولأجلها كان إرسال الرُّسل وإنزال الكتب. والتي تطلبها: هي الجنة، تسعى لها بالعمل الصالح، على قانون العلم النافع)) [١] وينبه الإمام الحداد أن إنزال الكتب نعمة ينبغي شكرها قال رضي الله عنه: ((كذلك يجب عليك أن تشكره على النعم العامة كإرسال الرسل وإنزال الكتب ورفع السماء وبسط الأرض)) [٢]

وقال الإمام فخر الدين الرازي -رحمه الله-: ((المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٣]يدل على الإلهيات وقوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [٤]يدل على المعاد وقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [٥] يدل على نفي الجبر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره وقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [٦]إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وهذه السورة مشتملة عليها سميت أم القرآن)) [٧]، وجاءت هذه الرسالة في تقرير هذه الأربعة الأمور.

إذا فالكلام على النبوات يشتمل على:

أولا: الكلام على الكتب التي أنزلت على الأنبياء، والتوسع في آخر الكتب المنزلة (القرآن)

ثانيا: الكلام على النبي والرسول الذي اختاره الله لوحيه ورسالته وأيده بمعجزاته.

ثالثا: الكلام على مباحث متعلقة بالنبوات السنة ومكانتها والصحابة وآل البيت.

---

(١) الحداد: الحكم ، ص ١٨ .

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة،ص ١٧٠.

(٣) سورة الفاتحة: الآية ٢

(٤) سورة الفاتحة: الآية ٤

(٥) سورة الفاتحة: الآية ٥

(٦) سورة الفاتحة: الآية ٦

(٧) الرازي: مفاتيح الغيب، ١/١٥٦.

المطلب الثاني: الإيمان بالكتب السماوية:

أنزل الله سبحانه وتعالى على عدد من الأنبياء كتبا من عنده، تكون دستورا للأمم التي بعثوا لها، فنزلت التوراة على موسى –عليه السلام– حقا، والزبور على داود –عليه السلام– حقا، والإنجيل على عيسى –عليه السلام –حقا، وأنزلت الصحف على إبراهيم وموسى –عليهما السلام –حقا، وأنزل القرآن الكريم، على خاتم الأنبياء والمرسلين –عليهم الصلاة والسلام–

والواجب على العباد من كل أمة الإيمان بما أنزل الله من الكتاب على نبيهم، واتباع ما فيه، والاحتكام إليه، كذلك الواجب عليهم أن يؤمنوا بما أنزل الله من الكتب الأخرى على الأنبياء الآخرين؛ لأن المنزل واحد سبحانه وتعالى، فلا معنى للكفر بالكتب الأخرى ما دام أن من تكلم بها واحد، فالكفر بواحد منها هو كفر بجميع الكتب، قال الله تعالى

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[1]

فالله سبحانه وتعالى امتدح المؤمنين في هذا السياق لإيمانهم بالكتب السماوية بدرجة واحدة، لا يفرقون بينها كما لا يفرقون بين الرسل من جهة الإيمان بهم، والعمدة في ذلك هو قول الله تعالى﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾[2] فالله أمر نبيه عليه –الصلاة والسلام –أن يعلم الناس بإيمانه بالكتب السماوية كلها، ونفهم ذلك من التعبير بكتاب فهو اسم جنس يعم جميع تلك الكتب دون تفريق بينها، والتفريق بين الكتب السماوية هو تفريق بين الرسالات، وبين المرسلين، بالرغم من أن الذي أرسلهم واحد، ولذلك كان الإيمان الشامل بهذه الكتب هو العقيدة التي ينبغي أن يعتقدها المؤمن، ولا يقبل منه سواها، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥

(٢) سورة الشورى: الآية ١٥

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٦– ١٣٧

وكذلك في الآية الأخرى ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(١)

فالموضعان القرآنيان يشددان على ضرورة الإيمان بهذه الكتب جميعا دون التفريق بينها، وجعل هذه المنظومة الإيمانية هي سبيل الهدى الأوحد، الموصل إلى رضوان الله وغفرانه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ (٢) والإخلال بهذه العقيدة بل بجزء منها، مجافاة لصراط الله المستقيم، ومحاداة لله ورسوله، فعاقبتها الشقاق والاختلاف، والتنازع والافتراق، ومجانبة الحق، فالواجب الإيمان بجميع الكتب قال الإمام الحداد في عقيدته: ((وبعد فإنا والحمد لله قد رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، وبالقران إماما، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخوانا، وتبرأنا من كل دين يخالف دين الإسلام، وآمنا بكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله الله، وبملائكة الله، وبالقدر خيره وشره، وباليوم الآخر، وبكل ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى، على ذلك نحيا وعليه نموت، وعليه نبعث إن شاء الله من الآمنين؛ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، بفضلك اللهم يا رب العالمين)) (٣)

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٤

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٧

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص٤٥.

المطلب الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم:

أولا: تعريف القرآن:

القرآن لغة: مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا[(١)] وجاء في لسان العرب ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآنا لأنه يجمع السور، فيضمها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [(٢)]) [(٣)] قال أبو عبيدة وسمي القرآن قرآنا لجماعة السور[(٤)].

والقرآن في الاصطلاح: هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس[(٥)].

محترزات التعريف:

١- فخرج بقولنا كلام الله كلام المخلوقين من الأنس والجن والملائكة.

٢- والمنزل خرج به ما استأثر الله بعلمه أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر، ذلكم أن من كلام الله ما ينزله إلى الناس ومنه ما يستأثر بعلمه قال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [(٦)]

والقرآن الكريم أنزل مرتين مرة جملة واحدة إلى بيت العزة من سماء الدنيا، ومرة أنزل مفرقا منجما على حسب الوقائع والأحداث على مدى ثلاث وعشرين سنة.

---

(١) ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي – محمود الطناحي، ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٣٢٦/٢.

(٢) سورة القيامة: الآية ١٧

(٣) ابن منظور: لسان العرب: ١٢٨/١.

(٤) أبا عبيدة: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي — القاهرة، ط بدون: ١٣٨١ هـ، ص٣٤.

(٥) خلف الله: محمد أحمد خلف الله، القرآن وعلومه، الحديث وعلومه، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٦م، ص٥.

(٦) سورة لقمان: الآية ٢٧

قال الإمام الحداد ﷺ: ((قال الله تعالى ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾[1] ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾[2] فعرفنا سبحانه أنه أنزل القرآن في رمضان، ثم أنه أنزله في ليلة القدر منه بالخصوص، وهذا الإنزال من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، نزل القرآن جملة واحدة من اللوح إلى بيت العزة، ونزل به جبريل بأمر الله على رسوله عليهما السلام- مفرقا في نحو ثلاث وعشرين سنة، وهي مدة الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ أوحى الله إليه وهو ابن أربعين سنة وقبض عليه الصلاة والسلام عن ثلاث وستين سنة. وكذلك قال العلماء المحققون من السلف والخلف)) [3]

٣- وتقييد المنزل بكونه على محمد ﷺ يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله، كالتوراة المنزلة على موسى-عليه السلام- والإنجيل المنزل على -عيسى عليه السلام- والزبور المنزل على داود -عليه السلام- والصحف المنزلة على إبراهيم- عليه السلام-.

٤- المعجز بلفظه ومعناه، بخلاف الحديث فليس فيه صفة الإعجاز والتحدي فهو المعجزة الخالدة لنبينا محمد ﷺإلى يوم القيامة؛ لأن المعجزات على ضربين الأول ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ ومنها ما يبقى إلى يوم القيامة مثل القرآن.

قال الإمام الحداد ﷺ: ((القرآن متواتر على القطع ومعجز على القطع، ولم يزل الحال كذلك من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا)) [4]

وقال الإمام الحداد ﷺ:

وَمُعْجِزَةُ القُرْآنِ فِي عُظْمِ شَأْنِهَا *** مُـؤَبَّـدَةٌ حَـتَّى قِيَـامِ المحَـاشِرِ
وَأَقْـسَمَ رَبُّ العَـالَمِينَ بِعَمـْرِهِ *** فَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ مَالِكِ الملْكِ قَادِرِ[5]

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥

(٢) سورة القدر: الآية ١ - ٥

(٣) الحداد: النصائح الدينية، ص ٦٩-٧٠.

(٤) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص١٦٧.

(٥) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٢٦٦.

٥- والمتعبد بتلاوته يخرج القراءات المخالفة لرسم المصحف، والأحاديث القدسية على القول أنها منزلة من عند الله بألفاظها، ولأن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة القرآن دون الحديث القدسي.

٦- المنقول بطريق التواتر فهو قطعي الثبوت كله سوره وآياته وجمله ومفرداته وحروفه وحركاته وسكناته، وخرج به الحديث القدسي فأغلبه أحاديث آحاد ظني الثبوت.

وذكر الإمام الحدادأن في القرآن الغنية والكفاية فقال ﷺ: ((في القرآن غنية وكفاية عن كل شيء، وإنما عليه إذا أشكلت عليه كلمة، أن يسأل عنها فقط، لأن فيه موجود التواتر والصحة والإعجاز، وفي غيْره ربما يقال هل صح أم لا)) [1].

ثانيا: القرآن هو البحر المحيط:

قال تعالى﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [2] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [3] قال الإمام السيوطي- رحمه الله- ومن الأحاديث: ما أخرجه الترمذي وغيره: أن رسول الله ﷺ قال: ((ألا إنها ستكون فتنة فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ [4] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)) [5] وما أخرجه أبو الشيخ عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٠٦/٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٩

(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٨

(٤) سورة الجن: الآية ١ – ٢

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء في فضل القرآن، رقم الحديث ٢٩٠٦، ١٧٢/٥.

«إن الله لو أغفل شيئا لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة» [١] ومن الآثار: ما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعودﷺ أنه قال: «من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين» [٢] وما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعودﷺ أنه قال: «أنزل في القرآن كل علم، وبين لنا فيه كل شيء، لكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن» [٣] ثم أن السيوطي – رحمه الله –نجده بعد أن يسوق هذه الأدلة وغيرها يذكر لنا عن بعض العلماء أنه استنبط أن عمر النبي ﷺ ثلاث وستون سنة من قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [٤] فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بـ التغابن ليظهر التغابن في فقده.

ثم ذكر عن أبي الفضل المرسي [٥]–رحمه الله – أنه قال في تفسيره: «جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله ﷺ، خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه، فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه، وعددها، وعدد كلماته، وآياته، وسوره، وأحزابه، وأنصافه، وأرباعه، وعدد سجداته، والتعليم عند كل عشر آيات. . . إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة، والآيات المتماثلة، من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما أودع فيه، فسموا القراء.

---

(١) أخرجه الأصبهاني: العظمة، ٥٣٣/٢.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: رقم الحديث ١٨٠٨، ٣٤٧/٣.

(٣) أخرجه السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل ،تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ١٢/١.

(٤) سورة المنافقون: الآية ١١

(٥) محمد بن عبد الله بن محمد السلمي شرف الدين ابن أبي الفضل المرسي ولد بمرسية سنة ٥٧٠ هـ وسمع الحديث بها ثم قدم بغداد وسمع من شيوخها ثم سافر إلى خراسان وسمع بنيسابور وهراة ومرو وعاد إلى بغداد ثم قدم دمشق ثم مصر ثم قوص ثم مكة ثم عاد إلى بغداد وحدث ب سنن البيهقي عن منصور الفراوي وب صحيح مسلم عن المؤيد الطوسي وكان فقيها محدثا أصوليا نحويا أديبا زاهدا متعبدا صنف تفسيرا حسنا توفي بين العريش وغزة سنة ٦٥٥هـ . ينظر السبكي طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، ٦٩/٨.

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال، والحروف العاملة، وغيرها، وتوسعوا الكلام في عن الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال. واللازم، والمتعدي، ورسوم خط الكلمات، وجميع ما يتعلق به، حتى إن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمة كلمة.

واعتنى المفسرون بألفاظه، فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد، ولفظا يدل على معنيين، ولفظا يدل على أكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني، وأعمل كل منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره.

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة القطعية، والشواهد الأصلية والنظرية، مثل قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1]. . . . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منها أدلة على وحدانية الله، ووجوده، وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به، وسموا هذا العلم بأصول الدين.

وتأملت طائفة منهم معانى خطابه، فرأت منها ما يقتضى العموم، ومنها ما يقتضى الخصوص، إلى غير ذلك، فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز، وتكلموا في التخصيص، والإضمار، والنص، والظاهر، والمجمل، والمحكم، والمتشابه، والأمر، والنهى، والنسخ. . . إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة، واستصحاب الحال، والاستقراء، وسموا هذا الفن أصول الفقه.

وأحكمت طائفة صحيح النظر، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام، وسائر الأحكام، فأسسوا أصوله، وفرعوا فروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطا حسنا، وسموه بعلم الفروع، وبالفقه أيضا.

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة، والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا آثارهم ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدنيا، وأول الأشياء، وسموا ذلك بالتاريخ.

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم، والأمثال، والمواعظ التي تؤثر في قلوب الرجال، وتكاد تدك الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد، والوعيد، والتحذير، والتبشير، وذكر الموت، والمعاد، والنشر، والحشر، والحساب، والعقاب، والجنة، والنار، فصولا من المواعظ، وأصولا من الزواجر، فسموا بذلك الخطباء والوعاظ.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير، مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السمان، وفي منامي صاحبي السجن، وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة، وسموه تعبير الرؤيا، واستنبطوا تأويل كل رؤيا من الكتاب، فإن عز عليهم إخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب، فإن عز فمن الحكم والأمثال، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم وعرف عاداتهم، الذى أشار إليه القرآن بقوله: (وأمر بالمعروف) وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك، علم الفرائض، واستنبطوا منها من ذكر النصف، والثلث، والربع، والسدس، والثمن، حساب الفرائض، ومسائل العدل، واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة، في الليل، والنهار، والشمس، والقمر، ومنازله، والبروج، وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت.

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ، وبديع النظم، وحسن السياق، والمبادئ، والمقاطع، والمخالص، والتلوين في الخطاب، والإطناب، والإيجاز، وغير ذلك واستنبطوا منه المعاني، والبيان، والبديع.

هذه الفنون أخذتها الملة الإسلامية منه، وقد أحتوى على علوم أخر من علوم الأوائل مثل: الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والنجامة، وغير ذلك من العلوم.

وأخيرا عقب السيوطي على هذه النقول وغيرها فقال: وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع فليس منها باب ولا مسألة هي أصلا إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى و. . و. . . إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات)) (١)

ومن هذا يتبين لك كيف ظهرت آثار الثقافات العلمية للمسلمين في تفسير القرآن الكريم، وكيف حاول هؤلاء العلماء المتقدمون أن يجعلوا القرآن منبع العلوم كلها، ما جد وما يجد إلى يوم القيامة. (٢)

---

(١) السيوطي: الإكليل في استنباط التنزيل، ص١٨.

(٢) الذهبي: محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط بدون، ٢/ ٣٥١.

قال الإمام الحدادﷺ: ((واعلم أن القرآن هو البحر المحيط، ومنه تستخرج جواهر العلوم ونفائس الفهوم، ومن فتح له طريق الفهم فيه من المؤمنين دام فتحه وتم نوره واتسع علمه وصار لا يمل من قراءته ليلا ولا نهارا، لأنه قد وجد فيه مقصوده وظفر منه بمطلوبه وهذه صفة المريد الصادق. قال الشيخ أبو مدينﷺ: ((لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد)) [١]. كما قال الإمام الحدادﷺ: ((فالقرآن تنزيل عظيم من رب عظيم، على رسول كريم قد جمع الله فيه علم الأولين والآخرين، وأخبار السابقين واللاحقين، كما قال عليه الصلاة والسلام: (فيه نبأ من قبلكم، ونبأ من بعدكم، وحكم ما بينكم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن التمس الهدى من غيره أضله الله)) [٢] الحديث.

و الإمام الحداد لا يرى السعادة إلا في الأخذ بالقرآن قال ﷺ: ((أن القرآن العظيم أصل العلوم ومعدنها لله ومجمعها وموطنها؛ قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٣] وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [٤] من أخذ بالقرآن إيمانا وعلما وعملا فاز وسعد في الدنيا والآخرة، ومن ضيعه وتعدى حدوده خاب وخسر، وضل عن سواء السبيل، وصار ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها، وممن كذب بآيات الله وصدف عنها قال الله تَعَالَىٰ: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [٥] وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين)) [٦] ا هـ)) [٧] كما جعل الإمام الحداد المرجع الأول للمسلم القرآن قال ﷺ: ((إن اتسع لك النظر بنفسك فانظر أنت، وكل أمر يشكل عليك فهو في القرآن، وإذا لم يظهر لك شيء، فابق على الطريق المسلوكة لمن قبلك، ولا تتبع الطرق فتضل، وهي السبل التي قال الله:

(١) الحداد: رسالة المعاونة والمذاكرة المؤازرة، ٤٦.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: رقم الحديث ١٧٨٨، ٣/ ٣٣٥.
(٣) سورة النحل: الآية ٨٩
(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٨
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٥٧
(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه: رقم الحديث ٧٧٢، ٣/ ٤٩ .
(٧) الحداد: الدعوة التامة، والتذكرة العامة، ، ص٥٦ .

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ (١) الآية، فكل طريق ما تعرفها لا تسلكها، إلا إذا تغلقت عليك الطرق، فإذا كان كذلك بقيت في الحيرة، ومثل ذلك يظهر للإنسان في القبور، فإذا قيل له: كيف ما علمت أحكام الصلاة ونحوها، قال لا أحد علمني، فيقال له كيف والقرآن عندك، وقد فصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدين، ولكن وسعه العلماء بتطويل الكلام فيه، والإنسان متجر لنفسه، وكل الأمور مشروحات في القرآن، ولكنه يحتاج إلى البيان›› (٢) كما اكد الإمام الحداد أن كل شيء في القرآن قال: ﷺ ‹‹كل شيء فهو في القرآن، إلا إن الناس ما علموا معناه، وقد قال الفضيل بن عياض –رحمه الله–: لو علمت من القرآن أولا ما علمته منه اليوم، لما كتبت الحديث، يعني إنه انكشف له من معاني القرآن آخر وقته ما لم ينكشف له أولا›› (٣)

وقد شبه الإمام الحداد القرآن بالمحيط الذي يُمد وهذا التشبيه غاية في الجمال والحسن ﷺ:

وَوَاظِبْ عَلَى دَرْسِ القُرَانِ فَإِنَّ فِي *** تِلاَوتِهِ الإِكْسِيرَ وَالشَّرْحَ لِلصَّدْرِ

ألاَ إِنَّهُ البَـــحْرُ المحِيطُ وَغَيْـــرُهُ *** مِنَ الْكُتْبِ انَهْارٌ تُمَدُّ مِنَ الْبَحْرِ (٤)

ثالثا: تمكين اللّه للإنسان وقابليته أن يكون أهلا لخطابه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ (٥) قال الإمام السمعاني– رحمه الله – ومعنى تيسر القرآن للذكر: هو قراءته عن ظهر قلب، ولم يعط هذا في كتاب من كتب الله غير هذه الأمة، فإن أهل الكتابين إنما يقرؤوا فهما عن الصحف(٦)

قال الإمام الحداد ﷺ: ‹‹جعل الله في الإنسان قابلية لكل شيء، لكونه يريد أن يجعله محلا لخطابه، فلو لم يكن قابلا لكل شيء لم يكن أهلا لخطابه تعالى، وقد قال سبحانه وتعالى:

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ، ١/ ٢٣٦.

(٣) المرجع السابق: ٢/ ٢٤٩.

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٠٩.

(٥) سورة القمر: الآية ١٧

(٦) السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، ٣١٢/٥.

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾[٢]الآية)) [٣] وللإمام الحداد معاني دقائقة في خطاب القرآن قال ﵁: ((أخص ما يكون من معاني القرآن، التكلم به على لسان الحق، ثم بعد ذلك الخطاب مع الحق وهو ما فيه ضمير الخطاب كإياك نعبد ثم ما كان فيه نيابة عن الحق كآيات الأمر والنهي والوعد والوعيد، وغير ذلك، وقال﵁: إذا جاء في القرآن الخطاب لهذه الأمة، فهو عام فيها، ولا يختص بالفاعل، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ ﴾[٤]، أي إنها تصيب الظالم وكل من ينسب إليه ومن يجالسه أو يواكله أو يميل إليه بأي وجه، وإذا جاء الخطاب لغير هذه الأمة، فيكون لمن فعل مثل فعلهم)) [٥]

رابعا: القرآن كلام الله وهو عزيز:

القرآن كلام الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٦]، وقال الله عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [٧] وقال الله عز وجل: ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ [٨] وعن جابر بن عبد الله﵁، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: ((ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)) [٩] وعن جابر، أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته بعد التشهد: ((أحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ)) [١٠]وقال رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢١
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٧٢
(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٤٤.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٢٥
(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٢٠-١٢١.
(٦) سورة التوبة: الآية ٦
(٧) سورة الفتح: الآية ١٥
(٨) سورة البقرة: الآية ٧٥
(٩) أخرجه أبو داود في سننه: باب في القرآن، رقم الحديث ٤٧٣٤، ٤/ ٢٣٣-٢٣٤.
(١٠) أخرجه النسائي في سننه: رقم الحديث ١٣١١، ٥٨/٣.

((ينزل القرآن، فهو كلام الله عز وجل)) [١] وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ((إن هذا القرآن كلام الله، فلا أعرفنكم فيما عطفتموه على أهوائكم)) [٢] وعقيدة الإمام الحداد ان القرآن كلام الله وليس بمخلوق قال ﷺ:

وَأَنَّ كَلاَمَ اللهِ وَصْفٌ لِذَاتِهِ *** وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ خِلاَفاً لِصَاغِرِ [٣]

وأكد الإمام الحداد على هذا المنهج فقال ﷺ: ((القرآن كلام اللّٰه، سماه عزيزاً لعزة قدره، لأنه نزل من عزيز على عزيز، ولا يستلذ قراءته إلا أهل البصيرة ومن في قلبه نور، ويستثقل منه الشياطين، فمن يمل من قراءته فذلك في قلبه شياطين، لولاهم ما كان منه ذلك، إلا إن كان مع كثرة القراءة، فإن البشر من طبعه الملل، وقد قال الفضيل: لو كنت عرفت من القرآن أولاً ما عرفته منه الآن، ما نقلت حديثاً، يعني لأن جميع العلوم تتفجر من القرآن، فإذا أعطاه اللّٰه الفهم فيه، فلا يحتاج إلى تحصيلها من غيره، وقد أجملها فيه، والعمدة على نورالقلب)) [٤]

قال الإمام الحداد ﷺ:

يَكْفِى الَّلبِيبَ كِتَابُ اللهِ مَوْعِظَةً *** كَمَا أتى في حَدِيثِ السَّيِّدِ الْحَسَنِ [٥]

وقد خص الإمام الحداد فهم القرآن بالعلماء وجعله محصورا فيهم فقال ﷺ في شأن من يفهم القرآن: ((واعلم أنه لا يستقل بعرض جميع أموره التي تقع له في ظاهره وباطنه على الكتاب والسنة كل أحد، فإن ذلك مخصوص بالعلماء الراسخين فإن عجزت عن شيء من ذلك، فعليك بالرجوع إلى من أمرك الله بالرجوع إليه في قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٦] وأهل الذكر هم العلماء بالله وبدينه العاملون بعلمهم ابتغاء وجه الله

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: رقم الحديث ٣١٩٣، ٢١٩/٣.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ، تحقيق: حسين الداراني،الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م، باب فضل كلام الله، رقم الحديث ٣٣٩٨، ٢١١١/٤.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٦٩.

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٢١/١.

(٥) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٥٠٧.

(٦) سورة النحل: الآية ٤٣

تعالى الزاهدون في الدنيا الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى الداعون، إلى الله على بصيرة المكاشفون بأسرار الله.

وقد عز على بسيط الأرض وجود واحد من هؤلاء حتى لقد زعم جماعة من الأكابر أنهم مفقودون، والحق أنهم موجودون ولكن قد سترهم الله برداء الغيرة وضرب عليهم سرادقات الإخفاء، لغفلة الخاصة وإعراض العامة، فمن طلبهم بصدق وجد في ذلك لم يعوزه إن شاء الله تعالى وجود واحد منهم، فالصدق سيف لا يوضع على شيء إلا قطعه، والأرض لا تخلو من قائم لله بحجة. وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوأهم حتى يأتي أمر الله)) [(١)]أولئك نجوم الأرض وحمال الأمانة ونواب المصطفى وورثة الأنبياء، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون اهـ)) [(٢)]وقال الإمام الحداد ﷺ ((وأصول الأحكام وأصول الدين كلها في القرآن، ولكن لمن يعرف)) [(٣)]وقال أيضا ﷺ: ((أتعلم سورة الملك كم آياتها ثلاثون، وتعلم الجُرز كم هي تسع وعشرون [(٤)] ، ولِلَّه في القرآن من حيث الحروف والآيات والسور أسرار وحكم، وإلا لاستغنوا عن التنزيل، واكتفوا بسورة واحدة)) [(٥)]قال الإمام الحداد ﷺ

وَاتْلُ القُرَانَ بقلبٍ حَاضِرٍ وَجِلٍ *** عَـلَى الـدَّوَامِ وَلاَ تَذْهَـلْ وَلاَ تَغِـبِ

فَإِنَّ فِيهِ الهُدَى وَالْعِلْمَ فِيهِ مَعاً *** وَالنُورَ وَالفَتْحَ أَغْنِي الْكَشْفَ لِلحُجُبِ[(٦)]

ويحث الإمام الحداد على الورد اليومي للقرآن ويضع نماذج لهذا الورد قال ﷺ: ((وينبغي أن يكون لك ورد من تلاوة الكتاب العزيز تداوم على قراءته في كل يوم وليلة، وأدنى ذلك أن تقتصر على جزء فيكون لك في كل شهر ختمة وأعلى ذلك أن تختم في كل ثلاثة أيام، واعلم أن لقراءة القرآن فضلاً عظيماً، وأثراً في تنوير القلب كبيراً قال رسول الله ﷺ ((أفضل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» رقم الحديث ٧٣١١، ١٠١/٩.

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ٦٥.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٨/١.

(٤) على قراءة أبي عمرو البصري.

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد: ١٧١/١.

(٦) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٨٢.

عبادة أمتي قراءة القرآن» [(١)] وقال علي -كرم الله وجهه-: «من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه وهو قاعد في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه وهو خارج الصلاة وهو على طهارة كان له بكل حرف خمس وعشرون حسنة، ومن قرأه وهو على غير طهارة كان له بكل حرف عشر حسنات» [(٢)] وأحضر في قلبك عظمة المتكلم سبحانه، وأنك بين يديه تقرأ عليه كتابه الذي أمرك فيه ونهاك ووعظك ووصاك، وكن عند قراءة آيات التوحيد والتمجيد ممتلئاً بالإجلال والتعظيم، وعند قراءة آيات الوعد والوعيد ممتلئاً بالرغب والرهب، وعند قراءة آيات الأوامر والزواجر شاكراً معترفاً بالتقصير أو مستغفراً عازماً على التشمير» [(٣)]

ويذكر الإمام الحداد ثمرة الورد اليومي للقرآن وهو قذف نور الهداية فقال رضي الله عنه:

فَـــإِنَّكَ إِنْ لاَزَمْـتَهُ بِتَـــوَجُّهٍ *** بَدَا لَكَ نُورٌ لَيْسَ كَالشَّمْسِ وَالبَدْرِ

ولَكِـــنَّهُ نـــورٌ مِنَ اللـهِ وَارِدٌ *** أَتَى ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ النُّـــورِ فَاسْتَقْرِ [(٤)]

خامسا: ضرب الأمثال في القرآن:

ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال في القرآن للتفكر واخذ العبرة قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [(٥)]

وقد دلت الآيات على أن القرآن مشتمل على ذكر المثل، والمثل ذكر حوالي ثمانين مرة في القرآن قال الإمام الرازي —رحمه الله —: «المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك في نهاية الإيضاح، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجردا عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: رقم الحديث ١٨٦٥، ٣ /٣٩٥.

(٢) الخلوتي: تفسير روح البيان، ٥/ ٢٣٨.

(٣) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة المؤازرة، ص٤٦.

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٠٩.

(٥) سورة الحشر: الآية ٢١

كما يتأكد إذا مثل بالظلمة، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور وضرب مثله بنسج العنكبوت كتابه ›› [١]كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من الإخبار بضعفه مجردا، ولهذا أكثر الله تعالى في المبين وفي سائر كتبه أمثاله

وقد نقل الإمام السيوطي –رحمه الله – ما قاله بعض العلماء في ذلك حيث قال: ‹‹قال الماوردي–رحمه الله –: من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام.

وقال غيره: قد عده الشافعي: ﷺ مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب معصيته.

وقال الشيخ عز الدين: – رحمه الله – إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا ووعظا فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فإنه يدل على الأحكام›› [٢]

وتكلم الإمام الحداد عن ضرب الأمثال في القرآن فقال: ‹‹هذه الأمثلة لإيصال المعاني إلى قلوب العامة، إذ لولاها لما عرفوا تلك المعاني، ومثله ما مثل به في الذكر، من إنه كالجوز له قشران ولب ولب اللب، ولا بأس بضرب الأمثال، فقد ضرب الله ورسوله للناس الأمثال، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [٣] وإن اعترض على ذلك معترض، فإنه منافق، فإن المنافقين واليهود قد اعترضوا في تمثيل الله بالذباب والبعوض والعنكبوت وأمثالها، ولكن كما قال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾[٤] الآية، وكل من اعترض في شيء فإن ذلك هو الذي بلغه، ولو بلغه أكثر من ذلك لاعترض عليه أيضا، وقد سمعنا فيما سمعنا عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه حفظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف مثل›› [٥]

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب، ٣١٢/٢.

(٢) السيوطي:، الإتقان في علوم القرآن، ٤٤/٤.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٣

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/ ١٧١.

سادسا: مفاهيم للإمام الحداد لبعض النصوص:

أ-قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾:

سئل الإمام الحداد عن تفسير قوله تعالى﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [(١)] فأجاب نفع الله به ورضي عنه: ((اعلم أن المفسرين في بعض معانيها اختلفوا اختلافا يكاد أن يكون لفظيا ونحن نذكر ما هو الأصح والأوضح إن شاء الله تعالى مع غاية الإيجاز. قال الله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري) أي عن القرآن والهدى فلم يؤمن به. وهذا حال من كفر وجحد، فإن له معيشة ضنكا في الدنيا بالحرص الشديد عليها فلا يزال في ضنك، وإن كان متسعا في الصورة وإما بالقلة المصحوبة بضيق الصدر وعدم الصبر وفي البرزخ بما يصب عليه من أنواع عذاب القبر ومن ضيق اللحد وتعذيب الملائكة أياه وتسليط الحيوانات المؤذية، إلى غير ذلك وفي الآخرة بأكل الضريع الزقوم وشرب الحميم والغساق، خالدا مخلدا في النار نسأل الله العافية. (ونحشره يوم القيامة أعمى) أي أعمى القلب والبصر (قال رب لم حشرتني أعمى) أنكر عمى البصر الحادث عليه وأما عمى القلب فإنه لم يزل فيه (وقد كنت بصيرا) أي في الدنيا. (قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) أي أعرضت وتعاميت عنها، (وكذلك اليوم تنسى) أي تترك في العمى وسوء الحال وأليم العذاب والنكال، نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم على الإيمان ويعصمنا من الزيغ والضلال والحمد لله على كل حال)) [(٢)] والإمام الحداد يصف حال قارئ القرآن ويقرر أن حال الناس اليوم مع القرآن، هذا الوصف وإن لم يكن من صلب رسالتنا إلا أنه حقيقة ينبغي أن تقال قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((فقد آل الأمر إلى أقوام يقرأ القرآن أحدهم من فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما هو، ولا فيم أنزل، ولا لأي شيء أنزل، ثم إنه لا يهمه أنه لا يعلم ولا يدري حتى تنبعث منه داعية لأن يطلب علم ذلك ومعرفته؛ وذلك من فرط غفلته، وشدة انصراف قلبه عن فهم كتاب ربه، استغراقا بالدنيا، ورغبة في شهواتها، واغترارا بزخارفها؛ فمن أضل ممن هذا الوصف وصفه؟ وهذا الشأن شأنه؟

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٤ – ١٢٦

(٢) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ١٢٦.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾(١) فإذا رأيت الرجل يقرأ القرآن ولا يرتله، ولا يتدبره ولا يفهم فيه، ورأيته يحضر عند تلاوته وهو يلهو ويلغو، فلا تشكن في أنه غافل محجوب، مصروف عن آيات الله، قد حل به من الله مقت وسخط، وقد اقفل الله على قلبه؛ قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ (٢)ولا يغرنك أنه يقرأ القرآن وقد ورد: ((أن أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها)) (٣) وما ينفعه ذلك، وقد أصبح القرآن حجة الله عليه، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((والقرآن حجة لك أو عليك)) (٤) وفي الحديث الآخر: ((من جعل القرآن إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار)) (٥) فاجتهد أيها القارئ أن تكون ممن يرفعه الله بالقرآن، بأن تقرأه كما أنزل وأن تتلوه حق تلاوته، فترتله وتتدبر معانيه، وتقف عند كل آية منه وتنظر فيها: هل أنت بها عالم، وهل أنت بها عامل؟ فإن كانت من آيات الأمر نظرت: هل أنت لذلك الأمر ممتثل؟ وإن كانت من آيات النهي نظرت: هل أنت لذلك النهي مجتنب؟ وكذلك في بقية الآيات. وإن مرت بك آية فوجدت أنك لا تعلم علمها سألت عنها من يعلمه؛ فبذلك تصير من التالين لكتاب الله كما يحب ويرضى إن شاء الله تعالى. ولا تكن ممن يقرأ ولا يدري، ويهذ القرآن هذ الشعر، وينثره نثر الدقل؛ فيصبح من النادمين، ويكون في الآخرة من الخاسرين)) (٦)

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((وقد ضاعت من أيديهم الموازين، حتى يقرأ الإنسان القرآن من أوله إلى آخره ما يعرف لآية معنى ولا يهمه أن يعرفه، وأعجب من ذلك إن رجالا لا يقرأون

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩

(٢) سورة النساء: الآية ٨٢

(٣) الفريابي: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، صفة النفاق وذم المنافقين ، تحقيق أبو عبد الرحمن المصري الأثري، ، الناشر: دار الصحابة للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ص٧٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: باب فضل الوضوء، رقم الحديث ٢٢٣، ١/٢٠٣.

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه: رقم الحديث ١٢٤، ١ /٣٣٢.

(٦) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٥٤.

القرآن، يملون من سماعه ويضيقون منه، وكان ينبغي لمثل هؤلاء أن يشتاقوا لسماعه لعدم ممارستهم، إذ من يقرأه فربما به ملل، وأما هؤلاء فما عذرهم)) (١)

ويصف الإمام الحداد إعراض الناس عن أحسن الحديث وهو القرآن فيقول ﷺ: ((دخل سلمان الفارسي ﷺ بلد المدائن، فحف به الناس من كل جانب، يريدونه يحدثهم، فجعل يقرأ سورة يوسف فلم يزل الناس يتصدعون، حتى لم يبق أحد منهم، فقال: زخرفا من القول أردتم)) (٢) وقال ايضاًﷺ في بيان اسرار وخزائن القرآن: ((في حديث: قل هو الله أحد ثلث القرآن، والزلزلة نصف القرآن، والكافرون ربع القرآن)) (٣)، ونحو ذلك، قال إن هذه أسرار لا يطلع عليها إلا بنور النبوة.)) (٤) والإمام الحداد يرى أن الشياطين تضيق من القرآن قال ﷺ: ((من يضيق من الجلوس في المسجد والقراءة، قل لي ذلك لأي سبب، ما هو إلا إن في قلوبهم شياطين، يضجرونهم من الجلوس فيه، ومن تلاوة القرآن، مع أن التالي مجالس ربه، فلا تصلح قلوبهم حتى تخرج منها الشياطين والملائكة لا تتبع الشياطين، وهذا صراط الله المستقيم، حيث حكى عنه أنه قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ إلى قوله ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (٥) وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، إن لحق إلى القلب مدخلا دخل إليه، وسببه لقم الحرام والشبه ومن أكل طعاما حراما لم يعلم بحرمته فلا لوم عليه من حيث ظاهر الشرع، لكن يحصل منه تأثير في أمر غير ذلك)) (٦)

ب-اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل:

جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ((اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)) (٧) قال الإمام ابن الاثير – رحمه الله –والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها قالت (كان

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٢٩٣.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: بلفظ أخر وهو (إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن) ١٦٦/٥.

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، مرجع سابق، ٢٠/٢.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٦-١٧

(٦) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٢١/١.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث ٦٢٨٠، ٦١٥/٣.

النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك، يتأول القرآن) تعني أنه مأخوذ من قول الله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره) [١]. . وقد سئل الإمام الحداد رضي الله عنه عن قوله عليه الصلاة والسلام، في دعائه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) . فأجاب: ((الفقه في الدين هو الفهم في علومه والبحث عن حكمه وأسراره حتى يكون العمل منه على الفهم والبصيرة. وأما علم التأويل فهو علم تأويل القرآن والسنة، فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما من ذلك في الغاية القصوى، وكان يسمى ترجمان القرآن بدعوة رسول الله ﷺ)) [٢]

ج- اجعل القرآن ربيع قلبي:

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله - (قوله أن تجعل القرآن ربيع قلبي) [٣] ((أي أسألك أن تجعل القرآن كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وكذلك القرآن ربيع القلوب أي يجعل قلبه مرتاحا إلى القرآن مائلا إليه راغبا في تلاوته وتدبره)) [٤] قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((معنى اجعل القرآن ربيع قلبي، كما في الدعاء أي بأن يعمل في القلب من الأنوار والعلوم، كما يعمل الربيع في الأرض)) [٥]

---

(١) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ، ١/ ٨٠ -٨١.

(٢) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٣٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: من حديث (ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، .. الحديث)رقم الحديث ٣٧١٢، ٦/ ٢٤٦.

(٤) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، الناشر: دار القلم - بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٤م، ص٢٩٧-٢٩٨.

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ١١٤.

المبحث الثاني

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

المطلب الأول: معنى الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام إجمالا:

إن الرب الحكيم جل جلاله خلقنا لعبادته، وفي عبادته كمالنا وسعادتنا، وعبادته بطاعته فيما أمرنا ونهانا وأباح لنا، ولا يمكننا أن نعرف ذلك إلا إذا بينه لنا، فاختار من خلقه تفضلا منه ورحمة بعضا منهم فطرهم على الفضائل والكمالات، وعصمهم من الرذائل والنقائص وهيأهم لملاقاة أمين الملائكة الأطهار، ليتلقوا منه وحي الله وبيانه للعباد، فيبلغوه إليهم، ويكونوا قدوة لهم في تنفيذه والعمل به. والإيمان بالرسل والأنبياء جملة وتفصيلا واجب، لأنه أصل من أصول الدين من أخل به كفر قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[1] ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا، ولم يغيروا، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَـٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[2] وأنهم كلهم على الحق المبين؛[3] والهدف الأول من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو الدعوة إلى الله قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾[4]وهذا ما يقرره الإمام الحداد حيث يقول رضي الله عنه: ((فالدعاء إلى الله وإلى سبيله ودينه وطاعته، وصف الأنبياء والمرسلين ودأبهم وبه وله بعثهم الله وأمرهم وأوصاهم، وعليه حثهم وحرضهم)) [5]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥

(٢) سورة النحل: الآية ٣٥

(٣) الحكمي: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق: حازم القاضي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ، ص٤٨.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٦

(٥) الحداد: الدعوة التامة، ص١٨.

المطلب الثاني: مسألة إيجاب بعثة الرسل وحاجة الناس للرسل عليهم الصلاة والسلام:

الصحيح الذي ذهب إليه أهل السنة بما فيهم الأشاعرة أن النبوة نعمة من الله تعالى ومنة منه تفضل بها على خلقه كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[1] وأما مسألة إيجاب شيء على الله ووضع شريعة الله بالعقل والتسوية بين الله وبين عباده فيما يحسن منهم ويقبح كما ذهب إليه المعتزلة فهو أمر ممتنع ومنتف من وجوه عديدة أشار إليها ابن القيم –رحمه الله– منها أن الله تعالى كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته، فكذلك ليس كمثله شيء في أفعاله؛ فلا تقاس أفعاله على أفعال خلقه فيحسن منه ما يحسن منهم ويقبح منه ما يقبح منهم؛ ذلك أن كثيرا من الأفعال تقبح منا وهي حسنة منه تعالى كذلك الإيجاب والتحريم يقتضي موجبا آمرا ناهيا، وهو طلب للفعل أو الترك على وجه الاستعلاء، وهذا محال في حق الواحد القهار.

وسئل الإمام الحداد عن إيجاب بعثة الرسل فقال: «وأما المسألة التي وقفتم عليها في بعض الكتب في إيجاب بعثة الأنبياء فأعلم أن الوجوب على الله تعالى لا قائل به من أهل السنة، لما في الوجوب من معاني الاضطرار والقهر– تعالى الله عن ذلك — وقالت المعتزلة بالإيجاب على الله في هذه المسألة وغيرها.

وأما إيجاب بعثة الأنبياء على المكلفين على حسب ما فهتموه فغير مستقيم لأن الواجب على المكلفين إنما هو التصديق ببعث الأنبياء والاتباع لهم» [2]

(١) آل عمران: الآية ١٦٤

(٢) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد، ٢/ ٤٣٥ .

المطلب الثالث: مسألة نسخ شرائع الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام:

يقول الإمام الفخر الرازي – رحمه الله –: «النسخ عندنا جائز عقلا واقع سمعا خلافا لليهود، فإن منهم من أنكره عقلا ومنهم من جوزه عقلا، لكنه منع منه سمعا، ويروى عن بعض المسلمين إنكار النسخ، واحتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه، لأن الدلائل دلت على نبوة محمد ﷺ ونبوته لا تصح إلا مع القول بنسخ شرع من قبله، فوجب القطع بالنسخ» [(١)] وبما أن شريعته ﷺ نسخت ما قبلها من الشرائع، فلأن شريعة موسى–عليه السلام– نسخت ما قبلها، وشريعة عيسى– عليه السلام–نسخت شريعة موسى– عليه السلام بدليل قوله تعالى حكاية عن المسيح–عليه السلام –أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [(٢)] يعني في شرع التوراة، وذلك هو حقيقة النسخ، ولا يشترط في نسخ الشريعة نسخ جميعها، بل يكفي في تسميتها منسوخة نسخ بعض أحكامها، بدليل أن شريعة محمد ﷺ نسخت كل شريعة قبلها، مع أنها قررت بعض الأحكام، فلم تنسخ، فثبت بما ذكرته أن من قال بأن محمدا ﷺ كان قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله يلزمه أن يعين لذلك شريعة عيسى عليه السلام، ولهذا قال ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» [(٣)] قال الإمام الحداد رضي الله عنه: «كان يبعث في بني إسرائيل النبي بعد النبي مجددين لشريعة موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وداعين لهم إلى إقامتها ومحرضين على العمل بها، ومخوفين لهم من إضاعة أمر الله وركوب نهيه، وذلك بوحي من الله يوحيه إليهم، كما يعرف ذلك من نظر في أخبارهم وقصصهم، إلى أن بعث الله عيسى بن مريم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بشريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام فكفر به بنو إسرائيل وكذبوه، وبهتوا أمه عليها السلام. ثم وقعت الفترة بعد عيسى عليه السلام، إلى أن بعث الله عبده ورسوله محمدا ﷺ سيد ولد آدم بالقرآن والشريعة الجامعة الناسخة لما تقدمها من الشرائع، فكفرت به اليهود والنصارى، وكذبوه إلا من شاء الله منهم» [(٤)]

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب، ٦٣٧/٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٠

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : بَابُ قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا،رقم الحديث ٣٤٤٢، ١٦٧/٤.

(٤) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٤.

المطلب الرابع: صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

أولا: الأمانة:

الأمانة في اللغة ضد الخيانة، وأصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمانة مصدر أمن بالكسر أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازًا، فقيل الوديعة أمانة ونحوه، والجمع أمانات، فالأمانة اسم لما يُؤمَّن عليه الإنسان[١] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[٢] ،والأمانةفي حق الرسل هي حفظ جوارحهم الظاهرة والباطنة من الوقوع في محرم أو مكروه [٣] وعرفها بعضهم بعدم خيانتهم بفعل محرم أو مكروه، وقال بعضهم هي ملكة راسخة في النفس تمنع صاحبها من ارتكاب المنهيات وعلى كل فهي ترجع إلى العصمة والعصمة: بالكسر: المنع، هذا أصل معناها في اللغة، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عصمه يعصمه عصما: منعه ووقاه، وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ أي: يمنعني من تغريق الماء، و﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[٤]، أي لا مانع.

وفي الاصطلاح قال المناوي–رحمه الله–: العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها.

وقال الراغب:((عصمة الله تعالى الأنبياء: حفظه إياهم أولا بما خصهم به من صفاء الجواهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٥])) [٦]

وقال شيخنا[١]: العصمة عند أهل الكلام: عدم قدرة المعصية، أو خلق مانع غير ملجئ، وهو الذي اعتمده ابن الهمام[١]

---

(١) ابن منظور : لسان العرب، ٢٢/١٣، والأصبهاني : المفردات في غريب القرآن ،ص٩٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

(٣) السنوسي: محمد بن يوسف السنوسي، تهذيب شرح السنوسية، تحقيق سعيد فودة، ، دار الرازي للطباعة والنشر، عمان الأردن، ط٢، ص١٠٣.

(٤) سورة هود: الآية ٤٣

(٥) سورة المائدة: الآية ٦٧،

(٦) الأصبهاني : المفردات غريب القرآن ، ص٥٧٠.

(١) يقصد به العلامة اللغوي محمد بن الطيب الفاسي، ولولاه لما استطاع الزبيدي شرح القاموس المحيط لان جل اعتماده على شرح شيخه ولذلك يكرر لفظ شيخنا

وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بالعصمة لأنبيائه وهذه العصمة محل إجماع عند الجمهور قال الإمام الغزالي —رحمه الله —: «فإن عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الكبائر إنما عرفت شرعا، وعن الصغائر مختلف فيها» [٢] فالعلماء اتفقوا على عصمة الأنبياء من تعمد الكبائر قبل الوحي وبعده، وتنازعوا هل تقع منهم بعض الصغائر مع التوبة منها أو لا تقع بحال، فقال كثير من المتكلمين من الشيعة والمعتزلة وبعض أهل الحديث من أهل السنة منهم ابن السبكي وغيره لا تقع منهم الصغيرة بحال لا قبل النبوة ولا بعدها، زادت الشيعة لا يمكن وقوعها منهم خطأ ولا عمدا، والصحيح عند السلف وجمهور أهل الفقه والحديث والتفسير لا تقع الصغائر منهم عمدا. واتفقوا على وقوعها منهم سهوا وخطأ. كما نقله السعد التفتازاني في حاشيته على الكشاف [٣]إلا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة فلا يجوز عليهم، واشترط جمع من المحققين أن ينبهوا على ما فعلوه سهوا فينتهوا عنه، وقال قوم من علماء أهل السنة من أهل الحديث من أصحاب الأشعري وغيرهم وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تقع منهم بعض الصغائر مع التوبة منها والله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإذا ابتلي بعض الأكابر بما يتوب منه فذلك لكمال النهاية لا لنقص البداية، كما قال بعضهم لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه، وفي الأثر أن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وأن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، يعني أن السيئة يذكرها ويتوب منها فيدخله ذلك الجنة، والحسنة يعجب بها ويستكبر فيدخله ذلك النار» [١]

والإمام الحداد يقرر هذه العصمة حيث يقول رضي الله عنه : «وقد ثبتت المؤاخذة لجماعة من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على أمور صدرت منهم، من ذلك ما حل بآدم صلى الله

---

(١) الزبيدي: تاج العروس، ٣٣/١٠٠.

(٢) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م، ص١٢٤.

(٣) حاشية سعد الدين التفتازاني على تفسير الكشاف للزمخشري هي في موقع مخطوطات جامعة لا يبزك الألمانية بخط فارسي جميل جدا وواضح، وهي ٥٧٣ صفحات .

(١) سليمان: سليمان بن عبد الله بن محمد، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٣٤١.

على نبينا وعليه وسلم حين صدرت منه تلك النظرة أو الخطرة وبسليمان صلى الله على نبينا وعليه وسلم حين وقع منه ذلك الميل، الذي لم يظهر عليه من العمل به ولا ذرة.
فجمهور المحققين قائلون بعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الكبائر والصغائر. والذي وقع من بعضهم إنما وقع على سبيل الخطأ والنسيان» (١)

وقال الإمام الحداد: «وحسبك أن رسول الله ﷺ كان مع عصمته وكماله المطلق يتوب إلى الله تعالى ويستغفره في كل يوم أكثر من سبعين مرة» (٢) ويرى الإمام الحداد أن عدم عصمة الولي حتى لا يقارن بالنبي ويستشعر أنه عبد مذنب قال: «وإنما قالوا بجواز صدور أمثال ذلك (أي الصغائر) عن الولي، احترازا من مشاركة الأولياء للأنبياء في العصمة التي لا يجوز معها صدور الذنوب بحال» (٣) ويصف الإمام الحداد المعاصي بالنجاسة لا تليق بحضرة النبوة قال: «اعلم أن المعاصي أقذار وأرجاس، وأوساخ وأدناس؛ قد عصم الله منها رسله وأنبياءه» (٤) قلت فالعصمة للأنبياء من الكبائر والصغائر كما يقتضيه كلام الإمام الحداد وكما قاله الإمام أبوحنيفة -رحمه الله-: «والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر» (٥) وقد تكلم الإمام الحداد عن الستر بلسان النبوة وجعله عصمة، والستر بلسان الولاية وجعله حفظا قال رضي الله عنه: «وأشرف أنواع المغفرة أن يجعل الله بين العبد سترا من الذنوب حاجزا بينه وبينها حتى لا يقع في شيء منها، ويسمى هذا الستر بلسان النبوة: عصمة وبلسان الولاية: حفظا، وإليه يرجع معنى قوله تعالى لسيد المعصومين عليه افضل الصلاة والسلام: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٢)

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص ١٤.
(٢) الحداد: رسالة المعاونة، ص١٥٦.
(٣) الحداد: النفائس العلوية، ص١٧٢.
(٤) الحداد: الدعوة التامة، ص٢٣٥.
(٥) أبو حنيفة: (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس) ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص٣٧.
(١) سورة محمد: الآية ١٩
(٢) سورة الفتح: الآية ٢

ومن المعلوم أن الذنب لا يصدر منه ولكن ذكره نعمته عليه بعصمته مما يبعده منه، وأمره أن يدعو بذلك، فإن الدعاء في هذا الموطن يرجع إلى الشكر، والشكر سبب المزيد ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(١)] والله أعلم)) [(٢)].

ثانيا: الصدق

الصدق في اللغة ضد الكذب وفي الاصطلاح مطابقة الكلام للواقع [(٣)] والدليل على إثبات الصدق للرسل من جهة النقل الكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقوله تعالى في حق نبينا ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[(٤)] وقوله تعالى﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾[(٥)] وقوله تعالى﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [(٦)] والسنة قوله: ﷺ ((ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا)) [(٧)] وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون على وجوب صدق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام. [(٨)]

وقد أيد الله رسله بالصدق وعصمهم من الكذب ونزههم من كل نقص قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((فقوله ﷺ، الصدق الفصل المنزه عن كل ما يخالط أقوال الآدميين من كذب وغيره، قال الله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[(١)] وأفعاله ﷺ، منزهة ومهذبة عن كل نقص يعرض لأفعال الإنسان، لأنه قد أيد بالعصمة واختص بالوحي الإلهي فهو إنما يقول ويفعل عن الأمر الرباني)) [(٢)] كما أيد الله رسله بالصدق فقد أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم قال الإمام الحداد رضي الله عنه

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧

(٢) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٤٧-٤٨.

(٣) الزبيدي: تاج العروس، ٢٦/٥.

(٤) سورة النجم: الآية ٣

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٨

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٢٢

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الشجاعة في الحرب والجبن، رقم الحديث ٢٨٢١، ٢٣/٢.

(٨) السنوسي: تهذيب شرح السنوسية، ص١٠٨.

(١) سورة النجم: الآية ٣

(٢) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٨٧.

وأحوال أرباب الرسالات والذي *** به أيدوا من معجزات جليلة(١)

والمعجزة خاصة بالأنبياء هي أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله سبحانه.

والكرامة خاصة بالأولياء وتعريفها بأنها ظهور أمر خارق للعادة، من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة(٢). قال الإمام الحداد:((للأنبياء معجزات، وللأولياء كرامات، هي من بركات النبي أو الأنبياء، ولا ينبغي أن يقال أكثر من ذلك، ولم يذكر عن ولي في كرامته أنه أشبع أناسا كثيرا من طعام قليل كما جاء معجزة)) (٣)

قلت من خلال كلام الإمام الحداد نستطيع أن نفرق بين المعجزة والكرامة من خلال الآتي:

١- تختلف المعجزة عن الكرامة في أن المعجزة تكون مقرونة بدعوى النبوة، بخلاف الكرامة، فإن صاحبها لا يدعي النبوة، ولو ادعاها لسقطت عنه ولايته، ولم يجر الله على يديه أي كرامة.

٢- الولي إنما تحصل له الكرامة باتباعه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاستقامة على شرعه، فكل كرامة في حقه هي دليل على صدق النبي، ولولا اتباعه للنبي ما حصلت له الكرامة.

٣- الكرامة تظل أحيانا محكومة بعوامل الزمان والمكان، فما كان في زمن كرامة لا يكون في زمن آخر، فإيتاء مريم عليها السلام ثمر الشتاء والصيف لا يعد كرامة اليوم في كثير من البلاد، وكذلك وصول صوت عمر رضي الله تعالى عنه لسارية لم يعد كرامة في عصرنا بعد تقدم التكنولوجيا ووسائل الاتصالات، بخلاف المعجزة فإنها تظل على مدى الأزمان.

٤- الولاية تترتب على الإيمان الذي في القلب ولا يعلمه إلا الله تعالى فالكرامة تمنح ولا تطلب، بخلاف المعجزة.

٥- الأولياء دون الأنبياء والمرسلين، كما أنهم لا يبلغون درجاتهم في الثواب والفضيلة، ولكن قد يشاركونهم في بعضها.

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١١٤.

(٢) القنوجي: أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ، ص١٠٣.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/١٤٧.

٦- إن كرامات الأولياء معتادة من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر وانقلاب العصا حية، وخروج الناقة من آياتهم الكبرى؛

قال تعالى ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ (١) كبرى مختصة بهم، أما الآيات الصغرى، فقد تكون للصالحين، مثل: تكثير الطعام، فقد وجد لغير واحد من الصالحين، لكن لم يكن كما وجد للنبي صلى الله عليه وسلم أطعم الجيش من شيء يسير، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلونهم في قدره.

ثالثا: التبليغ

ومعنى التبليغ هو الإبلاغ والإيصال، إلا أن التبليغ يلاحظ فيه الكثرة في المبلغ، وفي أصل الفعل أيضا على ما يظهر من قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (٢)
ومن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (٣) اهـ (٤)ومعنى التبليغ أي ما أمروا بتبليغه للخلق والدليل على وجوب التبليغ من النقل الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقد قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (٥) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾(٦)، وقال تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ (٧)، والسنة قوله ﷺ: «ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع» (١)وقد أجمع السلف على أن الأنبياء لم يكتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق لا عمدا ولا نسيانا. (٢)
ويؤكد الإمام الحداد على أن الأنبياء من واجبهم التبليغ قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

---

(١) سورة النازعات: الآية ٢٠

(٢) سورة العنكبوت: الآية ١٨

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٧

(٤) الجرجاني: الكليات، ٣٣/١.

(٥) سورة المائدة: الآية ٣

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٦

(٧) سورة الذاريات: الآية ٥٤

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الخطبة أيام منى، رقم الحديث ١٧٤١، ١٧٦/٢.

(٢) السنوسي: تهذيب شرح السنوسية، ص١١١.

((ويسأل الله تعالى المرسلين عن تبليغ الرسالة إلى أممهم ويسأل الأمم: هل بلغهم المرسلون ما أرسلوا به إليهم؟ قال الله تعالى:

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [١] اهـ)) [٢] قال الإمام الحداد

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ أَحْمَداً *** إِلَى الخَلْقِ طُرّاً بِالْهُدَى وَالبَصَائِرِ

فبلغ أمر الله تبـليغ صادق *** أمين شفيق واسع الصدر صابر[٣]

فوظيفة الأنبياء البلاغ، والهداية ليست بأيديهم ويمكن أن نقسم الهداية على نوعين:

الأول: هداية توفيق وإلهام، وهذه لا يقدر عليها إلا الله تعالى، فقد نفاها عن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأثبتها لنفسه. قال تعالى﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٤]

الثاني: هداية إرشاد وبيان، وهذا النوع ليس خاصاً بالله تعالى، فقد وصف به النبي صلى الله عليه واله وسلم في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٥] ووصف به الأنبياء وأتباعهم من العلماء والدعاة في قوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[٦] والإمام الحداد يقرر أن هداية الأنبياء هداية رحمة وبيان إذ قالرضي الله عنه: ((رحمةٌ تطلبك، ورحمةٌ تطلبها فالتي تطلبك: رحمة الهداية بالبيان. ولأجلها كان إرسال الرُّسل وإنزال الكتب. والتي تطلبها: هي الجنة، تسعى لها بالعمل الصالح، على قانون العلم النافع)) [١] وقال والإمام الحداد رضي الله عنه: ((جاءت الأنبياء، وعرّفوا الناس التوحيد وثمراته، وقد يدرك بالعقل الخالق للأكوان، ولكن لم يهتدوا إليه إلا بتعريف الأنبياء)) [٢] ومما لفت نظري أثناء بحثي أنني وجدت الإمام الحداد دائما حينما يصف النبي ﷺ يصفه بنبي الهدى كما قال:

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٦

(٢) الحداد: سبيل الإدكار، ص٩٤.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٧٠.

(٤) سورة القصص: الآية ٥٦

(٥) سورة الشورى: الآية ٥٢

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٧٣

(١) الحداد: كتاب الحكم، ص١٨.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ١١٦.

نَزَلْنَا بِخَيرِ الــعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ *** نبي الهُدَى بَحْرِ النَّدَى سَيِّدِ العُرْبِ(١)

وقال: نبي الهُدَى مَنْ عَظَّمَ اللهُ شَأْنَهُ *** وأَيَّــدَهُ بِالــفَتْحِ مِنْهُ وَبِالنَّـــصْرِ(٢)

وهكذا فصلى الله وسلم على نبي الهدى والدلالة كما خاطب الأنصار بقوله: ((يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي)) (٣)

رابعا: الفطانة

الفطانة، بالكسر: الحذق، وضده الغباوة والفطانة: الفهم والذكاء سرعته. وقيل: الفهم بطريق الفيض وبدون اكتساب وقيل: الفطانة جودة استعداد الذهن لإدراك ما يرد عليه من الغير(٤). فلا يجوز أن يكون الرسول مغفلا أو بليدا أو أبلها، لأنهم قد أرسلوا لإقامة الحجة وإبطال شبه المجادلين ولا يكون ذلك من مغفل ولا أبله ولا بليد. ولأننا مأمورون بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم والمقتدى به لا يكون بليدا. ولأن البلادة صفة نقص تخل بمنصبهم الشريف. وفي الغالب أن البعثة تكون في سن الأربعين حيث يكتمل نمو العقل ولكنه

لم يثبت دليل أن الأنبياء بعثوا بعد الأربعين إلا أن الأنبياء في الغالب يبعثون في سن الأربعين يقول ابن كثير- رحمه الله – في تفسيره: ((ابن الأربعين لا يتغير غالبا عما يكون عليه وفي الأربعين يتناهى العقل ويكمل الفهم والحلم وتقوى الحجة وليس أدل على ذلك من أن الأنبياء بعثوا إلى أقوامهم بالرسالة بعد بلوغهم الأربعين، فقد بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا وقد اجتمعت حنكته وتمام عقله)) (١) قال تعالى كما في قصة نبي الله موسى عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٢)فإنه قرن بلوغ الأشد بالاستواء وهو أن يجتمع أمره وقوته وتكتمل وينتهي شبابه وقالوا إن الأنبياء في الغالب يبعثون في سن الأربعين، ولكن منهم من بعث بعد الأربعين ومنهم قبل مثل نبي الله يوسف عليه السلام يقول

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٦٦.

(٢) المرجع السابق: ص٢١١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب غزوة الطائف، رقم الحديث ٤٣٣٠، ٥/١٥٧.

(٤) الزبيدي: تاج العروس، ٣٥/٥١٠.

(١) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٧/٢٨٠.

(٢) سورة القصص: الآية ١٤

الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا ﴾ (١) اختلف في مقدار المدة التي بلغ فيها أشده، فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة رضي الله عنهم: ثلاث وثلاثون سنة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: بضع وثلاثون. وقال الضحاك: عشرون، وقال الحسن: أربعون سنة. وقال عكرمة: خمس وعشرون سنة. وقال السدي: ثلاثون سنة. وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: ثماني عشرة سنة. وقال الإمام مالك وربيعة بن زيد بن أسلم والشعبي: الأشد الحلم، وقيل غير ذلك» (٢) يقول الإمام الحداد رضي الله عنه في بيان معنى الآيتين:

«أن أكثر الأنبياء يوحى إليهم بعد بلوغ سن الرشد وهو الأربعون إلا بعض منهم وأكثر الأنبياء لم يرسل إلا بعد بلوغ الأشد والاستواء إلا ثلاثة، عيس ويحيى، وأوحي إلى يوسف بعد بلوغ الأشد وهو اثنان وعشرون وقبل الاستواء وهو الأربعون، فلذلك قال تعالى في حق يوسف: (ولما بلغ أشده) ولم يقل واستوى وقال ذلك (أي الاستواء) في حق موسى عليهما السلام» (٣)

(١) سورة يوسف: الآية ٢٢

(٢) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٣٧٨/٤.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٩١/١.

المطلب الخامس: مباحث عقدية متعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

أولا: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون الغيب:

لا يعلم الغيب إلا الله والأنبياء يطلعهم الله على بعض الغيب كما قال تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [(١)] وقال تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [(٢)] قال الإمام الحداد ﷺ: ((فانظر حال سليمان عليه السلام، وما أعطي من الوحي والنبوة، ما علم الحال من هذا، حتى سأله عنه، ليعلم أن علم الغيب مختص بالله تعالى، ومن ادعى أنه يعلم الغيب، يكذبه الله تعالى لأنه ادعى شيئا لم يدعه الأنبياء)) [(٣)]، وكذلك يطلع الله من شاء من أوليائه على بعض الأمور الغيبية كما أطلع أم موسى قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [(٤)] ومريم وغيرهن كثير وشواهد ذلك من القرآن وهذا ما يقرره الإمام الحداد ﷺ إذ يقول: ((الأنبياء يعلمون الغيب من أكثر الوجوه، والأولياء يعلمونه من بعض الوجوه، ولا يعلم الغيب كله إلا الله ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [(١)] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [(٢)])) [(٣)]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥

(٢) سورة الجن: الآية ٢٦ – ٢٧

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٢٢٠.

(٤) سورة القصص: الآية ٧

(١) سورة النمل: الآية ٦٥

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٨

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٣٠.

ثانيا: مسألة تفضيل بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على بعض:

تفضيل الأنبياء عليهم السلام بعضهم على بعض: أمر منصوص عليه، ذكره الله تعالى في كتابه، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنته قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [(١)]وأما ما ورد في السنة من النهي عن تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض، أو من النهي عن تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مثل الحديث الصحيح «لا تخيروا بين الأنبياء» [(٢)] يقول الإمام علي الهروي- رحمه الله-: في شرحه للحديث (أي: لا تقدموا على ذلك بأهوائكم وآرائكم، بل مما آتاكم الله من البيان، وعلى هذا النحو قوله – صلى الله عليه وسلم: «ولا أقول إن أحدا خير من يونس بن متى» [(٣)] أي: لا أقول من تلقاء نفسي، ولا أفضل أحدا عليه من حيث النبوة والرسالة، فإن شأنهما لا يختلف باختلاف الأشخاص، بل نقول:
كل من أكرم بالنبوة، فإنهم سواء فيما جاءوا به عن الله، وإن اختلفت مراتبهم، ومن اكرم بالرسالة وإليه الإشارة بقوله ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [(٢)]أنتهى كلامه» [(١)]

والإمام الحداد يقرر أن ذكر تفضيل الأنبياء عند العوام من فضول الكلام لما يترتب عليه من من سوء الفهم لديهم يقول الإمام الحداد: «وبيقين: إن الأنبياء والأولياء بعضهم أفضل من بعض، ولكن من الذي يعرف ذلك، وإذا وزن بعض الفضائل ببعض عرف الأفضل، ولكن في ذلك فضول ولا حاجة إليه، وإن دعت حاجة إلى ذلك ينظر بقدرها، كما دعت العلماء الحاجة في أمور العقائد بسبب المعتزلة إلى تأويل وتفضيل، وإلا فلولا ذلك لكان بعدما يحرز معتقده ودينه، ما عليه إلا العمل» [(٣)]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٣

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب، رقم الحديث ٦٩١٦، ١٣/٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: (وإن يونس لمن المرسلين)، رقم الحديث ٣٤١٥، ١٥٩/٤.

(١) الهروي: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٦٤٥/٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٨٥

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٧٤/٢.

ثالثا: الخلاف في الذبيح نبي الله إسماعيل أم نبي الله إسحاق عليهما السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١)

قال الإمام الرازي –رحمه الله – في تفسيره: ((اختلفوا في أن هذا الذبيح من هو؟ فقيل إنه إسحاق وهذا قول عمر وعلي والعباس بن عبد المطلب وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهري والسدي ومقاتل رضي الله عنهم، وقيل إنه إسماعيل وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبي، وذكر أدلة كل فريق)) (٢)والخلاصة أن المسألة فيها خلاف قال الإمام الزجاج –رحمه الله –: ((الله أعلم أيهما الذبيح، واعلم أنه يتفرع على ما ذكرنا اختلافهم في موضع الذبح فالذين قالوا الذبيح هو إسماعيل قالوا كان الذبح بمنى، والذين قالوا إنه إسحاق قالوا هو بالشام وقيل ببيت المقدس، والله أعلم)) (٣) والأكثر أن الذبيح هو إسماعيل وإليه أميل.

والإمام الحداد يقرر أن نبي الله أسماعيل أكبر من أخيه نبي الله إسحاق وأنه هو الذبيح خلافا لأهل الكتاب القائلين أن الذبيح هو نبي الله إسحاق ويؤيد الإمام الحداد كلامه بالحجج والبراهين إذ يقول ﷺ: ((إن الله تعالى إذا ذكره (أي إسحاق) وذكر إسماعيل، قدم إسماعيل ثم ذكر إسحاق بعده، لأن إسماعيل هو الأكبر وإن ذكر إسحاق أولا أفرده، (ولم يذكر معه إسماعيل) ، وقد استبعد أهل العلم كون الذبيح إسحاق، لأنه منقول عن أهل الكتاب أرادوا ذلك لكون إسحاق جدهم، ومآثر الذبح إنما هي في الحرمين، والحاضر هناك إذ ذاك إسماعيل، وإسحاق كان في الشام، وكان إبراهيم عليه السلام يجيئهم زائرا في خفية عن سارة فإن لم يتفق بإسماعيل أوصى زوجته له بالسلام، ويوصيها بكلام تبلغه إليه)) (١)

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٢

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب، ٣٤٦/٢٦.

(٣) المرجع السابق: ٢٦/ ٣٤٨.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٥٧/٢ .

رابعا: طلب الأنبياء عليهم السلام الموت على الإسلام:

وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده بوصف عظيم ينبغي أن يتصف المسلم به، ويسأل من الله أن يعطيه ذلك وهو الموت على الإسلام، فإذا كان هذا طلب الأنبياء مع عصمتهم فكيف بمن وصفه النقص والذنب، والإمام الحداد يقرر ذلك فيقول رضي الله عنه: ((ولا يزال (أي العبد) داعيا متضرعا وسائلا من الله أن يتوفاه مسلما، وبذلك وصف الله الأنبياء والصالحين من عباده فقال مخبرا عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام:﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [(١)]وعن السحرة حين آمنوا فتوعدهم فرعون بالعقوبة: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [(٢)]وحكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام الوصية بالموت على الإسلام فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[(١)]ولا شك أن الأنبياء والأولياء أعرف بالله وبكرمه العظيم ورحمته الواسعة من غيرهم)) [(٢)]

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢٦

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٢

(٢) الحداد: النصائح الدينية والوصايا الإيمانية، ص٣٣وص٧٧.

المبحث الثالث

منهج الإمام الحداد في الكلام على نبوة نبينا محمد ﷺ وآل البيت والصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الأول: نبوة نبينا محمد ﷺ:

تكلم الإمام الحداد على نبوة نبينا محمد ﷺ بكلام قل أن تجد مثله ووصفه شعرا ونثرا بوصف حير البلغاء والشعراء، فقال: «الحمد لله الواحد الجواد الوهاب الرزاق الحنان المنان، الذي بعث محمدا خاتم أنبيائه ﷺبرسالته إلى جميع الإنس والجان، وأنزل عليه القرآن، فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وشرع له ولأمته ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى، وفضل دينه على سائر الأديان، وجعله أكرم خلقه عليه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الإثم والعدوان، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويتواصون بالحق والصبر، ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم من أهل الزيغ والخذلان، إمام الأئمة الذي أرسله الله للعالمين رحمة، عبد الله ورسوله وحبيبه وخليله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم في كل حين وأوان، صلاة وسلاما دائمين بدوام الله الملك الديان» [(١)] وسوف نتحدث عن بعض المباحث العقدية المتعلقة بالمطلب وهي:

أولا: نبينا محمد ﷺ ناسخ شرائع من قبله وخاتم النبيين:

ذكرنا فيما سبق نسخ الشرائع وأن شريعة نبينا محمد ﷺ ناسخة لما قلبها من الشرائع وأن الله لا يقبل غيرها كما قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [(٢)]

قال الشافعي -رحمه الله-: «وأنه سبحانه وتعالى، فتح به ﷺرحمته، وختم به نبوته» [(١)] فقال عز وجل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [(٢)]

---

(١) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص١٢-١٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥

قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

به ختم الله النبوة وابتدا *** فلله من ختم به وبداية(٣)

فهو خاتم النبيين كما جاء عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إني عبد الله، وخاتم النبيين، وأبي منجدل في طينته... الحديث)) (٤) قال الحسن: ((الخاتم هو الذي ختم به والمعنى ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده ولا معه، قال ابن عباس رضي الله عنه يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا، وعنه أن الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا، وعيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وحين ينزل، ينزل عاملا على شريعة محمد ﷺ كأنه بعض أمته)) (١)

قال الإمام النووي —رحمه الله —: ((خاتم النبيين بقوله ﷺ لا نبي بعدي وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ)) (٢)

قال الإمام الحداد رضي الله عنه : ((وقعت الفترة بعد عيسى عليه السلام، إلى أن بعث الله عبده ورسوله محمدا ﷺ سيد ولد آدم بالقرآن والشريعة الجامعة الناسخة لما تقدمها من الشرائع، فكفرت به اليهود والنصارى، وكذبوه إلا من شاء الله منهم.

وجعله كمالها وتمامها، كما قد جعل به ابتداءها وافتتاحها جعل به انتهاءها وختامها، فليس بعده نبي ولا رسول جعل بفضله وجميل طوله وامتنانه من علماء أمته الذين هم من ورثته وخلفائه وحملة شريعته، والأهم في دينه، من يشبه أنبياء بني إسرائيل من بعض الوجوه أو من أكثرها وإن كانت النبوة لا سبيل إليها، ولا مطمع فيها بعد رسول الله ﷺ بحال، والسبيل إليها مسدود وأيضا فالاكتساب والاجتهاد لا يوصل إليها، ولا تنال به ولا في الوقت الممكن

---

(١) الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي المكي، تفسير الإمام الشافعي، تحقيق. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراه)، ، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م، ١٢٠١/٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٠

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١١٢.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث ٣٥٦٦، ٤٥٣/٢.

(١) المباركفوري: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ٥١/٩.

(٢) النووي: شرح النووي على صحيح مسلم، ٧٥/١٨.

وقوعها فيه، وذلك من قبل بعث محمد صلوات الله عليه وسلامه، وقد ختم النبوة والرسالة به» [(١)] ويقرر الإمام الحداد رضي الله عنه أن أسرار النبوة أغلق بابها بموت النبي ﷺ فلا يدعيها أحد حيث يقول الإمام الحداد: «وأسرار النبوة ولطائف معانيها وخواص مداركها يعسر إدراكها من كل الأوجه، إلا على من أقيم فيها وقد أغلق بابها بموت رسول الله ﷺ، والفهم بحر واسع وكل يسبح فيه على قدر نصيبه، وما قسم له من ربه، وفقنا الله تعالى وإياكم لإصابة الصواب في جميع الأحوال» [(٢)]

ومن أعظم علامات نبوته ﷺ تأييده بالمعجزات قال الإمام ابن حجر –رحمه الله– «المعجزة والكرامة الفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي من يكذبه بأن يقول إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق أو يقول من يتحداه لا أصدقك حتى تفعل كذا ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها والهاء فيها للمبالغة أو هي صفة محذوف، وأشهر معجزات النبي ﷺ القرآن، لأنه ﷺ تحدى به العرب وهم أفصح الناس لسانا وأشدهم اقتدارا على الكلام بأن يأتوا بسورة مثله فعجزوا مع شدة عداوتهم له وصدهم عنه» [(١)] قال الإمام الحداد في معجزاته ﷺ

وَبِالْمُعَجْزَاتِ الظَاهِرَاتِ التِّي نمت *** عَلَى القَطْرِ عدَّاً بَعْد مَا كَلَّ مَنْ نُبِّي

وآتَاهُ قُــرْآنَاً بِهِ أَعْـــجَزَ الـوَرَى *** جَمِيـعاً عَلَى التَأْيِيدِ يَا لَكَ مِنْ غَلْبِ [(٢)]

وقال في تأييد الله له وما خصه به:

وَأَيَّدَهُ بِالْوَحْيِ وَالنَّصْرِ وَالـصَّبَا *** وَأَمْــلاَكِهِ وَالُمؤْمِــنِينَ وَبالرُّعْبِ [(٣)]

وقال أيضا وأيَّدَهُ بِالآيَاتِ مِنْ كُلِّ مُـعْجِزٍ*** وَبُرْهَانِ صِـــدْقٍ قَاطِعٍ لِلْمعَاذِرِ

وآيَاتُهُ مَشْـــهُودَةٌ وشَـــهِـــيرَةٌ *** وظَـــاهِرَةٌ مَا بَيْنَ بَـــادٍ وَحَاضِرِ

لَهُ آَيَةُ الِمعْرَاجِ وَهْي عَـظِيمَةٌ *** وَكَمْ آَيَةٍ لَمْ يُحْصِهَا حَـصْرُ حَاصِرِ

---

(١) الحداد: الدعوة التامة، ص٢٤.

(٢) الحداد: النفائس العلوية، ص٨٩.

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٥٨٣/٦.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٦٧.

(٣) المرجع السابق: ص ٦٧.

وَدَعْوَتُهُ عَـمَّ الإِلهُ بِحُـــكْمَها *** جَمِـيعَ الـبَرَايَا مِنْ قَـدِيمٍ وَآخِرِ
وَمُعْجِزَةُ القُرْآنِ فِي عُظْمِ شأْنِهَا *** مُـــؤَبَّدَةٌ حَـــتَّى قِيَامِ المحَـاشِرِ
وَأَقْسَمَ رَبُّ الـعَالَمِينَ بِعَـمْرِهِ *** فَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ مَالِكِ المُلْكِ قَادِرِ
وَخُلْقٌ لَهُ أَثْنَى العَـظِيمُ بِعُظْمِهِ*** عَلَيْهِ فَكَانَتْ مَـرْكَزاً لِلْمـــفَاخِرِ
وَفِي الحَشْرِ حَوْضٌ وَاللِّواَ وَقِيَامُهُ*** لِفَصْلِ القَضَا بَعْدَ اعْتِذَارِ الأَكَابِرِ
فَيَشْفَعُ مَقْبُولُ الشَفَاعَةِ وَالوَرَى***بِجُمْلَتِهِمْ مَا بَيْنَ بِـــاكٍ وَحَـائِرِ[1]

كما خصه ﷺ بالخلق الحسن واثنى على خلقه في كتابه، وإن الدارس لحياة النبي ﷺ والمطلع على تلك الأخلاق التي كان يتخلق بها ليؤمن تمام الإيمان ويذعن حقيقة الإذعان، بأنه عليه الصلاة والسلام هو رسول من عند الله تعالى قد أحاطه بالعصمة ورعاه بعين رعايته، ليقدمه للناس بشرا كاملا، ورسولا مبلغا، وإنسانا فذاً تتحقق فيه كل صفات الرجولة والكمال قال تعالى في حقه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] فهو رحمة مهداة للعالمين صادقا أمينا تعامل مع أعدائه بأخلاقه فغلبهم وهم مقهورون على ذلك، كما قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

نبي عَظِيمٌ خُلْقُهُ الخُلـقُ الَّذِى *** لَهُ عَـظَّمَ الرَّحْمَنُ في سَـيِّدِ الْكُتْبِ[3]
كَرِيمٌ حَلِيمٌ شَأْنُهُ الجُودُ وَالوَفَا *** يُرَجَّى لِكَشْفِ الضُرِّ وَالْبُؤْسِ وَالْكَرْبِ
وَخُلْقٌ لَهُ أَثْنَى العَظِيمُ بِعُظْمِهِ *** عَــلَيْهِ فَــكَانَتْ مـرْكَزاً لِلْــمَفَاخِرِ
وَأَخلاَقُهُ مَحْمُودَةٌ وَصِـفَاتُهُ *** وأَعْــدَاؤُهُ مَقْـــهُورَةٌ بِالـــدَّوائِرِ[4]

بهذه الأخلاق بلغ الرسالة وهدى الأمة بصفة الرحمة التي أرسله الله بها قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]قال الإمام الحداد في وصف رسالته ﷺ:

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٦٦-٢٦٧.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١

(٢) سورة القلم: الآية ٤

(٣) هذا البيت مكتوب فوق المواجهة النبوية الشريفة .

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٦٧.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

رَحِـيمٌ بَرَاهُ اللهُ لِلْـخَلْقِ رَحْمَةً *** وَأَرْسَـلُهُ يَدْعُو إِلَى الـفَوْزِ وَالْـقُرْبِ
وَأَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ وَالصِدْقِ وَالْهُدَى *** وَبَذْلِ النَّدَى وَالرِفْقِ وَالْمَنْطِقِ العَذْبِ
بِهِ اللهُ أَنْجَانَا مِنَ الشِرْكِ وَالرَّدَى *** وَمِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وَالْجِبْتِ وَالنُّصْبِ
وَأَدْخَـلَنَا فِي خَيْرِ دِينٍ يُـحِـبُّهُ *** وَيَرْضَـاهُ دِينِ الحَـقِّ فَالْحَمْدُ لِلـرَّبِ
لَهُ المِـنَّةُ العُظْمَى عَلَيْنَا بِبَـعْثِهِ *** إِلَـيْنَا وَمِنَّا عَـالِي الذِكْرِ وَالْـكَعْبِ(١)

كما قرر الإمام الحداد أن من مقتضيات العقيدة ومن لوازم الإيمان، الإيمان بأنه عبد الله ورسوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٢) وأنه أرسله إلى الخلق كافة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا ﴾ (٣) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) قال الإمام الحداد في عقيدته: «ونشهد أنَّ محمداً عبد الله ورسوله، أرسله إلى الجنِّ والإنس، والعرب والعجم، بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه ولو كَرِهَ المشركون، وأنه بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة ونَصَحَ الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حقَّ جِهَادِهِ، وأنه صادق أمين، مؤيَّد بالبراهين الصادقة والمعجزات الخارقة؛ وأن الله فرض على العباد تصديقه و طاعته و اتِّبَاعَه، و أنه لا يقبل إيمان عبد و إن آمن به سبحانه حتَّى يؤمن بمحمد صلَّى الله عليه وسلَّم،
و بجميع ما جاء به وأخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة والبرزخ» (٢)

وقال الإمام الحداد في بيان بلاغه ﷺ:

أَبَانَ كِـتَابُ الـلهِ فِيمَا أَبَـانَ عَـنْ *** مَسَالِكِ فِـقْهٍ وَاعْتَـبارٍ وَعِـبْرَةِ
وَأَحْوَالِ مَنْ يَأتِي وَأَحْوَالِ مَنْ مَضَى *** وَأَنْبَاءِ تَرْغِـيبٍ وَأَنْبَـاءِ رَهْبَـةِ
وَمَنْشُورِ أَحْكَامٍ وَمـأْثُورِ حِكْـمَةٍ *** وَمَسْـتُورِ أَسـرَارِ الْعُلُومِ الدَقِيقَةِ
وَعَنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُهُ الخَـلْقُ كُلـهُمْ *** بِدِينٍ وَدُنْيَا فِي اجْتَـمَاعٍ وَوَحْـدَةِ
وَشَـرْحِ الصِّرَاطِ الْمُسـتَقِيمِ وَحَثِّهِمْ *** عَلَيْهِ وَأَحْـوَالِ المَعَـادِ وَرَجْـعَةِ

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٦٦.
(٢) سورة الفرقان: الآية ١
(٣) سورة سبأ: الآية ٢٨
(١) سورة الصف: الآية ٩
(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص٤١٥.

وَعَنْ كُـلِّ فَرْضٍ أَوْجَبَ اللهُ فِـعْلَهُ *** وَكُـلِّ حَـلاَلٍ أَمـرُهُ بِالـسَّوِيَّـةِ
وَكُـلِّ حَـرَامٍ أَوْجَبَ اللـهُ تَـرْكَهُ *** وَمَا حَالُهُ الإِشْكَالُ مِنْ شَأْنِ شُبْهَةِ
وَحِـفْظِ قَوَانِينِ المـعَاشِ وَمَا بِهَا الْ*** قَوَامُ وَضَبْطِ الْكُلِّ تَـحْتَ السِّيَاسَةِ
وأحوالِ أربابِ الرِّسالاتِ والـذي *** به أُيِّـدُوا من مُعجِـزَاتٍ جـليلةِ
وَأَحْوَالِ مَنْ رَدَّ الهُدَى فَتَعَجـَّلَتْ *** لَهُ قَـبْلَ الحَشـْرِ بَعْضُ الـعُقُوبَةِ
ومَعرفَةِ الـذَّاتِ العَليِّ عـلاؤُهَا *** بما لا خَـفَا فيه على ذِي بَصـيرَةِ
وَمَعْرِفَةِ الأَوْصَافِ فِي عَظْمِ شَأْنِهَا *** وَجُمـلَةُ أَوْصَـافِ الإلهِ عـظيمَةِ
وَمَعْرِفَةِ الأَفْعـَالِ وَهْيَ فَسِيـحَةٌ *** وَفِـيهَا مَـجَالٌ وَاتِّسـاعٌ لِـفِكْرَة
سَـمَاءٌ وَأَرْضٌ وَالجِـبَالُ وَأَبْـحُرٌ *** وَرِيحٌ وَنَبْـتٌ وَالسَـحَابُ المـظِلَّةِ
وَعَـرْشٌ وكرسي وَشَمْسٌ وَظُلْمَةٌ *** وَنُورٌ وَأَمْـلاَكُ الـطِّبَاقِ الرَّفِـيعَةِ
وَجِنٌ وَإِنْـسٌ وَالجَمدَاتُ كُلُّهَا *** وَطَـيْرٌ وَأَسْـمَاكٌ وَكُـلُّ بَـهِيـمَةِ
وَكَمْ غَيْرِ هَذَا وَالـجـمَيعُ مُسَبِّحٌ *** لِـخـَالِقِه سُبْـحَانَ رَبِّ الـبَرِيَّةِ(١)

وقال في شأن حمده وعبوديته وزهده

مُحَمَّدٌ المحْمُودُ فِي الأَرَّضِ والسـماء *** بِأَوْصَـافِ حَمْدٍ طَيِّـبٍ مُتَكَاثِرِ
وَأَحْمَـدُهُمْ لِلهِ فِي كُـلِّ مَـوطِنٍ *** وَأَشْـكَرُهُمْ فِي يُـسْرِهِ وَالمعَاسِرِ
وَأَعْـلَمُ خَـلْقِ اللهِ بِاللـهِ ربِّـهِ *** وَأَخْـشَاهُمُ للهِ مِنْ غَيـْرِ نَاكِرِ
وَأَطْـوَعُهُمْ للـهِ أَعْبَـدُهُمْ لَهُ *** وَأَقْوَمـهُمْ بِالحَقِّ بَيْنَ الـعَشَائِرِ
هُو الْقَائِمُ السَّجَّادُ فِي غَسَقِ الدُّجَى *** فَسَلْ وَرَمَ الأَقْدامِ عَنْ خيْرِ صَابِرِ
هُوَ الزَّاهِدُ الْملْقِي لِـدُنْيَاهُ خَـلْفَهُ *** هُوَ الْمـجْتَزِي مِنْهَا بِزَادِ المسَافِرِ
وَبَاذِلُـهَا جُـوْداً بِـهَا وَسَمَـاحَةً *** بَكَفٍّ نَدَاهَا كَالسَّحَابِ المواطِرِ
ورَدَّ مَفَاتِـيحَ الـكـنُوزِ زَهَـادَةً *** وَمَا مَـالَ لِلدُّنْيَا الغَرُورِ بـخـاطِرِ
وَمِنْ سَغَبٍ شدَّ الحَـجَارَةَ طَـاوِياً *** لأَحْشَـائِهِ الطِّـيبَاتِ الـضَّوَامِرِ(٢)

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١١٤-١١٥.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٦٥.

وفال في شأن دعوته وجهاده:

فَحَمْداً لـرَبِّ خَـصَّنَا بِمُحَمَّدٍ*** وَأَخْرَجَنَا مِنْ ظُلْمةٍ وَدَيَـاجِرِ

إلى نُـورِ إسْلاَمٍ وَعِـلْمٍ وَحِكْمةٍ*** وَيـُمْنٍ وَإِيـمَانٍ وَخَيْرِ الأَوَامـرِ

وَطـهَّرَنَا مِنْ رِجْسِ كُـفْرٍ وَخُبْثِه*** إلَى الله بِالحُسْنَى وَخَيْرِ البَشَـائِرِ

فَلَبِيَّ رِجالٌ دَعْوَةَ الحقِّ فَاهْـتَدَوا *** وَنَـالُوا المنُىَ في عَـاجِلٍ وَأَوَخِرِ

وَأَنْكرَ أَقْـوَامٌ وَصَـدُّوا وَأَعْرَضُوا *** فَقَوَّمَهُمْ بِالْـمرْهَفَاتِ البَـوَاتِرِ

وَسَارَ إِلَيْهِمْ بِالجيشوشِ وَبَعْضُهُمْ *** مَلائِـكَةٌ أَعْظِمْ بِهِمْ مِنْ مُؤَازِرِ

وَمَازَالَ يَـغْزُوهُمْ بِـكـُلِّ كَتِـيبَةٍ *** مُكـرَّمَةٍ أَنْصـارُهَا كَالْمُهَاجِرِ

إِلَى أَنْ أَجَابُوْا دَعْوَةَ الحَقِّ وَالهُدَى *** وَأَسْـلَمَ مِـنهُمْ كُـلُّ طَاغٍ وَكَافِرِ

وَأَدْخـلَهُمْ في الدَّينِ قَهْراً وَعُنْـوَةً *** بِحَدِّ المَوَاضِي وَالرِّمَاح الشَّوَاجِرِ

لِسَطْوتِهِ تَخْشَى الُملُوكُ وَتَتَّـقِى *** وَمِنْ بَأسِهِ خَافَتْ كُمَاةُ العَشَائِرِ

تَسِيرُ الصَّبَا وَالرُّعْبُ شَهْراً بِنَـصْرهْ *** تُـزَلْزِلُـهُمْ مِنْ قَـبْلِ غَازٍ وَغَائِرِ

فـرَايَاتُهُ مَـعْقُـودَةٌ وَجُنـُودُهُ *** مُـوَيَّدَةٌ بِالنَّـصْرِ مِن خَيْرِ نَاصِرِ

وَمُقَدَّمِ الرُّسْلِ الـكِرَامِ إِمَـامِهِمْ *** وخِتَـامِهِمْ مِنْ غَـيْرِ مَا إِنْكَـارِ[1]

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٦٦.

المطلب الثاني: مقام السنة في الدين:

السُّنَّة في اللغة: الطَّرِيقَةُ وَالسُّنَّةُ السِّيرَةُ حَسنة كَانَتْ أَوْ قبيحة وَالْجَمْعُ سُنَنٌ(١).

وفي الاصطلاح: تطلق السُّنَّة ويراد بها عدة اصطلاحات وهي:

١- ما يذكره المحدثون في كتبهم: كل ما أُثِر عن النَّبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ.

٢- ما يذكره علماء أصول الفقه: كل ما صدر عن النَّبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ مما يصلح أن يكون دليلاً لحكمٍ شرعي.

٣- ما يذكره الفقهاء في كتبهم: ما في فعله ثوابٌ وفي تركه ملامةٌ وعتابٌ لا عقاب (٢)

قال الإمام الحداد في مفهوم السنة ؓ: ((في قوله ﷺ، الصدق الفصل المنزه عن كل ما يخالط أقوال الآدميين من كذب وغيره قال الله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ (١) وأفعاله ﷺ، منزهة ومهذبة عن كل نقص يعرض لأفعال الإنسان، لأنه قد أيد بالعصمة واختص بالوحي الإلهي فهو إنما يقول ويفعل عن الأمر الرباني فطوبى لمن اقتدى به واهتدى بهديه وعمل بسنته والويل كل الويل لمن حاد عن متابعته وتثاقل عن إجابة دعوته وعمل بخلاف هديه وسنته)) (٢). قال الإمام الحداد ؓ:

وَاحْمَدَ اللهَ إذْ وَفَّقَكْ لِلرُّشُدْ وَ هْدَاكْ *** واتَّبِعْ سُنَّةَ الْهَادي، مُحَمَّدْ وَبُشْرَاكْ(٣)

وقد استعرض الإمام الحداد أدلة الكتاب والسنة التي تقرر وجوب طاعته ﷺ وانها طاعة لله وتقرر أنه أعظم المتبوعين بالإجماع والاتفاق قال الإمام الحداد ؓ : ((واعلم أن من أجل المتبوعين وأكرمهم وأعظمهم، وألزمهم حقاً على كافة المسلمين رسول الله ﷺ، فإنه الإمام الأعظم على الإطلاق، والمتبوع الأكبر بالإجماع والاتفاق. فحقه أعظم الحقوق بعد حق الله، والأدب معه آكد الآداب، وطاعته ألزم الطاعات؛ فإن من أحبه وعظمه فقد أحب الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، قال الله تعالى:

---

(١) الفيومي : المصباح المنير ،٢٩١/١.

(٢) الزهراني: أبو ياسر محمد بن مطر الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٦.

(١) سورة النجم: الآية ٣

(٢) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٨٧.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٤٥ .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[(١)]، وقال تعالى﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾[(٥)]الآية، قال تعالى ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)]، وقال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[(٢)] والآية التي تليها.

وقالﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه)) [(٣)]، وقالﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)) [(٤)] وقالﷺ: ((لو كان موسى وعيسى

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١

(٢) سورة النساء: الآية ٨٠

(٣) سورة الحشر: الآية ٧

(٤) سورة النور: الآية ٦٣

(٥)سورة الفتح: الآية ١٠

(١)سورة الأعراف: الآية ١٥٧

(٢) سورة الحجرات: الآية ٢

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : بلفظ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآنَ يَا عُمَرُ»بَابٌ: كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث ٦٦٣٢، ١٢٩/٨.واما بهاللفظ الذي في النص فقد ورد عند المروزي: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تعظيم قدر الصلاة ،تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، ، الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ، رقم الحديث ٤٦٩، ٤٥٢/١.

(٤) أخرجه النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان — بيروت، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ١١٣.

حيين لم يسعهما إلا اتباعي)) [١] الحديث. وقالﷺ: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله)) [٢] وقالﷺ: ((كلكم يدخل الجنة إلا من أبى؛ فقالوا: ومن يأبى؟ فقال عليه الصلاة والسلام: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)) [٣] وقال عليه الصلاة والسلام: ((من آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أدخله النار)) [٤] اهـ)) [٥] وبهذه الأدلة تعرف أن الله تعالى يريد أن يعرفنا أن هذا النبي ﷺ إنسان كامل قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((لا يقال في النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: إنه انتقل من حالة نقص إلى كمال، بل هو في الكمال في جميع أحواله، ومسيره كله في الكمال، حتى إنه عند ولادته ولد رافعاً بصرَه إلى السماء، وحتى مات في الكمال)) [١] فهو محل قدوة في كل حياته بما فيها من القول والفعل والتقرير، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٢]

والإمام الحداد بين لنا معنى الاقتداء بالرسول ﷺ فقال رضي الله عنه: ((فالاقتداء: الاتباع للرسول ﷺفي أخلاقه وأفعاله وأقواله والتأدب بآدابه ظاهرا وباطنا، فمن أحكم ذلك وأتى به على وجهه مخلصا لله تعالى، فاضت عليه أنوار الاهتداء الذي هو ميراث حسن الاتباع ونتيجة المجاهدة، قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٣]) ... اهـ)) [٤]

فكان الصحابة يقتدون به ﷺ في كل أعماله وعباداته ومعاملاته إلا ما علموا منه أنه خاص به ﷺ، وقد بَلَغَ من اقتدائهم به أنْهم كانوا يفعلون ما يفعل، ويتركون ما يترك دون أن يعلموا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده :بلفظ(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي) رقم الحديث ١٥١٥٦، ٣٤٩/٢٣،واللفظ الذي ذُكر في النص أورده ابن كثير في تفسيره: ، ٦٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، رقم الحديث ٢٩٥٧، ٥٠/٤.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه: باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم الحديث ٧٢٨٠، ٩٢/٩.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: بلفظ(ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه)، باب فيمن سب أصحاب النبيﷺ، رقم الحديث ٣٨٦٢، ٦٩٦/٥.

(٥) الحداد، الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢١٨.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٤٠/١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٦٩

(٤) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ، ص ٧٦.

لذلك سبباً، أو يسألوه عن علَّته أو حكمته، وقد أخرج البخاري عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، ثم نبذه النبي ﷺ وقال: إني لن ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم)) [(١)]

ولقد بلغ حرصهم على تتبعهم لأقواله وأعماله أن كان بعضهم يتناوبون ملازمة مجلسه يوماً بعد يوم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول:

((كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم، وإذا نزل فعل مثل ذلك)) [(٢)] وقد استشعر الصحابة الكرام رضي الله عنهم عظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم لحفظ الشريعة – كتاباً وسنةً – وتطبيقها، ثم تبليغها إلى الأمة أداء للأمانة التي اختيروا لها كما أدَّاها رسول الله ﷺ إليهم. وقد كانوا رضي الله عنهم خير من حمل هذه الأمانة وخير من أدَّاها بعد نبي الله ﷺ، وكان هذا الاستشعار لعظم المسؤولية منطلقاً مما وعوه عن رسول الله ﷺ لذلك كله، كان الصحابة رضوان الله عليهم مع حرصهم على تبليغ دين الله للأمة شديدي التحرّي والتثبُّت فيما يروونه عن رسول الله ﷺ، فكانوا لا يحدِّثون بشيءٍ إلا وَهُم واثقون من صحته عن رسول الله ﷺ، ولا يقبلون من الأخبار إلا ما عرفوا صحته وثبوته لذلك كثرت وتعددت الروايات قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((إن الصحابة رضي اللَّه عنهم، حَدَّث كل منهم على حسب علمه وما بلغه عن النبي صلَّى الله عليه و آله وسلَّم ولهذا كثرت الروايات، وذلك لاختلاف أفعاله وأحواله عليه الصلاة والسلام، ولما كثرت الروايات عنه عليه السلام وعن الصحابة المأمونين، وعن التابعين المقتدين، اتّسع العلم، واختلفت الأقوال، ومن لم يَسِر على الجادة والتقوى، لم يكن له إمام إلا منافق أو فاسق، لأن الطريق قد تخفى وقد تظهر)) [(١)] فما المقلد عند الإمام الحداد إلا رسول الله ﷺ قال رضي الله عنه: ((وإجمال الأمور: إن كلما قَبِلَه الكتاب والسنة هو الحق، وما لم يقبلاه هو الباطل، وما المقلَّد إلا رسول اللَّه صلَّى الله عليه و آله وسلَّم، وإنما اختلفت الطرق عنه من حيث الصحة والضعف من جهة الإسناد، فإذا رأوا أحداً حدَّث بحديث مرتين واختلف لفظه فيهما، أو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث ٧٢٩٨، ٩/٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب التناوب في العلم، رقم الحديث ٨٩، ١/٢٩.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٠٦.

رأوه ينشد شعراً خالياً ونحو ذلك ضَعَّفوه، وتكلموا فيه، وقد قال بعض أهل الحديث: إنا لنتكلم على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة، وهذا لأن المبتدعة قد فعلوا إسنادات، بعضها على متن صحيح، حتى يوصلوه إلى الإمام جعفر الصادق أو غيره من أهل البيت، وبعضها على كذب على مقتضى أقوالهم ومذاهبهم الباطلة» (١) ويرى الإمام الحداد أن مذهب الإمام مالك أقرب إلى السنة لكونه مذهب أهل مدينة رسولﷺ، وعمل أهل المدينة حجة كما يراه الإمام مالك قال الإمام النووي- رحمه الله -: «قال مالك واحتج بهذا الحديث وبأنه عمل أهل المدينة وهم أعرف بالسنن» (٢) واستشهد الإمام الحداد بمثال وهو شأن الصلاة، فقالرضي الله عنه: «من رأى صلاة الإمام مالك بن أنس، علم أنها السنة، لأن مسكنه المدينة، فرأى من اقتدى بصلاة رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، فهو على الاقتداء به فيها، ويليه الإمام الشافعي، لأنه من مكة فهو على قدم الاقتداء، ولو كان الإمام مالك أقدم في السن، والحجاز محل الدين ومنه خرج، وهو الوسط فيها، والإمام أحمد أخذ بالاحتياط، والإمام أبوحنيفة أخذ بالعلم» (١)ويبين الإمام الحداد سبب ميل اسلافه للمذهب الشافعي وانه أجمع المذاهب للسنة؛ لكونه تتلمذ على مالك وله إلمام بالحديث قالرضي الله عنه: «أما ترى الاختلاف الحاصل بينهم، ولولا ما جرى عليه سلفنا من الأخذ بمذهب الشافعي، كان أحببنا أن نأخذ بمذهب مالك، لأن فيه مسائل إذا تأملتها رأيت أنها هي السنة، لأنه عالم المدينة، وعمدته ما أجمع عليه أهل المدينة، ولكن الشافعي مالكي، لأنه تلميذه أخذ عنه، ولكن لما تأخر عن مالك، وقد أتقن مذهب مالك، وعثر على علوم وأحاديث أخرى لم يقف عليها مالك، فخالفه في بعض المسائل، ثم جاء بعده الإمام أحمد، وتتبع مذهب الشافعي وحرره، فكانت المذاهب الثلاثة لذلك مذهبا واحدا» (٢)

وتكلم الإمام الحداد عن السنة وآدابها فقال رضي الله عنه: «وعليك بالمحافظة على آداب السنة ظاهرا وباطنا وعادة وعبادة تكمل لك المتابعة ويتم لك الاقتداء برسول الله ﷺ رسول الرحمة ونبي الهدى. وإن سرك أن تكون من الصديقين فلا تدخل في شيء من العادات -فضلا عن

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ، ٣٧٨/١-٣٧٩.

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم، ٨١/٤.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد ٣٧٦/١.

(٢) المرجع السابق: ٣٧٥/١.

العبادات- حتى تبحث وتنظر هل دخل فيه رسول الله ﷺ أو أحد من الصحابة الأئمة، فإن لم تجدهم دخلوا فيه مع القدرة على ذلك فأمسك عنه، وإن شملته الإباحة، فإنهم ما أمسكوا عنه إلا لخير علموه في تركه، وإن رأيتهم دخلوا فيه فاعرف أولا كيفية دخولهم فيه واقتد بهم في ذلك، وقد أمسك بعض العلماء عن أكل البطيخ وقال قد بلغني أنه عليه الصلاة والسلام أكله ولكن لم يبلغني كيفية تناوله له فلذلك أتركه، ونذكر الآن في هذا الفصل نبذة من الآداب التي ينبغي المحافظة عليها في العادات فنقول:

اعلم أن من حافظ في عاداته على الآداب النبوية حفظه الله من التعدي إلى ما وراءها من الأعمال والأخلاق الردية وحصل على المصالح والمنافع الدينية والدنيوية التي جعلها الله بحكمته في تلك الأمور العادية، ومن سره أن تكمل له الحرية والطهارة من أدناس الحظوظ البشرية، فليجعل حركاته وسكناته في ظاهره وباطنه مضبوطة بالقانون الشرعي، تابعة لإشارة الشرع والعقل، وكيفما وقع ذم العادات على لسان الصوفية فالمقصود به الدخول فيها على مقتضى الشهوة والهوى والاسترسال معها دون محافظة على الآداب الشرعية.

وقد قال حجة الإسلام في (الأربعين الأصل) [١] بعد أن حث على متابعة الرسول ونبه على شيء من أسرارها: هذا كله في العادات وأما في العبادات فلا أعرف لتارك السنة وجها إلا كفرا خفيا أو حمقا جليا فاعرف ذلك» [٢]

قلت وبهذا تعرف مقدار تعظيم الإمام الحداد للسنة ومكانتها عنده وقد بلغ مبلغا عظيما في المحافظة على السنة في جميع شؤنه وأحواله، يقرأ السنة قراءة واعية بما فيها من السنن االقولية والفعلية والتقريرية والمواقف، محللا لها تحليلا في غاية الأدب والاحترام والجمال دائما تراه يعظم أي عنوان مسطوره قال أو فعل أو رأيت رسول الله ﷺ، ومؤلفاته خير شاهد على ذلك، يستكثر من الاستشهاد بذكرها مقدما عليها كلام الله فقط وهكذا نمط أهل السنة والجماعة وإليك منهج الإمام الحداد في الحث على الكتاب والسنة والاعتصام بهما.

---

(١)كتاب الأربعين في أصول الدين للمؤلف الإمام أبو حامد الغزالي، كتاب وضع فيه مؤلفه خلاصة كتبه وزبدتها كإحياء علوم الدين والاقتصاد في الاعتقاد وبداية الهداية وغير ذلك، حتى جمع فيه زبدة علوم القرآن كما قال.

(٢) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص٨١.

الحث على التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (١) قال الإمام السمعاني ــرحمه الله ــفي تفسيره: ((الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة))(٢) وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٣) أي فإن اختلفتم في أمر من الأمور فاحتكموا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أي إن كنتم مؤمنين حقا وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق أي فردوه إلى الله والرسول والغرض منه الحث على التمسك بالكتاب والسنة كما يقول القائل: إن كنت ابني فلا تخالفني (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله خير لكم وأصلح وأحسن عاقبة ومآلا. (١) وقال الإمام ابن حجر ــرحمه الله ــ ((قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (٢) الآية قال الكرماني(٣) هذه الترجمة منتزعة من قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا لأن المراد بالحبل الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة والجامع كونهما سببا للمقصود وهو الثواب والنجاة من العذاب كما أن الحبل سبب لحصول المقصود به من السقي وغيره والمراد بالكتاب القرآن المتعبد بتلاوته وبالسنة ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله، قال ابن بطال لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله أو في سنة رسوله أو في إجماع العلماء)) (٤)

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٨

(٢) السمعاني: تفسير القرآن، ٤٦٠/٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩

(١) الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص٢٦١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني ٧١٧ - ٧٨٦ هـ: عالم بالحديث أصله من كرمان اشتهر في بغداد، قال ابن حجي: تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وأقام مدة بمكة وفيها فرغ من تأليف كتابه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري) وله (ضمائر القرآنو النقود والردود في الأصول مختصره، وشرح لمختصر ابن الحاجب) ومات راجعا من الحج في طريقه إلى بغداد، ودفن فيها سنة ٧٨٦هـ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م، ١٥٣/٧.

(٤) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢٤٦/١٣.

قلت أوجب الله تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادا وعملا، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، كما بينا، وقرن ذلك بأمره تعالى بتذكر نعمه وأعظمها الإسلام واتباع نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فإن به زالت العداوة والفرقة، وكانت المحبة والألفة، قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وعليك بالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما، فإنهما دين الله القويم وصراطه المستقيم، من أخذ بهما سلم وغنم ورشد وعصم، ومن حاد عنهما ضل وندم وحاد وقصم، فاجعلهما حاكمين عليك ومتصرفين فيك وارجع إليهما في كل أمرك ممتثلا لوصية الله ووصية رسوله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [١] ومعنى قوله: فردوه إلى الله والرسول أي إلى الكتاب والسنة. وقال رسول الله ﷺ ((أوصيكم بما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي)) [٢] فإن سرك أن تكون على الهدى سالكا للمحجة البيضاء التي لا عوج فيها ولا أمتا فاعرض جميع نياتك وأخلاقك وأعمالك وأقوالك على الكتاب والسنة، فخذ ما وافق ودع ما خالف، واعمل على الاحتياط، واتبع الأحسن أبدا)) [٣] قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

والزم كتاب الله واتبع سنة *** واقتد هداك الله بالأسلاف[٤]

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((كان الأولون قريبين المرتبة من النبوة، ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه و آله وسلم إلا نحو ثلاثة أو أربعة، والمتأخرون إنما اقتضبوا من كتب الأولين، وأما اليوم فقد بعد العهد جدا، حتى قال السيوطي: وأين العلماء والعلم، فما عاد بقي علم، والعمدة ما في الكتاب والسنة، وما خالفه فلا تتوقف في رده، وما أشكل عليك فكله إلى قائله، وما ثبت عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم، فهو أحق أن يتبع، وما لم يصح فخذ فيه

(١) سورة النساء: الآية ٥٩

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: بلفظ (إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم) من حديث حجة الوداع، رقم الحديث٣١٨، ١٧١/١.

(٣) الحداد: رسالة المعاونة والمذاكرة المؤازرة، ص٦٣.

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٣٧٥.

بالأرجح، وإن لم يكن ترجيح فاجتهد إن كنت من أهل الاجتهاد وإلا فخذ بما رجحه أحد من أهل الاجتهاد» (١) وأكد الإمام الحداد أن الخير في اتباع الكتاب والسنة وأنه سبب الفوز في الدنيا والأخرى وأن الضلال والبدعة والهلاك في الدنيا والأخرى في مخالفتهما فقال رضي الله عنه:

وإِنَّ الَّذِي لا يَتْبَعُ الشَّرْعَ مُطْلَقاً *** عَلَى كُلِّ حَالٍ عَبْدُ نَفْسٍ وَشَهْوَةِ
وَمتَّبعُوا حَكْمِ الِكتَابِ وَسُنّةٍ *** هُمُ المفلِحُون الفَائِزُونَ بِجَنَّةِ
فَمَا بَعْدَ هَدْيِ المصْطَفَى وَصَحَابِه *** هُدىً لَيْسَ بَعْدَ الحَقِّ إلاَ الضّلاَلَةِ(١)

ويقرر الإمام الحداد أن علوم العقائد مشروحة في الكتاب والسنة وما على المسلم إلا التأمل والتدبر في هذين المصدرين وسوف يثمر له هذا التأمل الإيمان واليقين قال رضي الله عنه: «أجمع العلوم وأنفعها وأصحها وأوضحها ما كان هو الأقرب والأشبه بالعلوم المشروحة في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والذي يكثر ذكرها وتكرارها فيهما، وذلك مثل العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله والعلم بأمر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه من الأوصاف، والأعمال، والعلم بنهيه تعالى، وذكر ما يبعد عنه من الأوصاف، والأعمال، والعلم بالمعاد، والرجوع إلى الله تعالى، وما فيه من الأحوال والأهوال، ووصف الجنة التي هي دار السعداء والنار التي دار الأشقياء. وهذه العلوم هي أصول العلوم كلها ومقصودها ولبابها، وكثرة النظر فيها تثمر مزيد الإيمان واليقين بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر، وتحث على لزوم الطاعة والعبادة لله تعالى، وترك ما يسخطه سبحانه وتعالى، والاستعداد للموت، وحسن التزود للمعاد، ومحبة لقاء الله تعالى، وعلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة» (٢)

وهذا منهج مراجع الإمام الحداد قال رضي الله عنه: «وآية من كتاب اللَّه تكفيك، فإن لم تعرف معناها فاسأل عنه أهل العلم به، وإذا كان في الأمر شيء عن النبي صلَّى الله عليه و آله وسلَّم، فلا لأحد عنه معدل، وما كان عن الصحابة فَيُتّبَع، وما كان عن غيرهم فيؤخذ منه ويُتْرك، كما قال أبو حنيفة: وقد كان الذي عليه المعول شيء قليل، إما آية يحفظها ويعرف معناها، أو حديث كذلك، وهذا هو الدين الذي كان من قبل» (٣)

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٣٧٨.

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٠٧.

(٢) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص ٤٥.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد: ١/ ٣٦٤-٣٦٥،

المطلب الثالث: البدعة عند الإمام الحداد:

أولا: تعريف البدعة:

البدعة في اللغة العربية: من بدع يقال: أبدع الشيء يبدعه بدعاً، وابتدعه: أنشأه وبدأه.
والبدع والبديع: الشيء الذي يكون أولاً.

وفي التنزيل: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ (١) أي: ما كنت أول من أرسل بل أرسل قبلي رسل كثيرون، والبِدْعةُ: الحَدَث وَمَا ابْتُدِعَ مِنَ الدِّين. (٢)

البدعة في اصطلاح العلماء: قَالَ الشَّافِعِيُّ –رحمه الله–: «البدعة بدعتان محمودة ومذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشافعي، وجاء عن الشافعي أيضا ما أخرجه البيهقي في مناقبه قال المحدثات ضربان ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه بدعة الضلال وما أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة انتهى» (٣)

وعرف الإمام العز بن عبدالسلام –رحمه الله– البدعة فقال: «البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة، والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة: فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة» (٤)

---

(١) سورة الأحقاف: الآية: ٩

(٢) ابن منظور: لسان العرب، فصل الباء، ٨/ ٦.

(٣) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، قوله باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ١٣/ ٢٥٣.

(٤) ابن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية _ القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م، ٢/ ٢٠٤.

وعرف البدعة ابن رجب الحنبلي- رحمه الله–حيث قال: ((والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة)) (١)

قلت ومما سبق يتضح أن هناك رؤيتين رؤية إجمالية: وهي التي ذهب إليها ابن رجب الحنبلي وغيره، وهو أن الأفعال التي يثاب المرء عليها ولها أصل في الشرع لا تسمى بدعة شرعا، وإن صدق عليها الاسم في اللغة، وهو يقصد أنها لا تسمى بدعة مذمومة شرعا، والرؤية التفصيلية وهي ما ذكره العز بن عبد السلام وأوردناه تفصيلا.

وما ذكر ينبغي للمسلم أن يحيط به في هذه القضية التي هي من أهم القضايا التي تؤرق الفكر الإسلامي، وكيفية تناوله للمسائل الشرعية، وكذلك نظره لإخوانه من المسلمين، حيث يقع الجاهل في الحكم على الآخرين بأنهم مبتدعون وفساق والعياذ بالله بسبب جهله بهذه المبادئ التي كانت واضحة، وأصبحت في هذه الأيام في غاية الغموض والاستغراب، نسأل الله السلامة، والله تعالى أعلى وأعلم.قال الإمام الحداد ﵁: ((وعليك بالتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما، فإنهما دين الله القويم وصراطه المستقيم، من أخذ بهما سلم وغنم ورشد وعصم، ومن حاد عنهما ضل وندم وحاد وقصم، فاجعلهما حاكمين عليك ومتصرفين فيك وارجع إليهما في كل أمرك ممتثلا لوصية الله ووصية رسوله. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(١)ومعنى قوله: فردوه إلى الله والرسول أي إلى الكتاب والسنة. وقال رسول الله ﷺ ((أوصيكم بما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي)) (٢)فإن سرك أن تكون على الهدى سالكا للمحجة البيضاء التي لا عوج فيها ولا أمتا فاعرض جميع نياتك وأخلاقك وأعمالك وأقوالك على الكتاب والسنة،

---

(١) ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ٢/١٢٧.

(١) سورة النساء الآية: ٥٩

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: بلفظ إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، رقم الحديث ٣١٩، ١/١٧٢.

فخذ ما وافق ودع ما خالف، واعمل على الاحتياط، واتبع الأحسن أبدا، ولا تبتدع في الدين، ولا تتبع غير سبيل المؤمنين فتخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. وإياك ومحدثات الأمور ومختلفات الآراء فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)) [(١)]وقال عليه السلام: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) [(٢)] اهـ)) [(٣)]

ثانيا: أقسام البدعة:

لم يكن الإمام الحداد أول من تكلم في تقسيم البدعة بل تعامل جمهور الأمة من العلماء المتبوعين على أنها أقسام كالشافعي كما سبق تعريفه للبدعة ومن أتباعه العز ابن عبد السلام والنووي ومن المالكية القرافي والزرقاني، ومن الحنفية ابن عابدين، ومن الحنابلة ابن الجوزي .ومن الظاهرية ابن حزم وغيرهم من العلماء رضوان الله عليهم أجمعين

قال ابن حجر –رحمه الله–: ((وقسم بعض العلماء البدعة إلى الأحكام الخمسة وهو واضح وثبت عن ابن مسعود أنه قال قد أصبحتم على الفطرة وإنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول فمما حدث تدوين الحديث ثم تفسير القرآن)) [(١)]

وقال الإمام النووي —رحمه الله–: ((قوله ﷺ وكل بدعة ضلالة هذا عام مخصوص، والمراد غالب البدع قال أهل اللغة هي كل شيء عمل على غير مثال سابق، قال العلماء البدعة خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك، ومن المندوبة تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك، ومن المباح التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك، والحرام والمكروه ظاهران، وقد أوضحت المسألة بأدلتها المبسوطة في تهذيب الأسماء واللغات فإذا عرف ما ذكرته علم أن الحديث من العام المخصوص وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة ويؤيد ما قلناه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح نعمت البدعة ولا يمنع من كون الحديث عاما مخصوصا قوله كل بدعة مؤكدا بكل بل يدخله التخصيص مع ذلك كقوله تعالى

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: باب في لزوم السنة، رقم الحديث ٤٦٠٧، ٤/٢٠٠ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، رقم الحديث ١٧١٨، ٣/١٣٤٣.

[٣]) الحداد: رسالة المعاونه والمظاهرة والمؤازره ، ص٦٤.

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣/ ٢٥٣.

﴿ تُدَمِّرُكُلَّ شَيۡءِ ﴾ (١) تدمر كل شيء وقوله صلى الله عليه وسلم أنا أولى بكل مؤمن من نفسه هو موافق لقول الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» (٢).

كما قسم البدعة سلطان العلماء العز ابن عبد السلام وسبق تقسيمه في تعريفه.

قال الإمام الحداد ﷺ: «والبدع ثلاث: بدعة حسنة وهي ما رآه أئمة الهدى مما يوافق الكتاب والسنة من حيث إيثار الأصلح والأنفع والأحسن، وذلك كجمع القرآن في مصحف لأبي بكر، ونصب الديوان وصلاة التراويح لعمر، وترتيب المصحف والأذان الأول يوم الجمعة لعثمان، وأحكام قتال البغاة لعلي رضي الله عنه وعن الخلفاء الأربعة.

والثانية: بدعة مذمومة على لسان الزهد والورع والقناعة فقط وذلك كالتوسع في الملابس والمآكل والمساكن المباحة.

والثالثة: بدعة مذمومة مطلقا وهي ما خالف نصوص الكتاب والسنة أو خرق إجماع الأمة، وقد وقع من هذا النوع للمبتدعة كثير في الأصول وقل وقوعه في الفروع، وكل من لم يبالغ في التمسك بالكتاب والسنة، ولم يبذل وسعه في متابعة الرسول، وهو مع ذلك يدعي أن له مكانة من الله تعالى، فلا تلتفت إليه ولا تعرج عليه، وإن طار في الهواء ومشى على الماء وطويت له المسافات وخرقت له العادات، فإن ذلك يقع كثيرا للشياطين والسحرة والكهان والعرافين والمنجمين وغيرهم من الضلال، ولا يخرج مثل ذلك عن كونه استدراجا وتلبيسا إلى كونه كرامة وتأييدا إلا وجود الاستقامة فيمن ظهر عليه، وهذا المغرور وأمثاله إنما يلبسون على الغوغاء والسفلة الذين يعبدون الله على شك، وأما أولو العقول والألباب فقد علموا أن تفاوت المؤمنين في القرب من الله على حسب تفاوتهم في متابعة الرسول، وأنه كلما كانت المتابعة أكمل كان القرب من الله أتم وكانت المعرفة به أجل وقد قصد أبو يزيد البسطامي (١) إلى زيارة رجل يوصف بالولاية فقعد له في المسجد فلما خرج حضرته نخامة فرمى بها في

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٥

(٢) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، ٦/ ١٥٤.

(١) أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى، سلطان العارفين، أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد، أخو الزاهدين: آدم وعلي، وكان جدهم شروسان مجوسيا، فأسلم، يقال: إنه روى عن: إسماعيل السدي، وجعفر الصادق أي: الجد وأبو يزيد، فبالجهد أن يدرك أصحابهما. وقل ما روى، وله كلام نافع. سير أعلام النبلاء للذهبي، ٨٦/١٣.

حائط المسجد فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به وقال كيف يؤمن على أسرار الله من لم يحسن المحافظة على آداب الشريعة. وقال الجنيد –رحمه الله –كل الطرق مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسولﷺ(١) وقال سهل بن عبد الله –رحمه الله– لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر عليها اهـ» (٢)

قال الإمام الحداد في ذم البدعة:

وَإِنَّ الَّذِي لا يَتْبَعُ الشَّرْعَ مُطْلَقاً *** عَلَى كُلِّ حَالٍ عَبْدُ نَفْسٍ وَشَهْوَةِ
صَرِيعُ هَوىً يُبْكَى عَلَيهِ لأَنَّهُ *** هَوَ الميْتُ لَيْسَ المَيتُ مَيْتَ الطَّبِيعَةِ
وَمَا فِي طَرِيق القَوْمِ بدْءًا وَلا انْتِهَا *** مُخَالَفَةٌ لِلَّشـرْعِ فَاسْمَعْ وَأَنصِتِ
وخَلْ مَقَالاَتِ الذِينَ تَخَبَّطوا *** وَلا تَكُ إلا مَعْ كِتَابٍ وَ سُنَّةِ
فَثَمَّ الهُدَى وَالنُورُ و الأَمْنُ مِنْ رَدَى*** وَمِنْ بِدْعَةٍ تُخْشَى وَزَيغٍ وَفِتْنَةِ
وَمتَّبِعُوا حَكْمِ الكِتَابِ وَسُنَّةٍ ***هُمُ المفْلِحُون الفَائِزُونَ بِجَنَّةِ
عَلَيهِمْ مِنَ الَرحمنِ رِضْوَانُهُ الذَّي *** هُوَ النِّعْمةُ العُظْمَى وَأَكْبَرُ مِنَّةِ
وَمَنَ حَاد عَنْ عِلْمِ الكِتَابِ وَسُنَّةٍ *** فَبَشْرهُ فِي الدُّنْيَا بِخزْيِ وَذِلَّةِ
وَبَشْرْهُ فِي العُقْبِى بِسُكْنَى جَهَنَّم *** وَحِرْمَانِ جَنَّاتِ الخُلُودِ وَرُؤيَةِ(١)

ويقرر الإمام الحداد أنه قد يحصل الابتداع في الدين بزيادة كلمة أو نقص كلمة وذلك حينما قرئ عليه شيء من مؤلفاته، فاتفق تقديم بعض الكلام وتأخير بعضه، فأمر بإصلاحه، ثم قالرضي الله عنه: «إنه قد يحصل الابتداع في الدين بزيادة كلمة أو نقص كلمة، ومثل هذه الأشياء هي التي أوجبت الإنكار والطعن على الأكابر، وقرأ ممن كان يقرأ بحضرته، قارئٌ كان يقرأ في رسالة المذاكرة في فصل: وأما ضعف الإيمان إلى أن قرأ إلى غير ذلك من الأخلاق المشومة، فغلط وقال: المسمومة، فقال سيدنا عند ذلك بعد ما ردَّ عليه غلطته: أكثر ما أنا خائف من أحد ينقل هذه الرسائل، وفيها الغلط والتحريف فينقله عنا، ويقول: قرأته على المصنف، فاشهدوا على ذلك، وإنما نحن خُدّام الشريعة، فمن أتانا فنفعه اللّه بنا أو بكلامنا فلا نكره،

(١) ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، تلبيس إبليس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص١٢.
(٢) الحداد، رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة، ص٦٥.
(١) الحداد، ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، ص١٠٦.

وإلا فلا حاجة لنا بأحد، فمن سمع منا بكلام غير مستقيم، أو مخالف للكتاب والسنة، إما لغلط، أو اعوجاج في لسانه، فلا يُصدَّق، والغَيَار (أي الغلط) كله من قلة الفهم أو العجلة، حيث يسمع بعض الكلام، ويفوته البعض، فينقله، فينبغي أن يسمعه كله ويفهمه» (١)

ثالثا: بعض المخالفات والبدع التي تصدى لها الإمام الحداد:

أولا: مسألة إسقاط التكاليف الشرعية:

حدث أن بعضهم ادعاء أنهم وصلوا إلى الله فلم يعودوا بحاجة إلى القيام بالتكاليف الشرعية وقد تعرض الإمام الحداد لهؤلاء فكتب إليه كتاباً أوضح له حقيقة الأمر وأزال عنه تلبيس الشيطان فرجع إلى الحق وتاب وهذا الكتاب لا مثيل له في شرح هذه المسألة وهذا نص الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا

الحمد لله ذي القوة المتين الذي لم يجعل للشيطان اللعين سلطانا على عباده الخواص الذين اكرمهم بالإيمان والتوكل والإخلاص، فالإيمان هو الأصل وهو صدق التوحيد مع رسوخه وثباتة، والتوكل والإخلاص من أجل فروعه واشرف ثمراته، وما تحقق عبد بهذه المعاني الشريفة وبنى على قواعدها قوله وفعله إلا صار الشيطان يفرق أي يخاف من ظله، ومن لم يتحقق بهذه الأوصاف فللعدو بقلبه إلمام وحوله تطواف، وكل من عري عنها وخلا منها فقد فارقه دينه وارتحل عنه إيمانه ويقينه وصار الرجيم وليه وقرينه ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا، وقد يدنو اللعين من نفس المتقي وقلبه في حين غفلته عن ربه تدركه على القرب إمدادات التذكر والتذكير فاذا هو السميع البصير وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾(١) من أقل العباد الفقير إلى الجواد عبدالله بن علوي الحداد الحسيني، إلى أخيه في الله محمد بن أحمد بانافع الهجراني(٢) أخرجه الله من ظلمات ليل الجهل والحيرة، إلى ضياء نهار الهدى والبصيرة، وكحل بإثمد نور الهداية حديقة عين قلبه حتى يهتدى لما اختلف فيه من الحق بإذن ربه، والله يهدى من يشاء إلى

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد بمناقب القطب عبدالله الحداد، ، ١٦٧/١.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠١

(٢) نسبة إلى مدينة الهجرين بوادي حضرموت .

صراط مستقيم، وليس في الدين إشكال والهدى أحمى جانبا أن يشتبه بالضلال، ولكن الشيطان عدو مبين والهوى غالب على الإنسان المخلوق سلالة من ماء مهين، فان ثبته مولاه وهداه ووفقه، أعانه على امتثال ما به أمره واجتناب ما عنه نهاه ظفر بالسعادة فاز بالحسنى وزيادة، وان وكله إلى نفسه وحوله وقوته كان الهلاك إليه طرفة عين فيهلك من حيث يرجو النجاة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

من حيث يرجو جاءه ما يتقى *** يا ويح من بالماء أضحى يشرق[١]

وقال غيره [٢] إذا لم يكن عون من الله للفتى *** فأول ما يجني عليه اجتهاده

اللهم اعصمنا واحفظنا من كل ما يسخطك علينا بحولك وقوتك، واهدنا ووفقنا لكل ما يرضيك عنا بفضلك ورحمتك، فإنا عاجزون عن جلب النفع لأنفسنا وعن دفع الضر عنها من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم، فوحقك ما بقي بأيدينا إلا الاعتصام بك والاعتماد عليك والتفويض إليك فإن عذبت فبعدلك ولك الحجة وإن رحمت فبفضلك ولك المنة، سبحانك لا نحصي ثناء عليك ولا نقول إلا ما يرضيك ولا نعترض عليك في ملكك ولا ننازعك في سلطانك وقد رضينا بك ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيك رسولا، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا: رب إن الهدى هداك وآيا *** تك نور تهدي بها من تشاء[٣]

أما بعد: فاعلم يا محمد أنه كان يبلغني عنك من الإقبال على الله وعلى طاعته، ومن الإعراض عن الدنيا وأهلها ما استغرب وجود مثله في هذا الزمان المبارك الذي عز فيه وجود المقبلين على الله، لاشتغال أهل الزمان بعمارة الدنيا وجمع حطامها وكنت احبك لذلك، وأقول بتعظيمك وإجلالك إلى أن بلغني عنك بالاستفاضة، أنك قد خلعت العذار وهدمت الجدار ووقعت – والعياذ بالله – في ترك الفرائض من الصلاة والصيام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولو بلغني عنك الانهماك في المباحات والتساهل بترك شيء من النوافل المقربات،

---

(١) هذا البيت للإمام عبدالهادي السودي، وهو في ديوانه (ق/ ٢٥)

(٢)هذا البيت للإمام علي بن أبي طالب، ينظر مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب، ٨/ ١٦.

(٣) هذا البيت للإمام البوصيري، وهو في ديوانه، ص٥٣.

لكنت أعد ذلك من المصائب في حقك؛ لأن السالك الصادق، لا يزال في مزيد من المعرفة والعبادة، إلى أن يخرج من الدنيا وذلك علامة صدقه، فإذا ظهر عليه أثر من التقصير دل ذلك على وقوفه وفتوره، كما قال أبو سليمان – رحمه الله –: (لو وصلوا ما رجعوا) (١) يعني إلى الكسل والراحات المباحات فكيف بمثل هذا الأمر الذي ينحط به فاعله عن درجة العوام، ويقدح في أصل الإسلام.

وبيان ذلك أن الأمة قد أجمعت سلفا وخلفا، على أن التكاليف الشرعية، لا تسقط عن المكلف: الذي هو البالغ العاقل إلا بالموت، أو بزوال العقل، وقد سألت عن عقلك فأخبرت أنه لا بأس به.

وإذا ترك المسلم شيئا من التكاليف نظر، فإن كان تركه عن جحود، فهو مرتد، أو عن كسل استتيب. فإن تاب وإلا قتل. وفي هذا تفصيل محله كتب الفقه.

وقد ظهر لي أنك لست عند ذا ولا ذاك ولكن للشيطان – لعنه الله– تلبيسات تشبه الحق، وهي الباطل المشئوم، يلبس بها على السالكين لطريق الله، فمن عصمه الله منهم لم يلتفت إليها، وضرب بها وجه اللعين، ومن تخلفت عنه العناية الإلهية منهم اغتر بها، فتورط في ورطات الإلحاد والزندقة. فمن تلبيساته: أن يقول للسالك: إن التكاليف طريق إلى الله، وأنت قد وصلت إليه، فما تصنع بها. ومنها أن يقول له: أنت في عين الجمع على الله. وفي العبادات المتنوعة ما يجلب التفرقة. ومنها أن يقول له: إن التكاليف تليق بأهل الغفلة لتقودهم إلى الحضور مع الله في بعض الأحيان، فأما من كان عاكفا بقلبه على الحضرة القدسية على الدوام، فهي في حقه حجاب، ومثل هذا كثير يقع للسالكين.

ولا ينبغي لك أن تقول: أنا مقبل على الله، ومشتغل به، فكيف يمكن الشيطانُ من إغوائي فاعلم أنه عام الإغواء؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾(١) والحفظ من اتباعه على ضلاله هو الخاص؛ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، وتأمل ما جرى لأبيك آدم حين

---

(١) أخرجه أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢/ ٩٢.

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٣ – ٦٤

أكل من الشجرة، ولسيد المرسلين حين أدخل في قراءته ما ليس منها، ولست أكرم على الله من الأنبياء المعصومين.

وقد سمعت أولا عن الأولياء المحفوظين، فأسمع عن الإمام المجمع على ولايته وقطبانيته: سيدي عبدالقادر الجيلاني[1] واقعة وقعت له مع الشيطان، وذلك أنه رأى في بعض سياحاته نورا قد ملأ الأفق، وفيه صوت يقول له: يا عبدالقادر أنا ربك، قد أسقطت عنك التكاليف: فقال الشيخ: كذبت يالعين؛ وأعرض عنه، فلم يزل ذلك النور يضمحل حتى برز منه الملعون، وقال لسيدي الشيخ إنك قد ثبت، وإلا فقد فتنت قبلك سبعين من أهل الطريق، [1]ونحن نكشف عوار هذه التلبيسات المذكورة، بكلام وجيز من الحق المؤيد بالكتاب والسنة وكلام أئمة الطريق، وأما قول الشيطان للسالك: إنك قد وصلت إلى الله، فخرجت من عهدة التكاليف، فاعلم أن خطور مثل هذا الخاطر، يدل على عدم الوصول؛ لأنه من الباطل الذي يحفظ الواصل عن مثله، بل ربما دل خطوره على عدم السلوك رأسا.

وبيان ذلك أن السالك لا بد وأن يكون له بصيرة في العلم، بحيث يعلم أن الشارع لم يرخص في ترك شيء من التكاليف للمكلف، وما أبعده عن طريق الله إن قدم وسواس الشيطان على قول الشارع، الذي لا ينطق عن الهوى، وعلى التنزيل؛ فمراتب الوصول غير متناهية، وإنما يقال: وصل على معنى: إنه انهتك حجاب قلبه الذي يحجبه عن ربه

---

[1] عبد القادر الجيلاني: (- ٥٦١ هـ = ١٠٧٨ - ١١٦٦ م)عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان ٤٧١ هـ (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر. وكان يأكل من عمل يده. وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفي بها. له كتب، منها الغنية لطالب طريق الحق و الفتح الرباني و فتوح الغيب و بالفيوضات الربانية وللمستشرق مرجليوث الإنجليزي رسالة في ترجمته نشرها ملحقة بالمجلة الأسياوية الانكيزية. ولموسى بن محمد اليونيني كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني ولعلي بن يوسف الشطنوفي بهجة الأسرار في مناقبه، ولمحمد بن يحيى التاذفي قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر وترجم عبد القادر بن محيي الدين الإربلي عن الفارسية تفريج الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر، ينظر الزركلي: الأعلام، ٤/ ٤٧.

(١) الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، ، ا لطبقات الكبرى لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، الناشر: مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، عام النشر: ١٣١٥ هـ، ١٢٧/١.

ولا صول للواصل إلى ما لم يصل إليه، من منازل القرب إلا بالملازمة، والمواظبة على الأمر الذي هو السبب في الوصول إلى ما وصل إليه، وليس ذلك إلا الفرائض والنوافل، ولو لم يكن في التكاليف إلا كونها سببا في حصول الوصول، لكانت تجب المحافظة عليها كذلك. وللشفقة على العامة أن يقتدوا به، أو يظنوا به السوء، كيف وتركها يدل على المقت والطرد والسلب والبعد، ولو صدر ذلك من أكمل الكمل، لكان يهوي من أعلى درجات الصديقية إلى أسفل دركات الزندقة، وقد شنع المحققون على من يقول بإسقاط التكاليف عن الواصل، فبلغنا عن الجنيد[١] – رحمه الله – أنه قيل له: هل يبلغ أهل المعرفة إلى حد تسقط معه الحركات من أعمال البر؟ فقال إن هذا عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالا ممن يقول هذا، ولو عشت ألف سنة لم أترك ذرة مما أنا عليه من أعمال البر. [٢]

وقيل لأبي علي الروذباري [٣]: إن قوما يتركون التكاليف ويزعمون أنهم وصلوا، فقال: نعم ولكن إلى سَقَر [٤]وقال الإمام الغزالي: قتل واحد ممن يقول هذه المقالة وما أشبهها، أنفع للإسلام من ألف كافر، وما بلغنا عن أحد، ممن له أدنى قدم في طريق الله أنه ترك شيئاً من الفرائض ويدع النوافل، وقالوا: إن المدد والمزيد محبوس عنه وممنوع منه. ذكر ذلك صاحب العوارف وغيره [٥]ولن يفارق السالك الواصل في شيء من الأمور إلا في أمرين:

---

[١] الجنيد بن محمد الإمام القدوة المحدث، أبو القاسم القايني، نزيل هراة، وشيخ الصوفية. سمع أبا بكر بن ماجه، وسليمان الحافظ بأصبهان، وأبا الفضل محمد بن أحمد العارف وغيره . مولده سنة ست وستين وأربع مائة، ومات في رابع عشر شوال سنة سبع وأربعين وخمس مائة. وكان فقيها فاضلا، محدثا صدوقا، موصوفا بالعبادة، تفقه على أبي المظفر، وحصل الأصول، وسمع بقاين من الحسن ابن إسحاق التوني. روى عنه ابن ناصر، وابن عساكر. ينظر طبقات الشافعية للسبكي ٥٤/٧.وسيرأعلام النبلاء للذهبي، ١٥/ ٧٣.

(٢) ينظر القشيري: عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ص٧٩.

(٣) أبو علي الروذباري أحمد بن محمد بن القاسم شيخ الصوفية. قيل: اسمه: أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور وقيل: اسمه حسن بن هارون .سكن مصر، صحب: الجنيد، وأبا الحسين النوري، وأبا حمزة البغدادي، وابن الجلاء وحدث عن: مسعود الرملي، وغيره، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة، ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٣٥/١٤.

(٤) أخرجه القشيري في رسالته: ص ١٠٧.

(٥) عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي، صاحب كتاب عوارف المعارف .

الأول حصول الكشف والثاني القيام بالفرائض والنوافل، مقرونا باللذة والراحة، كما قال ﷺ (أرحنا بها يا بلال) [(١)]، (وجعلت قرة عيني في الصلاة) [(٢)] والسالك يقوم بوظائف العبودية مع المشقة والمجاهدة ومن قال بغير هذا فليس من أهل الطريق، ولا عنده حبر من الذوق والتحقيق، وإنما مثل الذي يقول بسقوط التكاليف عن الواصل، كمثل الذي يغرس شجرة ويتعاهدها بالسقي حتى تثمر، فإذا أثمرت أخذ الثمرة الأولى، وقطع الشجرة من أصلها، فلم يبقى بيده ثمرة ولا شجرة، ولو أنه استبقى الشجرة، ولم يزل يسقيها، لنمت وأعرقت ودامت ثمارها وكثرت، ومثلها أيضاً كمثل عبد، وقف على باب ملك للخدمة، فلم يزل يرتقي بأدبه وحسن خدمته، حتى صار من جلسائه، فلما حصل في مجلسه، جعل يحرق أثواب الملك، ويوسخ بها فراشه، ألا يستوجب الطرد والعقوبة؟ ولو أنه عقل لكان يزيد أدبه، وخدمته الملك في حضرته أضعافا مضاعفة على ما كان عليه من قبل.

وأما قول اللعين للسالك: أنك قد صرت في عين الجمع، والعبادات المتنوعات تخرجك عما أنت فيه، فاعلم – وُفقت – أن الجمع عبارة عن تجلي نور الحق لقلب عبده، وهذا لا يكون على الدوام، وأكثر ما يرد هذا الوارد على أهل الله وأحدهم في صلاة أو تلاوة أو ذكر، كما بلغنا عن الإمام علي بن الحسين (زين العابدين) ، أنه احترق بيته وهو يصلي فلم يشعر[(١)] وقطعت رجل أحدهم وهو في الصلاة فلم يحس. [(٢)]

وفي العبادات وتنوعها كالصلاة من القيام والركوع والسجود وغير ذلك سر لطيف، وهو أن مظاهر الصفات والأسماء الإلهية متنوعة، ويكون كل نوع من المعاملات الدينية قالبا لمظهر الربانية، فلا يستوفي العارف جميع المظاهر الإلهية حتى يقوم بجميع أنواع العبادات.

وقد قال بعض المحققين: من كان له مع الله حال، يفقده في حال المعاملة ويجده إذا تركها فهو مخدوع ممكور به، وإن مشى على الماء وطار في الهواء، ومن وجد حاله مع الله في العبادات وفقده في العادات فهو غير متمكن.

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: رقم الحديث ٦٢١٥، ٦/ ٢٧٧.

(٢) أخرجه النسائي: باب حب النساء، رقم الحديث ٣٩٣٩ ٧/ ٦١.

(١) ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، ٤١/ ٣٧٧.

(٢) المرجع السابق: ٤٠/ ٢٥٩-٢٦٠.

وبيان ذلك أن حركات المحقق وسكناته، في ظاهره وباطنه كلها عبادة؛ لأنه لا يدخل في شيء من المباحات إلا بنية صالحة، هذا حال صاحب البقا، وهو بعد الفنا، وقد يستغرق الفاني في حال فنائه بربه، فلا يحسّ بنفسه، ولا بشيء من الكائنات. وهذا الوارد اذا ورد لا يبقى طويلا، فان اتفق فوات شيء من المكتوبات بسببه، فقد كانوا يقضونه إذا فاقوا، (كما بلغنا عن الربيع بن خيثم، أنه سمع قارئا يقرأ فخر مغشيا عليه، فمكث ثلاثة أيام، فلما سري عنه قضى ما فاته من الصلاة) [(١)] وصاحب هذا الحال لا يأكل ولا يشرب، وإنما يكون كالثوب الملقى، وأما من ظهر له شيء من الحقائق، فتلف بسببها عقله، فصار مفقود التمييز، كالأطفال والمجانين، فغير معدود من أهل الكمال، وإياه يعنون بقولهم: (من كان في الله تلفه. فعلى الله خلفه) [(١)] ومن الكمال عند أهل الكمال: أن تشغلهم العبادات عن العادات، ولا تحجبهم عن المعبود؛ فقد كان منهم من يسهر ويطوي الليالي والأيام المتتابعات الكثيرات، ولا يؤثر ذلك فيهم شيئا.

ومثل الذي يدعي أن العبادات تورثه الحجاب عن الله، كمثل الذي يقول: إن الملك متى خدمته وتأدبت بين يديه حجبك عن مشاهدته، فهل شيء من الحماقات أعظم من هذا.

وأما قول العدو للسالك: إنما التكاليف سياسة من الله للعوام، ليحضروا معه في بعض الأحيان، والذي يكون حاضرا مع الله على الدوام مستغن عنها.

فاعلم أن الحضور مع الله لا يتصور وجوده إلا في شيء من المعاملات الدينية، وهي تجري منه مجرى الأجساد من الأرواح، فكما لا يتصور في هذا العالم روح إلا في الجسد، كذلك لا يتصور وجود الحضور إلا في شيء من العبادات.

ومن زعم أن التكاليف تليق بالعامة دون الخاصة، فقد استهان بالشرع، والاستهانة كفر صريح. ولا يصير العبد من خواص المؤمنين حتى يقوم بجميع التكاليف، التي لا يسع تركها أحدا من المسلمين، لا عاما ولا خاصا، ويزيد عليها من النوافل المقربة إلى الله، حسب طاقته وإمكانه. ولا يصح عند المحققين قول من قال: إن رسول الله ﷺ والكمَّل من أمته، لم يثابروا على فعل النوافل، وعلى التحرز من الاتساع في المباحات، إلا شفقة على العامة أن يقتدوا

---

(١) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الزهد، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، ص٢٦٧.

(١) هذا القول للإمام أحمد بن محمد الغزالي، ينظر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ، ٦١/٦.

بهم، في ترك النوافل وفي الاتساع في المباح، مع غلبة حظوظ النفس عليهم. كلا بل لم يكن غرضهم من المثابرة على النوافل، والتحرز من الاتساع في المباح، سوى طلب القرب والزلفى من الله، يدل على ذلك أنهﷺ، كان ينهانا عن أشياء من النوافل ويفعلها هو كالوصال في الصوم[(١)]، والركعتين بعد العصر[(٢)]، وفرض قيام الليل، وأشياء من العبادات وهي لنا نفل، وكان عليه السلام يقوم من الليل حتى تورمت قدماه [(١)]. ونودي بالصلاة في مرضه الذي مات فيه، فأمر بماء يوضع له ليتوضأ فأغمي عليه، ثم أفاق فأمر به فأغمي عليه ثم أفاق فأمر به ثم أغمي عليه، فلما أفاق أمر أبا بكر أن يؤم بالناس. [(٢)]وقد كان عليه السلام، يحب أن يعمل بالعمل من البر، فما يمنعه منه إلا مخافة أن يفرض علينا، وهكذا روي عنه[(٣)] فما أشفقه علينا، وأرحمه بنا، وأحرصه على هدايتنا، وإنقاذنا من عذاب الله ﷺ، وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن أمته.

ولنختم هذه الرسالة، بذكر شيء يسير من أفعال هذه الطائفة، وأقوالهم وأحوالهم، الدالة على تعظيم الشريعة، وعلى المحافظة على نوافلها، فضلا عن فرائضها، وأنهم كانوا معروفين بذلك مشهورين به من سائر الطوائف.

فمن ذلك ما بلغنا عن أبي يزيد، أنه قصد إلى زيارة رجل يذكر بالصلاح، فانتظره في المسجد وخرج الرجل فألقى نخامه في المسجد، فرجع الشيخ ولم يجتمع به. وقال: لا يؤمن على أسرار الله من لم يحافظ على أداب الشرع [(٤)] وقال هممت أن أسأل ربي أن يكفيني مؤنة النساء، ثم قلت: أن رسول اللهﷺ، لم يسأل عن ذلك فتركته، وكفاني الله مؤنتهن، حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط[(٥)] وسجن السلطان ذا النون [(٦)]، فأدخلت له امرأة صالحة طعاما،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الوصال، ومن قال: ليس في الليل صيام، رقم الحديث ١٦٩٢، ٣٧/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب: لا تتحرى الصلاة قبل غروب الشمس، رقم الحديث ٥٨٨، ١٢١/١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، رقم الحديث ٤٨٣٦، ١٣٥/٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب: إنما جعل الإمام ليؤتم به، رقم الحديث ٦٨٧، ١٣٨/١.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه: رقم الحديث ٣١٢، ٢/ ١٠.

(٤) أخرجه القشيري في رسالته، ص ٦٣.

(٥) أخرجه القشيري في رسالته: ص ٦٣.

(٦) ذو النون المصري ثوبان بن إبراهيم الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم. وقيل: فيض بن أحمد. يكنى: أبا الفيض ويقال: أبا الفياض. ولد: في أواخر أيام المنصور. وروى عن: مالك، والليث، وابن لهيعة، وفضيل بن عياض،

يعلم حاله على يد السجان، فرده واعتذر اليها، بأنه وصله على يد ظالم. [١]وكان يقول: للعارف ثلاث علامات: أن لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، وان لا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم، وأن لا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارمه. وكان أبراهيم بن أدهم يحرس بستانا لبعض الأغنياء، فخرج صاحب البستان إليه وقال له: هات شيئا من الفواكه الحلوة، فجاءه بشيء حامض، فقال له: أنت في البستان منذ زمان ولا تفرق بين الحامض والحلو، فقال له: يا هذا إني لم أذق من فاكهة بستانك شيئا. [٢]وكان أبراهيم الخواص به داء الإسهال، فكان كلما أحدث توضأ، فاتفق أنه توضأ في ليلة أكثر من سبعين مرة، وفي أخرها قام ليتوضأ فخرجت نفسه وهو في الماء. [٣]ورئي الجنيد وفي يده سبحة، فقيل له: مثلك يحمل السبحة! فقال: طريق وصلنا به إلى الله لا نتركه. [٤] ودخل عليه أنسان وهو في الموت، فسمعه يختم القران، فقال: يا شيخ في مثل هذا الحال تقرأ، فقال: ومن أولى بذلك مني، وهو ذا تطوى صحيفتي؟ [٥] وقال الجنيد: لو أقبل مقبل على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، لكان الذي فاته أكثر من الذي حصل له [٦]. ومر رويم[٧] في بعض شوارع بغداد وهو عطشان، فاستسقى من بعض الدور، فخرجت إليه صبية

وسلم الخواص، وسفيان بن عيينة، وطائفة .وعنه: أحمد بن صبيح الفيومي، وربيعة بن محمد الطائي، ورضوان بن محيميد، وحسن بن مصعب، والجنيد بن محمد الزاهد، ومقدام بن داود الرعيني، وآخرون. وقال ابن يونس: كان عالما، فصيحا، حكيما. توفي: في ذي القعدة، سنة خمس وأربعين ومائتين. ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ٥٣٣/١١.

(١) أبي طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م، ٤٧٨/٢.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٧/ ٢٦٩.

(٣) أخرجه القشيري في رسالته: ص٩٧.

(٤) أخرجه القشيري في رسالته: ص ٨٠–٨١.

(٥) المرجع السابق: ص٥٠٠.

(٦) المرجع نفسه: ص٨٠.

(٧) الإمام الفقيه المقرئ، الزاهد العابد، أبو الحسن رويم بن أحمد، وقيل: رويم بن محمد ابن يزيد بن رويم بن يزيد البغدادي، شيخ الصوفية، ومن الفقهاء الظاهرية، تفقه بداود. وهو رويم الصغير، وجده هو رويم الكبير، كان في أيام المأمون. مات رويم ببغداد سنة ثلاث وثلاث مائة. الذهبي سير أعلام النبلاء، ١٤٤/١١.

بماء فلما رأته قالت: صوفي يشرب بالنهار! فلم يفطر بعد ذلك حتى خرج من الدنيا (١).
وسئل صاحب للشبلي: كيف كانت محافظته على الشريعة؟ فقال: أشار على إلى أن وضئيني للصلاة، وهو في النزع، وقد أمسك لسانه، فنسيت أن أخلل لحيته، فأخذ بيدي فأدخلها في لحيته. (١) ولما حضرت الوفاة خير النسَاج سمعوه يقول: قف عافاك الله حتى أصلي، فان الذي أمرتُ به يفوتني، والذي أمرت به لا يفوتك، ثم قام للصلاة فصلى فلما سلم خرجت روحه(٢)، رحمهم الله ورحمنا بهم، ورزقنا متابعتهم والاهتداء بهديهم، وجمع بيننا وبينهم في دار كرامته.

وهذه يا محمد نصيحتي لك، وقد أديت بها فرضا فرضه الله عليّ، فان سمعت وأطعت، وقبلت النصح وتركت ما أنت عليه، وقضيت ما فوته من الصلاة والصيام، وانشرح صدرك لذلك، فأبشر فقد أحسنت إلى نفسك، وعسى الله أن يغفر ما سلف، وما ذلك على الله بعزيز. وان تماديت في الجهالة، وأبيت إلا الإصرار على البطالة، والعكوف على الضلالة، فعلى الله حسابك، وإليه إيابك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ (٣)﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (٤)﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ (٥)﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (٦)
﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ (٧)
﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾(٨)

---

(١) القشيري: ص٨٦.
(١) المرجع السابق: ص ٥٠٥.
(٢) المرجع نفسه: ص١٠٤.
(٣) سورة فصلت: الآية ٤٦
(٤) سورة العنكبوت: الآية ٦
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨١
(٦) سورة فاطر: الآية ٥ – ٦
(٧) سورة الأنعام: الآية ١٠٤
(٨) سورة هود: الآية ٨٦

﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [١]﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [٢]والسلام على من اتبع الهدى)) [٣]

ثانياً: بدعة المساير (الذبح لغير الله) :

ويقصد ببدعة المساير الذبح الذي يكون صرف لغير الله، وهو شرك أو هو الذبح للغير تعبداً أو تقرباً له، وأما الذبح للغير بنيه إكرامه فلا شيء فيه بل هو مأمور به وأما الذبح بنية الاستمتاع باللحم فهنا أقل أحواله الإباحة. قال الإمام النووي–رحمه الله–: ((وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لعيسى أو لموسى (صلى الله عليهما) أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً)) [٤]

وسئل الإمام الحداد ﷺ عن الكبش الذي يعتاد أهل الغيل تركه في بيوتهم ويسمونه مسايراً. فأجاب ﷺ ونفعنا به:((أما الكبش الذي تركه أهل الغيل في بيوتهم ويسمونه مسايراً وكلما ذهب أبدلوه بغيره. فهذا والعياذ بالله من الشرك بالله والشرك ظلم عظيم وهو وأمثاله سبب تسلط الشيطان وجنوده على العاملين به. فإن الله تعالى قد سلَّط الشيطان على من يتبعه من بني آدم وهذا من الاتباع له، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[٥]فلا تفعل ذلك ولا تترك أحداً يطيعك من أهل البلد يفعله، وفي التحصن بالله ورسوله وآيات القرآن وإقامة الصلوات ما يكفي شر جميع الشياطين من الجن والإنس أجمعين.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٩

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٩

(٣) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد، ١/ ٥٥– ٦٨.

(٤) النووي: شرح صحيح الإمام مسلم، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، ١٤١/١٣.

(٥) سورة الحجر: الآية ٤٢

وصدر إليك حرز أبي دجانة الأنصاري(١) الذي كتبه له رسول الله ﷺ، حين شكا عليه ظهور الجن في بيته فلما جعله فيه هربوا منه، وولَّوا مدبرين.

أما النسخة الصادرة إليك منا فعلقها في دارك، بعد أن تنقل منها نسخة تتركها ظاهرة تكتب منها لمن أراد من الراغبين فيها من المسلمين، بشرط أن تترك هذا المساير وتعتمد على الله الذي لا نافع ولا ضار غيره.

ولو أن هؤلاء الناس توكلوا على الله وتطهروا من النجاسات، وأقاموا الصلوات، لما آذتهم الشياطين ولا ضرتهم الجن، بل كانوا يفرون منهم لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً. وأما الأمراض والعاهات فقد يسوقها الله تعالى إلى عباده المؤمنين ليثيبهم وقد ينساق من البليات والآفات إلى الذين يتمسكون بهذه الأوهام ويتعلقون بالجن أضعاف ذلك، وهم مأثومون مأزورون لا مثابون ولا مأجورون فتمسكوا بالله وتحصنوا به سبحانه وتعالى)) (٢)

---

(١) أخرجه البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥ هـ، ٧ /١٧١.

(٢) انظر الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ، ص١٢٧.

المطلب الرابع: منهج الإمام الحداد في الصحابة والخلافة وآل البيت رضي الله عنهم

أولا: تعريف الصحابة ومكانتهم في الدين:

الصحابة: في الأصل مصدر أطلق على أصحاب الرسولﷺ، لكنها أخص من الأصحاب لكونها لغلبة الاستعمال تنصرف إلى أصحاب الرسول ﷺكالعلم لهم، ولهذا نسب الصحابي إليها بخلاف الأصحاب، والصحابي هو من لقي النبي عليه الصلاة والسلام بعد النبوة في حال حياته يقظة مؤمنا به ومات على ذلك ولو أعمى كابن أم مكتوم ﷺ وغيره ممن حنكه النبي ﷺأو مسح وجهه من الأطفال أو من غير جنس البشر كوفد جن نصيبين، واستشكل ابن الأثير في كتابه أسد الغابة دخوله في اسم الصحبة، وكمن لقيه من الملائكة ليلة الإسراء وغيرها بناء على أنه مرسل إليهم أيضا، وعليه المحققون، وقد عبر بعضهم بالاجتماع دون اللقاء إشعارا باشتراط الاتصاف بالتمييز فلا يدخل في الصحبة من حنكه من الأطفال أو مسح على وجهه، إذ لهم رؤية وليس لهم صحبة، وخرج به أيضا الأنبياء الذين اجتمعوا به ليلة الإسراء وغيرها، ومن اجتمع به من الملائكة لأن المراد الاجتماع المتعارف لا ما وقع على وجه خرق العادة ومقامهم أجل من رتبة الصحبة. [١]

قلت فضابط الصحابي كما قال ابن حجر – رحمه الله – وأصح ما وقفت عليه أن الصحابي: ((من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام)) [٢]وبهذا عرف الإمام الحداد الصحابة بقوله ﷺ: ((وصحبه: هم الذين صحبوه في حياته وآمنوا به وهاجروا إليه ونصروا دينه وجاهدوا معه وبلغوا عنه ما سمعوه ورأوه من أقواله وأفعاله. فلاجتماع هذه المزايا والفضائل لهم، التي لم يشاركهم فيها غيرهم كانوا سادات الورى وأئمة الهدى)) [٣]

ثانيا: الاعتقاد الصحيح في الصحابة:

قال الإمام ابن حجر –رحمه الله – للصحابة رضي الله عنهم أجمعين خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، وذلك أمر مسلم به عند كافة العلماء، لكونهم على الإطلاق معتدلين بنصوص الشرع من الكتاب والسنة، وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة.

---

(١) الجرجاني: الكليات، ٥٨٨/١.

(٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ١٣٠/١.

(٣) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص٨٧.

فأما الكتاب: قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[(٣)] وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[(٥)] وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[(٦)] تلك آيات عظيمة نزلت من عند المولى عز وجل تشهد بفضل وعدالة جميع أصحاب النبي ﷺ الذين كانوا معه في المواقف الحاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية ابتداء من دار الأرقم بن أبي الأرقم، وانتهاء بفتح المدائن.

فمن الأمور القطعية الثبوت والدلالة أن عدالة أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ جاءت من فوق من عند الله سبعة أرقعة، فلا يتصور لإنسان مهما أوتي من علم ومعرفة أن يطعن في

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢

(٢) سورة الحشر: الآية ٨ – ٩

(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٤

(٤) سورة الفتح: الآية ١٨

(٥) سورة التوبة: الآية ١١٩

(٦) سورة التوبة: الآية ١٠٠

صحابة رسول الله ﷺ بعد شهادة الله عز وجل لهم وفي نصوص السنة النبوية المشرفة أحاديث كثيرة ذكرها الإمام الحداد في معرض كلامه عن الصحابة وعدالتهم واستدل بها فقال رضي الله عنه (قال عليه الصلاة والسلام: «احفظوني في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا من بعدي، من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» [١]وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابي، فوا الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه [٢]» اهـ» [٣]

قال ابن حجر –رحمه الله – في شرحه للحديث وهذا خطاب منه لخالد بن الوليد رضي الله عنه ولأقرانه من مسلمة الحديبية والفتح، فإذا كان مد أحد أصحابه أو نصيفه أفضل عند الله من مثل أحد ذهبا من مثل خالد وأضرابه من أصحابه رضوان الله عليهم، فكيف يجوز أن يحرمهم الله الصواب في الفتاوى ويظفر به من بعدهم؟ هذا من أبين المحال.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: صلينا مع النبي ﷺ المغرب، ثم قلنا: لو انتظرنا حتى نصلي معه العشاء، فانتظرناه فخرج علينا، فقال: (ما زلتم ها هنا) ، قال: قلنا: نعم يا رسول الله، قلنا: نصلي معك العشاء، قال: (أحسنتم وأصبتم) ، ثم رفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء، قال: «النجوم أمنة لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» [٤]ووجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء، ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم، وحرزا من الشر وأسبابه

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه:، بلفظ الله الله في أصحابي، باب فيمن سب أصحاب النبيﷺ، رقم الحديث ٣٨٦٢، ٥ /٦٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول النبيﷺ: لو كنت متخذا خليلا، رقم الحديث ٣٦٧٣، ٥ /٨.

(٣) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٢٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: باب بيان أن بقاء النبي ﷺأمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة، رقم الحديث ٢٥٣١، ١٩٦١/٤.

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) [(١)] فأخبر النبي ﷺأن خير القرون قرنه مطلقا، وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، وإلا لو كان خيرا من بعض الوجوه فلا يكونون خير القرون مطلقا وقد يقول قائل: إن هذه الأدلة تتناول أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه قبل الفتح، وأما من أسلم بعد الفتح فلا دليل على عدالتهم، فأسوق جوابا لهم وهو: وأما مسلمة الفتح والأعراب الوافدون على رسول الله ﷺ فهؤلاء لم يتحملوا من السنة مثل ما تحمل الصحابة الملازمون لرسول الله ﷺ ومن تعرض منهم للرواية كحكيم بن حزام، وعتاب، وغيرهم عرفوا بالصدق والديانة وغاية الأمانة على أنه ورد ما يجعلهم أفضل من سواهم من القرون بعدهم، كقوله ﷺ: ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب)) [(٢)] وغيرهما بألفاظ مختلفة، والخيرية لا تكون إلا للعدول الذين يلتزمون الدين والعمل به قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [(٣)]والخطاب الشفهي لصحابة رسول الله ﷺ ومن حضر نزول الوحي، وهو يشمل جميعهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [(٤)]، وسطا: عدولا.

فالإسلام كان في أول شبابه فتيا قويا في قلوب من أذعنوا له واتبعوا هداه، وتمسكوا بمبادئه، واصطبغوا بصبغته، فكانت العدالة قوية في نفوسهم شائعة في آحادهم، حتى إننا نرى الذين وقعوا منهم في الكبائر ما لبثوا أن ساقتهم عزائمهم إلى الاعتراف وطلب الحد، ليطهروا به أنفسهم، وسارعوا إلى التوبة حيث تاب الله عليهم، ولا نريد بقولنا: الصحابة عدول- أكثر من أن ظاهرهم العدالة.

ونذكر ثناء أهل العلم على الصحابة وهذا الثناء للاستئناس وليس للتدليل إذ لا يصح القول مع الله عز وجل ورسوله ﷺ حيث نص الله ورسوله على عدالتهم، فهل بعد تعديل الله عز

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث ٣٦٥٠، ٢/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: باب منه، رقم الحديث ٢٣٠٣، ٥٤٩/٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١١٠

(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣

وجل ورسوله ﷺ تعديل؟! ! فأقول ولله الحمد والمنة: قال الإمام النووي- رحمه الله -: ((الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به)) (١).

قال إمام الحرمين: والسبب في عدم الفحص عن عدالتهم أنهم حملة الشريعة، فلو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصره ﷺ ولما استرسلت سائر الأعصار.

قال أبو زرعة الرازي -رحمه الله -: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة فالجرح بهم أولى. وقال ابن الصلاح -رحمه الله -: ((ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحسانا للظن بهم، ونظرا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة)) (٢). قال الخطيب البغدادي -رحمه الله -: ((والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له (٣) اهـ)) (٤)

والإمام الحداد يقرر عدالتهم فيقول ﷺ: ((وأن يعتقد فضل أصحاب رسول الله ﷺ وترتيبهم وأنهم عدول أخيار أمناء، لا يجوز سبهم ولا القدح في أحد منهم وأن الخليفة الحق بعد رسول الله ﷺ: أبوبكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان الشهيد، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك اللهم يا أرحم الراحمين)) (٥) كما يحذر الإمام الحداد من بغضهم وأنه

---

(١) النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، تحقيق: محمد عثمان، ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص٩٢.

(٢) ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن تقي الدين المعروف بابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص٢٩٥.

(٣) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، ، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة، ط بدون، ص ٤٨.

(٤) ابن حجر: الإصابة في تميز الصحابة، ١/١٧.

(٥) الحداد: النصائح الدينية، ص٤٩١.

سبب الهلاك في الدنيا والآخرة قال ﷺ: ((فليحذر المسلم المشفق على دينه من بغض أحد من أهل بيت رسول الله ﷺ أو من أصحابه، فإن ذلك يضره في دينه وآخرته، ويعد به مسيئا إلى نبيه، ومؤذيا له ﷺ، وليحبهم ويثن عليهم بالخير كما أثنى الله به ورسوله عليهم)) (١)

ويقرر الإمام الحداد أن أقوال الصحابة حجة فيقول ﷺ: ((وآية من كتاب الله تكفيك، فإن لم تعرف معناها فاسأل عنه أهل العلم به، وإذا كان في الأمر شيء عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم، فلا لأحد عنه معدل، وما كان عن الصحابة فيتبع، وما كان عن غيرهم فيؤخذ منه ويترك)) (٢)، وقال الإمام الحداد شعرا:

فما بعد هدى المصطفى وصحابه *** هدى ليس بعد الحق إلا الضلالة(٣)

ثالثا: كف اللسان عن كثرة الخوض فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم:

أولا إن الكلام عما شجر بين الصحابة ليس هو الأصل، بل الأصل الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة هو الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة، وهذا مبسوط في عامة كتب أهل السنة في العقيدة، كالسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبلﷺ، والسنة لابن أبي عاصمﷺ، وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني، والإبانة لابن بطة، والطحاوية، وغيرهم من العلماء رضوان الله عليهم، ويتأكد هذا الإمساك عند من يخشى عليه الالتباس والتشويش والفتنة، وذلك بتعارض ذلك بما في ذهنه عن الصحابة وفضلهم ومنزلتهم وعدالتهم وعدم إدراك مثله، لصغر سنه أو لحداثة عهده بالدين. . . لحقيقة ما حصل بين الصحابة، واختلاف اجتهادهم في ذلك، فيقع في الفتنة بانتقاصه للصحابة من حيث لا يعلم. وهذا مبني على قاعدة تربوية تعليمية مقررة عند السلف، وهي إلا يعرض على الناس من مسائل العلم إلا ما تبلغه عقولهم. قال الإمام البخاري –رحمه الله–: ((باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا)) (٤)

---

(١) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٢١.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد:، ١/٣٦٤-٣٦٥.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١١٤.

(٤) صحيح البخاري: ١/٣٧.

وقال علي كرم الله وجه: ((حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)) (١). ومثله قول ابن مسعودﷺ: ((ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)) (٢)

ثانيا: إذا دعت الحاجة إلى ذكر ما شجر بينهم، فلابد من التحقق والتثبت في الروايات المذكورة حول الفتن بين الصحابة، قال عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ (٣) وهذه الآية تأمر المؤمنين بالتثبت في الأخبار المنقولة إليهم عن طريق الفساق، لكيلا يحكموا بموجبها على الناس فيندموا. فوجوب التثبت والتحقيق فيما نقل عن الصحابة، وهم سادة المؤمنين أولى وأحرى، خصوصا ونحن نعلم أن هذه الروايات دخلها الكذب والتحريف، أما من جهة أصل الرواية أو تحريف بالزيادة والنقص يخرج الرواية مخرج الذم والطعن.

ثالثا: إذا صحت الرواية في ميزان الجرح والتعديل، وكان ظاهرها القدح، فليلتمس لها أحسن المخارج والمحاذير قال ابن أبي زيد–رحمه الله –: ((والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب)) (٤)

وقال ابن دقيق العيد–رحمه الله –: ((وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه، فمنه ما هو باطل وكذب، فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحا أولناه تأويلا حسنا، لأن الثناء عليهم من الله سابق، وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل للتأويل، والمشكوك والموهوم لا يبطل الملحق المعلوم)) (٥) هذا بالنسبة لعموم ما روي في قدحهم.

رابعا: أما ما روي على الخصوص فيما شجر بينهم، وثبت في ميزان النقد العلمي، فهم فيه مجتهدون، وذلك أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قال الإمام النووي–رحمه الله –: ((وأما علي ﷺ فخلافته صحيحة بالإجماع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا، رقم الحديث ١٢٧، ٣٧/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ١١/١.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٦

(٤) ابن أبي زيد: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، شرح عبد المحسن بن حمد البدر، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢، ص٤٨.

(٥) ابن عجلان (أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم لعبد العزيز العجلان ص٣٦٠).

وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره وأما معاوية ﷺ فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء ﷺ، وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ولم يخرج شيء من ذلك أحدا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم. واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه فكلهم معذورون رضي الله عنهم، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين)) [(١)]

خامسا: ما ينبغي أن يعلمه المسلم حول الفتن التي وقعت بين الصحابة مع اجتهادهم فيها وتأولهم، حزنهم الشديد وندمهم لما جرى، بل لم يخطر ببالهم أن الأمر سيصل إلى ما وصل إليه، وتأثر بعضهم التأثر البالغ حين يبلغه مقتل أخيه، بل إن البعض لم يتصور أن الأمر سيصل إلى القتال، وإليك بعض من هذه النصوص: هذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، تقول إذا قرأت ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [(٢)] تبكي [(٣)]حتى يبتل خمارها) [(١)] وهذا الزبير بن العوام

---

(١) النووي: شرح النووي على مسلم، ١٥/٤٥.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣

(٣) قال ابن عطية: بكاء عائشة رضي الله عنها إنما كان بسبب سفرها أيام الجمل، وحينئذ قال لها عمار: إن الله قد أمرك أن تقري في بيتك. قال ابن العربي: تعلق الرافضة لعنهم الله– بهذه الآية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ قالوا: إنها خالفت أمر رسول الله ﷺحين خرجت تقود الجيوش، وتباشر الحروب، وتقتحم مأزق الطعن والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجوز لها. قالوا: ولقد حصر عثمان، فلما رأت ذلك أمرت برواحلها فقربت لتخرج إلى مكة، فقال لها

ﷺ- وهو ممن شارك في القتال بجانب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - يقول: ((إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها، فقال مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟! قال: ويحك، إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر)) [٢] وهذا معاوية ﷺ، لما جاءه نعي علي بن أبي طالبﷺ، جلس وهو يقول:((إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل يبكي، فقالت له فاختة: أنت بالأمس تطعن عليه، واليوم تبكي عليه! فقال: ويحك! إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره)) [٣]وبعد هذه المنقولات كلها، كيف يلامون بأمور كانت متشابهة عليهم، فاجتهدوا، فأصاب بعضهم وأخطأ الأخرون، وجميعهم بين أجر وأجرين، ثم بعد ذلك ندموا على ما حصل وجرى.

سادسا: أن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن الصحابي معصوم من كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون إما قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بسابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ، وهم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء

مروان: أقيمي هنا يا أم المؤمنين، وردي هؤلاء الرعاع، فإن الإصلاح بين الناس خير من حجك. قال ابن العربي قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إن عائشة رضي الله عنها نذرت عنها، نذرت الحج قبل الفتنة، فلم تر التخلف عن نذرها، ولو خرجت في تلك الثائرة لكان ذلك صوابا لها. وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها، وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت إلى الخلق، وظنت هي ذلك فخرجت مقتدية بالله في قوله: " لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس" النساء: ١١٤، وقوله: " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" الحجرات: ٩ والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر وأنثى، حر أو عبد فلم يرد الله تعالى بسابق قضائه ونافذ حكمه أن يقع إصلاح، ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان، فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه، فلما سقط الجمل لجنبه أدرك محمد بن أبي بكر عائشة رضي الله تعالى عنها، فاحتملها إلى البصرة، وخرجت في ثلاثين امرأة، قرنهن علي بها حتى أوصلوها إلى المدينة برة تقية مجتهدة، مصيبة مثابة فيما تأولت، مأجورة فيما فعلت، إذ كل مجتهد في الأحكام مصيب. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٧٨/١٤.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٧٧/٢.

(٢) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الناشر: دار التراث — بيروت، ط٢ – ١٣٨٧ هـ، ٤٧٦/٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢٩/١١.

في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي هم مجتهدون فيها: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور. ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نادر، مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح. يقول الذهبي –رحمه الله–: ((فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم، وجهاد محاء، وعبادة ممحصة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة)) [(١)]وهذا منهج الإمام الحداد في الصحابة.

قال الإمام الحداد ﷺ: ((ومما ينبغي ويتأكد كف اللسان عن كثرة الخوض فيما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ووقع بينهم من الحروب والفتن. ومن أهول ذلك وأعظمه إشكالا، مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم ما وقع بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم يوم الجمل. وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وبين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهم بصفين. فليلتمس المؤمن الشفيق على دينه لأصحاب رسول الله ﷺفي أمثال ذلك أحسن المخارج، ويحملهم فيه على أجمل المحامل اللائقة بفضلهم وجلالة أقدارهم؛ فإنهم رضي الله عنهم عدول أخيار أمناء. فليكن المؤمن المتبع لهم بإحسان على مثل ما وصف الله في قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [(٢)]. وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)) [(٣)]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم)) [(٤)]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) [(٥)]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١/٥٠.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٠

(٣) أخرجه أبو نعيم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، كتاب الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي بن محمد بن ناصر، ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ص٣٧٥.

(٤) أخرجه الآجري: الشريعة، ، رقم الحديث ١١٦٦، ٤/١٦٩٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ خيركم قرني، رقم الحديث ٢٦٥١، ٣/ ١٧١.

الحديث، وقال عليه الصلاة والسلام: ((احفظوني في أصحابي وأصهاري، فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن تخلى الله عنه أوشك أن يأخذه)) (١) اهـ)) (٢)

ونبه الإمام الحداد على خطورة مطالعة الكتب التي تروي الخلاف بين الصحابة وانها توغر الصدور فقال رضي الله عنه: ((وينبغي للإنسان أن لا يتعمق في مطالعة الكتب التي فيها ذكر ما وقع لسيدنا علي من الحروب كالجمل وصفين وغير ذلك، لأنها توغر الصدور، ولا بد ما يمر عليه القليل منها في شيء من الكتب، وإن بلي العالم بذلك واحتاج إلى النظر فيما ذكر، فليتوسط ولا يمعن، وإنما نظرنا فيه حين وصلت الزيدية إلى هذه الجهة، وسألونا عن أشياء فأجبناهم عنها، وكان في السائل منهم إنصاف، حتى إنه مال إلى ما قلناه، وود الإقامة عندنا، وكان من الزيدية بمكان، وكان متجردا للأمر والنهي)) (٣)

رابعا: رأي الإمام الحداد فيمن حارب الإمام علي وأبناءه رضي الله عنهم:

لا شك أن المدرسة التي تعلم فيها الإمام الحداد (مدرسة حضرموت) متصلة الاستلهام في موقفها المعلن بمبادئها المعروفة إلى من سبق من خلفاء الديانة وحملة منهج السلامة بسند متصل إلى رسول ﷺ وموقفه يوم فتح مكة وقد تمكن من خصومه وأعدائه وامتلك رقابهم ولكنه قال لهم ﷺ (اذهبوا فأنتم الطلقاء) فصار لدى أهل هذا المنهج العالي سنة متبعة وهو العفو عمن ظلم، والنظر فيما يجمع الله به الأمة ولو كان فيها إجحاف لآل البيت رجاء ثواب الله المعبر عنه في قوله تعالى﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ (٤) كما قال شاعرهم:

واستلهموا موقف من قد سبق *** كموقف المختار يوم الطلقا (٥)

والإمام علي رضي الله عنه أول من طبق الأخذ بمنهج السلامة، بعد رسول الله ﷺ وذلك من خلال:

---

(١) أخرجه الطبراني: المعجم الكبير، ١٧/ ٣٦٩.

(٢) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص ٢٢٢.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٢٢٦-٢٢٥.

(٤) سورة الشورى: الآية ٤٠

(٥) المشهور: أبوبكر العدني بن علي المشهور، منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي، الناشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث الجمهورية اليمنية –عدن–، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص٤٦.

أولا: عدم اتخاذ أي موقف معلن من الخلفاء السابقين أو نقد لحكمهم أو نقض لعرا أحكامهم وشوراهم وهذا يعني سلامة منهج الخلفاء وموافقته لما كانوا عليه بل جند أبناءه لدفاع عن عثمان ﷺ ساعة حصاره.

ثانيا: موقفه الواضح من غلاة الشيعة المفرطين في ذاته وما أثر عنه من حرق أحدهم والتبري من آخرين.

ثالثا: تحديد موقفه من سلطة بني أمية وعدم المهادنة في شأن تمحكهم بقضية عثمان ﷺ وإعذاره لمن وقف موقفا سلبيا منه في أيام الفتنة.

رابعا: معاملته العادلة مع معارضيه من أصحاب رسول ﷺ وعدم سبهم أو تكفيرهم أو معاملتهم بما يعاملهم به مدعو المحبة للإمام ﷺ حتى اليوم، وخاصة مواقفه من الأصحاب الأكابر كعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم، وبه يتضح الفرق بين موقف الأتباع وموقف المقتدى به. . من خلال سنة المواقف للأئمة لا من خلال مواقف الأتباع. [1]

إن الإمام الحداد وبقية آل البيت في حضرموت يخالفون أهل الإفراط والتفريط فيما جنحوا إليه من أطلاق السب والشتم والوقيعة على من عاداهم فضلا عن صحابة رسول الله ﷺ ويتعففون عن تناول غيرهم باللعن والسب الصريح ويتذكرون قول المعلم الأعظم ﷺ «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة» [2] وبهذا الموقف تخلصوا من عقدة الطبع الراغبة في الانتقام واخذ الحق باليد واللسان واستعاضوا بما عند الله عز وجل الذي ينصر المظلوم. [3]

والإمام الحداد قسم أصحاب الفتنة إلى قسمين قسم مجتهد وله أجر الاجتهاد وقسم بغاة بالخروج وليس لهم أجر الاجتهاد فقال حين سئل الإمام الحداد–رحمه الله –: عمن حارب عليا كرم الله وجهه ونازعه من المسلمين؟ فأجاب: «اعلم أن الذين باشر علي ﷺ قتالهم بنفسه، بعد أن خرجوا عليه ثلاث طوائف:

---

(١) المشهور: أبوبكر العدني بن علي المشهور، الوثيقة، الناشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث الجمهورية اليمنية –عدن– ط٢، ١٤٣٤هـ –٢٠١٣م، ص ١٩٤–١٩٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، رقم الحديث ٢٥٩٩، ٤/٢٠٠٦.

(٣) المشهور: أبوبكر العدني بن علي المشهور، سلامة الدارين في دراسة مواقف السبطين، الناشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث الجمهورية اليمنية –عدن– ط٢، ١٤٣٤هـ –٢٠١٣م، ص ٨٢–٨٣.

الأولى: أهل الجمل، الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم أجمعين[١]، وأهل البصرة خرجوا عليه بعد أن بايعوه يطلبون بدم عثمان ﷺ. ولم يكن ﷺ قتله ولا أمر بقتله ولا رضيه، ولكنه قبل البيعة من قتلته ولم يسلمهم، لأمر رأى فيه صلاح الدين واجتماع المسلمين، في ذلك الحين فلم يفطن له الخارجون عليه.

الثانية: أهل صفين معاوية وعمرو بن العاص وأهل الشام، ولم يبايعوا عليا وخرجوا عليه يطلبون بدم عثمان.

الثالثة: أهل النهروان، وهم الخوارج وقد بايعوه وقاتلوا معه ثم خرجوا عليه ينقمون تحكيم الحكمين يوم صفين، وما قاتل علي ﷺ أحدا من هذه الطوائف إلا بعد أن دعاهم إلى الاجتماع والألفة والدخول في الطاعة فأبوا. وكلهم بغاة عندنا ومنازعون وخارجون بغير حق صريح وصواب واضح. نعم من خرج منهم وله في خروجه شبهة فأمره أخف ممن خرج ينازعه

---

(١) إن السيدة عائشة ومن خرج معها من كبار الصحابة قد أخطأوا في خروجهم ولكن يصعب علينا جدا أن نصدر هذا الحكم قبل أن تؤول الحوادث إلى ما آلت إليه فلم تكن تتوقع حدوث قتال أو سفك دماء . قال ابن حزم وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الإمامة ولا أحدثوا إمامة أخرى ولا جددوا بيعة لغيره هذا ما لا يقدر أن يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم على أن كل لك لم يكن فإذ لا شك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد فصح أنهم إنما نهضوا إلى البصرة لسد الفتق الحادث في الإسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان إلا أن الاراغة والتدبير عليهم فبينوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع أهله عن أنفسهم وكل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأ بها بالقتال واختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يغترون من شن الحرب وأضر أمه فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها ورجع الزبير وترك الحرب بحالها وأتى طلحة سهم غاير وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدري رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه وقتل الزبير رضي الله عنه بوادي السباع على أقل من يوم من البصرة فهكذا كان الأمر، ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٢٣/٤.

في الأمر ويطلبه لنفسه. والله أعلم بنياتهم وسرائرهم وسلامتنا في السكوت عنهم. ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾[١].

وقال علماؤنا في شأن الزبير ومن معه ومعاوية ومن معه: إنهم اجتهدوا فأخطأوا فلهم عذر. وعلى كل حال فغاية من خرج على الإمام المرتضى من أهل التوحيد المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة أن يكون عاصيا[٢] والعاصي عندنا لا يجوز لعنه بعينه.وليس الخروج على الأئمة عندنا كفرا بل لا يجوز عندنا لعن أحد إلا إذا علمنا أنه مات كافرا، وأن رحمة الله تعالى لا تناله بحال كإبليس، ومع ذلك فلا فضيلة في لعن من هذا وصفه، ويجوز عندنا لعن العاصين والفاسقين والظالمين عموما.

وأما الحسن والحسين رضي الله عنهما فهما أماما حق قد استجمعت فيهما شرائط الإمامة وكملت أهليتهما لها. فأما الحسن فبايعه أهل الحل والعقد ممن كان في طاعة الإمام علي وذلك بعد مقتله.

فلما سار إليه معاوية بجموع أهل الشام يقصد حربه، وسار هو إليه بجموع أهل العراق فحين تقارب الفريقان، نظر الحسن نظر الرحمة والشفقة على الأمة ليتم الله تعالى له ما قال جدهﷺ فيه: ((إن ابني هذا سيد وإني أرجو أن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)) [٣]

فعند ذلك خلع نفسه وبايع لمعاوية[٤] على أن يكون له الأمر من بعده في شرائط اشترطها. فمات رضي الله تعالى عنه قبل معاوية فجعل الأمر معاوية إلى ولده يزيد، فبايعه الناس طوعا

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٤

(٢) والمقصود أن الصحابة الذين خرجوا ليسوا عصاة ولكن أصحاب الفتنة ممن اندسوا بينهم هم العصاة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ ولعل الله، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما: (ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين) رقم الحديث ٢٧٠٤، ١٨٦/٣.

(٤) ليس جبنا ولا خوفا ولا أن غيره احق به منه ولكنه ابتغاء ما عند الله وحقن دماء الأمة وهنا ملحظ هام بإنهاء معركة الصراع فيما بين المسلمين وهو ما قصده الإمام الحسن رضي الله عنه في خطبة التنازل في قوله (أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن معاوية نازعني أمرا أنا أحق به وإني تركته حقنا لدماء المسلمين وطلبا لما عند الله) أخرجه ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، عز الدين ابن الأثير، أسد الغابة، الناشر: دار الفكر — بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ٤٩٢/١.) وبهذا الموقف حفظت دماء المسلمين من الإهدار في سبيل الملك وهذا الموقف قائم على دراسة النصوص وليس على اندفاع المحبين ولا ضغوط المبغضين المنازعين .

وكرها وأبى الحسين ﷺ أن يبايع فعند ذلك كتب إليه أهل العراق أن يسير إليهم ليملكوه عليهم، فأجابهم رضي الله تعالى عنه إلى ذلك وسار يقصد العراق.

فكتب يزيد إلى عامله بها: عبيدالله بن زياد يحثه على حرب الحسين رضي الله تعالى عنه والوقيعة به فقام بذلك ووافقه أهل العراق عليه بعد أن بايعوا الحسين، ودخلوا في طاعته بزعمهم فقتل هنالك شهيدا في طائفة من أهل بيته رضوان الله عليهم(١).

والذي قتله والذي أمر بقتله والذي أعان على ذلك: عندنا من الفاسقين المارقين عاملهم الله بعدله أجمعين. أهـ)) (٢)

ومنهج الإمام الحداد الترضي على معاوية ﷺ وأنه صحابي والتمس له أحسن المخارج لشرف الصحبة وأما يزيد ابنه ففاسق ولا حرمة له ومع فسقه إلا أن الإمام الحداد لا يرى بلعنه ووضع منهج في التعامل مع الحاكم الفاسق غير الكافر بأنه لا يجوز لعنه.

قال الإمام الحداد ﷺ: ((وليس يزيد عندنا بمنزلة معاوية فإن معاوية رضي الله عنه صحابي. وليس يترك الفرائض وينتهك المحارم مثل يزيد، فيزيد فاسق بلا شك لأنه كان يترك الصلاة ويقتل النفس ويزني ويشرب الخمر، وحسابه على الله تعالى)) (٣)

وانظر إلى الحداد حين سئل ألم يكن معاوية، وهو صحابي عهد إلى ابنه بالخلافة ففعل هذه المنكرات، فقال ﷺ: ((إنه قيل: إن معاوية لما عهد له بها قال: إني تفرست فيه خيرا، فإن صدقت فراستي فيه فذاك وإلا فتلك من محبة الطبع، محبة الوالد لولده، وأنا أسأل الله أن لا

---

(١) وقد اخبر النبي ﷺ بمقتل الحسين كما جاء عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ، أمسك يا معاذ وأحص " قال: فلما بلغت خمسة قال: «يزيد، لا يبارك الله في يزيد» ثم ذرفت عيناه فقال: «نعي إلي حسين، وأتيت بتربته، وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعا) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، ٣٨/٢٠.قال المفكر ابوبكر المشهور وهذا الحديث ذم للذين بايعوه وأخرجوه ثم أسلموه إلى العدو ولم يمنعوه، وفيه إشارة لنتيجة مقتل الحسين ﷺ بين تخاذل المحبين وبغض المبغضين وما يترتب على فعلهم من دمار فيما بينهم ولا شيء غير ذلك إلى أن يقضي الله امرا كان مفعولا، وهذا ما حل بالقوم من المبغضين ومن المحبين المتخاذلين من ذلك اليوم حتى مرحلتنا المعاصرة ومثل هذا النص درس لمن ألقى السمع وهو شهيد والصراع كما هو في النص عقوبة وليس نصرة للإمام الحسين ﷺ ولا لآل البيت كما يفيد الحديث الشريف . انظر المشهور: ابوبكر العدني بن علي المشهور، الأسس والمنطلقات في تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات، الناشر مركز الإبدع الثقافي، اليمن –عدن – ط٢، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م، ص١٨٩.

(٢) ينظر الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص١٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٢١.

يطيل بقاه، فلما بان على خلاف ما ظنه فيه، لم تطل مدته ومات مقتولا قتلة قبيحة، ذبح لما أرسل إلى الحرمين، لقتل ابن الزبير، وهدم الكعبة – وأكثر في ذلك›› [١] قلت وهذا الكلام يعطينا دلالة واضحة على صحة وسلامة منهج الإمام الحداد ومدرسته التي تقرر مبدأ سلامتها من الدم وسلامتها من الذم، وهذا منهجهم ومن يقل بخلافه فقد ضل وخالف الجماعة، وقال الإمام الحدادﷺ: ‹‹ينبغي للإنسان أن ينطوي باطنه في أصحاب النبي صلى الله عليه و آله وسلم على المحبة وحسن الظن بهم، ولا يسيء ظنه فيهم، حتى يصير من الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. وأما يزيد، وابن زياد، والحجاج، ونحوهم فلا لهم حرمة الإسلام ولا هم بشيء حتى يذكروا، وهذه الأشياء كلما اجتنبها الإنسان، كان أحسن، لا سيما إذا لم يكن فيه مسكة دين›› [٢]

كما نجد الإمام الحداد يلتمس أحسن المخارج للصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ ويذكر فضله وحسن صحبته وسبب خروجه في جيش معاوية ﷺ قال الإمام الحداد ﷺ: (وقد سمعنا فيما سمعنا عن عبدالله بن عمرو بن العاص إنه حفظ من رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ألف مثل لما قيل له أي (عبدالله بن عمرو بن العاص) : ألا قاتلت مع علي ﷺ؟ ، قال: امتثلت أمر رسول ﷺ، إذ قال لي: لا تفارق أباك [٣]، فتأوله في هذا، ولكن بان لهم الأمر بعد قتل عمار، إذ كل من الفريقين معه علم من النبي ﷺإنه تقتله الفئة الباغية حتى إن معاوية رجع يعتذر من سيدنا علي ﷺ، وعند ذلك جبنوا واستحيوا، إلا بقي معاوية يشجع عمرا، وعمرو يشجعه، وما نفع، فينبغي لمن أراد الإقدام على أمر خطر، أن يتحقق الأمر أولا، وخصوصا إذا لم تطعه نفسه على تركه إذا تبين خطؤه أو يتركه من أول الأمر احتياطا›› [٤]

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٩٢/٢.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٩٢/٢–٩٣.

(٣) كما جاء في مسند أحمد عن حنظلة بن خويلد العنبري قال: بينما أنا عند معاوية، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول: كل واحد منهما أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺيقول: (تقتله الفئة الباغية)، قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك ما دام حيا، ولا تعصه فأنا معكم ولست أقاتل . رقم الحديث ٦٥٣٨، ٩٦/١١.

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٧١/٢.

خامسا: منهج الإمام الحداد في الخلافة ورأيه في مواقف الإمام علي ﷺمن الخلافة:

الخلافة منصب كبير، ومسؤولية عظيمة، وهي تولي تدبير أمور المسلمين بحيث يكون هو المسؤول الأول في ذلك، وهي فرض كفاية؛ لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها.

وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة:

الأول: النص عليه من الخليفة السابق، كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السابق كما في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أم غير معينين كما في خلافة أبي بكر رضي الله عنه على أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث: القهر والغلبة كما في خلافة بني أمية وعبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير رضي الله عنه وتمت الخلافة له.

جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كنا قعودا في المسجد مع رسول الله ﷺ، وكان بشير رجلا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة ثم سكت، قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن النعمان بن بشير في صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه، فقلت له: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين، يعني عمر، بعد الملك العاض والجبرية، فأدخل كتابي على عمر بن عبد العزيز فسر به وأعجبه)) (١) وبهذا الحديث نستطيع أن نقول أن خلافة منهاج النبوة تبدأ بخلافة أبوبكر الصديق رضي الله عنه كأول لبنة من لبنات البناء لمرحلة الخلافة الراشدة المدعومة بالنص الشرعي ومواقف الصحابة والآل الكرام رضي الله عنهم المثبتة لانتقال الأمانة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ١٨٤٠٦، ٣٠/٣٥٥.

من مرحلة الرسالة إلى مرحلة الخلافة بشروطها المعتبرة وهي (سلامة الخلفاء) بالاجتهاد المشروع وبالصحبة المحصنة بالنص النبوي خلال مرحلة الرسالة وبسلامة المرحلة أي مرحلة الخلافة ذاتها بالنص أيضا ومواقف الصحابة وإجماعهم رضي الله عنهم. [(١)]

وفيه يقول الإمام الحداد ﷺ: ((قالﷺ: ((الخلافة بعدي ثلاثون سنة)) [(٢)] فكانت هذه المدة هي مدة الخلفاء الأربعة، مضافا إليها الأيام التي استخلف فيها الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺوهي نحو من ستة أشهر؛ فتمت بها الثلاثون سنة من حين توفي رسول الله ﷺإلى أن صالح الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان ﷺوبايع حين رأى ما رأى، وأبصر الذي أبصر، وتم فيه رضي الله عنه ما وعد به جده رسول الله ﷺفي حقه؛ حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[(٣)] أهـ)) [(٤)] قال الإمام ابن كثير –رحمه الله –: ((فإن أبا بكر، رضي الله عنه، كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلا شهرين. قلت: وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحوا من ستة أشهر، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة)) [(٥)] قلت وقد تنازل الحسن ﷺ بالخلافة من أجل سلامة أمة جده ﷺ فعصم الله به دماء المسلمين من الإهدار في سبيل الملك وحفظ به شرف الرجولة والعلم والميراث النبوي ورأى أنه لا يجتمع فيهم شرف النبوة والخلافة كما جاء في وصيته أنه لما احتضر قال لأخيه الحسين: ((يا أخي إن أباك استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ووليه أبو بكر رضي الله عنه، ثم استشرف له فصرف عنه إلى عمر ثم لم يشك وقت الشورى أنه لا يعدوه، فصرف عنه إلى عثمان فلما قتل عثمان بويع ثم نزع حتى

---

(١) المشهور: الأسس والمنطلقات، ص١٧١.

(٢) أخرجه البزار في مسنده، رقم الحديث ٣٨٢٨، ٩/ ٢٨٠.

(٣) سبق تخريجه: من (ص ٣٤٥) من هذه الرسالة .

(٤) الحداد: الدعوة التامة، ص١٢٨.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية لآبن كثير، ١٥٣/٩.

جرد السيف فما صفت له، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة)) [(١)] وبهذا التنازل تبدأ مرحلة الملك العضوض وقد قال معاوية ﷺ لما ولي بعد انقضاء الثلاثين ((أنا أول الملوك)) [(٢)] ويؤكد الإمام الحداد على الإجماع لمرحلة الخلافة الراشدة فيقول ﷺ: ((خلافة الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم، أما أبوبكر فبالإجماع عليه، وأما عمر فبالوصية من أبي بكر، وأما عثمان فبالإجماع عليه، بعد الشورى، وأما سيدنا علي رضي الله عنه فبمبايعة أهل بدر والمهاجرين والأنصار، وأما معاوية فبتسليم الحسن بن علي له ومبايعته، وغيرهم إنما هو بالسيف والظلم والتعدي، أي سوى عمر بن عبدالعزيز فإنه بالاجتماع عليه، والمبايعة له، ورجوعها إليه بعد من كان قبله من أهل بيته)) [(٣)] وقال الإمام الحداد ﷺ: ((وسير الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في أمثال ذلك معروفة ومنتشرة، يطول ذكرها ولكنه لم يتم ذلك ويثبت على وجهه كما يجب وينبغي إلا للخلفاء الأربعة: أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان الشهيد، وعلي المرتضى رضوان الله عليهم، وكانت مدة خلافتهم هي المدة التي قال فيها رسول الله ﷺ: ((إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا)) [(٤)] الحديث)) [(٥)] كما جعل الإمام الحداد ترتيب الخلفاء الأربعة من مستلزمات العقيدة الإسلامية التي يجب على كل مسلم أن يؤمن بها فقال في عقيدته الجامعة وأن يعتقد فضل أصحاب رسول الله ﷺ وترتيبهم، وأنهم عدول أخيار أمناء، لا يجوز سبهم ولا القدح في أحد منهم، وأن الخليفة الحق بعد رسول الله ﷺ: أبوبكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان الشهيد، ثم علي المرتضى رضي الله عنهم)) [(٦)] قلت واختلف العلماء في مسألة الاعتقاد قال ابن أبي زيد القيرواني: ((أن فضل الخلفاء على بقية الصحابة مما يجب اعتقاده تبعا لشيخه اللقاني في شرح جوهرته، وقال الأجهوري-رحمه الله-

---

(١) أخرجه السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الناشر: الكتب العلميه، بيروت –لبنان، ط١ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٢٨٢/١.

(٢) القيرواني: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ١٠٤/١.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٩١/٢.

(٤) عضوضا: شديدا؛ أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم. كأنهم يعضون فيه عضا

(٥) أخرجه نعيم ابن حماد: أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي، كتاب الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، رقم الحديث ٢٣٤، ٩٨/١.

(٦) الحداد: النصائح الدينية، ص٤١٩.

التفضيل الواقع بين الصحابة ليس مما يجب على المكلف اكتسابه واعتقاده كما قد يتوهم، بل لو غفل عن هذه المسألة مطلقا لم يقدح في دينه، نعم لو خطرت بالبال أو تحدث فيها باللسان وجب الإنصاف وتوفية كل ذي حق حقه ولو جحد التفضيل لا يكفر، وإن قيل بأنه قطعي نظرا إلى القول بأنه ظني» [(١)]قلت واعلم أن مسالة الأفضلية لا مطمع فيها في الجزم واليقين، وليست مسألة يتعلق بها عمل فيكتفي فيها بالظن وعلماء الأمة اختلفت في المفاضلة بين الصحابة، ومنهم من توقف في ذلك، وكلا له من الأدلة والبراهين، لكن الجمهور على تفضيلهم على ترتيبهم في الخلافة، ولا أستطيع أن أقدم من قدمهم الإمام علي رضي الله عنه حين سئل وقد استدل الإمام الحداد بذلك قال: «لما سأله ابنه الحسن رضي الله عنه[(٢)]: أيما أفضل أنت أو أبوبكر؟ ، قال: أبوبكر، قال: فعمر، قال: عمر، قال: فقلت: ثم أنت؟ ، فقال: إنما أنا رجل من المسلمين، ولم أقل له في عثمان خوفا أن يقول: هو أفضل مني» [(٣)]وقال الإمام الحداد رضي الله عنه:

أَئِمَّةُ الدِّيَن أَصَحابُ السَّوابِق فِي الإِ ***سْــلامِ وَالقَــدَمِ المِشَـكُورِ وَاْلأَثَــرِ
مِثْلُ الــعَتِيقِ أَنِيسِ الــغَارِ صَاحِـبِهِ *** فيه عَلى الصِّدِق صِدَّيقِ اْلعُلاَ الشَهِرِ
وَالثـاَنِي التَّالي البَرِّ التَّقِيِّ حَـوَى اْلإِ ***حـسانَ وَالــعَدْلَ يــالله مِنْ عُــمَرِ
وَإبنِ عَفَانَ ذِي النُّورَينِ مَنْ جَمَـعَ اْلـ *** قُـــرآنَ وَالمنَـــفَق البَذَّال فِي الــعُسَرِ
وزَوجِ خَـيرِ نِســاَءِ اْلــعالمينِ أَبِي الـ *** سِّبــطَينِ صنْوا النَبِي المِصَطَفى الطُـهُرِ [(٤)]

فقضية الخلافة بعد رسول الله ﷺ أخذت مأخذا جدليا واسعا في حياتنا المعاصرة أكثر مما كان عليه الأمر ساعة القرار في العهد الأول، حشد كل فريق أدلته وثوابت حججه وبهذه الحجج

(١) القيرواني: الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ١/١٠٤.
(٢) ليس الإمام الحسن الذي سأل أباه وإنما أخوه محمد ابن الحنفية كما جاء في صحيح البخاري عن محمد ابن الحنفية، قال: قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «أبو بكر»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر»، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: «ما أنا إلا رجل من المسلمين» باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذا خليلا»، رقم الحديث ٣٦٧١، ٥/٧.
(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٣٠٩.
(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٣١٢.

والأدلة وصل المسلمون إلى لجة الصراع الطائفي الهاتك وخاصة عند منحى الإفراط ضد منحى التفريط (١)

سادسا: رأي الإمام الحداد في مواقف الإمام علي بن أبي طالب ﷺ من الخلافة:

إن الإمام علي ﷺ أول من طبق مفهوم الأخذ بمنهج السلامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلو اعتبرنا قول القائلين بالأحقية للإمام علي ﷺ في الخلافة بالوصية أو بغيرها فالأمر يقتضي من الإمام أن لا يقبل الأدنى في الأمر الشرعي الواجب بل عليه المقاتلة حتى يرجع القرار إلى أهله، أو أن يموت في سبيل ذلك، لأهمية المرحلة ذاتها فانتقال سلطة الإسلام من عهد الرسالة إلى عهد الخلافة الراشدة يجب أن تنتقل على قاعدة من السلامة والأمان والحق المطلق لأن سلامة الخلافة الراشدة هي سلامة الإسلام كله ولهذا نجد أن الإمام علي ﷺأحد خلفاء منهج السلامة يوقف العمل بالنصوص التي يتخرص بها الآخرون ويضع سيفه حيث وضع المسلمون سيوفهم ويصمت عندما لا يجد للقول أذناً صاغية إذا اعتبرنا موقفه من البيعة حتى موت سيدتنا فاطمة رضي الله عنها ويرجع بعد ذلك لوضع يديه في يد الخليفة أبي بكر ويصبح مستشارا وقاضيا وإمام المرحلة في العلم المتسلسل النبوي وهكذا في سائر مرحلة الخلافة من أبي بكر إلى عمر إلى عثمان حتى جاء عهد خلافته رضي الله عنه وأرضاه وبهذا تعد مواقفه التي وقفها إلى جانب الخلفاء الثلاثة منهج اتباع بصرف النظر عن النصوص التي أوقف العمل بها وتجاوز المطالبة بها فيها إن كانت هناك نصوص معينة تمسك بها أشياعه وكفروا بها صالحي الأمة وتجاوزوا مواقف الإمام في موافقته ومواقفه، ولهذا فمنهج السلامة الصحيح أن نأخذ بمواقف الإمام ذاته وننشر في المرحلة السلام ونشارك في صنعه كما أخذ به الإمام علي ﷺ وشارك في صنعه على عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، بل وكان له مع الثلاثة رضي الله عنهم أجمعين أعظم المواقف في التماسك والخدمة المشتركة وبناء منهج السلامة في الأمة أجمعين (٢) وبهذا المنهج تعامل الإمام الحداد وذلك حين سئل لأي شيء قَدَّمْتُم عَلَى أبيكم علي بن أبي طالب غيرَه فقال الإمام الحداد ﷺ:

---

(١) المشهور: ابوبكر بن علي المشهور، الصديق الأكبر والإمام الأبر علي ابن أبي طالب، الناشر مركز الإبدع الثقافي، اليمن –عدن – ط١، ١٤٣٥هـ –٢٠١٤م، ص ٥٤.

(٢) المشهور: منهج السلامة الواعي، ص ٤٨–٤٩.

«هو الذي قدم غيره وفَضَّله على نفسه، فقدمناه نحن أيضاً وفضلناه لتقديمه له وتفضيله اقتداء به، فقالوا: إنما ذلك تقية، فقلنا: إنا لسنا مثله في قوته وشجاعته وصولته، فإذا فعل ذلك للتقية، فمن أقوى منه أو مثله في الشجاعة والقوة، فالتقية التي وسعته هو، تسعنا نحن أيضاً» (١)

وقال الإمام الحداد ﷺ: «الذين بايعوا سيدنا عليًّا من أهل الحديبية، نَحْو مائة رجل، ومن أهل بدر وأحد والمهاجرون والأنصار ولم يَتَخلف عن بيعته من الأنصار، سِوَى رجلين أحدهما كان صغيراً، وأكثَرَ في ذلك ثم قال: إنما مرادنا من ذِكْر ذلك لِيَكُون في بالكم، فربما تسمعون فيما يأتي بأشياء من هذا القبيل، فلا تُنْكروها وتَبْقون حسنين الظَّن بأصحاب رسول الله صلَّى الله عليه و آله وسلَّم، فالله الله بحسن الظن بالصحابة، نُوصيكم بذلك كثيراً، استوصوا بحسن الظن فيهم، وما كان لنا مطالعة في ذلك إلا لما وَصَلوا الزيدية إلى الجهة، احتجنا إلى المطالعة فيها، فطالعنا بِقَدْر ما نحتاج إليه، ولما علم عبدالله بن عمر بِقَتْل الحسين بَكَى، حتى خرج الكحل من عيونه مع الدموع، ثم قال: أما والله لو حدثكم أبو هريرة، بأنكم ستقتلون ابن نبيكم، وتُخَرِّبون بيت ربكم لكذَّبتموه، وقلتم ما صَدَق أبو هريرة، وها أنتم فَعَلتم ذلك» (٢) والإمام الحداد يرى أن الخلافة للحكم انتقلت من بني هاشم لحكمة أرادها الله وهي كما قال ﷺ: «لو أن الخلافة صارت بعد عثمان أو بعد معاوية إلى بَني هاشم، ولم تَصر إلى بني أمية، لكان لم يَبْق لغيرهم مجد ولا فَضْل، ولكن لله تعالى في ذلك مُرَاد، وهو سُبْحانه يحبّ أن يَتَشَارك عباده في الفَضْل والمجد، ولولا ذلك لكان مختصاً بهم ومقصُوراً عليهم وليس لِغَيْرهم منه شيء، لأن فيهم النبوة والرِّسالة وفيهم الحَسَب، وعَدَّد أشياء، ثم قال: ولكن الله أراد ذلك ليتفرق في جميع قبائل العرب، ولهذا لا تخلوا قبيلة من مناقب وفضائل، كثرت أو قلَّت، ولَوْ خصلة واحدة، ليستر ذلك ما فيهم من المذموم» (٣)

سابعا: منهج الإمام الحداد في (من هم آل البيت) رضي الله عنهم والتعامل معهم:

أخرج الإمام أحمد عَنْ عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني من سمع أم سلمة، تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة، فيها خزيرة، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٢٢٦.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٩٤.

(٣) المرجع السابق: ٢/ ٩٣.

وابنيك قالت: فجاء علي، والحسين، والحسن، فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبري قالت: وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١) قالت: فأخذ فضل الكساء، فغشاهم به، ثم أخرج يده، فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا قالت: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير) (٢)وبهذا يعلم أن آل البيت هم الخمسة كما في حديث أم المؤمنين وأزوجه كما نص على ذلك القرآن وعليه الجمهور (٣)وهذا ما ذهب إليه الإمام الحداد كما قال وأزواجه من أهل بيته، والإمام الحداد تكلم عن الآل وشرفهم وأن هذا الشرف مقرون بالاتباع فلا خير فيمن يحمل النسبة الطينية ولا يحمل النسبة الدينية المصطفوية قال ﷺ: ((وآله: هم أقاربه الجامعون بين النسبة الطينية والدينية، فهم أولى الناس به وأحب الناس إليه وقد فرض الله على الأمة حبهم ومودتهم وأكرمهم بالتطهير عن الرجس فهم لذلك خير آل لأنهم آل من هو خير الخلق وأشرفهم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يكمل لهم هذا الشرف ولا يتم لهم بدون المتابعة منهم لسيدهم الذي شرفهم الله به لأنهم أولى الناس بها وأحق الناس بالتزامها، ومن لم يحرص عليها منهم ولم يبذل وسعه وطاقته فيها، فاللوم والشؤم اللاحق بالمعرضين عن متابعة المصطفى ألزم لهم، ونصيبهم منه أوفر من نصيب غيرهم، كما أن الشرف والفضل الحاصل لمن أحسن المتابعة، يكون للمحسنين فيها من أهل البيت النبوي أجله وأكمله وأعلاه وأفضله)) (٤)

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((ثم إن من كان السادة أهل البيت على مثل أو قريب من سير سلفهم الصالح وطريقتهم المرضية فهو إمام يهتدى بأنواره ويقتدى بآثاره كآبائه المهتدين، فإن منهم الأئمة المتقدمين، مثل أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب والحسن والحسين سبطي

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٢٦٥٠٨، ٤٤/١١٨.

(٣) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٦/٤١٣.

(٤) الحداد: إتحاف السائل بجواب المسائل، ص ٨٨.

رسول الله ﷺ ومثل جعفر الطيار، وسيد الشهداء حمزة ومثل حبر الأمة عبد الله بن العباس، وأبيه الإمام العباس عم رسول الله ﷺ، ومثل الإمام زين العابدين علي بن الحسين، والإمام الباقر وولده الإمام جعفر الصادق عليهم السلام وأمثالهم من سلف هذا البيت المطهر وخلفهم)) [(١)]. قال الإمام الحداد في وصفهم:

مِنْ كُلِّ طُوَدٍ فِي ٱلعِلومِ وَفِيث الحِجَا***مُتَبَحـــرٍ مُـــتَفَنِّنٍ مُتَــــوسِّعِ
دَاعٍ إلى الـــله ٱلــــعَظِيَم بِفَــــعَلِهِ *** وَمَقَاله والـحالِ غَيرِ مُـضَيِّعِ
ذِي عِــــــفَّةٍ وَفُتُوَّةٍ وَأَمَـــــــانِةٍ *** وَصَيانةٍ للسِّرِّ أحسَنِ مَنْ يَعِي
وَزَهَـــــادةٍ وَعِبـــادةٍ وَشَـــهـــادِةٍ *** مِنَه الغُيوبُ بِمَنْظَرٍ وَبِـــمَسْمِعِ
مِثْلِ ٱلإمَـــــام عَليِّ زَينِ الـــعابِديِ *** ـنَ القَـانِتِ المتَــبَتِّلِ المتَخـــشِّعِ
وَالبـــاقِرِ السَّجـــَّاد خِيرِ مُهـــذَّبِ *** الـعَـــــالِمِ الرَّبَـــــاني المــــتوَرِّعِ
والصـــــادِقِ الصِّديقِ أَسَتاذِ ٱلأَولَى *** وَإمام أَهلِ الحَـــــقِّ غَيرِ مُدافَعِ

وقد وصفهم الإمام الحداد بهذه الأوصاف:

بيَتُ النُّــبُوَةِ وَالفُتــــــوَّة وَالهــــُدَى *** والعِلمِ فِي المـاضِي وَفِي المتَوقَّعِ
بَيتُ الســـيّادة وَالسَّـــعادِةِ وَالـــعِبَا *** دَةِ والخِـــيراتِ كُـــلٍّ أَجمـــَعِ
بِيَتُ ٱلإمَــــانَة وَالزَعَــــامةِ وَالشِــــها *** مَةِ وَالأَمَـــــنات لْلـــــــمُترَوِّعِ
قَـــوَمِ إذ أَرخـى الـــظَلامُ سَـــــتُورَهُ *** لَمْ تُلْفِـهِم رَهْنَ الوِطَا وَالمضْجَعِ
بَل تَلْقَهُم عُمُـدَ المـحارَبِ قُـــوَّمَاً *** لله أكـــرُمْ بِالسُـــجُودِ الرُّكَّـــعِ
يتـــــلون آيـــاتِ الـــــقرانِ تَدَبُّراً *** فيــــهِ ولا كالــــغافلِ المتَــوَزِّعِ
ثَبَتوا عَلى قَـدمِ الرِّســـول وَصَــحْبِه *** وَالتــابِعين لَهُــم فَسَلْ وَتَتَــــبَّعِ
وَمَضوا عَلَى قَصْدِ السَّبيلِ إلى ٱلـعُلاَ *** قَـــــدَماً عَلَى قَدَمٍ بِجِــدٍّ أَوْزعِ[(٢)]

وقد أوضح الكتاب والسنة شرف آل البيت وحث على حبهم وتوقيرهم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [(٣)]قال الإمام ابن كثير –رحمه الله – في تفسيره عَنْ

(١) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، مرجع سابق، ٨٧.
(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٣٥٨.
(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣

سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، مَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ قَالَ: مَعْنَى ذلك أن تودوني في قرابتي، أي: تحسنوا إليهم وتبروهم، وعن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: ((علي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم)) (١) قال ابن كثير والحق تفسير الآية بما فسرها به الإمام حبر الأمة، وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس ﷺ: ((ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخرا وحسبا ونسبا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين)) (٢) وقد ثبت في الصحيح عن زيد قال: ((قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا، بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)) (٣) قال الإمام الحداد ﷺفي بيان شرح الحديث: ((إذا أراد الإنسان أن يعرف نفسه، فليعرضها على كتاب الله، فإنه خليفة رسول الله ﷺفي أمته وأهل بيته، قال ﷺ: تركت فيكم كتاب الله، وعترتي فإن لم يعرف نفسه من كتاب الله، فليسأل الأئمة من أهل البيت، فإنهم نواب جدهم وورثته يفسرون للناس ما أشكل عليهم من معاني الكتاب العزيز، فإن لم يجد منهم أحدا فليسأل عنهم ويبذل جهده في طلبهم، فإن لم يجد فليسأل نوابهم من الأئمة من غيرهم وهم العلماء العاملون)) (٤)وقال الإمام الحداد ﷺ: ((أهل البيت ودائع نبوية، فينبغي لكل إنسان أن يستوصي بتلك الودائع النبوية، وهم وإن كثروا لا يبلغون عشر معشار الخلق، وأهل بلدتنا في بواطنهم تعظيم السادة،

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: رقم الحديث ١٢٢٥٩، ١١/٤٤٤.

(٢) ابن كثير: تفسير ابن كثير للقرآن، ٧/٢٠١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم الحديث ٢٤٠٨، ٤/١٨٧٣.

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/ ٢٧٩ .

ومن طبعهم ذلك)) [١]وعن العباس بن عبد المطلبﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها. قال: فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا، وقال: والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله)) [٢]وفي رواية اخرى ((والله، لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم لله، ولقرابتي)) [٣] وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن أبي بكر الصديق، ﷺ، قال: ((ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته)) [٤] وفي الصحيح: أن الصديق قال لعلي، رضي الله عنهما:((والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺأحب إلي أن أصل من قرابتي)) [٥] وقال عمر بن الخطاب للعباس، رضي الله عنهما: ((والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم؛ لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب)) [٦] فحال الشيخين، رضي الله عنهما، هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك؛ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ ((أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي)) [٧] وعن أبي إسحاق، عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذر، يقول: وهو آخذ بباب الكعبة: أيها الناس، من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق)) [٨]

قال الإمام الحدادﷺ في وصفهم بأنهم سفن النجاة:

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ، ٣٤٧/١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ١٧٧٢، ٢٩٤/٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ١٧٧٢، ٢٩٨/٣

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم الحديث ٣٧١٣، ٢٠/٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ، رقم الحديث ٣٧١٢، ٢٠/٥.

(٦) أخرجه الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد المصري المعروف بالطحاوي، شرح معاني الآثار، تحقيق محمد النجار – محمد سيد، الناشر: عالم الكتب، ط١ – ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، ٣١٩/٣.

٧) سبق تخريجه: من (ص٢٥١) من هذه الرسالة .

(٨) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث ٣٣١٢، ٣٧٣/٢.

وَلَنـا خَـيْرُ الأَنَـامِ أَبُ *** وَعَلِي الُمرْتَضَى حَسَبُ
وَإِلَى السِّبْـطَيْنِ نَنْتَسِبُ *** نَسَباً مَا فِـيهِ مِنْ دَخَنِ
كَمْ إِمَـامٍ بَعْدَهُ خَلَـفُوا *** مِنْهُ سَـادَاتٌ بِذَا عُرِفُوا
وَبِهَذَا الْوَصْفِ قَدْ وُصِفُوا ***مِـنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَالزَّمَنِ
مُثْلِ زَيْنِ العَابِدِينَ عَـلِي ***وَابْنِهِ البَاقِرِ خَـيْرِ وَلي
وَالإِمَامِ الصَّادِقِ الحَفِلِ ***وَعَليٍّ ذِي العُلَى اليَقِنِ
فَهُمُ الْقَوْمُ الْذِينَ هُـدُوا ***وَبِفَـضْلِ اللهِ قَدْ سَعِدُوا
وَلِغَيْرِ اللهِ مَـا قَـصَدُوا ***وَمَـعَ الـقُرْآنِ فِي قَرَنِ
أَهْلُ بَيْتِ الُمصْطَفَى الطُهُرِ *** هُمْ أَمَـانُ الأَرْضِ فَـادَّكِرِ
شُبِّـهوا بِالأَنْـجُمِ الـزُّهُرِ *** مِثْلَ مَا قَدْ جَاءَ فِي السُّنَنِ
وَسَـفِـينٌ لِلنَّـجَـاةِ إِذَا *** خِفْتَ مِن طُوفَانِ كُلِّ أَذَى
فَـانْجُ فِيـهَا لاَ تَكُونُ كَذَا *** وَاعْتَـصِمْ بِاللهِ وَاسْتَعِنِ(١)

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((ومن تمام حبه وتعظيمه، وحسن الأدب معه عليه الصلاة والسلام محبة أهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم، وتعظيمهم واحترامهم، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾(٣)الآية، وقال عليه الصلاة والسلام: ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي)) (٤)، وقال عليه الصلاة والسلام للعباس رضي الله عنه: ((لا يدخل قلب أحد الإيمان حتى يحبكم لله ولقرابتكم مني)) (٥)وقال عليه الصلاة والسلام لفاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٥١٣-٥١٤.
(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣
(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٠
(٤) سبق تخريجه: من (ص٢٥١) من هذه الرسالة .
(٥) أخرجه المحاملي: أبو عبد الله البغدادي الحسين بن إسماعيل المحاملي، الرابع من أمالي أبي عبد الله المحاملي، الناشر: مخطوط نشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط١، ٢٠٠٤، ص٧٩؛بلفظ والله لا يدخل قلب رجل الإيمان

عنهم: ((أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم)) (١). وقال عليه الصلاة والسلام في حديث زيد بن أرقمﷺ: ((وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي. . .)) (٢) الحديث. وقال أبو بكرﷺ:(اقبوا محمداً في أهل بيته)(٣) ا هـ)) (٤)

قال الإمام الحدادﷺ: ((ولكن لأهل بيت رسول الله ﷺشرف، ولرسول الله ﷺبهم مزيد عناية وقد أكثر على أمته من الوصية بهم والحث على حبهم ومودتهم، وبذلك أمر الله تعالى في كتابه في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (٥) فعلى كافة المسلمين أن يعتقدوا حبهم ومودتهم، وأن يوقروهم ويعظموهم من غير غلو ولا إسراف)) (٦)

قال الإمام الحداد ﷺ:

وَآلُ رَسُولِ اللهِ بَيْتٌ مُـــطَهَّرٌ *** مَحَبَّتُهُمْ مَفْرُوضَةٌ كَالْمَوَدَّةِ
هُمُ الحَامِلُونَ السِرَّ بَعْدَ نَبِيِهِمْ *** وَوُرَّاثه أَكْرِمْ بِهَا مِنْ وِرَاثَةِ(٧)

التعامل مع آل البيت:

آل البيت يرفضون العصمة لأنفسهم أشد الرفض ويصرحون أمام الجماهير بأنهم أناس عاديون قد يخطئون وقد يصيبون وأنهم ليسوا معصومين من الذنوب ويطالبون الناس بنقدهم وإرشادهم واتخاذ موقف المعارضة منهم لو صدر منهم أي خطأ أو أمر منكر لا سمح الله. وقد وقف الإمام علي ابن أبي طالب ﷺ في مسجد الكوفة وخاطب الجموع قائلا: ((لا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تكفوا عن مقالة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: باب مناقب أهل بيت النبيﷺ، رقم الحديث ٣٨٧٠، ٦٩٩/٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب من فضائل علي بن أبي طالبﷺ، رقم الحديث ٢٤٠٨، ١٨٧٣/٤.بلفظ وأهل بيتي بدون عترتي .

(٣) احمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة،تحقيق: وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٣ – ١٩٨٣، ٢ /٥٧٤.

(٤) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٢٠.

(٥) سورة الشورى: الآية ٢٣

(٦) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص٨٩.

(٧) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٥١٣.

بحق أو مشورة بعدل فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى وقال الإمام الصادق ﷺ: والله ما نحن إلا عبيد. . . لا نقدر على ضر ولا نفع، إن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة. . اشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذابا شديدا›› (١) والإمام الحداد أكد على أن القائل بأن الذنوب لا تضر بآل البيت أنه قول شنيع ورد عليه بقوله ﷺ: ‹‹قد يجري على ألسنة بعض الناس إذا قيل له فعل فلان من أهل البيت النبوي كذا كذا من المخالفات والتخليطات، فيقول هؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ، ورسول الله شفيع لهم، ولعل الذنوب لا تضرهم، وهذا قول شنيع، يضر القائل به نفسه، ويضر به غيره من الجاهلين، وكيف يقول أحد ذلك وفي كتاب الله العزيز ما يدل على أن أهل البيت يضاعف لهم الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات، وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾(٢) والآية التي بعدها، ونساؤه من أهل بيته ﷺ. ومن قال أو ظن أن ترك الطاعات وفعل المعاصي لا يضر أحدا لشرف نسبه أو صلاح آبائه فقد افترى على الله الكذب، وخالف إجماع المسلمين›› (٣) كما يرى الإمام الحداد أنه لا ينبغي الثناء لمن له نسب شريف لكي لا يغتر ويفتتن به وهذا منهج رسول الله ﷺ مع قراباته قال الإمام الحدادﷺ: ‹‹لا ينبغي لأحد ممن يعول عليه أن يعظم ولا أن يثني على الجاهل وإن كان ممن له نسب شريف وسلف صالح، فإن تعظيمه والثناء عليه في الظاهر قد يفتنه في دينه، ويغره بالله ويزهده في العمل الصالح ويلهيه عن التزود لآخرته، ويكون الذي يعظمه ويثني عليه سببا في فتنته وغروره وكالساعي في هلاكه، فيستوجب بذلك السخط من الله ورسوله ومن السلف الصالحين الذي ينسب إليهم ويتشرف بهم ذلك الجاهل، وكيف يغتر أحد بنسب مجرد عن

---

(١) كامل: عمر عبدالله كامل، الأدلة الباهرة على نفي البغضاء بين الصحابة والعترة الطاهرة، ط ٣، ص ٧٦.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٠

(٣) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص٨٨.

التقوم، أو يعتمد عليه بعد قول رسول الله ﷺ يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا الحديث الصحيح وفيه يا بني عبد المطلب، يا فلان من قرابته عليه السلام يعم ثم يخص فمضرة المدح وفتنته على الجاهل عظيمة، وقد أثنى رجل على آخر عند رسول الله ﷺ، فقال «ويلك قطعت عنق أخيك لو سمعها ما أفلح» (١)الحديث، وإنما يضر المدح والثناء الجاهل المغرور الذي لا بصيرة له في الدين ولا معرفة له ولا يقين، وأما العالم البصير العارف بربه وبنفسه فليس يضره ذلك، فقد أثنى رسول الله ﷺ على رجال من أصحابه وأثني عليهم عنده فلم يزدهم ذلك إلا معرفة وبصرة بدين الله، وجدا وتشميرا في طاعته وعبادته، وفي الحديث «إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه» (٢) ولكن أهل البصائر وأهل النصيحة لأنفسهم قليل، وخصوصا في هذا الزمان، وأهل الجهل والغرور كثير فليحذر المؤمن المتقي لربه والشفيق على دينه من كل ما يضر به نفسه، أو يضر به غيره من إخوانه المسلمين» (٣)

وأما من حاد عن الطريق وخالف سيرة أجداده بالعمل أو الاعتقاد فيكون التعامل معه بتبين الحق له بالتي هي أحسن ونصحه والدعاء له ولا ينبغي غض الطرف عنه بحجة أن جده رسول الله ﷺ قال الإمام الحداد رضي الله عنه: «وأما من كان من أهل هذا البيت ليس على مثل طرائق أسلافهم الطاهرين، وقد دخل عليهم شيء من التخليط لغلبة الجهل، فينبغي أيضا أن يعظموا ويحترموا لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يدع المتأهل للنصيحة نصحهم وحثهم على الأخذ بما كان عليه سلفهم الصالح، من العلم، والعمل الصالح، والأخلاق الحسنة، والسير المرضية، ويخبرهم أنهم أولى بذلك وأحق به من سائر الناس، وأن مجرد النسب لا ينفع ولا يرفع مع إضاعة التقوى، والإقبال على الدنيا، وترك الطاعات والتدنس بدنس المخالفات، وقد تفطن لذلك جماعة من الشعراء فضلا عن الأئمة والعلماء، حتى قال بعضهم:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه *** فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: من حديث أبو بكرة ولفظه قال أبو بكرة: ذكر رجل عند النبي ﷺ، فأثنى عليه رجل خيرا، فقال نبي الله ﷺ: ويحك، قطعت عنق أخيك، والله لو سمعها ما أفلح أبدا، ثم قال رسول الله ﷺ: إذا أثنى أحدكم على أخيه، فليقل: والله إن فلانا، ولا أزكي على الله أحدا، ، رقم الحديث ٢٠٥١٢، ٣٤/ ١٤٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: بزيادة في وجهه، رقم الحديث ٦٥٣٥، ٣/٦٩٠.

(٣) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص ٨٧.

فقد رفع الإسلام سلمان فارس *** وقد وضع الــشرك الحسيب أبا لهب[١]

وقال المتنبي:

إذا لم تكن نفس الشريف كأصله *** فماذا الذي تغني رفاع المناصب

وقال آخر[٢]:

وما ينفع الأصل من هاشم *** إذا كانت النفس من باهله اهـ))[٣].

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((في بيان معنى حديث ((الأئمة من قريش)) [٤]أي الأئمة في الدين والعلم، ومن كان منهم ضعيف الدين جاهلا، بأي وجه يستحق التقديم، بل يتعين عليه يجتهد أن يصير عالما تقيا ليصير أهلا للتقدم)) [٥]

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((لا يفتقر من هو من أهل البيت، إلا إن افتقر من الدين، لأنهم مدعو لهم منه عليه السلام، بعدم الحاجة، زيادة وتأكيدا على ما ضمنه الله من الرزق العام لهم ولغيرهم، وإذا بطلت صلاة الإمام بطلت صلاة المأموم لأنهم العمدة، وقال رجل للإمام الحداد ﷺ: إن أهل البيت ما تضرهم الدنيا، لقوله صلى الله عليه و آله وسلم: ((اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)) [٦] يعني قدر القوت فقط، فقال رضي الله عنه: يحتمل أنه أراد عليه الصلاة والسلام، من في وقته منهم خاصة، وأما اليوم فتراك تنظر إلى أناس من الأشراف توسعوا في الدنيا، وتمتعوا بها غاية ما يكون، ومنعوا الزكاة، وأضاعوا حق الله اللازم)) [٧]كما جعل الإمام الحداد هذا الكلام ينطبق على أولاد الصالحين والأخيار فلا يغتروا بنسبتهم إلى ذلك الصالح ويروا ضرورة تقديرهم واحترامهم لنسبتهم وهم على غير منهجه وطريقته فهذا الكلام ينطبق عليهم قال الإمام الحداد ﷺ: ((والكلام في أولاد الصالحين مثل الكلام في أهل البيت النبوي بمعنى أن من كان على مثل حال سلفه فهو صالح مثلهم، يعظم ويتبرك به،

---

(١) القائل هو الإمام علي ابن أبي طالب: انظر المهدي حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال–، الناشر: سجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة للجمهورية اليمنية، ٢٠٠٩م، ص٨٠.

(٢) ذكره في سير أعلام النبلاء، واستشهد به بن عبيدالله السقاف في العود الهندي بقولهم وقال آخر .

(٣) ينظر الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ، ص ٨٧–٨٨.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث ٦٩٦٢، ٨٥/٤.

(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ، ١/ ٢٩٨.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: باب في الكفاف والقناعة، رقم الحديث ١٠٥٥، ٧٣٠/٢.

(٧) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/ ٥٥.

ومن كان على الجهل والغفلة فينبغي أن ينصح ويرشد إلى الصواب، ويحترم شيئا من الاحترام لأجل سلفه الصالحين، وكيف لا، وقد قال الله تعالى ما قال في شأن الغلامين والجدار ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ (١)وقد بلغنا أنه الأب السابع لهما من جهة الأم، فحفظا به في أمر الدنيا فضلا عن الآخرة، فاعلم وافهم، وضع كل شيء في موضعه، وآت كل ذي حق حقه، واستعن بالله تسعد وترشد. والأمر كله لله›› (٢)وهذه أبيات في آل البيت النبوي قالها الإمام الحداد:

نَمَتْهَا الْقُرُومُ الصِّيدُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ *** إِذَا انْتَسَبَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ هُمَامِ
مِنَ الفَاطِمِينَ الـدُّعَاةِ إِلَى الْهُدَى *** قَدِ انْتَهجُوا فِي نَهْجِ خَيْرِ إِمَامِ
نبي الْهُدَى بَحرِ النَّدَى سَيِّدِ الْوَرَى *** وَسَامِي الذُّرَى الماحي لَكُلِّ ظَلاَمِ
وَخَيْرِ وَصِيٍ بَعْدَهُ وَابْنِ عَمِّهِ *** عَلِيِّ الرِّضى الْجَالي لِكُلِّ قِتَامِ
وَحَمْزَةَ وَالْعَبَّاسِ مَعْ جَعْفَرٍ أخي *** الْجَنَاحَيْنِ طَيَّارٍ بِدَارِ مُقَامِ
وَجَاءَتْ بِأُمِّ الْمؤْمِنِينَ خَدِيجَةٍ *** وَزَهْرَا الْمُلاَ تَعْلُو بِمِسْكِ خِتَامِ
وَسِبْطَي رَسُولِ اللهِ مَعْ زَيْنِ عَابِد *** وَبَاقِرِهِمْ وَالصَّادِقِ الْمُتَسَامِي(٣)

ثامنا: موقف الإمام الحداد من المهدي المنتظر:

يعتقد أهل السنة أن من أشراط الساعة خروج المهدي آخر الزمان، فيملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويفيض المال. وقد جاءت السنة ببيان اسمه وصفته ومكان خروجه، فمن ذلك ما جاء عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ‹‹لو لم يبق من الدنيا إلا يوم – قال زائدة في حديثه: لطول الله ذلك اليوم، ثم اتفقوا حتى يبعث فيه رجلا مني – أومن أهل بيتي – يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي زاد في حديث فطر: يملأ الأرض قسطا، وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وقال: في حديث سفيان: لا تذهب،أو لا تنقضي،الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي›› (٤) وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: أتينا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشرا يعرف السرور في

(١) سورة الكهف: الآية ٨٢
(٢) الحداد: الفصول العلمية والأصول الحكمية، ص٩١.
(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٦١.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المهدي، رقم الحديث ٤٢٨٢، ٤/١٠٦.

وجهه، فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا به، ولا سكتنا إلا ابتدأنا، حتى مرت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين، فلما رآهم التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا: يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه، فقال: ((إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريدا وتشريدا في البلاد، حتى ترتفع رايات سود من المشرق، فيسألون الحق فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فمن أدركه منكم أو من أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي ولو حبوا على الثلج، فإنها رايات هدى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملك الأرض فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما) [1] فالمهدي يخرج في آخر الزمان واسمه محمد ابن عبدالله من أهل البيت من أولاد فاطمة الزهراء كما جاء عن سعيد بن المسيب، قال: كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي، فقالت سمعت رسول الله ﷺ، يقول: المهدي من ولد فاطمة)) [2] قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

لَقَدْ آنَ صُبْحُ الْعَدْلِ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ *** وَقَدْ حَانَ لَيْلُ الجَوْرِ يَنْزَاحُ حَالِكُهْ
بِطَلْعَةِ إِبْنِ المِصْطَفَى عَلَمِ الهُدَى *** حَلِيفِ التُّقَى خَيرِ الأَنَامِ وَنَاسِكُهْ
مُحَمَّدٍ المَهْدِيْ خَلِيفَةِ رَبِّنَا *** إِمَامِ الهُدَى بِالْقِسْطِ قَامتْ مَمَالِكُهْ
كَأَنِّيْ بِهِ بَيْنَ المَقَامِ وَرُكْنِهَا *** يُبَايِعْه مِنْ كُلِّ حِزْبٍ مُبَارَكُهْ
بِهِ يُنْعِشُ الرَّحْمَنُ مِلَّةَ جَدِّهِ *** وَيَحْيِي بِهِ دِينُ الهُدَى وَمَنَاسِكُهْ [3]

إذا فالمهدي في نظر أهل السنة والجماعة ليس رجل خارق يعيش منذ مئات السنين في سرداب لم يهرم ولم يبلى ولم يجوع ولم يظهر بل هو رجل صالح من آل البيت من ولد فاطمة وعلي رضي الله عنهما يولد بعمر إنسان عادي يعيش بين الناس لا يعلم انه المهدي فيهديه الله في ليله ويعرفه علماء الأمة لظهور علامات الصلاح عليه، وانطباق وصف النبي ﷺ عليه اسمه (محمد بن عبد الله) من ولد فاطمه أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يبايعه العلماء بين الركن والمقام في مكة ثم يبدأ فتوحاته ونصره ولا يظهر إلا بمقتل حاكم وبعد مقتل ذاك الحاكم يبدأ الظلم والفساد والجور يملأ الأرض. قال الإمام الحداد رضي الله عنه في وصفه: ((والمهدي إنما هو رجل

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث ٨٤٣٤، ٥١١/٤.
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب خروج المهدي، رقم الحديث ٤٠٨٦، ١٨٦٣/٢.
(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٣٩١-٣٩٢.

كامل، يشترط أن يكون عالماً بالكتاب والسنة، واختلاف الأمة وله قدرة تامة على الحروب، وقتل الأعداء وقهر المخالفين من الكافرين والباغين، وإقامة العدل بين المسلمين ونصرة المظلومين من الظالمين وإيصال جميع الحقوق إلى مستحقيها: من الزكوات والفيء والغنيمة، وقسمة ذلك بالسوية بين المجاهدين، وإقامة الضعفاء والمساكين، وغير ذلك من الشرائط التي بها يُقر له أهل الحق والدين من العلماء والصالحين ووجوه أهل الدين»(١) ويصف الإمام الحداد المهدي بأنه مجدد وليس نبي أو يحمل شريعة أخرى ويتكلم عن معنى تجديد الإمام المهدي للدين فيقول رضي الله عنه:

«ومعنى التجديد تقرير أمور من الدين بين أيدي الناس، طال بها العهد فيهم حتى اختَلَف فيها اجتهادهم، فيقررها على الحق، لا أنه يخترع من الكتاب والسنة أمراً لم يكن. إلى أن قال: أما المهدي فيلزم العملُ بقوله، لأنه مقرر من الشارع، وعلومه كلها وهبية، يفتح اللَّه عليه معاني الكتاب والسنة، فيقرر الأحكام الشرعية على أكمل وجوهها، وعلى الوجه المحبوب عند اللَّه ورسوله، وهذا هو علم أهل البيت النبوي، كما قيل لسيدنا علي رضي الله عنه: هل خصكم رسول اللَّه صلَّى الله عليه و آله وسلَّم بعلم دون غيركم، قال: لا، إلا فهم في كتاب اللَّه. وقال الإمام الحدد هذه الأخبار التي وردت في المهدي، وتقريب وقوعها، بمعنى إنها واقعة لا محالة، وإن بَعُدَت»(٢) وقال الإمام الحداد في وصف المهدي

وَمِنَّا إِمَامٌ حَـانَ حِينُ خُرُوجِهِ *** يَـقُومُ بِأَمْـرِ اللهِ خَـيْرَ قِيَامِ
فَيَمْلَؤُهَا بِالحقِّ وَالعَدْلِ وَالْهُدَى ***كَمَا مُلِئَتْ جَـوْراً بِظُلْمِ طَغَامِ
إِذَا قَـامَ قُـمْنَا وَالُمَوفِّقُ رَبّـنَا *** بِنُصـرْتِهِ إِنْ رَاثَ حِينُ حِمَـامِ
وَإِلاَّ فَـنَرْجُو أَنْ يَقُـومَ بِنـَصْرِهِ *** فُرُوعٌ مِنَ البيت المصون نوامي(٣)

تاسعا: موقف الإمام الحداد من الرافضة والأباضية والناصبة:

أن آل البيت في حضرموت والحداد منهم بل إنه حجة عندهم وهم على ممر تاريخهم دعاة سلام وسادة الصلح الواعي وسفن النجاة ويؤيدون الحق حيثما كان وينفون الباطل أينما كان وفي أي وقت، وقدوتهم جدهم النبي الأكرم ﷺ والخلفاء الذين عليهم المعول ومن تبعهم

(١) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد، ٤٢٦/١.هذه المكاتبة موجودة في ط١.
(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢٧٨/١-٢٧٩.
(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٦٣.

وأخذ عنهم بشرط الأهتداء والاقتداء، فهذه السلسلة المباركة ذاتها ووحدها هي الحاملة صفة الالتزام الشرعي بأدب الوراثة كما التزمت بأدب المعاملة مع من يستحق ومن لا يستحق وهم الأئمة العدول، وأما طرفا الغلو والجفاء فقد ضلا في كافة المراحل سببا في الاصطدام والحروب والفتن والاشتغال المفضي إلى الدمار وزعزعة الاستقرار، وحيثما بلغ هذان الطرفان موقع القرار سواء قرار الحكم أو قرار العلم فلا يصنعان غير الأزمات ولا يعترف أحدهما بالآخر من جهة كما لا يعترفان جميعا بالنمط الأوسط، ويعملان على إفشال دوره الشرعي في الحياة وهما امتدادان لزيمان للجنوح العالمي في اليهود والنصارى الذين جلب الشيطان عليهم بخيله ورجله حتى وصف القرآن حالهما وهم يصدران الأحكام ضد بعضهما البعض بقوله:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾(١) إن منهج الإمام الحداد يدعوا الشعوب إلى تصحيح رُكام الإفك المقنن والإفك المصنع الذي جعله المغرضون المستثمرون هدفا لإنجاح مشروع التكفير للمسلمين عند قوم واللعن والإدانة للصحابة الأولين عند آخرين، فالخلاص من طرف الإفراط والتفريط مكسب عظيم وإعادة حقيقة للنموذج الأمثل ولكن الشيطان لا يروق له هذا الموقف ولا يتبناه، بل يتبنى طرفي الإفراط والتفريط في كل عصر ومرحلة ليحقق بها غرض القاعدة القائلة (لكل فعل ردة فعل) وهي قاعدة مادية بحتة لا علاقة لها بالأخلاق والقيم وبهذا التمهيد نقرر منهج وموقف الإمام الحداد ووصفه لهذه الفرق ويقصد بالرافضة من يرفض الشيخين ويقصد بالأباضة(٢) والناصبة(٣) من يبغضون آل البيت حيث يقول في شأنهم ﷺ: «إنهم أهل باطل (أي أهل الرفض) لا يُذكرون ولا يُعول عليهم في شيء وإن كان عندهم يسير من الحق فإنهم خلطوه في الباطل، فلا يبقى له أثر، كمن يجعل زباداً في عَذِرَة، وينبغي لصاحب الحق أن يتركهم، وإن رأى عندهم شيئاً من الحق لا ينكره، لئلا يتعللون ويحتجون عليه بإنكاره ذلك القليل من الحق، فيستدلون بذلك على أن كل ما معهم حق، وأنه أنكره، وما اعتقدوا إن سيدنا علياً أولى بالخلافة، فإنه لو ولي بعد النبي صلَّى الله

(١) سورة البقرة: الآية ١١٣

(٢) نسبة إلى عبد الله ابن أباض لشهرة موقفه مع الحكام واسمه عبد الله بن يحيى بن أباض، ويطلق الإباضية .

(٣) ومعنى النواصب: من ناصب عليا وأهل بيته العداء.

عليه و آله وسلَّم لما كان منه إلا مثل ما كان لما ولي في وقته، ولكن سيدنا أبوبكر رضي به الناس ومنهم سيدنا علي، لسابقته وحصوله مع النبي ﷺ في الغار، ولكونه صلى بالناس في حياته ﷺ، وهو أوصى بها باجتهادٍ لعمر، وعمر جعلها في أهل الشورى، الذين يجتمعون عليه من أحد ستة، وهو أي سيدنا علي منهم، ويكفيه فضيلة ما له من الفضائل والمزايا، وإن تأخرت خلافته فإن ذلك أيضاً زيادة في فضله، فقد كان النبي ﷺإذا بعثه في سرية يقول: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ (١) الآية، وما ذكره الرافضة من ذمه بأنه سكت في بعض الأشياء تقية، فليس سكوته فيها جبناً، وإنما هو للإبقاء على المسلمين، وكراهة منه لشق العصا بين المسلمين، وأكثَرَ نفع الله به في ذمهم والأباضة، فقال: الأباضة والناصبة أبغض إلينا من الشيعة، لأنهم يبغضون أهل البيت، وقال بعض الشيعة من أهل المدينة لبعض السادة من آل أبي علوي: ما تقول في الشيعة والأباضة؟ فقال: بعرة مقسومة نصفين. ورأينا سنة حججنا رجلاً شريفاً رافضياً قائماً عند قبر النبي صلَّى الله عليه و آله وسلَّم يصرخ ويقول: يارسول الله ظلمونا وفعلوا بنا، ويتنصف كثيراً، وإذا به على أمور قد سلفت منذ زمان بعيد، كما فُعِلَ بسيدنا علي وابنه الحسين، فعجبنا منه، ومن طبع الرافضة الجنون، يدل عليه مثل قصة هذا الرجل، حتى قال بعض العلماء: لو أن الرافضة كانوا طيوراً لكانوا رُخماً، ولو كانوا دوابَّ لكانوا حميراً، وتكلم في ذلك كثيراً» (٢) بل إن الإمام الحداد يشق عليه الإقامة بأرض يرفض فيه الشيخين ويرى أن تلك البلاد مظلمة خالية من نور الإسلام: قال الإمام الحداد رضي الله عنه في مكاتبة له إلى السيد حامد بن علوي الحداد الذي سافر إلى أرض الهند فكتب له قائلاً: «فإنه قد بلغنا ما كثر في أرض الهند من مضلات الفتن، وما ترادف فيها من البلايا والمحن، وما حصل بين أهلها من الخلاف والشتات وعدم الانتظام وهذا بلاء عظيم. وأفحش منه وأفظع وأشنع، ما بلغنا من ظهور من يتظاهر ببغض الشيخين الصديق والفاروق رضي الله عنهما، ويدين بالرفض المذموم شرعا وعقلا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وهذه هي المصيبة العظمى والداهية الدهيا، وقد كان يثقل علينا أن تطيلوا الإقامة بهذه الأرض المظلمة، قبل أن

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨٩

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٢٢٦-٢٢٧.

تقع هذه الأمور المشكلة وقد صار الآن أثقل وأثقل)) [١] والإمام الحداد كما سبق أن قلنا أنه منصف ومطلع وقد سئل عن مطالعة كتاب الفصول المهمة فقال إنه كتاب مليح ومؤلفه ابن الصباغ المالكي وتلميذه السخاوي وأنه من أهل السنة والجماعة ويضع الإمام الحداد ضابطا لطلاب العلم في مطالعة كتب الغير حيث لا يرى محذورا في ذلك كما هو شأن المنصفين والعلماء في نقل المذاهب ونقل أقوال الموافقين والمخالفين، جاء في مكاتبة للإمام الحداد ما نصه: ((وما ذكرتم من جهة كتاب الفصول المهمة التي في مناقب الاثني عشر الأئمة فهو كتاب مليح وليس في مطالعته محذور ونحن قد حصلناه وطالعناه ومصنفه من أهل السنة والجماعة وتخصيصهم بذكر مناقبهم لا يدل على شيء، وقد ذكر الشيخ ابن حجر مناقبهم والثناء عليهم في الصواعق، وذكر مذهب الغير لا يلزم منه الأخذ به، فشأن المنصفين والعلماء نقل المذاهب ونقل أقوال الموافقين والمخالفين المذكورين في الكتاب من أكابر السلف الصالحين ومن أئمة الدين، وإنما المحذور حصر الإمامة الظاهرة كما تقول به الفرقة المخالفة، وفقنا الله وإياكم وجعلنا من الذين هداهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والسلام)) [٢]

---

(١) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد، ١/٩٠.

(٢) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد، ٢/ ٣٣٦-٣٣٧.

الفصل الثالث السمعيات

منهج الإمام الحداد في السمعيات وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد عن السمعيات.

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم، وصفاتهم، وخصائصهم.

المطلب الثاني: كيف يخلق الله الملائكة.

المطلب الثالث: أسماء بعض الملائكة ووظائفهم.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر وفيه اثنا عشر مطلباً:

المطلب الأول: الموت.

المطلب الثاني: البرزخ أول منازل الآخرة.

المطلب الثالث: النشور والنفخ في الصور.

المطلب الرابع: الحشر.

المطلب الخامس: الشفاعة.

المطلب السادس: العرض على الله تعالى للحساب وحكم من يبلغوا الحلم.

المطلب السابع: الميزان.

المطلب الثامن الصراط.

المطلب التاسع: الحوض.

المطلب العاشر: ذكر النار وأهلها.

المطلب الحادي عشر: ذكر الجنة ونعيمها.

المطلب الثاني عشر: رؤية الله عز وجل يوم القيامة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي سوف يتوصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة.

تمهيد عن السمعيات

هذا هو القسم الثالث من أقسام علم التوحيد الثلاثة: الإلهيات – النبوات – السمعيات وتسمى الغيبيات أيضاً: وسميت مباحثه بالسمعيات، لأنه لا طريق لمعرفتها إلا بالكتاب والسنة، والأصل في وصولهما إلينا السمع فقط فلا دخل للعقل في الوصول إلى ما يذكر في هذا القسم، ويجب الإيمان به كالملائكة والجن والأرواح واليوم الآخر والجنة والنار كما جاءت في الكتاب والسنة الصحيحة، أما تسميتها بالغيبيات فلأنها أمور غائبة عنا ولا أثر لها في حياتنا يدلنا عليها دلالة قطعية، ونحن فيما سبق اقتنعنا وآمنا بوجود الله تعالى بأدلة قطعية يقينية، وآمنا بوجود صفات الله تعالى بأدلة قطعية يقينية، وآمنا برسل الله تعالى وصفاتهم بأدلة قطعية يقينية، وآمنا بكتب الله تعالى التي أنزلها على رسله بأدلة قطعية يقينية، إذاً فنحن ملزمون نتيجة هذا الإيمان بالله وصفاته ورسله وكتبه أن نؤمن بما جاء في الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله من أجلنا، وأن نعمل بما جاء فيه، وهذا الكتاب نصوصه كلها (حروفه وكلماته وآياته وسوره) وردت إلينا بدليل قطعي، والذي ينكر شيئاً مما ورد عن الله بدليل قطعي يكفر بسبب هذا الإنكار، وأما معاني كتاب الله تعالى فمنها ما هو قطعي لم يختلف فيه العلماء بل أجمعوا كلهم عليه، وهذا إنكاره كفر أيضاً، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(١)]، ومنها ما هو ظني لم يتفق عليه العلماء، بل اختلفوا فيه فلك أن تأخذ برأي أحد منهم ما دام هذا الرأي متفقاً مع اللغة ومع الأصول والموازين الإسلامية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[(٢)] فإن القرء في اللغة يطلق على دم الحيض كما يطلق على الطهر منه، لذلك اختلف الفقهاء فيه وفي الأحكام المترتبة عليه. كما أنه يجب الإيمان بأن رسولنا محمداً ﷺ بين لنا كتاب الله، وأوضح شرعه قال تعالى لنبيهﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(٣)] كما يجب الإيمان بأننا مكلفون بالأخذ بحديث رسول الله ﷺ تلبية لقوله تعالى:

---

(١) سورة الإخلاص: الآية ١

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٨

(٣) سورة النحل: الآية ٤٤

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (١) وهنا يقال: إن ما جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث: إن كان متواتراً مقطوعاً به فإن الإيمان به واجب، وإلا كان كفراً: ويقال في نصه ومعناه ما قيل في القرآن، وإذا لم يكن الحديث متواتراً فإن إنكاره ليس كفراً، وإنما هو فسق إذا كان الحديث مجمعاً على صحته: والعمل بهذه الأحاديث واجب، وعليها بني أكثر الأحكام الفقهية، غير أن هذه الأحكام المأخوذة من الأحاديث منها الواجب ومنها السنة، ومنها الحرام، ومنها المكروه، ومنها المباح، وكذلك الأحكام المأخوذة من القرآن أو منهما معاً. وبناءً على هذا نستطيع أن نفهم، لماذا قلنا: إن العقائد الإسلامية مصدرها الأدلة القطعية، الكتاب، السنة المتواترة، فإنه صار واضحاً أن العقائد يترتب عليها الإيمان أو الكفر، وهما أخطر وصفين يوصف الإنسان بهما، ويترتب عليهما مصيره، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، ونستطيع أن ندرك الآن أن السمعيات التي سنذكرها فيما يأتي، ويجب الإيمان بها، ثابتة بأدلة قطعية من كتاب الله تعالى، ولا يوجد دليل عقلي يمنع من وقوعها، بل هي داخلة في الأمور الجائزة عقلاً، لأنها أثر لقدرة الله تعالى وإرادته وعلمه، والأمور السمعية لا تحتاج إلى تأويل كما قال الإمام الحداد ﵁: «وأمور الآخرة كلها تمرر على ظاهرها، ولا حاجة فيها إلى تأويل شيء، إلا إن كان حديثاً واحداً، واحتيج إليه، فإن كان وردت أحاديث عند ذلك على معنى يترك، ويجعل من الأمور السمعيات، لأنها عند أهل العلم لا تؤول» (٢)، وقال الإمام الحداد في وصف التوحيد وأدلته: «والتوحيدِ له هيبة لا يمكن لأحد يعقل أن يدفع أحداً عنه، ولا يجادله فيه؛ لأنه الأمر الواضح البيِّن، الذي قامت به الحجج، واتفقت عليه الأدلة القاطعة من السمعيات والعقليات فاعلم ذلك وتأمله حق تأمّله؛ فإنه أمر مهم» (٣)

وإليك بيان هذه السمعيات:

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/٣٩٠.

(٣) الحداد: الدعوة التامة والتذكرة العامة، ص٢٥٥.

المبحث الأول

الإيمان بالملائكة

المطلب الأول: تعريف الملائكة وأصل خلقتهم، وصفاتهم، وخصائصهم:

تعريف الملائكة: الملائكة في الأصل جمع ملأك، ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك، وجمع المَلَكُ مَلَائِكَةِ: ؛ قَالَ الْكِسَائِيُّ: أَصله مَأْلَكٌ بِتَقْدِيمِ الْهَمْزَةِ مِنَ الأَلُوكِ، وَهِيَ الرِّسَالَةُ، ثُمَّ قُلِبَتْ وَقُدِّمَتِ اللَّامُ فَقِيلَ مَلأَكٌ. [١]

وسميت الملائكة ملائكة بالرسالة، لأنهم رسل الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسلت إليه من عباده[٢]

وهم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. [٣] لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ولا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون.

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان امرئ إلا بالإيمان بهم فيجب على كل مكلف شرعاً الإيمان بهم وذلك بأن يعتقد اعتقاداً جازماً بأنهم موجودون، قال تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [٤]وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [٥].

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٤٩٦/١٠.

(٢) الطبري: تفسير الطبري، ١٤٤/١.

(٣) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ، ص٩٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٥

(٥) سورة النساء: الآية ١٣٦

أصل خلقهم: والمادة التي خلق الله منها الملائكة هي النور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)) (١) والمارج هو: اللهب المختلط بسواد النار.

صفاتهم: قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها وقد تحدث الله في القرآن الكريم عن الملائكة باستفاضة فذكر من صفاتهم الخُلُقية والخَلْقية الشيء الكثير، فمن الأولى أنهم لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون به قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾(٢)، ومنهم واسطة في البلاغ بين الله تعالى ورسله؛ واسطة في إبلاغ الوحي والرسالة إلى من اصطفاهم الله تعالى من البشر، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾(٣) يقول الإمام الحداد في وصفهم: ((إنهم تجردوا عن هذا العالم السفلي، فلا يَحْتاجون لأكل ولا شرب ولا نكاح وغير ذلك للعالم العلوي، وبَقُوا في مقام الخصوصية، والترقي في الأفضلية، بمعنى إن بعضهم أفضل من بعض، فليس جبريل في ذلك كأدنى واحد منهم، والكل قائم بما كَلَّفه الله)) (٤) وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وإنما قوت الملائكة الذي يتلذذون به القُرْب، وهذا شأن الأرواح كما إن الأكل شأن الأجسام، ولذة الأرواح في غير ما تلتذ به الأشباح، ولا يلتذ الروح بما يلتذ به الجسم)) (٥)

-ومن صفاتهم أنهم ذو أجنحة قال الله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾(٦) وسئل الإمام الحداد رضي الله عنه إن الملائكة لهم أجنحة، يلتحفون ببعضها ويَفْترشون بِبَعضها، وإن الواحد منهم كالجبل، ونحو هذا مما يوهم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب في أحاديث متفرقة، رقم الحديث (٢٩٩٦)، ٢٩٩٦/٤.

(٢) سورة التحريم: الآية ٦

(٣)سورة الحج: الآية ٧٥

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٠٩/٢.

(٥) المرجع السابق: ١/ ١٩٧.

(٦) سورة فاطر: الآية ١

أنهم صور حسية، مع إنما هم أرواح، فقال: ((هم كذلك على الصور التي يتمثلون فيها، كما رأى النبي صلَّى الله عليه و آله وسلَّم جبريل عليه السلام، وقد سد الأفق، وقال إنه على صورة دِحْيَة، وكذا في القرآن: (أُوْلِي أَجْنِحَةٍ) ، وأما حالتهم الأصلية فهي الروحية، والآدميون إنما يتمثلون كذلك بعد السلوك، فحينئذ يمكن منهم ذلك، وأما الملائكة فهذه حالتهم الأصلية)) [١].

-ومن صفاتهم أنهم عباد مكرمون يعبدون الله تعالى دون كلل أو فتور ومما يدل على ذلك ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [٢] يقول الإمام الحداد ﷺ: ((وقد وصف الله ملائكته وأنبياءه عليهم السلام، وعباده المؤمنين في كتابه بالأعمال الصالحة، وبالملازمة لها، والمسارعة فيها مع الخوف والخشية والإشفاق والوجل، فقال تعالى في الملائكة: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ [٣] اهـ)) [٤] وقال الإمام الحداد ﷺ: ((ما قَدْرُ عمل ابن آدم الضَّعيف؟ فلو عمل ما عمل، فإن مَلَكاً واحداً من الملائكة عمله يوازي أعمال جميع بني آدم، فإذا كان الملائكة مع كَثْرتهم للواحد منهم كذا كذا رأس وَوَجه ولسان، يَعْبد ويَسْجد ويسبح بكل واحد، فما عمل ابن آدم بالنسبة إليهم)) [٥] وقال الإمام الحداد ﷺ: ((فإذا كان المَلَكُ الواحد من الملائكة، من قَبْل خلق الدنيا إلى يوم القيامة في سجدة، وآخَر في ركعة، ونعَّمهم بذكره، كما هو معلوم من أحوالهم)) [٦]

-الملائكة لا يعلمون الغيب إلا ما يطلعهم الله عليه قال تعالى﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [٧] قال الإمام الحداد ﷺ: ((ولو قال كم يموت كل يوم، فماذا تقول، ما معك إلا ما شاء اللَّه، وذلك موكول إلى علم اللَّه، حتى الملائكة لم يكن ذلك من شأنهم، لأنهم

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١١٠/٢
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٠
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٦ – ٢٨.
(٤) الحداد: النصائح الدينية، ص٧٥.
(٥) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٠٧/٢.
(٦) المرجع السابق، ٢٦/١.
(٧) سورة الجن: الآية ٢٦

مخلوقون لأمور جعلت عليهم، منهم في الأرض، ومنهم في السماء، حتى الحفظة على الإنسان، ما دام حيّاً، هم على عملهم في الأرض، فإذا مات رجعوا إلى ملائكة السماء، حتى يبعث، فإذا هم قيام عليه بعمله، فمن كان سائلاً فليسأل عما يحتاج إليه ويعنيه)) (١)

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((فإن حد ما ينتهي إليه علم الملائكة سدرة المنتهى، فيجدون أمر اللَّه عندها، ولا يتجاوزونها)) (٢)

- دعاء الملائكة مستجاب كما قال ابن حجر-رحمه الله - في شرحه لحديث ((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح) وفيه أن الملائكة تدعو على أهل المعصية ما داموا فيها وذلك يدل على أنهم يدعون لأهل الطاعة ما داموا فيها كذا قال المهلب وفيه نظر أيضا قال ابن أبي جمرة وهل الملائكة التي تلعنها هم الحفظة أو غيرهم يحتمل الأمرين قلت يحتمل أن يكون بعض الملائكة موكلا بذلك ويرشد إلى التعميم قوله في رواية مسلم الذي في السماء إن كان المراد به سكانها قال وفيه دليل على قبول دعاء الملائكة من خير أو شر)) (٣)قال الإمام الحداد رضي الله عنه: (قال عليه الصلاة والسلام: ((ما طلعت الشمس إلا وعلى جنبيها ملكان يقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكا تلفا))(٤): قال الإمام الحداد ودعاء الملائكة مستجاب)) (٥)

- صلاة الملائكة هي الاستغفار ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء له وعند ابن أبي حاتم عن مقاتل ابن حبان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وعن ابن عباس رضي الله عنه أن معنى صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار. (٦) قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وينبغي لمن أراد أن يختم القرآن: أن يختمه من أول الليل أو من أول النهار، حتى يتسع وقت صلاة الملائكة عليه، فإنه ورد في بعض الآثار: أن من ختم القرآن أية ساعة من الليل صلت عليه

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٨٠.

(٢) ١المرجع السابق، ١/٢٤٤.

(٣) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٩/٢٩٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه : بلفظ مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى) رقم الحديث ١٤٤٢، ٢/١١٥..

(٥) الحداد: النصائح الدينية، ص١٥٦.

(٦) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١١/١٥٥.

الملائكة حتى يصبح، وأية ساعة من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي. وفي صلاة الملائكة على العبد كل خير، وكل سعادة له. ومعنى صلاتهم عليه: استغفارهم له ودعاؤهم له بالخير)) [(١)]

- الجمهور على أن الأنبياء أفضل من الملائكة ويتجلى ذلك واضحا أن الله أمر الملائكة بالسجود لنبي الله آدم عليه السلام، وأيضا لا ينبغي لعاقل أن ينسى ما حدث ليلة الإسراء والمعراج وخصوصا عند سدرة المنتهى وتقدم النبي ﷺ وتأخر جبريل عليه السلام وقال لو تقدمت احترقت وأنت لو تقدمت اخترقت، فانظر مقام كل من الأنبياء والملائكة، وسئل الإمام الحداد نفع الله به عن قول الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- في باب الشكر من الإحياء: إن الملائكة المقربين أكثر قياما بالشكر لله تعالى، من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو كلام نحو هذا قريب بما يقتضي أو يوهم تفضيل الملائكة عليهم؟ فأجاب رضي الله عنه: ((اعلم أن ذلك قول لبعض أهل السنة وقد قيل: إن الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- منهم والجمهور على خلاف ذلك القول)) [(٢)]

---

(١) الحداد: النصائح الدينية، ص٢١٦.

(٢) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٤٦.

المطلب الثاني: كيف يخلق الله الملائكة:

قال ابن عباس ﷺ: ((عن يمين العرش نهر من النور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع سبعين مرة، يدخله جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا إلى نوره وجمالا إلى جماله وعظما إلى عظمه، ثم ينتفض فيخرج الله من كل ريشة سبعين ألف قطرة، ويخرج من كل قطرة سبعة آلاف ملك، يدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك إلى البيت المعمور، وفي الكعبة سبعون ألفا لا يعدون إليه إلى يوم القيامة)) (١)

قال الإمام الحداد ﷺ في حديث: ((إن البيت المعمور بحيال البيت (أي الكعبة) يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة)) (٢)، في بعض الأحاديث إن فيه أو عنده عين ماء يدخله جبريل عليه السلام كل ليلة وقت السحر ينتفض فيطير من جناحه سبعون ألف نقطة، فيخلق الله من كل نقطة ملكا، فهم الذين يدخلون البيت المعمور، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. (٣) اهـ)) (٤)

قال الإمام الحداد ﷺ:

كَطوافٍ بِهِ طَوَافُ الأَمْلاَكِ *** حَوْلَ الْعَرْشِ العَظِيمَ للإِعْظَامِ
وَكَبَـيْتِ اللـهِ الَمعْمُورْ فَوْقَ*** اِلطبَاقِ فِي التَشْرِيفَ وَالإِلْمَامَ(٥)

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٨٠/١٠.

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري من حديث مالك ابن صعصعة ولفظه بينا أنا عند البيت بين النائم، واليقظان..... الحديث، باب ذكر الملائكة، رقم الحديث ٣٢٠٧، ١٠٩/٤.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٨٠/١٠ .

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/ ٣٧.

(٥) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٦٥.

المطلب الثالث: أسماء بعض الملائكة ووظائفهم:

وردت النصوص بذكر بعض أسماء الملائكة وأنواعهم وما وكلوا به من أعمال وهم.

-جبريل -عليه السلام- وهو أفضلهم وهو الواسطة بين الله ورسله ويسمى أمين الوحي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (١) يقول الإمام الحداد رضي الله عنه: ((نزل القرآن جملة واحدة من اللوح إلى بيت العزة، ونزل به جبريل بأمر الله على رسوله عليهما السلام مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة، وهي مدة الوحي إلى رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-؛ إذ أوحى الله إليه وهو ابن أربعين سنة وقبض عليه الصلاة والسلام عن ثلاث وستين سنة. وكذلك قاله العلماء المحققون من السلف والخلف)) (٢)

قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

أَتَاهُ أَمِينُ اللهِ جِبْرِيلُ جَهْرَةَ *** وَكَانَ لِرَبِّ العَرْشِ يَعْبُدُ فِي حِرَا(٣)

-ميكائيل -عليه السلام- وهو الموكل بالأرزاق قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((سمعنا فيما بلغنا: إن للَّه ملائكة موكلين بخزائن أرزاق العباد، وإن للعبد في كل وقت رزقاً معلوماً، فإذا أطاع العبد ربه وأحسن له المعاملة أمر اللَّه الملائكة الموكلين بخزائن أرزاق العباد أن يعجلوا له من رزقه في الوقت الآتي، مع رزقه في الوقت الحاضر، فيتسع عليه رزقه فيه، وإذا عصى وأساء المعاملة أمر الخَزَنة وقال: ادخروا رزق هذا له في الخزائن، فيؤخر إلى الاستقبال، ويبقى مقتراً عليه رزقه في الحال الحاضر)) (٤)

-إسرافيل- عليه السلام- وهو الموكل بالنفخ في الصور يقول الإمام الحداد رضي الله عنه: ((يأمر الله عز وجل إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور النفخة الثانية. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾(٥) اهـ)) (٦)

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٩٢ا١ - ١٩٣

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص١٧٠.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٤٥.

(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٠٠.

(٥) سورة يس: الآية ٥١

(٦) الحداد: سبيل الإدكار، ص٨٣.

-ملك الموت -عليه السلام- وهو الموكل بقبض الأرواح وقد اشْتهر عند العوام بأسم قَالَ الإمام المناوي -رحمه الله- وَلَمْ أَقف على تَسْمِيَته بذلك فِي حَدِيث [١] والإمام الحداد لم يذكر ذلك الاسم لذلك المعنى ويذكره بلفظ ملك الموت قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((وقد بلغنا أن ملك الموت عليه الصلاة والسلام يظهر للإنسان عندما يبقى من أجله شيء يسير فيخبره به فيقول له: يا ملك الموت، أخرني قليلا لأتوب إلى ربي وأستغفره فيقول له الملك: قد طالما أُخرت وعُمرت فلم تتب ولم ترجع إلى ربك حتى الآن وقد انقضت المدة وبلغت الأجل الذي كتبه الله لك، فلا سبيل إلى التأخير)) [٢] قال الإمام الحداد في بيان أسماء الملائكة:

جِبْرِيلَ مِيكَائِيلَ واوٌ وَ رَا *** وصَاحِبِ اللَّوْحِ إِذْ يَهِجِ
بِالنَّفْخِ وَالقَابِضْ لأَروَاحِنَا *** مِنْ سَاكِنٍ مِنْهَا وَمُنْزَعِجِ [٣]

-منكر ونكير -عليهما السلام- الموكلان بسؤال الموتى في القبر قال الإمام الحداد رضي الله عنه:
((ومن ذلك: أن يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى)) [٤] وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((فينبغي أن يمكث عنده الحاضرون ساعة، يتلون القرآن، ويستغفرون للميت، ويدعون له بالتثبيت، فإنه حينئذ يسأل كما في الحديث، أي يسأله الملكان: منكر ونكير، اللذان هما فتانا القبر، يسألان الميت بعدما يدفن على الأثر: من ربك؟ وما دينك ومن نبيك؟ فمن ثبَّته اللهُ قال: اللهُ ربي، والإسلامُ ديني، ومحمدٌ نبيي، ومن أزاغه الله حار وتردد، على وفق ما كان عليه في الدنيا، من الشك والزيغ والإضاعة لأمر الله، وارتكاب محارمه، فيقول: هاه، هاه لا أدري. كما ورد في الأحاديث الصحيحة، فعند ذلك يضربانه، ويضيق عليه قبره، ويملأ عليه عذاباً. الحديث بمعناه [٥] اهـ)) [٦]

---

(١) المناوي: التيسير بشرح الجامع الصغير، ١/٣٦٩.
(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص٦٦.
(٣) الحداد: ديوان الإمام الحدا الدر المنظوم، ص١٣٧.
(٤) الحداد: النصائح الدينية، ص٤١٨.
(٥) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد....الحديث) رقم الحديث ١٨٥٣٤، ٣٠/ ٥٠٢.
(٦) الحداد: سبيل الإدكار، ص٦٨.

قال الإمام الحداد ﷺ: وَنَكِـيرُ الْقَــبْرِ مُنْــكَرُهُ *** بِهِمَا زَيْغٌ لِذِي دَخَلِ

وَإِذَا مَا الْمَرْءُ يُسْأَلُ عَنْ *** عِلْمِهِ وَالقَوْلِ وَالعَمَلِ (١)

-رقيب وعتيد -عليهما السلام -الموكلان بكتابة الحسنات والسيئات قال الإمام الحداد ﷺ: ((ومتى رأيت من نفسك تكاسلاً عن طاعته أو ميلاً إلى معصيته فذكرها بأن الله يسمعك ويراك ويعلم سرك ونجواك، فإن لم يفدها هذا الذكر لقصور معرفتها بجلال الله تعالى فاذكر لها مكان الملكين الكريمين اللذين يكتبان الحسنات والسيئات واتل عليها قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٢) اهـ)) (٣)ووظيفتهما تبدأ من حين يبلغ الطفل، قال الإمام الحداد ﷺ: ((فإذا بلغ الطفل وهو عاقل، فقد صار مكلفاً، وتوجه عليه الخطاب، والمطالبة من الله، بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وأمر الله الحافظين الكريمين من الملائكة، أن يكتبا له الحسنات، وعليه السيئات، أحدهما عن يمينه، وهو صاحب الحسنات، والآخر عن شماله وهو صاحب السيئات.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ (٤)وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٥)وقد أمرا أن يحفظا عليه جميع أقواله وأفعاله، من الخير والشر مدة حياته إلى أن يموت، ثم يحضرا معه يوم القيامة، حين يقف بين يدي الله فيشهدا له وعليه، قال تعالى:﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (٦) اه)) (٧)

وهكذا الملائكة كما وصفهم الإمام الحداد ﷺ بقوله: ((حتى الملائكة لم يكن ذلك من شأنهم لأنهم مخلوقون لأمور جعلت عليهم، منهم في الأرض، ومنهم في السماء، حتى الحفظة على الإنسان، ما دام حيّاً)) (١)

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٢٨.

(٢) سورة ق: الآية: ١٧ – ١٨

٣) الحداد: رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة ، ص٢٩.

(٤) سورة الانفطار: الآية ١٠ – ١١

(٥) سورة ق: الآية ١٧ – ١٨

(٦) سورة ق: الآية ٢١

(٧) الحداد: سبيل الإدكار، ص٣٤.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١/١٨١.

المبحث الثاني
الإيمان باليوم الآخر

من السمعيات اليوم الآخر وقد ذكر في آيات كثيرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)] وغيرها كثير ويعني بِالْيَوْمِ الآخِرِ، كما ذكر الطبري–رحمه الله– في تفسيره بالبعث يوم القيامة، وإنما سُمّيّ يومُ القيامة اليومَ الآخر، لأنه آخر يوم، لا يومَ بعده سواه. فإن قال قائل: وكيف لا يكون بعده يوم، ولا انقطاعَ للآخرة ولا فناء، ولا زوال؟ قيل: إن اليومَ عند العرب إنما سُمي يومًا بليلته التي قبله، فإذا لم يتقدم النهارَ ليلٌ لم يسمَّ يومًا. فيوم القيامة يوم لا ليلَ بعده، سوى الليلة التي قامت في صبيحتها القيامة، فذلك اليوم هو آخر الأيام. ولذلك سمّاه الله جل ثناؤه اليوم الآخر، ونعتَه بالعَقِيم. ووصفه بأنه يوم عَقيم، لأنه لا ليل بعده[(٢)]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾[(٣)] ثم اعلم أن يوم القيامة يوم عظيم، كما قال تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٤)]، وفيه مواقف طويلة ثقيلة، وأهوال شديدة.

وقد وصف الله في كتابه العزيز، من أحوال ذلك اليوم وأهواله، ما يطول ويهول. ووصف رسول الله ﷺ، في حديثه من ذلك كذلك، ووصف السلف الصالح، من أمر ذلك اليوم على حسب ما بلغهم عن الله ورسوله.

وقد جمع العلماء في كتبهم ومؤلفاتهم التي ألفوها في أخبار يوم القيامة وأحواله وأهواله شيئاً كثيراً كذلك. مثل كتاب ذكر الموت وما بعده من الأحياء لحجة الإسلام الغزالي رحمة الله، وكتاب الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، له أيضاً، وكتاب التذكرة للقرطبي رحمه الله. وكتاب شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور، وكتاب البدور السافرة في أحوال الآخرة، للحافظ السيوطي رحمه الله. وأول مراحل اليوم الآخر هو الموت كما قال الإمام الغزالي:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨

(٢) الطبري: تفسير الطبري جامع البيان، ١/٢٧١.

(٣) سورة الحج: الآية ٥٥

(٤) سورة المطففين: الآية ٤ – ٦

«الموت هو القيامة الصغرى ومن مات فقد قامت قيامته كما روى أنس عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قال«الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته» (١)وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال له كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٢) اهـ» (٣)

وقد وصف الإمام الحداد اليوم الآخر نظما وهذا مقتطف منها فقال رضي الله عنه:

مَا مِنَ الموتِ مَهَرَبٌ *** لاَ وَ لاَالحِذْرُ يَنْجَعُ
فَأَمُوتُ وأَنقَضِي *** وَعَلى النَّعْشِ أُرْفَعُ
وَأَصِيرُ لَمَدفَنٍ *** لْلمَخُوفَاتِ يَجَمْعُ
وَهْو لْلمرْءِ رَوَضَةٌ *** أَوَ مَضِيقٌ و بَلقَعُ
ثُم يبَلى ويَنمَحي *** وَإِلى ٱلأَصْلِ يَرجَعُ
وَهُو لوْ يَبقَ هَكَذا *** كَانِ أجَدى وَأَنْفَعُ
لَكِنِ البَعْثُ بَعَدهُ *** يومَ كُلٌّ يُرَوَّعُ
يَومَ يُنفَخُ نَفخَةً *** لْلبرِيَّة تَجْمَعُ
يومَ نَشرٍ وَمَحْشَرٍ ***وَوُقُوفٌ وَمَجْمَعُ
يَوم يَبرُزُ رَبُّنَا *** لْلحسَاب فَنَخْضَعُ
فِيه يِنكَشِف الغِطاء ***وَالموَازِينُ تُوضَعُ
وَتَرى كُلَّ مُرضِعٍ *** تَنْسَ مَنْ كَان تُرضِعُ
وَالجَزا كُلُ عَامِلٍ *** يَلْقَ مَا كان يَصْنَعُ
فَجَزا كُلِ مؤمِنَ *** لْلهَوى كَان يُقمَعُ
جَنَةٌ عِنَد رَبِّهِ *** أَبَداً يَتمَتَّعُ
وَجَزا كُل مُعَرضٍ *** ظَلَّ للمَال يَجمَعُ
ليس إلاَّ جَهَنَّمْ *** وَهْي أَدَهى وَأَفْظَعُ (١)

وسوف نتكلم عن منهج الإمام الحداد في سرد اليوم الآخر ومراحله ولنبدأ بالموت.

---

(١) أخرجه الغزالي: إحياء علوم الدين، ٤/٤٩٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٤

(٣) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/٣.

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٣٣٩-٣٤٠.

المطلب الأول: الموت

أولا: قبض الروح ومواعظ الموت:

أول مراحل اليوم الآخر هو الموت وتعريف الموت هو: ((هو مفارقة الروح الجسد)) (١) كما عرفه ابن حجر الهيتمي – رحمه الله –ومحل الروح الجسد قال الإمام الحداد ﷺ: ((إن الجسد قبرُ الروح، والقَبْرَ قبرُ الروح والجسد)) (٢)

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((الدنيا لا تخلو أن تكون سجناً للمؤمن من كل الوجوه أو بعضها، ولو لم يكن إلا أن الروح فيها مسجون في الجسم)) (٣)

وقد ذكر الإمام الحداد أسباب سهولة خروج الروح وعسرخروجها فقال ﷺ: ((خروج الروح عند الموت، من حيث سهولة خروجها، وتعسره على قدر زهده في الدنيا وانزوائه عنها، أو رغبته فيها وتعلقه بها، فمن كان زاهداً فيها فارغ اليد منها سهل عليه خروج الروح، ومن كان محباً لها وواجداً لها عسر عليه خروج الروح، ويختلف أيضاً باختلافه قوةً وضعفاً، ومثاله: كطير في قفص ضجر من الحبس فيه: فإذا فُتِحَ له القفص فيفر منه مسرعاً إلا إنه إن لم يعوقه شيء ولم تتعلق رجلاه بشيء من داخل من حبل أو غيره واتسع له المخرج خرج بسرعة بلا مهلة، وإن كان شيء مانع أو عائق عن الإسراع تعوق على قدر ذلك)) (٤)وقد تكلم الإمام الحداد عن الموت والاستعداد له بكلام أحببت إيراده لأنه مفيد ومذكر قال الإمام الحداد ﷺ في العمر الثاني من كتاب سبيل الإدكار ((قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وقال رسول الله ﷺ : ((أكثروا من ذكر هاذم اللذات)) (٢) الحديث وسئل عليه السلام: هل يحشر مع الشهداء أحد غيرهم؟ فقال:

---

(١) الهيتمي: : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، الفتاوى الحديثية، الناشر: دار الفكر – دمشق، ، ص ٨٨.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد: ٢٦٦/١.

(٣) المرجع السابق: ٣٣٧/١.

(٤) المرجع نفسه: ١٨٦/٢

(١) سورة الجمعة: الآية ٨

(٢) أخرجه البزار في مسنده: رقم الحديث ٦٩٨٧، ١٣/ ٣٥٣.

((من يذكر الموت في كل يوم وليلة عشرين مرة)) [١]وسئل عليه السلام عن الأكياس من الناس من هم؟ فقال: ((أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة)) [٢]

قال الإمام حجة الإسلام – رحمه الله –في البداية: ((واعلم أن الموت لا يهجم في وقت مخصوص، وحال مخصوص، وسن مخصوص، ولابد من هجومه، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا. [٣]وقال أيضاً في موضع آخر من البداية: ولا تدع عنك التفكر في قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل، وخروج الأمر عن الاختيار، وحصول الحسرة والندامة، بطول الاغترار)) [٤].إلى أن قال وفيما يروي عن ملك الموت –عليه السلام– أنه قال: إني بكل مؤمن شفيق رفيق.

وقد يحضر الموتى في حال قبضهم أنواع من الفتن والعياذ بالله، فلذلك ينبغي الإكثار لمن يحضرهم، من قراءة القرآن، وأحاديث الرجاء وذكر أحوال الصالحين عند خروجهم من الدنيا، وفي بعض الآثار، أن الشيطان –لعنه الله – أقرب ما يكون من العبد عند وفاته حرصاً منه على أن يفتنه، ولكن ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾[٥] ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[٦] وقد اشتد خوف السلف الصالح، رحمهم الله، من سوء الخاتمة، ولهم في ذلك أخبار وحكايات، يطول ذكرها. وقد ورد في ذلك ما يقتضي الخوف البالغ، مثل قوله عليه السلام: ((فو الذي لاإله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب،

---

(١) أخرجه السيوطي: في كتابه شرح الصدور بحال الموتى والقبور، ص٢٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: إلى لفظ الأكياس، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم الحديث ٤٢٥٩، ١٤٢٣/٢.

(٣) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بداية الهداية، تحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ص٤٤.

(٤) المرجع السابق، ص٣٧.

(٥) سورة النحل: الآية ١٠٠

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٢٧

فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» [١]الحديث وقال عليه السلام:«إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة» [٢] ومثل ذلك كثير.

قالوا: وأكثر من يخشى عليه سوء الخاتمة، والعياذ بالله، المتهاون بالصلاة، والمدمن لشرب الخمر، والعاق لوالديه، والذي يؤذي المسلمين، وكذلك المصرون على الكبائر والموبقات، الذين لم يتوبوا إلى الله منها [٣]، ويكاد يدل لذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [٤].

فينبغي للمسلم: أن يرجو من فضل الله، أن لا يسلبه نعمة الإسلام، من بعد أن أنعم عليه بها ابتداء من غير وسيلة منه، ويخاف مع ذلك من التغير، لتقصيره في الشكر على هذه النعمة التي هي أعظم النعم.

وقد كان بعض السلف يحلف بالله: أنه ما أمن أحد على إسلامه أن يسلبه إلا سلبه. وينبغي أن لا يزال سائلاً من الله تعالى، متضرعاً إليه، أن يرزقه حسن الخاتمة. وقد ذكر عن إبليس، -لعنه الله- أنه قال: قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة، أقول: متى يعجب هذا بعمله أخشى أنه قد فطن.

ويكره تمني الموت والدعاء به، لضر ينزل بالإنسان، من مرض أو فقر أو نحو ذلك من شدائد الدنيا فإن خاف فتنة في دينه جاز له تمنيه، وربما ندب، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث ٢٦٤٣، ٢٠٣٦/٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب لا يقول فلان شهيد، رقم الحديث ٢٨٩٨، ٣٧/٤.

(٣) كما جعل الإمام الحداد البدعة في الدين فقال ومن أخوف ما يخاف منه على صاحبه سوء الخاتمة، البدعة في الدين، وكذلك إضمار الشك في الله ورسوله واليوم الآخر . فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم . الحداد: النصائح الدينية، ص٣٦. وقال في موضع آخر (واعلم أنه كثيرا ما يختم بالسوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، والذين يتتعبون عورات المسلمين، والذين ينقصون المكيال والميزان، والذين يخدعون المسلمين ويغشونهم ويلبسون عليهم في أمور الدين والدنيا، والذين يكذبون أولياء الله، وينكرون عليهم بغير حق، والذين يدعون أحوال الأولياء ومقاماتهم من غير صدق، وأشباه ذلك من الأمور الشنيعة .) النصائح الدينية ص ٣٦.

(٤) سورة الروم: الآية ١٠

يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إن كانت الوفاة خيراً لي)) [١] وقال عليه السلام: ((لا يتمنين أحدكم الموت إما محسن فلعله يزداد، وإما مسيء فلعله يستعتب)) [٢] أي يتوب ويعتذر [٣].

اهـ)) [٤]

قال الإمام الحداد ﷺ:

فالموتُ للمؤمن الأوَّابِ تُحْفَتُهُ *** وفيه كـــلُّ الَّذي يبغي ويَرتَادُ
لِقَا الكريمِ تَعَالى مـجدُهُ وسَمَا *** مَعَ النَّعيمِ الَّذي مَا فِيهِ أَنْكَادُ
فَضْلٌ مِنَ اللهِ إحسانٌ ومَرْحَمَةٌ *** فَالفَـــضْلُ للهِ كـــالآزَالِ آبَادُ [٥]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، رقم الحديث ٢٦٨٠، ٢٠٦٤/٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٧٥٧٨، ٢٣/١٣.

(٣) وقد سئل الإمام الحداد: عمن ذكر ذنوبه فأحزنته فأحب أن يأتيه الموت على ذلك، مخافة أن يقع في ذنوب أخرى، أو استحسانا لحالته تلك من الحزن على ارتكاب الذنوب، وآخر مثله، ولكنه أحب تأخير الأجل للتوبة وإصلاح العمل فأيهما يكون أفضل؟ فأجاب ﷺ: ((كلتا الحالتين مليحة وفاضلة ومن أقيم في واحدة منهما وغلبت عليه، فهي الأفضل والأليق به. وقد بلغنا حكاية تقرب من هذا الذي ذكرتموه وإن لم تكن عين المسألة. هي أن ثلاثة من السلف الصالح اجتمعوا. فقال أحدهم: إني أحب الموت خوفا على ديني من الفتن. وقال الثاني: أحب البقاء رجاء أن أوفق لتوبة أو عمل صالح. وقال الثالث: أنا لا أحب الموت ولا أحب البقاء بل أحب من ذلك ما أحبه الله تعالى واختاره. فأعجبهم قوله، واستحسنوه وحالاتهم الثلاثة كلها حسناة وفاضلة وقد أقيموا فيها. وصاحب الحالة الثالثة في حالته تلك أكمل لقناعه باختيار الله تعالى، وقد أقيم في ذلك، وهذه أمور ذوقية لا تدرك بالتكلف والأماني، حتى يتخير الإنسان منها ما يحبه ويوافقه) الحداد النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٥٧.

(٤) الحداد: سبيل الإدكار، العمر الثاني، ص ٤٩ -٥٩.

(٥) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٩٢.

المطلب الثاني: البرزخ أول منازل الآخرة:

البرزخ: هو الحائل بين الشيئين، ويعبر به عن عالم المثال، أعني الحاجز من الأجسام الكثيفة وعالم الأرواح المجردة، أعني الدنيا والآخرة. (١) وعذاب القبر ونعيمه ثابت بالتواتر، وقال به أهل السنة والجماعة قاطبة، ومنكر التواتر هذا لا ريب في تبديعه، ومنكر التواتر بالقدر المشترك كافر إن كان التواتر بديهياً، وفاسق مبتدع إن كان نظرياً(٢)، قال أبو الحسن الأشعري واختلفوا في عذاب القبر إلى أقوال:

١- منهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج.

٢- ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام.

٣- ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور. (٣)قلت النعيم والعذاب ثابت بالإجماع والخلاف هل هو للروح فقط أم للروح والجسد، وتعددت أراء العلماء في ذلك والإمام الحداد رأى أنه حاصل للجسد والروح ونحن نقول به، والأدلة على ذلك كثيرة وقد ذكرها الإمام الحداد في معرض كلامه عن البرزخ.

قال الإمام الحداد ﷺ: ((إن البرزخ منزل بين الدنيا والآخرة، وهو بالآخرة أشبه بل هو منها، ولكنه موطن الغلبة فيه والظهور للأرواح، وللأمور الروحانية، والأجسام فيه تابعة، ومندرجة في الأرواح وهي أعني الأجسام مشاركة للأرواح، فيما هي فيه من نعيم وسرور، أو عذاب وغموم. والأرواح باقية، وأما الأجسام فتبلى وتتلاشى، لا يبقى منها إلا عجب الذنب، ومنه يركب الخلق عند البعث، كما ورد في الحديث.

وقد استثني من ذلك أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم أحياء في قبورهم، وكذلك الشهداء في سبيل الله قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(١)

---

(١) الجرجاني: التعريفات، باب الباء ١/ ٤٥.

(٢) الكشميري: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، العرف الشذي شرح سنن الترمذي، تحقيق: الشيخ محمود شاكر، ، الناشر: دار التراث العربي -بيروت، لبنان ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ٢/٣٤٩.

(٣) الأشعري: الإمام علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر، ، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط٣، ص٣١٨.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩

وفي الأخبار الصحيحة: أن أرواحهم تكون في أجواف طير خضر[١]، تسرح في الجنة، وتأوي إلى قناديل معلَّقة بالعرش[٢]. وورد أن نسمات المؤمنين تكون في طير بيض، تعلف من ثمر الجنة.وقد قال ﷺ: ((القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار)) [٣]

وكان عثمان بن عفان ﷺ، إذا حضر القبر يبكي، حتى تبتل لحيته، فقيل له: إنك تذكر الجنة والنار، فلا تبكي هذا البكاء، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:((القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه، فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه)) [٤] وقال عليه الصلاة والسلام: ((ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه)) [٥]وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن للقبر ضغطة، ولونجا أحد منها لنجا سعد بن معاذ)) [٦] وهو الذي اهتز لموته عرش الرحمن. ويقال: إن أكثر عذاب القبر من ثلاثة أشياء: الغيبة والنميمة، وقلة التحفظ من البول، وفي الحديث: ((عامة عذاب القبر من البول)) [٧] وحديث الرجلين اللذين سمعهما ﷺ، يعذبان في قبرهما وأمر بجريدة من النخل فجعلت على قبريهما، وقال: ((لعلَّه يُخَفَّف عنهما ما دامتا رطبتين، وأنهما يُعَذَّبان، وما يُعَذَّبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر كان لا يستبرئ من البول)) ، الحديث [١] وهو حديث صحيح مشهور.

---

(١) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده – بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م، ٢/ ١١٩.

(٢) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، ، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ، ١١ /٦١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: ٤/٦٤٠.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٢٣٠٨، ٤/ ٥٥٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب ذكر القبر والبلى، رقم الحديث٤٢٦٧، ٢/١٤٢٤.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٢٤٢٨٣، ٤٠ /٣٢٧.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث٦٥٣، ١ /٢٩٣.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الجريد على القبر، رقم الحديث ١٣٦١، ٢/٩٥.

وكانﷺ يُكثر الاستعاذة من عذاب القبر[١]، وأمر بها في الدعاء الذي بعد التشهد من كل صلاة، وفي أذكار المساء والصباح، فعذاب القبر حق، ونعيمه كذلك، فالنعيم في القبر لأهل الإيمان والطاعة، والعذاب في القبر لأهل الكفر والنفاق والفجور والمعصية، وكل من الفريقين يتفاوتون في النعيم والعذاب، تفاوتاً كثيراً، على حسب تفاوتهم فيما كانوا عليه في الدنيا، من موجبات النعيم والثواب، أو موجبات العذاب والعقاب.

غير أن تعلق نعيم القبر أو عذابه بالأرواح، ووقوعه عليها، أكثر وأظهر من تعلقه بالأجسام، ووقوعه عليها مع أنهما أعني الروح والجسم، يشتركان في نعيم القبر أو عذابه.

وفي المسألة إشكال واختلاف، والحق فيها ما ذكرناه من اشتراك الروح والجسد في نعيم القبر وعذابه إن شاء الله تعالى. [٢]

ومما ينفع الله به الميت في قبره، ويدفع به عنه الدعاء له، والاستغفار، والتصدق عنه. وقد وردت في ذلك الأخبار والآثار الكثيرة، ورؤيت فيه المنامات الصالحة عن الصالحين والأخيار وفي الحديث: إن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال لرسول اللهﷺ: إن أمي انفلتت نفسها، ولو تكلمت لتصدقت، فهل ينفعها أن أتصدق عنها؟ فقال عليه السلام: نعم، فحفر بئراً وقال: هذه عن أم سعد. الحديث [٣]وقال رجل: يا رسول الله إن أبويَّ قد ماتا، فهل بقي شيء أَبُرَّهما به؟ قال: «أربع: الدعاء لهما والاستغفار، وإنفاذ عهدهما، وبِرُّ أصدقائهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بواسطتهما» [٤]

---

(١) مثل حديث، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺكان يدعو يقول: إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال أخرجه مسلم في صحيحه، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم الحديث ٥٨٨، ٤١٢/١.

(٢) قال الإمام ابن تيمة رحمه الله العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة) فتاوى ابن تيمية، ٢٨٢/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ وقال رجل ولم يقل سعد، باب موت الفجأة البغتة، رقم الحديث ١٣٨٨، ١٠٢/٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ١٦٠٥٩، ٤٥٧/٢٥.

وقال عليه السلام: ((أمتي أمة مرحومة، تدخل قبورها بذنوب كالجبال، وتخرج من القبور، وقد غفر لها باستغفار الأحياء للأموات)) [١] الحديث. اهـ)) [٢]

وسئل الإمام الحداد ﷺ عن سؤال الملكين الكريمين لأهل القبور وهل السؤال منهما أو من أحدهما وبأي لغة؟ وهما اثنان أو ثلاثة وهل يتطورون ويتصورون بحسب تطور أحوال الموتى.

فأجاب ﷺ: ((أما سؤال الملكين فهو صدق وحق لا شك فيه وذلك كله لا يحتاج إليه بعد اليقين بكون السؤال حقا، وقد ورد في بعض ما سألتم عنه آثار ضعيفة والمعتمد هو الإيمان بسؤال الملكين فقط، وقد نقل الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه (شرح الصدور في أحوال أهل القبور) من ذلك ما فيه كفاية فراجعوا ذلك إن أردتموه)) [٣]

قال الإمام الحداد:

وَالقَــبْرَ إِمَّا رَوْضَــةٌ نَعِيــــمَهَ *** نَــعَمْ وَإِلاَّ حُفــْرَةٌ جَــحِــيمَهْ

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكْ لا تَكُنْ بَهِيَمهْ *** تَجْرِي وَلاَ تَدْرِي بِعُظْمِ الأخـطار [٤]

وقال أيضا: وَسَلْ رَبَّكَ الغُفْرَانَ وَالعَفْوَ وَالرِّضَا *** وَمَوْتاً عَلَى الإِسْلاَمِ خَتْمَ مهَلِّل

إِذَا جَاءَ فَتَّــانَا الْقُبُـــورِ لِيَسْأَلاَ *** فَـقُلْ رَبِّيَ اللهُ الْعَـظِيمُ وَمَوْئِلِي

وَقُلْ دِينِي الإِسْلاَمُ وَالهَـادِي أَحْمَدٌ *** نَبِـيٍّ حَبِيبُ اللهِ أَفْـضَلُ مُرْسَلِ)) [٥]

وقال ﷺ: ((المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾[٦] الحديث)) [٧]

قراءة سورة تبارك كل ليلة، قال عليه الصلاة والسلام: ((هي النافعة والمنجية من عذاب القبر))[١] ووددت أنها في قلب كل مؤمن[١]، وأنها شفعت في رجل فغفر له ومن ذلك: أن

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: بلفظ آخر (أمتي أمة مرحومة، متاب عليها، تدخل قبورها بذنوبها، وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها، تمحص عنها ذنوبها باستغفار المؤمنين لها)، ٢/ ٢٤٦.

(٢) الحداد: سبيل الإدكار، العمر الثالث، ص ٦٦-٧١.

(٣) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٣٨.

(٤) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢١٦.

(٥) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٢١.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٢٧

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: باب (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) رقم الحديث ٤٦٩٩، ٦ /٨٠.

(١) أخرجه البزار في مسنده: رقم الحديث ٥٣٠٠، ١١/٤٣٩.

يؤمن بسؤال منكر ونكير للموتى، عن التوحيد والدين و النبوة. وأن يؤمن بنعيم القبر لأهل الطاعة، وبعذابه لأهل المعصية» (٢) قال الإمام الحداد:

وَالذِي بَعْدَ المِمَاتِ مِنَ الْـ *** ـهَوْلِ وَالأَفْزَاعِ وَالوَجَلِ
ضَـمّـَةِ القَـبْرِ وَفِـتْـنَتِهِ *** ظُلَمٌ تغْشَاكَ كَالـظُّلَلِ
وَنَكِـيرُ الْـقَـبْرِ مُنْكـَرُهُ *** بِهِمَا زَيْـغٌ لِذِى دَخَـلِ
وَإِذَا مَـا الْمَرْءُ يُسْـأَلُ عَنْ *** عِلْمِهِ وَالقَوْلِ وَالـعَمَلِ[٣]

وقال الإمام الحداد:

إني لأَعْـجَبُ لِلـدُّنْيَا وَطَالِبِهَا *** وَلْلِـحَرِيصِ عَلَيْهَا عَـقْلُهُ هَبِـلُ
وَغَـافِلٍ لَيْسَ بِالْمَغفولِ عَنْهُ وَإِنْ *** طَالَ المدَى غَرَّه الإمْـهَالُ وَالأَمَلُ
نَـاسٍ لِرِحْـلَتِهِ نَـاسٍ لِنُقْـلِـتهِ *** إِلَى الْقُـبُورِ التِي تَعْيَا بِهَا الحـيَلُ
فِيهَا السُّؤَالُ وَكَمْ هَوْلٍ وَكَمْ فِتَنٍ *** لْلِمُـجْرِمِينَ الأُلى عَنْ رَبِّهِمْ غَفَلُوا
وَفِى القُـبُورِ نَعِـيمٌ لِلتَّـقِيّ كَمَا *** فِيهَا الْعَـذَابُ لَمِنْ فِي دِينِهِ دَخَلُ[٤]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث٢٠٧٦، ١/ ٧٥٣.

(٢) الحداد: النصائح الدينية، ص٢٢٠.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٢٨.

(٤) المرجع السابق: ص٤٤٦.

المطلب الثالث: النفخ في الصور:

النفخ في اللغة: نفخ الريح في الشيء: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾[(١)] وقال تعالى﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾[(٢)] ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى.[(٣)] وفي القاموس: نفخ بفمه أخرج منه الريح والنفيخ الموكل بنفخ النار والمنفاخ آلته.[(٤)]

والذي نستفيده من هذه التعاريف اللغوية أن النفخ هو: دفع الهواء كما يعرفه كل إنسان. وأما معناه في الاصطلاحي: «فهو نفخ مخصوص في وقت مخصوص من ملك مخصوص لما يريده الله تعالى كما جاء التصريح بذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أن نافخاً ينفخ في الصور بأمر الله تعالى لما يريده الله من التغيير في خلقه لأمر القيامة.وأما معنى الصور: فقد جاء في صحيح البخاري عن مجاهد أنه قال: (الصور كهيئة البوق) [(٥)]

قال ابن كثير–رحمه الله – في معنى الصور: «والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام» [(٦)] وقد جاء في حديث صحيح أن اليوم الذي تكون فيه النفخة والصعقة هو يوم الجمعة وهو حديث أوس بن أوس الثقفي ﷺ مرفوعاً: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه الصعقة وفيه النفخة » [(٧)] وقد دلت الآيات على أن من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصور والنفخ فيه، الذي جعله الله سبب الفزع، والضعف والقيام من القبور، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [(٨)] هذه الآية الكريمة من السورة ذكر الله فيها نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث. والنفخات ثلاث قال ابن كثير –رحمه الله –: «وأما النفخات في

---

(١) سورة طه: الآية ١٠٢.

(٢) سورة يس: الآية ٥١.

(٣) الأصبهاني: المفردات في غريب القرآن: ص٥٠٠.

(٤) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٩٠/٥.

(٥) أحرجه البخاري في صحيحه: باب نفخ في الصور، ١٠٨/٨.

(٦) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ٢٨١/٣.

(٧) أخرجه النسائي في سننه: باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم الحديث ١٣٧٤، ٩١/٣.

(٨) سورة الزمر: الآية ٦٨

الصور فثلاث نفخات: نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث ›› (١) فعدد النفخات ثلاث وقد وردت كلها صريحة في القرآن. الأولى نفخة الفزع: وهي المذكورة في قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ﴾(٢).

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول اللهﷺ: ‹‹يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين. . . . إلى أن قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتاً ورفع لِيتاً قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله. . . الحديث›› (٣).

فهذه النفخة المذكورة في الحديث هي نفخة الفزع ثم تأتي بعدها نفخة الصعق.

النفخة الثانية نفخة الصعق: وهي نفخة الموت، وهذه هي التي فيها الهلاك لجميع الموجودين من أهل السموات ومن في الأرض من الإنس والجن والملائكة إلا من شاء الله. وقد قدمنا أن نفختي الصعق، والبعث دلت عليهما السورة. قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ (٤)

النفخة الثالثة: نفخة البعث: وهذه النفخة هي نفخة البعث والنشور والقيام لرب العالمين دل عليها من السورة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (٥) وما بين النفختين أربعون كما جاء في حديث أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ‹‹بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما، قال: أبيت، قال: أربعون سنة، قال: أبيت، قال: أربعون شهرا قال: أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان، إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق›› (٦) قال ابن كثير- رحمه الله-: ‹‹ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية لابن كثير، ٣٢٤/١٩.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٧

(٣) أخرجه مسلم: باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور، رقم الحديث ٢٩٤٠، ٢٢٥٨/٤.

(٤) سورة الزمر: الآية ٦٨

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٨

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قوله: ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض، رقم الحديث ٤٨١٤، ١٢٦/٦.

الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [١] أي: أحياء بعد ما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ›› [٢] وهذه النفخة التي هي نفخة البعث جاءت فيها آيات كثيرة منها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [٣] قال الشاطري ‹‹والصور يسمى الناقور ، وذلك لأن صوت الملك إذا صاح فيه ينقر الصوت فيه فيصيح من في السموات ومن في الأرض لذلك الصوت العظيم فذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ [٤]اهـ ›› [٥]

قال الإمام الحداد: ‹‹وذلك أنه يأمر الله عز وجل إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور النفخة الثانية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [٦] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [٨] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [٩] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١٠]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٨

(٢) ابن كثير: تفسير ابن كثير، ١١٦/٧.

(٣) سورة النبأ: الآية ١٨

(٤) المدثر: ٨ – ٩

(٥) الشاطري : سالم بن عبدالله بن عمر الشاطري ، الفوائد الشاطرية من النفحات الحرمية ،الناشر الحروف للنشر والتوزيع ط١، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م ، ٣٢٤/١.

(٦) سورة يس: الآية ٥١

(٧) سورة الزمر: الآية ٦٨

(٨) سورة التغابن: الآية ٧

(٩) سورة لقمان: الآية ٢٨

(١٠) سورة العنكبوت: الآية ١٩–٢٠

ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

وعن أبي رزين العقيلي ﵁ قال: قلت: يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق، وما آية ذلك في خلقه؟ قال: أو ما مررت بوادي قومك جدبا، ثم مررت به يهتز خضرا؟ قال: نعم قال: فتلك آيته في خلقه» (٤) وذكر القرطبي- رحمه الله -في كتاب التذكرة، في حديث طويل، عن أبي هريرة ﵁، قال: حدثنا رسول الله ﷺ، ونحن في طائفة من أصحابه وساق الحديث بطوله، إلى قوله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (٥) فيبسطها بسطا، ثم يمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيه عوجا ولا أمتا» (٦)

ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم في الأرض المبدلة، في مثل ما كانوا فيه من الأول. من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش يقال له: الحيوان؛ فتمطر السماء عليكم أربعين يوما، حتى يكون الماء من فوقكم اثني عشر ذراعا. ثم يأمر الله بالأجساد فتنبت كنبات الطراثيث، وكنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادكم، فكانت كما كانت، يقول الله تعالى: ليحى حملة العرش،

---

(١) سورة الحج: الآية ٦

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٩

(٣) سورة يس: الآية ٧٨-٧٩

(٤) أخرجه ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ، الناشر مكتبة الحلواني مكتبة دار البيان، ط١، ، رقم الحديث ٧٩٤٣، ٤٢٢/١٠.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٤٨

(٦) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص٤٨٣.

فيحيون. ثم يقول: ليحى جبريل وميكائيل وإسرافيل، فيأمر الله إسرافيل، فيأخذ الصور، ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا، والأخرى مظلمة فيأخذها الله فيلقيها في الصور. ثم يقول لإسرافيل: انفخ نفخة البعث، فينفخ فتخرج الأرواح كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول الله عز وجل: وعز تي وجلالي، ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد، ثم تدخل في الخياشيم، فتمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ. [١] ثم تنشق الأرض عنكم وأنا أول من تنشق الأرض عنه (أي نبينا محمد ﷺ)، فتخرجون منها شبابا أبناء ثلاث وثلاثين. واللسان يومئذ بالسريانية، سراعا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [٢] وقَالَ ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ [٣] وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [٤]، ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [٥]. . . . الحديث [٦]

والصور: قرن عظيم من نور، لا يعلم قدر عظمه إلا الله تعالى، والطراثيث، جمع طرثوث، نبات يؤكل. وفي الحديث: أنه يبلى من الإنسان كل شيء إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق [٧]، وعجب الذنب عظم صغير جدا في آخر الصلب.

فإذا أراد الله جلت قدرته أن يبعث الخلق أمطر السماء مطرا غزيرا، يشبه مني الرجال، فينبتون من حيث دفنوا، كما ينبت الزرع، ثم يبعث الله إسرافيل عليه السلام، ويأمره أن ينفخ في الصور نفخة البعث، فترجع الأرواح إلى أجسادها فيحيون بإذن الله تعالى، وينشرون، وتنشق عنهم الأرض، وتبعثر القبور، ثم تحشر الأجساد والأرواح إلى الله تعالى، إلى موقف يوم القيامة

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، ٤٨٣/١.

(٢) سورة يس: الآية ٥١

(٣) سورة القمر: الآية ٨

(٤) سورة ق: الآية ٤٢

(٥) سورة الكهف: الآية ٤٧

(٦) أخرجه ابن راهويه في مسنده: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بـ ابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١م، ٨٩/١.

(٧) كما جاء في حديث ابوهريرة (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة) أخرجه البخاري، رقم الحديث ٤٩٣٥ ١٦٥/٦.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾[(١)] الآيات.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[(٢)] وقال رسول الله ﷺ ((يموت المرء على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه)) [(٣)] وقال ﷺ: ((يحشر الناس حفاة عراة غرلا، النساء مختلطات بالرجال، قالت عائشة رضي الله عنها: واسوأتاه ينظر بعضهم إلى بعض؛ فقال ﷺ الأمر أشد من أن يهمهم ذلك)) [(٤)] وقال ﷺ: ((يحشر الناس أجوع ما كانوا قط، وأعطش ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن كسا لله كساه الله، ومن عمل لله كفاه الله عز وجل) [(٥)] فإذا خرجوا من قبورهم، أمروا بالمسير إلى أرض المحشر، ويقال: أنها الأرض المباركة والأرض المقدسة بالشام[(٦)]، فتسوقهم الملائكة إليها)) [(٧)]

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٧ – ٤٨

(٢) سورة ق: الآية ٤٤

(٣) أخرجه الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، الكبائر، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت، ص٩١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ تحشرون حفاة عراة غرلا قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذاك» باب كيف الحشر، ٨/ ١٠٦.

(٥) أخرجه المخلص: محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص، المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ، الناشر: وزارة الأوقاف لدولة قطر، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ٣/ ٤٣٤.

(٦) كما جاء عن أبي ذر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (الشام أرض المحشر والمنشر) أخرجه البزار في مسنده، رقم الحديث ٣٩٦٥، ٣٨٢/٩.

(٧) الحداد: سبيل الإدكار، ص٨٧.

المطلب الرابع الحشر:

أولا النار تسوق الناس إلى ارض المحشر

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: اطلع النبي علينا ونحن نتذاكر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم» [١]قال الإمام النووي –رحمه الله– في شرحه: «وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس كما صرح به في الحديث» [٢]، قلت والظاهر أن ابتداء خروج النار من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، وحينئذ يقع حشرها للناس من المشرق إلى المغرب كما جاء في «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» [٣]

قال الإمام الحداد ﷺ: «وقد ورد أن الله عز وجل يبعث نارا من قعر عدن، فتسوق الناس إلى أرض المحشر[٤]، وقيل: من برهوت واد أسفل حضرموت[٥]، فتسير تلك النار معهم حيث ساروا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتمسي معهم حيث أمسوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، ويكون سيرها كسير الإبل، وتتمثل للناس عند ذلك أعمالهم من صالح، فيتبع صاحبه، ويؤنسه ويكون معه، ومن سيء عمله فيوحشه ويوبخه، وربما ركبه وكلفه أن يحمله على ظهره، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[٦]وقال تعالى ﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾[١] ويجيء مع كل إنسان حفظته من الملائكة الذين كانوا يحفظون عليه عمله في حياته الدنيا قَالَ تَعَالَىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم الحديث ٢٩٠١، ٤/٢٢٢٥.

(٢) النووي: شرح مسلم، ١٨/ ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب خروج النار، ٩/ ٥٨.

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: من حديث لا تقوم الساعة حتى يخرج عشر آيات، ٣/ ١٧٢.

(٥) السفاريني:، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ٢/١٥١.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٣١

(١) سورة العنكبوت: الآية ١٣

﴿ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴾[(١)] وتظهر على المجرمين دلالة أعمالهم السيئة التي كانوا عملوها في الدنيا، وماتوا ولم يتوبوا منها إلى ربهم تعالى، حتى ورد أن أكلة الربا، تعظم بطونهم جدا، فيقومون تارة، ويقعون أخرى من عظم بطونهم، وأن الزناة تعظم فروجهم، حتى يسحبونها على الأرض، وشربة الخمر يحشرون وكؤوسها في أيديهم، وأهل الكذب والغيبة والنميمة، تطول ألسنتهم حتى تبلغ صدورهم، ومانعي الزكاة، تتمثل لهم أموالهم في صور حيات هائلة، يطوقون بها، ويحشر المتكبرون على الناس في صور الذر، يطؤهم البر والفاجر، إلى غير ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴾[(٢)] ا هـ)) [(٣)]

ثانيا حالات الناس في الحشر

جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: ((يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا)) [(٤)] قال الإمام ابن حجر ((أن الحديث يفسر بعضه بعضا وقد وقع في الحسان من حديث أبي هريرة وأخرجه البيهقي من وجه آخر عن علي بن زيد عن أوس بن أبي أوس عن أبي هريرة بلفظ ثلاثا على الدواب وثلاثا ينسلون على أقدامهم وثلاثا على وجوههم قال ونرى أن هذا التقسيم الذي وقع في هذا الحديث نظير التقسيم الذي وقع في تفسير الواقعة في قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة الآيات[(٥)] فقوله في الحديث راغبين راهبين يريد به عوام المؤمنين وهم من خلط عملا صالحا وآخر سيئا فيترددون بين الخوف والرجاء يخافون عاقبة سيئاتهم ويرجون رحمة الله بإيمانهم وهؤلاء أصحاب الميمنة وقوله واثنان على بعير إلخ السابقين وهم أفاضل المؤمنين يحشرون ركبانا وقوله وتحشر بقيتهم النار يريد به أصحاب المشأمة وركوب السابقين في الحديث يحتمل الحمل دفعة واحدة تنبيها على أن البعير المذكور يكون

---

(١) سورة هود: الآية: ٨٨ .

(٢) سورة الرحمن: الآية ٤١

(٣) الحداد: سبيل الإدكار، ص٨٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: باب: كيف الحشر، رقم الحديث ٦٥٢٢، ١٠٩/٨.

(٥) ﴿ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ الواقعة: ٧ – ١١

من بدائع فطرة الله تعالى حتى يقوى على ما لا يقوى عليه غيره من البعران ويحتمل أن يراد به التعاقب قال الخطابي وإنما سكت عن الواحد إشارة إلى أنه يكون لمن فوقهم في المرتبة كالأنبياء ليقع الامتياز بين النبي ومن دونه من السابقين في المراكب كما وقع في المراتب انتهى)) [(١)]

والإمام الحداد استدل بحديث في سنن الترمذي عن حالات الناس في المحشر وهذا التقسيم من باب الرتب والدرجات حتى يظهر الله قيمة أنبيائه وأوليائه وأهل طاعته عن غيرهم من المؤمنين فضلا عن العصاة وعن الكافرين وقد أورد الإمام الحداد الاحاديث في حالات الناس فقال (وفي الحديث: إن الناس يحشرون على ثلاث طوائف: ركبان، ومشاة على أقدامهم، وعلى وجوههم، قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم)) الحديث[(٢)] وروي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت، يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [(٣)] فقال النبي ﷺ يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم. ثم أرسل عينيه بالبكاء، ثم قال: يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا، قد ميزهم الله من جماعات المسلمين، وبدل صورهم، فمنهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنزير، وبعضهم منكسون، أرجلهم أعلاهم، ووجوههم يسحبون عليها. وبعضهم عمي يترددون، وبعضهم صم بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم لعابا، يقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من النار، وبعضهم أشد نتنا من الجيفة، وبعضهم يلبسون جلاليب سابغة من القطران.

فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام. وأما الذين على صورة الخنازير، فأهل السحت والحرام والمكس. وأما المنكسون على رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا. وأما العمي، فمن يجور في الحكم، وأما الصم البكم، فالذين يعجبون بأعمالهم. وأما الذين

---

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٣٦٩/١١.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: بلفظ آخر وهو يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفا مشاة، وصنفا ركبانا، وصنفا على وجوههم، قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: (إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك)، ٣٠٥/٥.

(٣) سورة النبأ: الآية ١٨

يمضغون ألسنتهم، فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران. وأما المصلبون على جذوع من النار، فالسعاة بالناس إلى السلاطين. وأما الذين أشد نتنا من الجيفة، فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله من أموالهم، وأما الذين يلبسون الجلاليب، فأهل الكبر والفخر والخيلاء. انتهى. ذكر هذا الحديث القرطبي –رحمة الله– في التذكرة [١]. وقال رسول الله ﷺ: ((يحشر الناس على أرض بيضاء غراء كقرص النقي، ليس فيها علم لأحد)) [٢] وقال عليه الصلاة والسلام: ((يحشر الناس في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر)) الحديث [٣].

وذلك هو موقف القيامة، فإذا اجتمع فيه الخلائق، من الجن والإنس والشياطين والبهائم والوحوش والسباع، ثم تنزلت الملائكة عليهم السلام بأمر الله، وأحاطوا بأهل الجمع، صفا خلف صف، فلا يستطيع المجرمون والظالمون هربا ولا فرارا، ولا يجدون إلى ذلك سبيلا، قال الله تعالى ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٤ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾[١] ويزدحم أهل الموقف، ويموج بعضهم في بعض، وتدنو الشمس من رؤوسهم حتى تكون على قدر ميل. قال الراوي: لا أدري أهو ميل المسافة من الأرض، أو الميل الذي يكتحل به فحينئذ ينزل بالناس من الكرب والحر والعطش، ما لا يعلمه إلا الله، ويبلغ منهم مبلغا عظيما، ويعرق الناس، حتى يذهب عرقهم في الأرض أربعين ذراعا.

---

(١) القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ١/ ٥٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما: ولفظ البخاري (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي) قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم الحديث ٦٥٢١، ٨/ ١٠٩. ولفظ مسلم (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد» باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم الحديث ٢٧٩٠، ٤/ ٢١٥٠.قال الإمام النووي في شرحه للحديث العفراء بالعين المهملة والمد بيضاء إلى حمرة والنقى بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء هو الدقيق الحوري وهو الدرمك وهو الأرض الجيدة قال القاضي كأن النار غيرت بياض وجه الأرض إلى الحمرة قوله صلى الله عليه وسلم (ليس فيها علم لأحد) هو بفتح العين واللام أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر) شرح النووي على مسلم، ١٣٤/١٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا، رقم الحديث٤٧١٢، ٦/ ٨٤.

(١) الرحمن: الآية ٣٢ – ٣٥

قال عليه الصلاة والسلام: ((تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة، فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ نصف ساقيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذيه، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ فاه، وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه، ومر بيده على رأسه صلى الله عليه وسلم هكذا)) (١) وقالﷺ: ((المرء في ظل صدقته يوم القيامة)) (٢) وقالﷺ: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفارقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)) (٣). معنى في ظله: أي في ظل عرشه. وقالﷺ: ((من أنظر معسرا أو وضع له، أظله الله في ظله)) (٤)وقالﷺ:((من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت)) (٥) اه)) (٦)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ١٧٤٣٩، ٢٨/ ٦٤٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: بلفظ "كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس، رقم الحديث ١٧٣٣٣، ٥٦٨/٢٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم الحديث٦٦٠، ١٣٣/١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر: رقم الحديث٣٠٠٦، ٤/ ٢٣٠١.

(٥) أخرجه الترمذي في مسنده: باب ومن سورة إذا الشمس كورت، رقم الحديث ٣٣٣٣، ٥/ ٤٢٣.

(٦) الحداد: سبيل الإدكار، ص٩٢.

المطلب الخامس: الشفاعة

أولا تعريف الشفاعة:

وهي لغة: الوسيلة والطلب، وعرفا سؤال الخير للغير[١] وقيل هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقه. [٢]وقيل والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره[٣]

ووردت مادة الشفاعة في القرآن الكريم بعدة معاني نفيا وإثباتا، فقد بلغ مجموع الآيات الشريفة التي تحدثت بصورة مباشرة عن هذا المفهوم خمس وعشرين آية توزعت على ثمانية عشر سورة قرآنية شريفة، والنبي محمد ﷺ أول من يفتح باب الشفاعة حين يشفع في فصل القضاء. وهي الشفاعة العظمى المختصة به، والتي يغبطه عليها الأولون والآخرون، وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [٤] وكما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن. فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول: لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة. فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم)) [٥] قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((فإذا طال الوقوف على أهل الموقف، وعظم الكرب عليهم، تشاوروا فيما بينهم، فيمن يأتونه فيشفع لهم إلى ربهم، في أن يفصل بينهم، ويريحهم مما هم فيه فيأتون إلى آدم عليه السلام، فيحيلهم على نوح عليه السلام، ويحيلهم نوح على إبراهيم عليه السلام، ويحيلهم إبراهيم على موسى عليه السلام، ويحيلهم موسى على عيسى عليهما السلام، ويحيلهم عيسى على محمد ﷺ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: أنا لها أنا لها، ويذهب إلى ربه فيستأذن ثم يسجد له ويحمده، ثم يؤمر بأن يرفع رأسه، وأن يشفع فيشفع.

---

(١) ايوب: تبسيط العقائد الإسلامية، حسن ايوب، الناشر دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه، ص١٧٨.

(٢) الجرجاني: التعريفات، ١/١٢٧.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ٨/ ١٨٤.

(٤)سورة الإسراء: الآية ٧٩

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: باب من سأل الناس تكثرا، رقم الحديث ١٤٧٥، ٢/١٢٣.

والأحاديث في ذلك كثيرة صحيحة ومشهورة(١) ويقال: إن ذلك هو المقام المحمود(١)، الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾(٢) اهـ)) (٣)

(١) وكما جاء في الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ" أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون، موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير - أو كما بين مكة وبصرى - أخرجه البخاري في صحيحه: باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا، رقم الحديث ٤٧١٢، ٦/٨٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، رقم الحديث ٧٤٤٠ ٩/ ١٣١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٩

(٣) الحداد: سبيل الإدكار، ص٩٢.

قال الإمام الحداد رضي الله عنه

وفي الحشر حوض واللواء وقيامه *** لفصل القضاء بعد اعتذار الأكابر

فيشفع مقبول الشفاعة والورى *** بجملتهم ما بين باك وحائر[(١)]

والشفاعة الواردة في القرآن الكريم تتعرض كلها في رفع العقاب عن المذنبين، وفي علو الدرجة والمقام، ونجد في موضوع الشفاعة يتحرك النص القرآني الشريف باتجاهين الأول الاتجاه الذي يحدد الشفعاء وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون وهذه الشفاعة مقيدة بإذنه سبحانه وتعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [(٢)] وهذه الشفاعة للأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين كما جاء في الحديث: ((ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون، ويخرجون ويشفعون، ويخرجون ويشفعون، ويخرجون)) [(٣)]وأول من يشفع هو سيد الشفعاء نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم.

والاتجاه الثاني الذي يحدد الأفراد والمجموعات الذين تنالهم الشفاعة من جهة، والذين لا تنالهم الشفاعة من جهة ثانية و، القرآن إذ يحدد ذلك فإنه يحددهم موضوعيا من خلال طبيعة السلوك العام للأفراد في الحياة الدنيا. والشفاعة تنال كل من مات ولم يشرك بالله شيئا كما جاء في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا))[(١)]

وهناك من يرى أن في الآيات القرآنية اتجاها ثالثا رئيسيا وهو اتجاه نفي مطلق الشفاعة، وهذا النفي متعلق بفئة معينة من الناس ممن حددهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بمواصفاتهم، ممن يدخلون ضمن دائرة التعريف بالكفر بكل معنى من معانيه هم المحرومون من الشفاعة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[(٢)]

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٦٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٨

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٢٠٤٤٠، ٣٠/٣٤.

(١) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٢٤٤١، ٦٢٤/٤.

(٢) سورة المدثر: الآية ٤٨

ثانيا أنواع الشفاعة:

اختلف العلماء في شفاعاته ﷺ يوم القيامة كم هي؟ فذكر النقاش في تفسيره أن للنبي ﷺ ثلاث شفاعات: الشفاعة العامة، وشفاعته في السبق إلى الجنة، وشفاعتة في أهل الكبائر. وقال ابن عطية: في تفسيره، والمشهور أنهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة في إخراج المذنبين وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء، وذكر القاضي عياض إن للنبي ﷺ خمس شفاعات. وذكر القرطبي أن للنبي ﷺست شفاعات وذكر الإمام ابن تيمية في العقيدة الواسطية أن للنبيﷺ ثلاث شفاعات وقد ذكر شارح الطحاوية أن أنواع الشفاعة في الآخرة ثمانية أنواع منها ما هو خاص بالنبي ﷺ. (١)

والإمام الحداد يذكر ثلاث من الشفاعات، قلت وقد اقتصر الإمام الحداد على هذه الثلاث لان البقية مندرجة تحتها وهذه الأنواع هي:

النوع الأول: الشفاعة العامة: في فصل القضاء يوم القيامة وهي التي يتدافعها الأنبياء ويقول نبينا محمد ﷺ أنا لها وهي المقام المحمود وهي عامة للمؤمنين وللكفار وقد تم ذكرها.

النوع الثاني: الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار، فهذه الشفاعة حق، يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة والتابعون، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين، ودليلها كما جاء في الحديث فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع يا محمد، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدا، فيدخلهم الجنة، ثم أعود الثانية، فإذا رأيته وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدا فيدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده، بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدا، فيدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة، فأقول: يا رب ما

---

(١) حسن الشيخ: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٣٠٤.

بقي إلا من حبسه القرآن. قال: يقول قتادة على أثر هذا الحديث: وحدثنا أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ، قال: ((يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه مثقال ذرة من خير)) (١)

النوع الثالث: شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، ودليل هذا النوع: ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما أصيب عمه أبو عامر في غزوة أوطاس فلما أخبر أبو موسى رسول الله ﷺ فرفع يديه وقال: ((اللهم اغفر لعبيد أبي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك))(٢)

وحديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دعا لأبي سلمة بعد ما توفي فقال: ((اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه)) (٣)

قال الإمام الحداد رضي الله عنه :

((وأول من يؤذن له في الشفاعة: محمد ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: (أنا أول شافع وأول مشفع) الحديث(٤). فهو أعظم الأنبياء شفاعة وجاها عند ربه وله شفاعات كثيرة.

وأولها وأعظمها شفاعته ﷺ في فصل القضاء قال عليه الصلاة والسلام: (لا أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد أمر بهم إلى النار)) (١)وقال عليه الصلاة والسلام: ((لا أزال أشفع حتى يُقالَ لي: مالك لا تدع لغضب ربك في أمتك من بقية)) (٢)

فمن شفاعاته ﷺ: أن يشفع لقوم من أمته قد دخلوا النار، فيخرجون منها ولقوم منهم، في زيادة رفع درجات من الجنة إلى غير ذلك من الشفاعات، حتى يقول لربه، ائذن لي فيمن قال

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: باب ذكر الشفاعة، رقم الحديث ٤٣١٢، ١٤٤٢/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب غزوة أوطاس، رقم الحديث ٤٣٢٣، ١٥٥/٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، رقم الحديث ٩٢٠، ٦٣٤/٢.

(٤) أخرجه مسلم: من حديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، رقم الحديث ٢٢٧٨، ١٧٨٢/٤.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث ٢٢٠، ١٣٥/١.

(٢)أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث ٢٢٠، ١٣٥/١.

لا إله إلا الله، فيقول له سبحانه: إن ذلك ليس إليك، ولكن وعزتي لا أجعل من آمن بي يوماً من الدهر، كمن لم يؤمن بي ولعل المشار إليهم بذلك: أهل القبضة التي يقبضها أرحم الراحمين من النار. والله أعلم. وعن أبي هريرة ﷺ قال، قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال صلوات الله عليه: «أسعد الناس بشفاعتي، من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه» (١) وعن زيد بن أرقم، ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة. قيل: يا رسول الله وما إخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله» (٢) وعن أنس ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل ذلك إن شاء الله، قال: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبني عند الصراط، قال: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: اطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة المواضع» (٣).

ويؤذن في الشفاعة، فيشفع النبيون والصديقون، والعلماء والصالحون والمؤمنون كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى، حتى إنه يشفع رجل من هذه الأمة، في مثل ربيعة ومضر(٤). ويشفع الرجل، في الرجل والرجلين(١) اهـ» (٢)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الحرص على الحديث، رقم الحديث٩٩، ١/ ٣١.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: رقم الحديث ١٢٣٥، ٢/ ٥٦.

(٣) أخرجه المقدسي: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، ط٣، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٧/ ٢٤٨.

(٤) كما جاء في سنن الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم القيامة بمثل ربيعة ومضر، رقم الحديث ٢٤٣٩، ٦٢٦/٤.

(١) كما جاء في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في أمتي لرجالا يشفع الرجل منهم في الفئام من الناس، ويدخلون الجنة بشفاعته ويشفع الرجل منهم للرجال من أهل بيته، فيدخلون الجنة بشفاعته» أخرجه ابن خزيمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية — الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ٧٤٦/٢.

(٢) الحداد، سبيل الإدكار، ص٩٨.

قال الإمام الحداد:

شَفِيعُ الْوَرَى فِي يَوْمِ بَعْثٍ وَمَحْشَرٍ *** إِلَى رَبِّهِمْ وَالخَوْفُ قَدْ شَمِلَ الرُّسْلاَ
وَتَحْتَ لِوَاهُ الرُّسْلُ يَمْشُونَ فِي غَـدٍ *** وَقَدْ أَحْرَزُوا أَمْناً وَقَدْ أَحْرَزُوا ظِلاَّ(١)

وقال

شَفِيع الْوَرَى لاَ تَنْسَنِي مِنْ شَفَاعَةٍ *** فَإِنِّي مِنَ الْقُربَى ومنْ بشهَادة أَدْلَى
وإني مـسيء مـذْنِبٌ وَمخـَـلِّطٌ *** وَأَنْتَ شَفِيعٌ الْمُذْنِبِينَ إِلَى الْمَوْلَى(٢)

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٥٥٧.

(٢) المرجع نفسه: ص ٥٥٧.

المطلب السادس: العرض على الله تعالى للحساب وحكم من لم يبلغوا الحلم:

أولا: العرض على الله عز وجل في الكتاب والسنة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾[1] وسمي يوم القيامة بيوم العرض وهو أكبر عرض لأنه عرض على ملك الملوك، وميزة هذا العرض أن الملك يسأل كل فرد ويعلم كل ما عمله الفرد فأنت في محاكمة قاضيها شاهد على كل نفس من أنفاسك، فحري بعبد يعلم موعد محاكمته وقاضي تلك المحكمة وشهودها وجمهورها وسرعة الفصل فيها بنعيم أو جحيم أن يستعد أتم الاستعداد لها، قال الإمام الحداد مبينا عرصات ذلك اليوم وما يجري فيه من عرض فإذا شفع رسول الله ﷺ إلى ربه، في أن يفصل بين عباده، ويريحهم مما هم فيه، أمر الله الملائكة الذين هم حملة العرش العظيم، فيحملون عرش الرحمن إلى الموقف[2] ويجاء بالجنة فتجعل عن يمين العرش، ويؤمر بالنار أعاذنا الله منها فتجعل على يسار العرش[1]، وتعرض الخلائق على الله تعالى للحساب.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٨

(٢) قال الإمام الذهبي (إن كون عرش الرحمن له حملة يحملونه هو أمر ثابت في الكتاب والسنة، فقد جاء ذكر حملة العرش في موضعين من القرآن الكريم قال تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم } سورة غافر الآية ٧، وقال تعالى: {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} سورة الحاقة الآية ١٧، .فالآيتان تدلان على أن لعرش الله حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة، ، وأما السنة فهي مليئة بالأحاديث والآثار الدالة على أن لعرش الرحمن حملة من الملائكة يحملونه، فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام" رواه أبو داود في سننه، باب في الجهمية، رقم الحديث ٤٧٢٧، ٢٣٢/٤ .والقول بأن حملة العرش هم من الملائكة هو قول السلف) الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي، العرش،تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١/ ٣٣٧-٣٣٨.

(١) قال الزرقاني (واختلف في كيفية وضع الميزان، والذي جاء في أكثر الأخبار، أن الجنة توضع عن يمين العرش، والنار عن يسار العرش) الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٣٥٧/١٢.

فمنهم من لا يحاسب، وهم السابقون[١]، ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم من يناقش في الحساب، ومن نوقش الحساب عُذّب، ويعطى الناس كتبهم بأيمانهم، وبشمائلهم، ومن وراء ظهورهم.

ويسأل الله تعالى المرسلين عن تبليغ الرسالة إلى أممهم ويسأل الأمم: هل بلغهم المرسلون ما أرسلوا به إليهم؟ قال الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [٢]وحينئذ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهقال تعالى:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [٣]وما من أحد إلا ويوقفه الله بين يديه، فيسأله عن عمله قال رسول الله ﷺما منكم من أحد إلا سيكلمه الله كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر شماله، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه. فاتقوا النار ولو بشق تمرة[٤].

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه؟ وعن عمره فيما أفناه؟ وعن ماله من أين أكتسبه؟ وفيما أنفقه، وفي رواية: وعن علمه فيما عمل فيه» [٥]

وفي ذلك الموطن، تشهد على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وجلودهم بما عملوا بها. وفي بعض وجوه التفسير: أن الجلود هي الفروج. قال تعالى:﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [٢]، وقال تعالى:

(١) كما جاء في الحديث «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب» أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث ٢١٨، ١٩٨/١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٦ – ٧

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٦ – ١٠٧

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ١٤٨/٩.

(٥) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: بلفظ لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ ٢٠/ ٦٠.

(١) سورة النور: الآية ٢٤

(٢) سورة يس: الآية ٦٥

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ (١) كذلك تشهد بقاع الأرض بما عملوا عليها من خير أو شر، قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ (٢) قال رسول اللهﷺ: ((أتدرون ما أخبارها؟ هو أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل عليها، فتقول: عمل كذا في يوم كذا)) الحديث (٣).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول اللهﷺ: ((يدني الله العبد المؤمن، حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، حتى إذا خاف أنه قد هلك، قال له سبحانه، قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم)) (٤)

ثم إن يوم القيامة وإن كان كما وصف من الطول والشدة، فقد يهونه الله، ويخففه على المؤمن التقي، حتى يكون كمقدار الصلاة المكتوبة يصليها، وفي راوية: كمقدار ما بين الظهر والعصر. كذلك ورد في الحديث(١) ومن أشد المواطن كربا على أهل الموقف، حين يأمر الله بالنار فيؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك(٢)،

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢١

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٤

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٢٤٢٩، ٤/ ٦١٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ حدثنا مسدد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، وهشام، قالا: حدثنا قتادة، عن صفوان بن محرز، قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن – أو قال: يا ابن عمر – سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال سمعت النبي ﷺيقول: (يدنى المؤمن من ربه – وقال هشام: يدنو المؤمن – حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون – أو الكفار – فينادى على رءوس الأشهاد: {هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين} باب قوله: {ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين} رقم الحديث ٤٦٨٥، ٦/ ٧٤.

(١) سئل رسول الله ﷺعن (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما طول هذا اليوم؟ فقال: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا» التبريزي، ، مشكاة المصابيح، ١٥٤٤/٣.

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى (وجيء يومئذ بجهنم): قال ابن مسعود ومقاتل: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، كل زمام بيد سبعين ألف ملك، لها تغيظ وزفير، حتى تنصب عن يسار العرش. وفي صحيح، مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يؤتى بجهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها] . وقال أبو سعيد الخدري: لما نزلت وجيء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرف في وجهه. حتى اشتد على أصحابه، ثم قال: [أقرأني جبريل كلا إذا دكت الأرض دكا دكا– الآية– وجئ يومئذ

فإذا دنت من أهل الموقف، سمعوا لها زفيراً وشهيقاً، وزمجرة وأصواتاً مزعجة هائلة، فعند ذلك يجثوا الخلائق على الركب، ويشفق الأنبياء، ويخاف البراء، حتى إن كلاً من الرسل الكرام، عليهم السلام يقول: يا رب نفسي نفسي، لا أسألك غيرها، إلا رسول الله ﷺ، فإنه لا يزال يقول: (أُمَّتِي أُمَّتِي) (١).

ويروى: أنه يتقدم إلى النار فيزجرها عن الخلائق، وأنها تؤمر بأن تطيع له، فتعود إلى الانقياد على الملائكة الآخذين بأزمتها، حتى يجعلوها بأمر الله، عن يسار عرش الله كما تقدم.

ويحرر الحساب ويقتص حتى فيما بين البهائم كما ورد: أنه يقاد للشاة الجماء من القرناء.

وورد أن الله تعالى إذا اقتص للبهائم بعضها من بعض، يقول لها: كوني تراباً وعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً، كما في الآية الكريمة» (٢) قلت وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم تعلم مقام وعلوا مرتبة نبينا محمد إذ هو سيد ولد ادم ولا فخر قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

وَاستيقِنِي أَنَّ بَعْدَ المـوْتِ مُجْتَمَعاً *** لِلْعَالَمِينَ فَتَأْتِي العُـجْمُ وَالْعَرَبُ

وَالخَـلْقُ طُـرَّاً فيجـزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا***في يَومٍ لاَ يَنْفَعُ الأَمْوَالُ وَالْحَسَبُ

واخْشَي رُجُوعاً إِلَى عَدْلٍ تَوَعَّدَ مَنْ***لاَ يَتَّقِيه بِنـارٍ حَشْوُهَا الْغَضَبُ(١)

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه: «واعلم أن من أشد الأشياء وأشقها في موقف يوم القيامة: ظلم العباد، فإنه الظلم الذي لا يتركه الله، وفي الحديث: الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفره الله، وهو الشرك، وظلم لا يتركه الله، وهو ظلم الناس بعضهم لبعض، وظلم لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه (٢).

بجهنم . قال علي رضي الله عنه: قلت يا رسول الله، كيف يجاء بها؟ قال: (تؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، يقود بكل زمام سبعون ألف ملك، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول: ما لي ولك يا محمد، إن الله قد حرم لحمك علي) فلا يبقى أحد إلا قال نفسي نفسي! إلا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يقول: رب أمتي! رب أمتي! القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٥٥/٢٠.

(١) الحديث بطوله أخرجه البخاري: باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم الحديث ٧٥١٠، ١٤٦/٩.

(٢) الحداد: سبيل الإدكار، ص٩٣-٩٦.

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٥٥٧.

(٢) أخرجه البزار في مسنده: بلفظ آخر الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله وظلم لا يتركه الله فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وقال الله (إن الشرك لظلم عظيم) وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم

وقال ﷺ: أتدرون من المفلس من أمتي؟ فقالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال عليه السلام: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، قبل أن يَقضِي ما عليه أُخِذَ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليه، ثمَّ طُرِحَ في النار[١].

وورد أن الإنسان يسره يوم القيامة أن يكون له الحق على أبيه أو ابنه، حتى يأخذ منه ويقاضيه فيه، وفي الحديث: ((من كانت عليه لأخيه مظلمة، فليتحلَّلها منه، من قبل أن يأتي يوم لا دينار فيه ولا درهم، إنما هي الحسنات والسيئات، إن كانت له حسنات أخذ من حسناته، وإلا أخذ من سيئاتهم، فطرحت فوق سيئاته، ثم طرح في النار)) [٢]

قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

وَمَوْقِفٍ فِيه كَمِ هَوْلٍ وَكَمِ كُرِبٍ *** وَفِيه وَزِنٌ وَمَمْدِودٌ عَلَى سَقَرِ[٣]

ثانيا: حكم من لم يبلغوا الحلم من الأطفال:

أطفال المسلمين الذين ماتوا ولم يبلغوا الحلم بالإجماع أنهم في الجنة قال الإمام النووي–رحمه الله– أَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ وَقَدْ نَقَلَ جَمَاعَةٌ فِيهِمْ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ[١]، وهذا رأي الإمام الحداد فيهم وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الإمام النووي–رحمه الله–: ((وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الأكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقفت طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة)) [٢]وقد سئل الإمام الحداد عن أطفال المشركين فقال الذي نراه في أطفال المشركين، الوقوف وعدم الجزم بدخولهم الجنة أو النار، لاختلاف كثير وقع في شأنهم. لعله لا يخفاكم. وحال أطفال المسلمين في

فيمابينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم من بعض، رقم الحديث ٦٤٩٣، ١٣/ ١١٥.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب تحريم الظلم، رقم الحديث ٢٥٨١، ١٩٩٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب القصاص يوم القيامة، رقم الحديث ٦٥٣٤، ٨/ ١١١.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٣١٢.

(١) النووي: شرح مسلم، ١٨٣/١٦.

(٢) النووي: شرح مسلم، ٢٠٧/١٦.

الجنة على أكمل أحوال الطفولية وأتمها، إذ لا نقص في الجنة لأنهم كمثل البالغين العاملين، هذا ما ظهر لنا ولم أقف إلى الآن على شيء في ذلك)) [١]فرأي الإمام الحداد هو التوقف وتفويض أمرهم إلى الله وهذا الرأي منسوب للإمام أحمد -رحمه الله تعالى- وبعض السلف وهو: التوقف في الحكم على أطفال المشركين، قال ابن رجب الحنبلي – رحمه الله –كذلك اختار القول بالوقف طائفة منهم: الأثرم، والبيهقي. وذكر أن ابن عباس ﷺ رجع إليه والإمام أحمد ذكر أن ابن عباس إنما قال ذلك في أطفال المشركين، وإنما أخذه البيهقي من عموم لفظ روي عنه، كما أنه روي في بعض ألفاظ حديث أبي هريرةﷺ، أن النبي – ﷺ– سئل عن الأطفال، فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين) [٢] ولكن الحفاظ الثقات ذكروا أنه سئل عن أطفال المشركين. واستدل القائلون بالوقف[٣]، قلت وهذا الرأي أميل إليه وذلك لما يلي:

أولا: لتعارض الأدلة الواردة في ذلك.

ثانيا: ما ورد وصح عن النبي ﷺفي الحديث الصحيح السابق أنه قال: (الله أعلم بما كانوا عاملين)

---

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص١٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث ١٣٨٤، ٢/١٠٠.

(٣) ابن رجب الحنبلي: تفسير ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، ثم الدمشقي، الحنبلي، روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، ط١ ١٤٢٢ – ٢٠٠١ م، ١/٢٣٨.

المطلب السابع: الميزان:

الميزان، بالكسر: معروف وهي الآلة التي توزن بها الأشياء.

قال الجوهري: أصله موزان انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، والجمع موازين، وجائز أن يقال للميزان الواحد (بأوزانه) موازين؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ** ﴾يريد الميزان.

وقال الزجاج: اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامة، فجاء في التفسير: أنه ميزان له كفتان، وأن الميزان أنزل في الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال. (١) وللميزان كفتان وخيوط ولسان والشاهين، فالجمع يرجع إليها. وقال مجاهد وقتادة والضحاك: ذكر الميزان مثل وليس ثم ميزان وإنما هو العدل. والذي وردت به الأخبار وعليه السواد الأعظم القول الأول(٢). قال العز ابن عبد السلام -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ** ﴾ (٣) موازينه ميزان ذو كفتين توزن به الحسنات والسيئات(٤) وهذا ما يقرره الإمام الحداد كما سيأتي قال الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى ﴿**وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ** ﴾ (١) المراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان قال ابن عمر رضي الله عنه: توزن صحائف أعمال العباد(٢). وهذا هو الصحيح، وهو الذي ورد به الخبر، وأما تأويل الميزان بالعدل فهذا يتنافى مع ظواهر النصوص كما يتنافى مع ما أجمع عليه الصدر الأول من القبول بظواهر النصوص من غير تأويل لها، وهذا هو الرأي المختار وهو المجمع عليه وعليه الإمام الحداد قال الإمام الحداد رضي الله عنه: «ثم ينصب الميزان لوزن الأعمال قال الله تعالى ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ** ﴾ (٣)

---

(١) الزبيدي: تاج العروس، ٢٥٢/٣٦.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٩٣/١١.

(٣) سورة القارعة: الآية ٦

(٤) العز بن عبد السلام: تفسير العز بن عبد السلام، ٤٨١/٣.

(١) سورة الأعراف: الآية ٨

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٦٥/٧.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[١] فتوزن الحسنات والسيئات. فمن رجحت حسناته على سيئاته فاز وسعد، ومن رجحت سيئاته على حسناته خاب وخسر، ومن استوت حسناته وسيئاته، فقيل: يوقف على الأعراف بين الجنة والنار، ثم يصير إلى الجنة برحمة الله تعالى.

وورد أن ملكا[٢] واقف على الميزان. فإذا رجح ميزان العبد، نادى: ألا إن فلان بن فلان رجح ميزانه، وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وإذا خف ميزان العبد، نادى: ألا إن فلان بن فلان خف ميزانه، وشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا [٣]وحديث صاحب التسعة والتسعين سجلا من الخطايا. وهو من هذه الأمة مشهور» [٤]

قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

ونوقف موقفا صعبا ثقيلا *** وتأتي كل نفس للجدال

وينصب ثم ميزان لوزن *** وكتب باليمين وبالشمال[١]

(١) سورة الأعراف: الآية ٨ – ٩

(٢) قيل إنه جبريل كما جاء في الحديث عن حذيفة (صاحب الميزان يوم القيامة: جبريل عليه السلام) الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ، ١٧/٦٧.

(٣) أحرجه البزار في مسنده: رقم الحديث ٦٩٤٢، ١٣/٣٣٠.

(٤) الحداد: سبيل الإدكار، ص٩٧.

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٠٠.

المطلب الثامن: الصراط:

قال الزبيدي الصراط بالكسر: في اللغة الطريق، قال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١)

قال الإمام النووي في تعريف الصراط: ((وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي منازلهم والآخرون يسقطون فيه)) (٢)

وقد ثبت في الكتاب والسنة نصب الصراط يوم القيامة قال الإمام النووي والمراد بقوله الله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٣) المرور على الصراط وهو جسر منصوب عليها(٤)

وما جاء من صفة الصراط من أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف كما جاء في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: ((ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة يقولون: رب سلم، رب سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه)) (٥) قلت فإن هذا الوصف ليس للعموم وإنما للبعض كالعصاة والكفار وأما أهل الإيمان فالصراط لهم يتسع كالوادي كما جاء في عن سعيد بن أبي هلال رضي الله عنه، قال: بلغني ((أن الصراط، يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع)) (١) وأول من يجوز الصراط نبينا محمد ﷺ وللناس حالات في المرور على الصراط مختلفة باختلاف اعمالهم في الدنيا كما جاء في الحديث الصحيح: ((ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بقي بعمله – أو

---

(١) الزبيدي: تاج العروس، ٤٣٩/١٩.

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم، ٢٠/٣.

(٣) سورة مريم: الآية ٧١

(٤) الباقلاني: الإنصاف، ص١٦.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ٢٤٧٩٣، ٣٠٣/٤١.

(١) أخرجه ابن المبارك: الزهد والرقائق لابن المبارك، ١٢٢/٢.

الموثق بعمله –، ومنهم المخردل، أو المجازى، أو نحوه الحديث)) [١] وجاء في شرح الحديث منهم الموبق بعمله أي المحبوس ومنهم المخردل قال الهروي المعنى أن كلاليب النار تقطعه فيهوي في النار وقيل معناه أنها تقطعهم عن لحوقهم بمن نجا وقيل المخردل المصروع ورجحه ابن التين فقال هو أنسب لسياق الخبر ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عند أبي ذر فمنهم المخردل أو المجازى من الجزاء قوله ثم ينجو أي يتبين وفي حديث أبي سعيد فناج مسلم ومخدوش ومكدوس في جهنم حتى يمر أحدهم فيسحب سحبا قال ابن أبي جمرة يؤخذ منه أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف ناج بلا خدوش وهالك من أول وهلة ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو وكل قسم منها ينقسم أقساما تعرف بقوله بقدر أعمالهم واختلف في ضبط مكدوس فوقع في رواية مسلم بالمهملة ورواه بعضهم بالمعجمة ومعناه السوق الشديد ومعنى الذي بالمهملة الراكب بعضه على بعض وقيل مكردس والمكردس فقار الظهر وكردس الرجل خيله جعلها كراديس أي فرقها والمراد انه ينكفئ في قعرها وعند ابن ماجه من وجه آخر عن أبي سعيد رفعه ((يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوش به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها)) [٢] قال الإمام الحداد ﷺ في الصراط: (((وينصب الصراط على متن جهنم، ويؤمر الناس بالجواز عليه. وقد ورد أنه أحد من السيف، وأدق من الشعر. فيجوز الناس بأعمالهم. فمن كان أكمل إيمانا وأسرع في طاعة الله، خف على الصراط، وجاز كالبرق الخاطف، وكالريح وكالطير، وكأجود الخيل والركاب، وكأشد رجل تجري بهم أعمالهم. ومنهم من يحبو، ومنهم من يزحف، ومنهم من تلفحه النار، ومنهم من يقع فيها.

وأول من يجوزه، الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكل منهم يومئذ يقول: رب سلم سلم. وأول من يجوز منهم: محمدﷺ ومن الأمم: أمته وترسل الأمانة والرحم، فتقومان حول الصراط، وفيه دحض ومزلة، وكلاليب كشوك السعدان، تأخذ من أمرت بأخذه)) [١] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة)، رقم الحديث ٧٤٣٧، ١٢٨/٩.

(٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤٥٤/١١.

(١) الحداد: سبيل الإدكار، ص٩٧.

المطلب التاسع: الحوض

قال الزبيدي الحوض، معروف، وهو مجتمع الماء. وحوض الرسول ﷺ الذي يسقي منه أمته يوم القيامة، حكى أبو زيد: سقاك الله بحوض الرسول، ومن حوضه. (١)

وأما صفة الحوض فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا» (٢)وحوض نبينا محمد ﷺ ثابت بإجماع أهل الحق، وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ (٣) قال الحافظ جلال الدين السيوطي –رحمه الله– في كتابه البدور السافرة: ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة. (٤)والكوثر غير الحوض لأن وصفه غير وصف الحوض كما جاء في الحديث عن النبي ﷺقال: «بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر، الذي أعطاك ربك» (٥)

وأما الحوض، فإنه خارج الجنة يرده المسلمون قبل دخولهم الجنة، كما هو ظاهر كلام شراح الحديث ويشخب فيه ميزابان من الجنة، كما في حديث مسلم عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل» (١)

قال ابن حجر في الفتح: «ظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها

---

(١) الزبيدي: تاج العروس، ٣٠٨/١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب في حوض، رقم الحديث ٦٥٧٩، ١١٩/٨.

(٣) سورة الكوثر: الآية ١

(٤) السيوطي : جلال الدين السيوطي ، البدور السافرة في أمور الاخرة، تحقيق مصطفى عاشور، الناشر مكتبة القرآن للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٨م ،ص١٦٤ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: باب في الحوض، رقم الحديث ٦٥٨١، ١٢٠/٨.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب إثبات حوض نبينا ﷺوصفاته، رقم الحديث ٢٣٠٠، ١٧٩٨/٤.

ثم صرح بعد الكلام أن الذي يصب في الحوض من الجنة هو الكوثر))[١]

وبناء عليه، فإن الكوثر غير الحوض الذي يرده المسلمون قبل الجنة، ولكن هذا الحوض يستمد من الكوثر الذي هو داخل الجنة، كما يفيده كلام ابن حجر وهذا ما يقرره الإمام الحداد كما سيأتي، ويذكر الإمام الحداد مسألة هل الحوض قبل أم بعد الصراط ويرجح أن الأمر محتمل للأمرين وهذا عندي الراجح أيضا قال شارح العقيدة الطحاوية مسألة: الحوض قبل الصراط أو بعد الصراط في هذه المسألة قولان للسلف: أحدهما أن الحوض يورد بعد الصراط يعني: يكون المرور على الصراط أولا ثم بعد المرور على الصراط يورد الحوض واختار هذا الحافظ ابن حجر –رحمه الله– والسيوطي –رحمهما الله– واحتج هؤلاء بحديث النضر بن أنس، فإن ظاهره يقتضي ذلك، كما حدثنا النضر بن أنس بن مالك، عن أبيه، قال: ((سألت رسول الله ﷺأن يشفع لي يوم القيامة قال: أنا فاعل قال: وأين أطلبك يا نبي الله؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فأنا عند الميزان قال: قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فأنا عند الحوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن)) [٢]

القول الثاني: أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط واستدلوا بعدة أحاديث منها الأحاديث التي تدل على منع المرتدين على أعقابهم وأنهم يذادون عن الحوض كحديث أنس رضي الله عنه: ((ليردن علي ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك)) [١] وغيرها من الأحاديث[٢] قلت والتوقف وعدم الجزم هو الأحسن وذلك أولا لعدم وجود النص الصريح والإجماع الذي يفض الخلاف، وثانيا لاختلاف العلماء في الاستدلال بالأحاديث، وثالثا لأنه لا يتوقف عليه حكم شرعي فالتوقف هو الأسلم والله أعلم.

قال الإمام الحداد رضي الله عنه: ((ويرد المؤمنون حوض رسول الله ﷺ فيشربون منه، فيذهب ما بهم من العطش، وماؤه أشد بياضا من اللبن، وأطيب من المسك، وأحلى من العسل، فيه

---

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤٦٦/١١.

(٢) أخرجه الترمذي: باب ما جاء في شأن الصراط، رقم الحديث ٢٤٣٣، ٦٢١/٤.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب في الحوض، رقم الحديث ٦٥٨٢، ١٢٠/٨.

(٢) الراجحي: شرح الطحاوية للراجحي، ١٥٥/١.

ميزابان، يصبان من الكوثر، عرضه مسيرة شهر، وطوله كذلك، وحوله أباريق كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

واختلف العلماء: هل الحوض بعد الصراط، وقبل دخول الجنة، أو هو قبل الميزان والصراط، والأمر محتمل. وتعرف هذه الأمة من بين سائر الأمم، لأنهم غر محجلون من آثار الوضوء. كذلك قال رسول الله ﷺ. ويذاد عن الحوض أقوام، بعد ما يراهم رسول الله ﷺ ويعرفهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال. فيقول عليه الصلاة والسلام: إنهم من أصحابي فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك [1] اهـ)) [2] قال الإمام الحداد رضي الله عنه:

وترجح عند الوزن أعمالك التي *** تسر بها في موقف الحشر والنشر

وتمضي على متن الصراط كبارق ***وتشرب من حوض النبي المصطفى الطهر[3]

وقال الإمام الحداد رضي الله عنه:

وَفِيه حَوض طَهوُر الماءَ عَاطِرةُ *** لْلمُصَطَفِى سَيَّد السَّادات مِنْ مُضَر

(مُحَمِدٍ) خَاتِمِ الرَّسْل ٱلكِرَام وَمِنْ *** أَتى مِنْ الله بْالآياتِ وَالسُوَرِ[4]

---

(١) تقدم تخريجه: من (ص٤٢٢)من هذه الرسالة.

(٢) الحداد: سبيل الإدكار، ص٩٨.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٢٠٩.

(٤) المرجع السابق: ص٣١٢.

المطلب العاشر: ذكر النار وأهلها:

أولاً: تعريفها وذكرها في الكتاب والسنة

النار، معروفة، لفظ مؤنث، تقال للهيب الذي يبدو للحاسة، والنار جمعها النيران، تجمع النار على أنيار، وأصلها أنوار(١)

والنار: هي الجوهر المضيء، والنور كذلك، غير أن ضوء النار مكدر مغمور بدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق، وإذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذوة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف. (٢)

وفي الاصطلاح: النار هي جرم لطيف نوري علوي، وهي في الأصل اسم لبعيدة القعر -كما في القاموس- والمراد بها دار العذاب بجميع طبقاتها السبع التي أعلاها جهنم وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. (٣)

وقد تكلم الإمام الحداد عن النار بمنظور الكتاب والسنة وقد وفى وكفى قال ﷺ:

«ذكر النار وأهلها، لأن عليها ورود المؤمنين المتقين قبل دخولهم إلى الجنة. قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ (١)وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(٢)وقال الله تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾(٣)وقال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾(٤)وقال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾ ما الحطمة.

---

(١) الزبيدي: تاج العروس، ٣٠٥/١٤.

(٢) الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص٩٠٨.

(٣) شطا الدمياطي: أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ٣٨٤/٤.

(١) سورة مريم: الآية -٧١- ٧٢

(٢) سورة التحريم: الآية ٦

(٣) سورة المدثر: الآية ٢٧

(٤) سورة الليل: الآية ١٥-١٤

﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[٢]وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٣]وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ إلى قوله تعالى: قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ إلى قوله تعالى: قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[١] والآيات في ذكر النار، ووصف أحوال أهلها فيها، كثيرة منتشرة جدا، وكذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ كثيرة منتشرة، نشير منها إلى شيء يسير لقصد التنبيه والتذكير، قال عليه الصلاة والسلام: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلهن مثل حرها» [٢]وقال عليه الصلاة والسلام: «أوقد على نار جهنم ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة» [٣]وقال عليه الصلاة والسلام: إن أهون أهل النار عذابا:

---

(١) الهمزة: الآية ٤– ٩

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩

(٣) سورة النساء: الآية ٥٦

(٤) سورة فاطر: الآية ٣٦–٣٧

(٥) سورة المؤمنون: الآية ١٠٣–١٠٨

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٤–٧٧

(٢) أخرجه احمد في مسنده: بلفظ حرا فحرا ؛رقم الحديث ١٠٢٠١، ١٦ /١٥٥.

(٣) أخرجه الترمذي: رقم الحديث ٢٥٩١، ٤/٧١٠.

« من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا » [(١)] وقال عليه الصلاة والسلام: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته» [(٢)] وقال عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار، حتى تسيل دموعهم على وجوههم، كأنها جداول، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء، فتتقرح العيون، فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت» [(٣)] وقال عليه الصلاة والسلام: «يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بطعام، فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يتجرعون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب، فيرفع إليهم الحميم، بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم، قطعت ما في بطونهم. فيقولون: ادعوا خزنة جهنم. فيقولون: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. قالوا بلى. قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال قال: فيقولون: ادعوا مالكا، فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربك، قال إنكم ماكثون، قال الأعمش: نبئت أن بين دعائهم وإجابة مالك إياهم ألف عام. قال فيقولون: ادعوا ربكم، فلا أحد خير لكم من ربكم، فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال: فيجيبهم تعالى: اخسئوا فيها ولا تكلمون. قال: فعند ذلك ييأسون من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل» [(١)]

وقد ورد أن في النار حيات مثل أعناق البخت، وهي الإبل الخرسانية، وعقارب أمثال البغال الموكفة، تلسع اللسعة، فيجد ألم حمتها أربعين خريفا[(٢)]، ولو أن دلوا من الغساق أهريق في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب أهون أهل النار عذابا، رقم الحديث ٢١٣، ١٩٦/١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، رقم الحديث ٢٨٤٥، ٢١٨٥/٤.

(٣) أخرجه بو يعلى: رقم الحديث ٤١٣٤، ٧ /١٦١.

(١) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، رقم الحديث ٢٥٨٦، ٧٠٧/٤.

(٢) كما جاء في الحديث قال رسول اللهﷺ: إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد حموتها أربعين سنة "أخرجه أحمد في مسنده، رقم الحديث ١٧٧١٢، ٢٥١/٢٩.

الدنيا لأنتن أهل الدنيا[١]، ولو قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم[٢]، ولو أن رجلا من أهل النار خرج إلى الدنيا، لمات أهل الدنيا من نتن ريحه وتشويه خلقه) [٣]وإن أبواب النار سبعة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[٤] وهي سبع طبقات، بعضها فوق بعض.

الأولى منها: جهنم ويقال: إنها لعصاة الموحدين. والثانية: سقر والثالثة: لظى والرابعة: الحطمة. والخامسة: السعير. والسادسة: الجحيم. والسابعة: الهاوية وهي السفلى، وليس لها قعر ولا منتهى.

وقد حشيت الطبقات السبع بالعذاب الشديد، والنكال الفظيع، والخزي الوبيل. وإن كانت متفاوتة في ذلك بحيث إن كل طبقة أشد عذابا من التي فوقها أعاذنا الله منها ووالدينا وأحبابنا والمسلمين بمنه وكرمه)) [١]

ثانيا: أهل النار قسمان:

قسم الإمام الحداد أصناف أهل النار إلى قسمين القسم الأول هم الكفار والمشركون والمنافقون، وهؤلاء مخلدون في النار وسيأتي الكلام عليهم مدعما بنصوص الكتاب الدالة على خلودهم في النار.

والقسم الثاني هم عصاة الموحدين من أهل الكبائر والمعاصي، وهذا الصنف لا يخلدون بل يعذبون في النار حسب ذنوبهم وقد أجمع أهل السنة على أن الله لا يخلد في النار من كان في قلبه شيء من الإيمان إذا أدخله فيها، وقد جاءت النصوص بذلك، منها ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺأن النبي ﷺ قال: ((يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تبارك

---

(١) كما جاء في الحديث عن النبي ﷺقال: (لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، ٧٠٤/٤.

(٢) كما جاء في الحديث قال رسول الله ﷺ: (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟» أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم الحديث ٢٥٨٥، ٧٠٦/٤.

(٣) كما جاء من حديث والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا، فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه، الحديث) أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم الحديث ٢٥٨٣، ٨٩/٣.

(٤) سورة الحجر: الآية ٤٤

(١) الحداد: سبيل الإدكار، ص١١٣.

وتعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا... الحديث›› [١] وفي هذا كلام طويل[٢]وقال الطحاوي: ‹‹وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺفي النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [٣] وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته›› [٤]

وقال ابن أبي زمنين: ‹‹وأهل السنة يؤمنون بأن الله عز وجل يدخل ناسا الجنة من أهل التوحيد بعدما مستهم النار برحمته تبارك وتعالى اسمه، وبشفاعة الشافعين›› [١] وقد خالف الخوارج والمعتزلة في ذلك، حيث ذهبوا إلى أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار تنفيذا لوعيد الله لهم، وغاب عنهم الموانع التي ذكرها الله في القرآن والسنة من إنفاذ هذا الوعيد مثل التوحيد وكثرة الحسنات الماحية، وكثرة المصائب المكفرة، وإقامة الحدود في الدنيا... إلى غير ذلك.

والعصاة الموحدون يدخلون النار ولكن عذابهم ليس كالكفار بل أخف وأطولهم مكوثا في النار سبعة الآف سنة كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ ‹‹إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها فهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالأغلال ولا يقرنون مع الشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في الأدراك فمنهم من يمكث ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة ثم إن الله عز وجل إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم كنا نحن وأنتم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، رقم الحديث ٢٢، ١٣/١.

(٢) ومن أراد الاستزادة فلينظر ابن خزيمة في كتابه التوحيد فإنه عقد بابا في ذلك وساق فيه كثيرا من الروايات المؤيدة لهذا المذهب الحق.، وهكذا فعل ابن مندة في كتابه الإيمان، والبيهقي في الاعتقاد .

(٣) سورة النساء: الآية ٤٨

(٤) الطحاوي: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر مصر، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص٣٦٩.

(١) ابن أبي زمنين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زمنين المالكي، أصول السنة، تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٥ هـ، ص ١٨٠.

جميعا في الدنيا فآمنتم وكذبنا وأقررتم وجحدنا فما أغنى عنكم فنحن وأنتم اليوم فيها جميعا سواء تعذبون كما نعذب وتخلدون كما نخلد فيغضب الله تعالى عند ذلك غضبا لم يغضبه في شيء فيما مضى ولا يغضب في شيء فيما بقي فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والصراط يقال لها نهر الحياة فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ما يلي الظل منها أخضر وما يلي الشمس منها أصفر ثم يدخلون الجنة فيكتب في جباههم عتقاء الله من النار إلا رجلا واحدا فإنه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ثم ينادي يا حنان يا منان فيبعث الله إليه ملكا ليخرجه فيخوض في النار في طلبه سبعين عاما لا يقدر عليه ثم يرجع فيقول يا رب إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلانا من النار وإني أطلب في النار منذ سبعين سنة فلم أقدر عليه فيقول الله تعالى انطلق فهو في وادي كذا وكذا تحت صخرة فأخرجه فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة، ثم إن الجهنميين يطلبون إلى الله تعالى أن يمحو ذلك الاسم عنهم فيبعث ملكا فيمحو عن جباههم ذلك ثم إنه قال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين اطلعوا إلى النار فيطلعون إليهم فيرى الرجل أباه ويرى أخاه ويرى جاره ويرى صديقه ويرى العبد مولاه ثم إن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الأطباق ويشد بتلك المسامير ويمد بتلك العمد ولا يبقى فيه خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الجبار على عرشه ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبدا وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة›› (١)

قال الإمام الحداد ﷺ: ‹‹ثم اعلم أن أهل النار قسمان: قسم منهما هم الذين يدخلونها من عصاة أهل التوحيد. وهذا القسم لا يخلدون في النار، بل يخرجون منها بالشفاعة، وبرحمة الله تعالى بعضهم قبل تمام العقوبة، وبعضهم بعد ذلك، وهم متفاوتون، ويروى أن آخرهم خروجا منها، وأطولهم فيها مكثا، يخرج بعد سبعة آلاف سنة، وذلك عمر الدنيا فيما يقال.

ولا يخلد في النار موحد البتة، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، كما في الأحاديث الصحيحة.

---

(١) أخرجه الترمذي في نوادره: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ، الناشر: دار الجيل – بيروت، ٣٦/٢.

والقسم الآخر من أهل النار هم الكافرون بالله، والمشركون والمنافقون الذين يظهرون الإيمان بألسنتهم، ويضمرون الكفر في قلوبهم.

وأنواع الكافرين بالله كثيرة، فمنهم اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، وكلهم خالدون في النار أبد الآبدين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[(١)].

وقال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[(٢)] وقال تعالى ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[(٢)] وقد ورد أن ضرس الكافر في النار مثل جبل أحد، وغلظ جلده اثنان وأربعون ذراعا، وأن الكافر يسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يطؤه الناس، يعظم الله أجساد الكافرين في النار حتى يضاعف لهم العذاب، ويعظم عليهم النكال والعقاب.

ثم إذا خرج عصاة الموحدين من النار، ولم يبق فيها أحد من أهل التوحيد أغلقت أبوابها على الكافرين وأطبقت عليهم، قال الله تعالى﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾[(٣)] ومنهم من يجعل في تابوت يملأ عليه نارا، ثم يغلق عليه، فلا يزالون كذلك أبدا سرمدا، مخلدين في عذاب الله وغضبه وسخطه، إلى غير نهاية ولا غاية، نسأل الله العافية، والوفاة على الإسلام، ونعوذ بالله من أحوال أهل النار» [(٤)] ويؤكد الإمام الحداد على عدم خلود الموحدين في النار ويدعم كلامه بالحجج والبراهين الشرعية إذ يقول ﷺ: «ففقد التوحيد والإيمان هو الذي لا ينفع مع فقده شيء بحال كائنا ذلك الشيء ما كان، ولو كان عمل الأولين والآخرين، وحيث بقي مع العبد توحيده وإيمانه وسلما له، فليس يضره شيء ولو كان عاصيا مذنبا،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦١، ١٦٢

(٢) سورة النساء: الآية ٤٨

(١) سورة المائدة: الآية ٧٢

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٥

(٣) سورة الهمزة: الآية ٨-٩

(٤) الحداد: سبيل الإدكار، ص١١٤.

فإما أن يغفر الله له أو يعفو عنه، وإن عاقبه على ذنبه كانت عقوبة منقضية غير مخلدة ولا مؤبدة؛ فإنه لا يخلد في النار مؤمن، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يموتوا على الإيمان والإسلام، ووصف أنبياءه ورسله والصالحين من عباده: بأنهم يسألونه ذلك، ويدعونه به، ويتواصون به حرصا عليه وإعظاما له واغتباطا به؛ فقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١) وقد وردت عن رسول الله ﷺ الأحاديث الكثيرة الشهيرة في بشارة أهل التوحيد والإيمان، ومن مات وهو لا يشرك بالله شيئا بالنجاة من النار والفوز بالجنة وغير ذلك من الخيرات والدرجات. قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» (١) وفي رواية «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار» (٢)

وجاء أعرابي إلى النبي – ﷺ –، فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار» (٣)وقال ﷺ لمعاذ: «يا معاذ، ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، صادقا من قلبه إلا حرمه الله تعالى على النار قال: يا رسول الله، أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال: (إذا يتكلوا) فأخبر بها معاذ عند موته تأثما» (٤) أي مخافة من الإثم في كتمان هذا العلم. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى» (٥)

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢

(١) أخرجه البخاري: بلفظ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، باب قوله: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، رقم الحديث ٣٤٣٥، ٤/١٦٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، رقم الحديث ٢٩، ١/٥٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار رقم الحديث ٩٣، ١ /٩٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: بلفظ ما من أحد يشهد.. الحديث، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، رقم الحديث ١٢٨، ١/٣٧ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: باب المساجد في البيوت، رقم الحديث ٤٢٥، ١/٩٣.

وقال عليه الصلاة والسلام لأبي هريرةﷺ: ((اذهب فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة)) [(١)]وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل ﷺ:((يا معاذ، هل تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا لله فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا)) [(٢)]وقال ﷺ: ((المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله[(٣)]: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[(١)] وقال عليه الصلاة والسلام: ((أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا)) [(٢)]

وقال عليه الصلاة والسلام: ((قال الله تعالى: يا بن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)) [(٣)]وحديث الرجل من هذه الأمة الذي يصاح به فتنشر له تسعة وتسعون سجلا من الخطايا كل سجل مد البصر؛ فتطرح في كفه الميزان فيقول الله تعالى: ((إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم) فتخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله فيقول الرجل: ما هذه البطاقة في جنب هذه السجلات فيقول الله تبارك وتعالى: (إنك لا تظلم) فتطرح البطاقة الكفة فيرجح بها الميزان وتطيش تلك السجلات.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار، رقم الحديث ٣١، ٥٩/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب اسم الفرس والحمار، رقم الحديث ٢٨٥٦، ٤/ ٢٩؛

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت)، رقم الحديث ٤٦٩٩، ٨٠/٦.

(١) سورة إبراهيم: الآية٢٧

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٢٤٤١، ٦٢٧/٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٣٥٤٠، ٥٤٨/٥ .

قال عليه الصلاة والسلام: (ولا يثقل مع اسم الله شيء) – حديث مشهور[١] اهـ)) [٢]

وقال الإمام الحداد ﷺ: ((لا محالة إن الجنة أوسع، لأن لأهلها فيها منازل واسعة، وممالك مطردة، ولا محالة أن أهل النار أكثر، لأن ما لأحدهم إلا مفحص رجله، وإن غلظت أجسادهم)) [٣] قال الإمام الحداد في وصف النار

وَالفَوْزِ وَالقُرْبِ وَالرِّضْـوَانِ مِنْ مِلكٍ *** مُهَيـْمِنٍ وَاحِدٍ لِلْخَيْرِ فَتَّاحِ
مَعَ الـنَّجَاةِ مِنَ النـَّارِ الَّتِي بَرَزَتْ *** لِلظَّالمِينَ مَعَ خِزْيٍ وَ إِفْضَاحِ
فِيهَا العَقـَارِبُ وَالحَيَّاتُ تَنْهَشُهُمْ *** عَمَّ الْعَذَابُ لأِجْسَادٍ وَأَرْوَاحِ
أَحَاطَتِ النَّارُ مِنْ كُلِ الجِهَاتِ بِهِمْ *** سُـحْقاً لَهُمْ أُسَرَا غَمٍّ وَأَتْراحِ
لَمَّا عَصَوْا رَبَّهُمْ ذَا البَطْشِ أَسْكَنَهَمْ *** دَارَ البَوَارِ وَمَأْوَى كُلِّ مُجْتَاحِ[١]

ثالثا: المنافق المخلد في النار:

وهنا إشكال يجب أن نبينه وهو من المنافق المخلد في النار الذي يقصده الإمام الحداد يقول الإمام الحداد في ضابط المنافق المخلد في النار، حينما سئل عن قوله عليه الصلاة والسلام: ((إن واديا في جهنم تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة، أعده الله تعالى للقراء المرائين من هذه الأمة)) [٢]الحديث. فأجاب ﷺ فقال: ((إن أراد ﷺ بالمرائين من هذه الأمة من أظهر الإيمان الطاعة، من غير أن يكون في قلبه شيء من ذلك البتة. وإنما أظهره رياء وسمعة وتقية فهذا وصف منافق منخلع عن الإيمان مخلد في النار، وكونه في هذا الوادي الذي تستعيذ منه جهنم زيادة في نكاله وتعذيبه وتزويره وريائه وتلبيسه. وإن أراد ﷺ بالمرائين من القراء من يرائي بعبادته وقراءته، مع اعتقاده الإيمان، غير أنه يغلب عليه حب الجاه والمنزلة عند الناس، حتى أظهر ذلك رياء لهم. فيكون حبسه في ذلك الوادي محتملا لمعنيين: إما أنه يختم له بخاتمة السوء والعياذ بالله تعالى فيخلد في العقاب. ويكون حاله كحال الذي قبله.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: وقال هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم رقم الحديث ٩، ٤٦/١.

(٢) الحداد: الدعوة التامة، ص٢٦٢.

(٣) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ١٦/٢.

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٤٥.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: رقم الحديث ٩٠٣٤، ٦٣/١٢.

والمعنى الثاني أن يجعل في ذلك الوادي تغليظاً عليه وتشديداً. ثم يخلص منه ويخرج برحمة الله على القاعدة الثابتة: أنه لا يخلد في النار من في قلبه أقل شيء من الإيمان. والرياء عظيم من عظائم الكبائر وهو الشرك الأصغر» [(١)] قلت والأمر محتمل للمعنيين لأنه مبني على النية والقصد ولا يعلم ذلك إلا العالم بما في الصدور فنفوض الأمر إليه.

رابعاً: تفسير قوله تعالى (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

قال المفسر ابن عاشور -رحمه الله-: «ومن الجنة والناس تبعيض، أي لأملأن جهنم من الفريقين. وأجمعين تأكيد لشمول تثنية كلا النوعين لا لشمول جميع الأفراد لمنافاته لمعنى التبعيض الذي أفادته من» [(٢)]قال الإمام الحداد ﷺ: في مكاتبة له « فالمعنى الذي يظهر فيه أن من ها هنا للتبعيض أي أن النار تملأ بالبعض من الجن والإنس وهم الذين استوجبوها لسوء اعتقادهم وسيئات أعمالهم وأقوالهم ثم إن كان في الجملة ذلك ما يكون شركاء بالله فهم خالدون، وليسوا منها بمخرجين وما كان من الذنوب التي تكون من الموحدين فيدخلونها ثم يخرجون منها برحمة الله أو بشفاعة الشافعين المأذون لهم في الشفاعة اهـ.» [(١)]

خامسا: القول فيمن لم تبلغه الدعوة:

أخرج البخاري في صحيحه عن سلمان الفارسي ﷺ قال« فترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ستمائة سنة» [(٢)] قال ابن حجر في شرح هذا الحديث:«والمراد بالفترة المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله، ولا يمتنع أن ينبأ فيها من يدعو إلى شريعة الرسول الأخير» [(٣)] واختلف العلماء في حكم أهل الفترة فقال الإمام السيوطي -رحمه الله -في تفسير قوله تعالى

---

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص ٥٢-٥٤

(٢) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ١٢/١٩١.

(١) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد ووصاياه، ٢/٤٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، رقم الحديث، ٣٩٤٨، ٥/ ٧١.

(٣) ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ٧/٢٧٧.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [(١)] وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا. [(٢)]

والمذهب الثاني: أنهم في النار. وهذا قول جماعة من المتكلمين، وأهل التفسير، وأحد الوجهين لأصحاب أحمد، وحكاه القاضي نصا عن أحمد، وغلطه شيخنا.[(٣)]

والمذهب الثالث: أنهم في مشيئة الله تعالى وهو منقول عن الحمادين وبن المبارك وإسحاق قال ابن عبد البر وهو مقتضى صنيع مالك وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال الكفار خاصة في المشيئة. [(٤)]

والمذهب الرابع: أنهم يمتحنون في عرصات القيامة بنار يأمرهم الله سبحانه وتعالى بدخولها، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها فقد عصى الله تعالى فهو من أهل النار، ([١]) قلت والمذهب الثالث القلب إليه أميل لما فيه من التسليم للعلي القدير والله اعلم

قال الإمام الحدادﷺ حين سئل في حكمهم: ما قولكم فيمن لم تبلغه الدعوة وأتت منه أمور هداية من الله على قانون الشريعة، هل له ثواب الجنة ويكون كأهل الجنة؟ أو لا يثاب أو في ذلك تفصيل؟ إلى آخر ما سأل عنه. أجابه ﷺ: «أما ما سألت عنه فاعلم أولا أن للعلماء من أهل هذا الشأن اختلافا في أهل الفترات الكائنة بين الأنبياء، وفي من لم تبلغه الدعوة ممن هو في أقاصي البلاد وأقطارها الشاسعة. فمن قائل بتعذيبهم لأنهم لم يوحدوا الله، والله لا يغفر أن يشرك به. ومن قائل: يقول بعدم تعذيبهم لأنهم لم تبلغهم دعوة ولم تقم عليهم حجة والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[(٢)] في آيات كثيرة. ومن قائل: بالوقف وهو الأسلم والأحزم لأن الأدلة على الأمرين من النقليات والعقليات فيها ما يشبه

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٥

(٢) السيوطي: الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، الحاوي للفتاوي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٢/٢٤٤.

(٣) ابن القيم: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية،، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري ، الناشر: رمادي للنشر — الدمام، ط١، ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م، ٢/ ١٠٩٢.

(٤) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٣/ ٢٤٦.

(١) الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار — القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ، ص١٩٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥

التعارض، وإن كان لا تعارض في حقيقة الأمر. فأما ما ذكرته من حال من لم تبلغه الدعوة ولكنه آمن وعمل بالصالحات المشروعة على لسان الرسول ﷺ الهاما من الله له وهداية خصه الله تعالى بها، وهذا أمر لا يستحيل إمكانه وإن كنا لم نكن قد سمعنا بوجوده. ولكنا نقول: إن أمكن ذلك فيكون حاله أحسن بكثير ممن لم يؤمن ولم يعمل بالشريعة، ممن لم تبلغهم الدعوة وقد قيل: إنه يرحم ولا يعذب كما سبق. القائلين بذلك: الإمام حجة الإسلام في كتابه (التفرقة بين الكفر والزندقة) والله أعلم بحقائق الأمور وبعواقبها ومصائرها وبكل شيء من جميع وجوهه ومن جميع جهاته. والناظر في هذه الأشياء إن كان ممن يخشى الله ويتقيه لا يمكنه القطع والجزم، إلا بم صرحت به الشريعة ونصت عليه نصا محققا لا معارض له وهذا في أمثال هذه الأمور كالمتعذر. فتأمل ما ذكرناه حقه فإنه جامع ويتناول أكثر مما وقع السؤال عنه، والله الهادي إلى الصواب اهـ» (١)

سادسا: مسألة فناء النار:

قال شارح العقيدة الطحاوية: «قول أهل السنة المعروف هو ما ذكرته لك من أن الجنة والنار مخلوقتان لا تبيدان ولا تفنيان أبد الآبدين، ينعم أهل الجنة في الجنة أبد الآبدين، ويعذب الكفار في النار أبد الآبدين. وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بالموت على هيئة كبش فيذبح بين الجنة والنار ثم ينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» (١) والتنصيص على الأبدية في نعيم أهل الجنة وخلودهم فيها يدل على أن المكان الذي يخلدون فيه يبقى، حيث قال – عز وجل – في الجنة (خالدين فيها أبدا) ، وقال في النار (خالدين فيها أبدا) فهم خالدون في المكان فيقتضي أن المكان أيضا يبقى أبد الآبدين. ومن أهل السنة من قال: إن النار منها ما يفنى وينتهي بإنهاء رب العالمين له وهو طبقة أو درك الموحدين من النار، وهي الطبقة العليا من النار؛ لأن الموحدين موعودون بأن يخرجوا من النار، فلا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، لابد لهم من يوم يخرجون منها؛ لأن معهم التوحيد ولو طالت مدتهم، ثم تبقى تلك الطبقة لا أحد فيها فيفنيها الله – عز وجل–، وهذا منسوب إلى بعض السلف، وجاء في الأثر عن عمر وفي

---

(١) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص١٤١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قوله: (وأنذرهم يوم الحسرة)، رقم الحديث ٤٧٣٠، ٩٣/٦.

إسناده مقال وضعف: أن أهل النار لو لبثوا فيها كقدر رمل عالج -موضع فيه رمل كثير-، لكان لهم يوم يخرجون منها، وليأتين عليها يوم تصطفق أبوابها ليس فيها أحد [(١)].

ومما ينسب أيضا إلى بعض أهل السنة من أئمة أهل السنة أن فناء النار ممكن وأن فناءها لا يمتنع، وهو القول المشهور عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وعن غيره كابن القيم وجماعة من المتقدمين أيضا ومن الحاضرين.

وهذا القول منشؤه مع علم هؤلاء بالدليل وبالنصوص على وجه الاختصاص النظر في صفات الله عز وجل، وذلك أن من المتقرر في النصوص أن صفة الرحمة ذاتية ملازمة للرب – عز وجل –، والجنة من آثار رحمة الله – عز وجل — (أنت رحمتي أرحم بك من أشاء) [(٢)] والنار أثر غضب الله – عز وجل – والغضب صفة فعلية اختيارية لا تنقلب إلى أن تكون صفة ذاتية كالرحمة، ولو بقي أثر الغضب لبقي الأصل وهو الغضب، لو بقيت النار وهي أثر الغضب لبقي الغضب أبد الآبدين، وهذا يعني أنه أصبح صفة ملازمة، وهذا هو مأخذ هؤلاء الأئمة في هذه المسألة. وهذا فيه بحث ونظر معروف في تقرير هذه المسألة؛ لكن من بحثها وكثير من الناس كتبوا فيها لم يلحظوا علاقة المسألة في قول هؤلاء بصفات الله – عز وجل –، وهي أصل منشأ هذه المسألة. قد قال ابن القيم: «سألت ابن تيمية عنها فقال: هذه مسألة عظيمة [(١)]، وذكر في موضع بعد أن ذكر أدلة الجمهور أهل السنة وأدلة هؤلاء، فقال في آخره: فإن قلت إلى أي شيء انتهت أقدامكم في هذه المسالة العظيمة؟ قلنا انتهت أقدامنا إلى قول الله – عز وجل – ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [(٢)] ولا ينبغي أن يخاض في هذه المسألة؛ لكن لما أوردها الشارح وهي مسألة مشهورة عند طلبة العلم أوردت عليها هذا التقرير الموجز وهي معروفة بتفاصيل من التعليل لقول ابن تيمية وابن القيم. ولم يصب من زعم أنه لا يصح نسبة هذا القول إلى الشيخين ابن تيمية وابن القيم» [(٣)]

---

(١) أخرجه ابن حجر: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر الناشر: دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ١/ ٦٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قوله: (وتقول هل من مزيد)، رقم الحديث ٤٨٥٠، ٦/١٣٨.

(١) ابن القيم:، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ٢٦٤.

(٢) سورة هود: الآية ١٠٧

(٣) عبدالعزيز: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ١/٥٤٧.

وسئل الإمام الحداد عما دلت عليه الآيات والأخبار من أن عذاب الكفار . والعياذ بالله من ذلك دائم مؤبد مع ما ورد من رواية الإمام أحمد عن ابن عمر: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا. ونقل غير واحد نحو هذا عن ابن مسعود وأبي هريرة [1]ونقله ابن تيمية عن جماعة من الصحابة وغيرهم، فما الذي ينبغي أن يؤول به ذلك؟ فأجاب: ((ما سألتم عنه فهي مسألة قد كثر فيها الكلام وقد اعترض فيها وبسببها بعض العلماء من أهل السنة على المنسوبين إلى طريق الله أخذوا بذلك الحديث الذي ذكرتموه وقالوا بانقطاع العذاب عن أهل النار الذين هم أهلها من المشركين والكفار وليس لهم حجة في ذلك الحديث مهما قدر أنه صحيح، لأن النصوص من الكتاب والسنة البالغة مبلغ التواتر الغير القابلة للتأويل، لا تصادم بمثل ذلك الخيال.

وقد رأيت بعض أهل العلم ذكر في الجمع بين الأمرين وجها فقال: إن النار طبقات سبع وأن أعلاها تسمى جهنم، وهي التي تكون فيها العصاة من المؤمنين، ولا شك في أنهم يخرجون منها بإيمانهم على تفاوت في ذلك فتبقى بعد خروجهم منها فارغة. فهذا الذي ذكره فيه قرب ولست أسلمه له، لأن الإشكال لا يزول به ولا سبيل إلا الأخذ بما نطقت به نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف والخلف من الأمة.

واعلم أن من اتسع نظره في الكتب المؤلفة في أنواع العلوم وجد فيها كثيرا مما يشبه هذه المسائل، وربما أثارت عنده شيئا من الأوهام والإشكالات. ولا ينجيه من ذلك إلا أن تكون له بصيرة منيرة وقريحة صحيحة. وقد أحرز معتقده من قبل، بأخذ عقيدة جامعة مما أجمعت عليه أهل السنة، وقد رأينا مما ذكرناه في الكتب شيئا كثيرا فعافانا الله من الاغترار به ومن الاتباع لما تشابه منه، وعندنا في هذه المسألة التي ذكرتموها كلام طويل لكثير من المتصوفة، وفي غيرها من المسائل التي تجري مجراها. وأظن أن الشيخ ابن حجر أشار إلى هذه المسألة في

---

[1] قال الإمام البغوي في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا. وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله. ومعناه عند أهل السنة إن ثبت: أن لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان. وأما مواضع الكفار فممتلئة أبدا. ينظر البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي،تحقيق عبد الرزاق المهدي، ، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت ط١، ١٤٢٠ هـ، ٤٦٧/٢.

بعض المواضع من الزواجر. وقد طال العهد بذلك الكتاب، وما هناك ما يقتضي الإشكال عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» [١]

قال الإمام الحداد:

رحمة الله جنة الله خلدا *** وبقاء ولذة ليس تفنى[٢]

قلت وخلود النار وعدم فنائها هو محل إجماع بنصوص الكتاب والسنة.

(١) ينظر الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص١٣٩.

(٢) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٥١٩.

المطلب الحادي: عشر ذكر الجنة ونعيمها:

أولا تعريفها وذكرها في الكتاب والسنة:

الجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان، وفيها تخصيص، ويقال للنخل وغيرها. وقال أبو علي في التذكرة: لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة وليست بجنة، وقد ورد ذكر الجنة في القرآن العزيز والحديث الكريم في غير موضع. والجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان، وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، قال: وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنه جنا إذا ستره، فكأنها سترة واحدة لشدة التفافها وإظلالها؛ وما أعد الله لأهلها فيها من أنواع الكرامة[١]. والجنة دار نعيم أعدها الله لعباده ووصفها في كتابه وفي سنة نبيه ولن تجد أعظم من ذلك الوصف ومع ذلك فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الإمام الحداد ﵁: «اعلم أن الآيات والأخبار في ذكر الجنة كثيرة ومنتشرة، لا يأخذها الحصر ولا يأتي عليها الذكر، فنشير إلى طرف منها قريب موجز، يحصل به التذكير والتعريف، بجمل ذلك قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[١]وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا إلى قوله تعالى﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]وقال تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٣]وقال تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾[٤]وقال تعالى ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ١٣/١٠٠.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٣-٧٥

(٣) سورة الرحمن: الآية ٤٦-٧٨

(٤) سورة الواقعة: الآية ١٠-١٤

﴿٢١﴾ إلى قوله تعالى﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[(١)] وقال تعالى﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ إلى قوله تعالى لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾[(٢)]وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾إلى قوله تعالى﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [(٣)]وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [(٤)]. وقال تعالى﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[(٥)]وقال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [(٦)] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [(٧)].

وقال رسول اللهﷺ: يقول الله تعالى ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(١)])) [(٢)] وقال عليه الصلاة والسلام: ((جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)) [(٣)]

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٤-٢٢

(٢) الزخرف: الآية ٧٠-٧٣

(٣) سورة الدخان: الآية ٥١-٥٧

(٤) سورة محمد: الآية ١٥

(٥) سورة فاطر: الآية ٣١- ٣٥

(٦) سورة ق: الآية ٣١-٣٥

(٧) سورة القمر: الآية ٥٤-٥٥

(١) سورة السجدة: الآية ٣٢

(٢) أخرجه البخاري: باب قوله: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)، رقم الحديث ٤٧٧٩، ٦ /١١٥؛

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قوله: (ومن دونهما جنتان)، رقم الحديث ٤٨٧٨، ٦ /١٤٥؛

وقال ﷺ: ((إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)) (١) والفردوس أعلاها درجة، منها تتفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((لموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها. ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على أهل الأرض، لأضاءت ما بينها، ولملأته ما بينها ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها)) (٢) النصيف: الخمار.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام وما يقطعها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب)) (٣)وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يرى بعضهم بعضا، يطوف عليهم المؤمن)) (٤)

وقال أبو هريرة ﷺ: قلت يا رسول الله ((مم خلق الخلق؟ قال: من الماء. قلت: الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يفنى ولا يموت، ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه)) (١) والملاط هو الطين الذي يجعل بين اللبنتين.

وقال عليه السلام: ((أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر. والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان، على كل واحدة

---

(١) أخرجه الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن الأصبهاني، صفة الجنة، تحقيق: علي رضا عبد الله، ، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا، ٢/ ٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب الحور العين، وصفتهن يحار فيها الطرف، شديدة سواد العين، شديدة بياض العين رقم الحديث ٢٧٩٦، ١٧/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث ٣٢٥١، ٤/ ١١٩.

(٤) أخرجه مسلم، بلفظ للمؤمن فيها أهلون، باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين، رقم الحديث ٢٨٣٨، ٢١٨٢/٤.

(١) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، ٤ /٦٧٢.

منهما سبعون حلة، يرى مخ ساقها من ورائها» [١] وقال عليه السلام: «يدخل أهل الجنة الجنة مردا جردا مكحلين أبناء ثلاثين سنة أو ثلاث وثلاثين سنة» [٢]

وقال عليه السلام يوما لأصحابه: «ألا شمروا للجنة، فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانه تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبدي في حياة ونضرة، في دار عالية، سليمة بهية) قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله. قال: «قولوا: إن شاء الله تعالى» [٣]وقال عليه الصلاة والسلام: «نخل الجنة، جذوعها من زمرد أخضر، وكرانيفها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم» [٤] وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أهل الجنة يأكلون ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتقديس والتحميد» [٥]. وفي رواية: «التكبير كما يلهمون النفس» [١] وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الرجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة رجل، في الأكل والشرب والشهوة والجماع» [٢] وقال عليه السلام:

«ينادي مناد يا أهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبئسوا أبدا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: بلفظ (إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر....الخ، رقم الحديث ٢٥٣٥، ٤/ ٦٧٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء في سن أهل الجنة، رقم الحديث ٢٥٤٥، ٤ /٦٨٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه: بلفظ مشمر، باب صفة الجنة، رقم الحديث ٤٣٣٢، ٢/ ١٤٤٨.

(٤) أخرجه الحاكم: رقم الحديث ٣٧٧٦، ٥١٦/٢.

(٥) أخرجه مسلم: باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا، رقم الحديث ٢٨٣٥، ٤/ ٢١٨٠.

(١) أخرجه جابر: أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسي، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة، ط١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨، رقم الحديث ١٠٣٠، ص٣١٥.

(٢) أخرجه احمد في مسنده: رقم الحديث ١٩٣١٤، ٦٥/٣٢.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [(١)]›› [(٢)]
وسئل عليه الصلاة والسلام: ما الكوثر؟ قال: ‹‹ذاك نهر أعطانيه الله يعني: في الجنة أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجزر، قال عمر: إن هذه لناعمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ‹أكلتها أنعم منها›› [(٣)] وقال عليه الصلاة والسلام: ‹‹لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر›› [(٤)] وقال عليه السلام: ‹‹إن في الجنة لغرفا، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فقام إليه أعرابي فقال: لمن يا رسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام›› [(٥)]وقال عليه الصلاة والسلام: ‹‹إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحد من خلقك، فيقول: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب أي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبدا›› [(١)]وقد ورد أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، و هو خمسمائة سنة[(٢)]، وأن أنهار الجنة تجري من غير أخدود على وجه أرضه، وأن طول كل واحد منهم ستون ذرعا، على طول أبيهم آدم، وإن أدنى أهل الجنة من يعطى مثل الدنيا عشر مرات، ويكون له ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة من الحور العين، وينظر في نعيمه وما أعد الله له من الكرامة، مقدار ألف سنة، وإن ساق كل شجرة في

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٣

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: {ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون} رقم الحديث ٢٨٣٧، ٤/٢١٨٢.

(٣) أخرجه الترمذي: باب ما جاء في صفة طير الجنة، رقم الحديث ٢٥٤٢، ٤ /٦٨٠.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: رقم الحديث ٣٤٦٢، ٥ /٥١٠.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه: بلفظ ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، باب ما جاء في صفة غرف الجنة، رقم الحديث ٢٥٢٧، ٤ /٦٧٣.

(١) أخرجه مسلم: باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا، رقم الحديث ٢٨٢٩، ٤/ ٢١٧٦.

(٢) أخرجه البزار في مسنده: رقم الحديث ٦١٣٣، ١٢/ ٢٩٧.

الجنة من ذهب، وإن أبواب الجنة ثمانية، وعدد درجاتها بعدد آيات القرآن الكريم. جعلنا الله بفضله وكرمه من أهلها آمين اهـ) [١].

ثانيا: مكان الجنة والنار:

لا شك أن النار موجودة الآن، وقد أعدها الله سبحانه وتعالى دار خلود لأعدائه، كما قال سبحانه وتعالى﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]وكذلك الجنة التي جعلها الله تعالى دار كرامة لأوليائه موجودة الآن، كما قال﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾١ ونصوص الوحي من الكتاب والسنة متواترة على وجودهما، وإن كانت النصوص لم تعين تحديد مكان لهما بصريح العبارة، ولهذا قال زروق المالكي في شرح الرسالة عند قوله وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به. قال: لم يرد نص صريح في مكان الجنة والنار،

والأكثر على أن الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش؛ لقول الله ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾[٣] والنار تحت الأرضين السبع [٤]وقال العدوي في حاشيته: ((أن الجنة فوق السماوات السبع وتحت العرش وإنه سقفها، ولم يصح شيء في مكان النار وقيل إنها تحت الأرضين السبع، وقيل إنها محيطة بالدنيا وإن الجنة بعدها)) [١] وقد استأنس بعض أهل العلم إلى أن النار تحت الأرضين السبع بقوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ [٢] وكما جاء في الحديث عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم

---

(١) الحداد: سبيل الإدكار، ص ١٢١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣١

(٣) سورة النجم: الآية ١٤ – ١٥

(٤) زروق: أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق، شرح زروق على الرسالة القيروانية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ، ٧٨/١.

(١) العدوي: أبو الحسن، علي بن أحمد الصعيدي العدوي، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ،تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي، ، الناشر: دار الفكر- بيروت، ط بدون، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ٨٤/١.

(٢) سورة المطففين: الآية: ٧

بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم)) [(١)] قلت والحق تفويض أمر ذلك إلى العليم الخبير لعدم وجود النص الصريح.

وسئل الإمام الحداد عن الجنة هل هي في السماء؟ وعن النار هل هي في الأرض السابعة؟ وعن أحوال الأرض والسماء وحكمهما يوم القيامة هل تبدلان؟ أو يأتي الله سبحانه وتعالى بغيرهما؟ وعن درجات الجنة، وكم هي الجنات؟ وما الذي يقوى به المؤمنون على رؤية الله عز وجل في الآخرة؟ فأجاب بقوله: ((اعلم وفقك الله تعالى وجعلك من أهل البصائر المنيرة الناظرة بنور الله تعالى: أن هذه العلوم وردت مجملة ومفصلة وفي تفصيلها إجمال، لا تحتمل العقول غيره فحسب الإنسان منها الإيمان اليقيني. على حسب ما ورد من ذلك في صريح الكتاب والسنة

فأما الجنة فظاهر القرآن يقتضي أنها في السماء وأنها درجات، وفي بعض الروايات: مائة درجة، وفي بعضها بأن درجاتها بعدد آيات القرآن وهي أكثر من ستة آلاف، وأما الجنان فثمان وفي كل جنة جنات كثيرة، وأعلاها الفردوس الأعلى وسقفها عرش الرحمن تبارك وتعالى. وأما أهلها فهم النبيون والمرسلون وعباد الله الصالحون من المؤمنين والمسلمين.

ودرجاتهم بها على حسب إيمانهم وأعمالهم، فمن رفيع وأرفع، وعلي وأعلى، وليس فيهم وضيع ولا دني البته. وأما ما يقوى به المؤمنون على رؤيته تعالى في الجنة، فإنه سبحانه يمدهم بقوة من قوته، ويركبهم عند إعادتهم تركيبا يحتمل ذلك ويقوم له وتلك أرواح وأجساد باقية، لا يحوم بها الضعف ولا يلم بها عوارض الفناء فبذلك تقوى على ما هنالك. وأما أحوال الأرض والسماء يوم القيامة فالظاهر أنهما تتبدلان وتتغيران، ويشملهما ما قضى الله سبحانه به من عموم الفناء على هذا العالم الدنيوي والملكي. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ (١) الآية وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ (٢) الآية، ثم تعاد الأرض والسماء فتكونان هم السماء والأرض اللتين كانتا ولكن قد شملهما الفناء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب حفظ اللسان، رقم الحديث ٦٤٧٨، ٨/١٠١.

(١) سورة إبراهيم: ٤٨الآية

(٢) سورة الرحمن: الآية ٣٧

وتحولتا من حال إلى حال، كما وقع ذلك للنبي آدم صلى الله على نبينا وعليه وسلم، قيل وغيره، هذا ما ظهر والله أعلم بحقيقة الحال.

وأما النار أعاذنا الله تعالى وإياكم منها. فقد قيل: إنها الآن تحت الأرض السابعة، وقيل: تحت البحار وهي دركات بعضها تحت بعض وعددها سبع، أعلاهن جهنم لعصاة الموحدين. وأسفلهن الهاوية وهي التي لا قعر لها ولا قرار، فإذا كان يوم القيامة وبرز الملك الديان لفصل القضاء بين خلقه، جيء بعرش الرحمن ثم جيء بالجنة فجعلت عن يمينه، وجيء بالنار فجعلت عن يساره، ودعي الخلق لفصل القضاء والحساب ففريق في الجنة وفريق في السعير. ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١) وفي الكتاب والسنة تفصيل ما ذكرناه في نص الآيات الكريمات والأحاديث النبويات، فتتبعوا ذلك وتدبروه وتمسكوا بما ذكرناه من هذه الجملة فإن فيها خلاصة المقصود، ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يهد الله فهو المهتد»(٢)

ثالثا: أجسام أهل الجنة وأحوالهم وأوقاتهم:

الجنة دار نعيم والنعيم يكون للجسم لا للروح، بنص الكتاب والسنة كما تقدمت الآيات والأحاديث، قال صاحب تفسير روح البيان: «الصحيح أن أجسام أهل الجنة تنطوي في أرواحهم فتكون الأرواح ظروفا للأجسام عكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للجسم لا للروح» (٣) ومن أعظم الأدلة على أن النعيم والعذاب للأجسام لا للأرواح قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ (١) وكلام أهل الجنة بالعربية مثل كلام الدنيا بنص حديث النبي ﷺ حيث قال: «احفظوني في العرب لثلاث خصال لأني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي» (٢) ويقرر الإمام الحداد منهج عظيم في التعامل مع شأن الآخرة وما فيها بمنهج التفويض وعدم التأويل وهو منهج الصحابة وأهل السنة والجماعة قال الإمام الحداد حينما سئل عن ذلك فقال رضي الله عنه: «وأما قولكم في أجسام أهل الجنة وكلامهم: أيكون على المعهود من أجسامنا وكلامنا في هذه الدار؟ أو على وجه

---

(١) سورة الزمر: الآية ٧٥

(٢) الحداد: النفائس العلوية في المسائل الصوفية، ص٤٠.

(٣) أبو الفداء: تفسير روح البيان، ٢١٦/٩.

(١) سورة النساء: الآية ٥٦

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: رقم الحديث ٧٠٠٠، ٩٨/٤.

آخر؟ فأقول: نعم هو على المعهود من أجسامنا وكلامنا وطعامنا وشرابنا إلى آخر ما نتعاطاه، لا يجوز أن يعتقد غير ذلك على ظاهر ما ورد في الكتاب والسنة من غير تأويل، إلا أن أجسام أهل الجنة تكون أعظم من هذه الأجسام كما ورد وتكون مدركاتها أوسع بكثير. حتى بلغنا أن الشخص من أهل الجنة ينظر ببصره إلى مسافة سبعين سنة من كل جهة، ولهم في النكاح والأكل وغيرهما اتساع عظيم يليق بذلك الموطن.

وأما من يعتقد أن أجسام أهل الجنة وكلامهم ولذاتهم، تكون من قبيل المعاني والمدركات الروحانية، فهو معتقد بمعتقد الفلاسفة. ذلك معتقدهم في هذا الأمر.

قال حجة الإسلام: جميع ما ورد في أمور الآخرة، يحمل على الظاهر المعهود من غير تأويل. وجميع صفات الله مما يوهم التشبيه وينافي التنزيه فهو على المذهبين إما السكوت عن التأويل مع اعتقاد التنزيه وهو مذهب السلف، وإما الخوض في التأويل وحمل ما ورد على ما هو اللائق بجلال الله وقدسه، انتهى بمعناه ومذهبنا في ذلك مذهب السلف.

ولا ينبغي أن تقاس أمور الآخرة على أمور الدنيا، فلو قال قائل: كيف تكون نخلة من لؤلؤ تثمر ثمرا يؤكل؟ فيقال له: ألا ترى أن نخلة الدنيا خشبة، تأتي بثمر يؤكل، فتلك أحرى بالثمر من هذه، والذي أخرج الثمر من هذه يخرجه من تلك، ولكن الإنسان يصدق ولا عليه، ولا يبخل على نفسه بالتصديق، ويبتدئ أولا بترك المحرمات، ثم فعل الواجبات، ثم ما استطاع من النوافل، والطريق في هذا الزمان فعل الواجبات، واجتناب المحرمات، واجتناب ما يقدر على تركه من الشهوات، وإنما قصرت أعمار أمة محمد صلى الله عليه و آله وسلم، وقل ما يتمتعون به من الدنيا مأكلا وملبسا ونحو ذلك بالنسبة إلى الأمم السالفة ليستوفوا نصيبهم في الآخرة كاملا ›› [1] ويتكلم الإمام الحداد عن أوقات الجنة مبينا أن الجنة لا شمس فيها ولا قمر قال الإمام ابن تيمية –رحمه الله– الجنة ليس فيها شمس ولا قمر كيف وقد روي أن أهل الجنة يعلمون الليل والنهار بأنوار تظهر من العرش مثل ظهور الشمس لأهل الدنيا فتلك الأنوار خارجة عن الشمس والقمر›› [2]

---

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٨٢/١.

(٢) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق: محمد السيد الجليند، ، الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ، ٤٨١/٢.

قال الإمام الحداد: ﵁ مفسرا قوله تعالى﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ [(١)] قال: ((الجنة لا شمس فيها ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، ولكن بكرة وعشية، تنعكس البكرة على العشية وتنعكس العشية على البكرة، وهي أشبه شيء بوقت الإسفار بعد صلاة الصبح مع اعتدال الوقت ولطف الهوى في ذلك، ومن طبيعة الشمس الحرارة، ومن طبيعة القمر البرودة، فإذا كان يوم القيامة يكورهما الله تعالى ويسلبهما نورهما فيجعله في الجنة زيادة في نعيم أهلها، ويجعل حر الشمس وبرد القمر في النار زيادة لعذاب أهلها، وإنما ذكر الله الشمس في قوله: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ [(٢)] لكون الشمس عنصر الحر، كما إن القمر عنصر البرد، فزيادة حر النار من الشمس، وزيادة بردها من القمر وهو الزمهرير، وبلغنا: إن الله يوم القيامة يسلبهما نورهما فيجعله في الجنة زيادة في ضوئها ونورها، ويلقيهما في النار مع الذين كانوا يعبدونهما زيادة في حر النار وزمهريرها.

وهذا الكلام يوجب أن الجنة لا حر ولا برد فيها كما قال الإمام الحداد: حينما أعطي كأس ماء ليشرب، وكان الوقت شتاء، فقال﵁: سبحان الله، أين تلك الحلاوة التي كانت في الماء أيام الصيف، الجنة ليس فيها برد ولا حر، البرد والحر في النار، الحر في مدنها، والبرد في أوديتها، ولا تلك الحلاوة فيه إلا إذا كان باردا، ويمثل به في شدة الحلاوة، فيقال: أحلى من الماء البارد للظمآن، ثم لا يقيد بكون ذلك في الصيف، لكون المطلق في كلام العرب، يحمل على المقيد عرفا وعادة ومفهوما عندهم في لغتهم في كثير من الإطلاقات.

وليست الجنة درجة واحدة، بل هي درجات مختلفة لاختلاف أعمال أهلها، كما إن النار دركات، لاختلاف العصاة، لأن منهم من عصى الله بالكفر، ومنهم بالنفاق، ومنهم بالمعاصي، والدرجات ارتقا من حين يدخلها يرتقي في درجاتها إلى أعلاها: الفردوس، والدركات نزول، من حين يدخلها ينزل في دركاتها إلى أن ينتهي إلى أسفلها: الهاوية)) [(١)]

(١) سورة الإنسان: الآية ١٣

(٢) سورة الإنسان: الآية ١٣

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/٢١٤.

رابعا: أبواب الجنة وأبواب النار

للجنة ثمانية أبواب ثبت ذلك في نصوص شرعية، منها ما رواه البخاري عن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء»(١)

ولهذه الأبواب أسماء ثبتت بنصوص شرعية، مثل: الصلاة والجهاد والصدقة والريان والأيمن وباب الكاظمين الغيظ، ومنها ما اختاره بعض العلماء لإشارات وإيماءات في النصوص مثل: .باب التوبة أو الذكر أو العلم أو الراضين أو الحج

ودليل الأربعة ما رواه البخاري عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» (٢)

ودليل الخامس كما جاء في حديث الشفاعة: «ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى (١)ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى»

واختلف شراح الحديث في أسماء البقية بعد أن اتفقوا على تسمية الأربعة الأولى

قال الإمام النووي –رحمه الله: قال القاضي: «وقد جاء ذكر بقية أبواب الجنة في حديث آخر في باب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين فهذه سبعة أبواب جاءت في الأحاديث، وجاء في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: باب قوله: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، رقم الحديث ٣٤٣٥، ١٦٥/٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب: الريان للصائمين، رقم الحديث ١٨٩٧، ٢٥/٣.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم الحديث ١٩٤، ١٨٤/١.

حساب أنهم يدخلون من الباب الأيمن، فلعله الباب الثامن)) [١] وأما النار فلها سبعة أبواب، كما قال الله سبحانه﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [٢]ولا نعلم نصا ثابتا عن النبي ﷺ جاء في تسمية هذه الأبواب، لكن جاءت آثار عن الصحابة في ذلك، منها ما ذكره القرطبي عن علي ابن أبي طالب هل تدرون كيف أبواب جهنم؟ قال: هي مثل أبوابنا هذه؟ قال: لا، بل هي هكذا بعضها فوق بعض. [٣]قال الإمام الحداد ﷺ في الحديث الذي فيه ذكر أبواب الجنة الثمانية: ((هذه الأبواب الكبار التي تكون على حائطها، حائط سورها يدخل منها إليها، وإلا فلكل بيت باب، والنار سبع طبقات، إذا دخل من باب طبقة إلى أخرى، ينزل حتى الهاوية، والجنة إذا دخل من باب وأراد الآخر ارتفع، وكل منزلة أعلى من منزلة، ولأي شيء كانت أبواب النار سبعة، قيل لأن القلب يعد في أبواب الجنة دون النار، والإنسان إنما يرجو من فضل ربه، وإلا فما له عمل صالح يرجوا الجزاء عليه اهـ)) [٤]

قال الإمام الحداد ﷺ:

وَقَدِّمِ الخَيْرَ وَاعْمَلْ لِلْمَعادِ وَلِلْ *** خُلْدِ المؤَبَّدِ فِي رَوْحٍ وَأَفْرَاحِ
وَجَنَّةٍ مُلِئَتْ بِالطَّيِّبَات مِنَ الْ *** قُصُورِ وَالحُورِ وَالألْبَانِ وَالرَاحِ
وَالفَوْزِ وَالقُرْبِ وَالرِّضْوَانِ مِنْ مِلكٍ *** مُهَيْمِنٍ وَاحِدٍ لِلْخَيْرِ فَتَّاحِ[١]

وقال أيضا وَلِلمُتقِينَ جَنَّةُ الْخُلْدِ أُزْلِفَتْ *** وَفَازُوا بِهَا مِنْ مَاجِدٍ مُتَفضِّلِ
فَأورَثَهُمْ جَنَّاتِهِ وَنَعِيمَهَا *** بِمَا عَمِلُوا مِنْ صالِحٍ مُتَقَبَّلِ
وَوَفَّقَهُمْ لِلْخَيْرِ ثُمَّ أَثَابَهُمْ *** بِرِضْوَانِهِ عَنْهُمْ وَبالمَوْطِنِ الْعَلِي
بِهِ الُقرْبُ وَالمِلْكُ الذِى لَيْسَ ينقضي*** مُصَفًّى مِنَ الأَكْدَارِ مِنْ كُلِّ مُشْغِلِ
وَرُؤْيَةُ رَبِّ العَالَمِينَ هي الُمنَى *** وَغَايَةُ قَصدِ القَاصِدِينَ الْمكَمَّلِ
مِنْ الحُورِ وَالْوُلْدَانِ زَوْجٌ وَخَادِمٌ *** وَمِنْ ذَهَبٍ وَالوَرْقِ قَصرٌ كَمَنْزِلِ
وأنهارها قَدْ فُجِّرَتْ وَعُيُونَهَا *** وَفَاكِهةٌ مِنْ كُلِّ قِطْفٍ مُذَلَّلِ[١]

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم، ١١٨/٧.
(٢) سورة الحجر: الآية ٤٤
(٣) القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص٨٣٩.
(٤) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٨/٢.
(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص١٤٥.

المطلب الثاني عشر: رؤية الله عز وجل يوم القيامة:

أولاً: أدلة رؤية الله تعالى يوم القيامة:

يجب أن يعلم: أن الرؤية جائزة عليه سبحانه وتعالى، من حيث العقل، مقطوع بها للمؤمنين في الآخرة؛ تشريفاً لهم وتفضلا، لوعد الله تعالى لهم بذلك. والدليل على جوازها من حيث العقل: سؤال موسى عليه السلام، حيث قال ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [٢] ويستحيل أن يسأل نبي من أنبياء الله تعالى مع جلالة قدره وعلو مكانه ما لا يجوز عليه سبحانه، ولولا أنه اعتقد جوازها لما سألها، ولأنه تعالى علقها باستقرار الجبل، ومن الجائز استقرار الجبل، ويدل عليه أيضاً: أنه موجود، والموجود يصح أن يرى.

وأما الدليل على ثبوتها من طريق الكتاب والسنة: قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾ [٣] واللقاء إذا قرن بالتحية لا يقتضي إلا الرؤية، وأيضاً قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [٤]قال أبو بكر الصديق ﷺ: الزيادة النظر إلى وجهه الكريم وقد ذكر مرفوعاً عن رسول الله ﷺ[١] وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [٢]والمراد بقوله ناضرة أنها مشرقة، والمراد بقوله إلى ربها ناظرة أنها لربها رائية؛ لأن النظر إذا عدّي بكلمة إلى اقتضى الرؤية نصاً، كقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ [٣] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ [٤] وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله وزيادة قال: هي النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف. وأيضاً: فإن الصحابة لما سألوه ﷺ هل نرى ربنا؟ فقال ﷺ: ترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته. ورُوي:

---

(١) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص ٤٢١-٤٢٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٤

(٤) سورة يونس: الآية ٢٦

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده: رقم الحديث ١٤٢٤، ٧٩٣/٣.

(٢) سورة القيامة: الآية ٢٢ - ٢٣

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٩

(٤) سورة الغاشية: الآية ١٧

لا تضامون في رؤيته ورُوي: لا يلحقكم ضرر ولا ضيم في رؤيته. ومعنى ذلك: أنه ﷺ شبه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي؛ فكأنه ﷺ شبه الرؤية بالرؤية؛ وأن الرائي المعاين للقمر ليلة البدر ليلة أربع عشرة لا يشك في أن الذي يراه قمر. فكذلك الناظر إليه سبحانه وتعالى في الجنة لا يشك أن الذي يراه سبحانه وتعالى بلا تكييف، ولا تشبيه، ولا تحديد، وهذا كما يقول القائل: أعرف صدقك كما أعرف النهار، ورأيت زيداً كما رأيت الشمس. ويدل عليه أيضاً قوله ﷺ: «إن الله يتجلى للخلق عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة» (١)

وقد كان الإمام الشافعي –رحمه الله– يعتقد رؤية الله يوم القيامة ويقول: «لو لم يعرف ابن إدريس انه سيرى ربه ما عبده في هذه الدنيا» (٢) قال الإمام الحداد في بيان رؤية الله تعالى (قال الله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٣) جاء في تفسيرها أن الحسنى هي الجنة، وأن الزيادة هي النظر إلى الله عز وجل. وقال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (١)

وقال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» (٢) وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٣) وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فنظرنا إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربّكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته. فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ:

---

(١) الباقلاني: الإنصاف، ص١٤.

(٢) مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ، ١١٦/٥.

(٣) سورة يونس: الآية ٢٦

(١) سورة القيامة: الآية ٢٢-٢٣

(٢) أخرجه مسلم: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم الحديث ١٨١، ١٦٣/١.

(٣)أخرجه أحمد في مسنده: رقم الحديث ١٨٩٣٥، ٣١/ ٢٦٥.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [(١)]» [(٢)] ويعني بالصلاتين صلاة الصبح وصلاة العصر.

وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله أكلنا نرى الله مخلياً به يوم القيامة؟ قال: نعم. قلت: وما آية ذلك في خلقه؟ قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به؟ قلت: بلى. قال: فالله أعظم، إنما هو خلق من خلق الله عز وجل، يعني القمر[(٣)]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنّ أهل الجنة إذا دخلوها، نّزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربّهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة. ويجلس أدناهم ــ وما فيهم أدنى ــ على كثبان المسك والكافور وما يرون أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً. قال أبو هريرة: يا رسول الله هل نرى ربّنا؟ قال: نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر؟ قلنا: لا.

قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربّكم، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محضرة، حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان، أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيذكره بعض عثراته في الدنيا، فيقول: أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى. فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه. فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط. فيقول ربّنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما شئتم، فيأتون سوقاً قد حفت به الملائكة لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فنحمل ما اشتهينا، ليس يباع فيه ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة، فيلقى من هو دونه ــ وما فيهم أدنى ــ فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثهما، حتى يخلع عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. ثم ننصرف إلى منازلنا، فتتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحباً وأهلاً لقد

---

(١) سورة طه: الآية ١٣٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: باب فضل صلاة العصر، رقم الحديث ٥٥٤، ١/ ١١٥.

(٣) أخرجه الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، رؤية الله، تحقيق إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، ، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء — الأردن، عام ١٤١١ هـ، ص٢٨٤.

جئت وإن بك من الجمال أكثر مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، وحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا)) [(١)]

وأعظم النعيم وأفضله وأجلُّه وأكمله: النظر إلى وجه الله الكريم، في دار الكرامة والنعيم.

منّ الله علينا بذلك فضله وكرمه، وجوده وإحسانه ووالدينا، وأحبابنا والمسلمين برحمته، إنه أرحم الراحمين)) [(٢)]

قال الإمام الحداد:

وَالْمتَّقِينَ جَنَّةً وَلَهُـــمْ *** فِيهَا نَعِـيمٌ لَيْسَ بِالبَالِ

يَرَوْنَهُ فِيهَا بِأبْصَارِهِمْ *** يَا لَكَ مِنْ فَوْزٍ وَإِقْـبَالِ [(٣)]

وقال أيضا وَنُلْهِيكَ عَنْ جَنَّاتِ خُلْدٍ نَعِيمُهَا *** يَدُومُ وَيَصْفُوا حَبَّذَا لَكَ مُلْتَقَى

وَفِيها رِضَــا الرَّبِّ الْــكَرِيمِ وَقُرْبُهُ *** وَرُؤيَتُهُ أَكْـرِمْ بِذَلِكَ مُـــرْتَقَى

وقال أيضا وَرُؤْيَةُ رَبِّ العَالَمِينَ هــي الُمــنَى *** وَغَايَةُ قَصدِ القَـاصِدِينَ الْمكَمَّلِ [(١)]

وقال أيضا وَرُؤْيَةُ رَبِّ الْـــــعَالَمِينَ تَقَدَّسَتْ *** أَسَامِيهِ وَالأَوْصَافُ يَالَكَ مِنْ قِسْمِ [(٢)]

وقال الإمام الحدادﷺ: ((وأما ما يقوى به المؤمنون على رؤيته تعالى في الجنة، فإنه سبحانه يمدهم بقوة من قوته، ويركِّبهم عند إعادتهم تركيبا يحتمل ذلك ويقوم له وتلك أرواح وأجساد باقية، لا يحوم بها الضعف ولا يلم بها عوارض الفناء فبذلك تقوى على ما هنالك)) [(٣)]

قلت وقد قال الإمام الحسين النجار: ((إنه يجوز أن يحول الله العين إلى القلب ويجعل لها قوة العلم فيعلم بها ويكون ذلك العلم رؤية له أي علماً له)) [(٤)]والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى وليس المعنى أنه يخلق حاسة سادسة تساعدهم على النظر إليه فهذا المعنى بعيد والأقرب أنه يمدهم بقوة من عنده تساعدهم على النظر والله اعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء في سوق الجنة، رقم الحديث ٢٥٤٩، ٤ / ٦٨٥.

(٢) الحداد: سبيل الإدكار، ص١٣٤.

(٣) الحداد: ديوان الإمام الحداد الدر المنظوم، ص٤٤٠.

(١) المرجع السابق: ص٤٢٢.

(٢) المرجع نفسه: ص٤٧٣.

(٣) الحداد: النفائس العلوية، ص٣٩.

(٤) الأشعري: مقالات الإسلامين واختلاف المصلين، ١/١٧١.

ثانيا: مفهوم حديث يؤذن لهم أي أهل الجنة في مقدار جمعة:

جاء عن سعيد بن المسيبﷺ، أنه لقي أبا هريرةﷺ، فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، قال سعيد: أوفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ، «أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم من دني على كثبان المسك والكافور، ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا» [(١)] قال شراح الحديث والمعنى (في مقدار يوم الجمعة) أي في مقدار الأسبوع، والظاهر أن المراد يوم الجمعة فإنه ورد في الأحاديث في فضائل يوم الجمعة أنه يكون في الجنة يوم جمعة كما كان في الدنيا ويحضرون ربهم إلى آخر الحديث، (فيزورون ربهم) أي (ويبرز) من الإبراز ويظهر ربهم (ويتبدى لهم) بتشديد الدال أي يظهر ويتجلى ربهم لهم (فتوضع لهم منابر) أي كراسي مرتفعة (ومنابر من زبرجد) جوهر معروف (ومنابر من ذهب ومنابر من فضة) أي بحسب مقادير أعمالهم ومراتب أحوالهم (ويجلس أدناهم) أي أدونهم منزلة (وما فيهم دني) أي والحال أنه ليس في أهل الجنة دون وخسيس قال الطيبي رحمه الله وهو تتميم صونا لما يتوهم من قوله أدناهم الدناءة والمراد به الأدنى في المرتبة (على كثبان المسك) بضم الكاف وسكون المثلثة جمع كثيب أي تل من الرمل المستطيل من كثبت الشيء إذا جمعته (والكافور) بالجر عطف على (المسك ما يرون) بصيغة المجهول من الإرادة والضمير إلى الجالسين على الكثبان أي لا يظنون ولا يتوهمون (أن أصحاب الكراسي) أي أصحاب المنابر (بأفضل منهم مجلسا) حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) بل إنهم واقفون في مقام الرضا ومتلذذون بمجال التسليم بما جرى به القضاء) [(١)]وللإمام الحداد فهم ومعنى عجيب استنبطه من هذا الحديث فقال ﷺ في حديث: «يؤذن لهم أي أهل الجنة في مقدار جمعة، إن كان من جمع الآخرة فما هو إلا بعد سبعة آلاف سنة، لأن اليوم من أيامها ألف سنة، وإن كان من جمع الدنيا فقريب، وهذا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: باب ما جاء في سوق الجنة، رقم الحديث ٢٥٤٩، ٦٨٥/٤.

(١) الأحوذي: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ٢٢٠/٧.

الإذن عام لخاصة المؤمنين وعامتهم، وإنما يتميز الخاصة عن العامة بقرب المجلس، وأحوال الكرسي وتجليه تعالى لكل مؤمن على قدره كما ورد: إن الله تعالى يتجلى لأبي بكر خاصة، كما يتجلى لغيره عامة [(١)].

والقول بعدم إرادة الجنة أو عدم الخوف من النار من شطحات الصوفية التي اعترض عليهم فيها، لأنهم إذا أرادوا النظر فلابد لهم من الجنة، ومثل ذلك كقول من يقول: ما أريد إلا أن أدخل على السلطان وأراه ولا أريد غير ذلك، وهو يأكل ويلبس، ويركب من ماله » [(٢)]

وقد فسر الإمام الحداد قولهم لا رغبة في الجنة ولا خوفا من النار بتفسير وتأويل جميل يقرب المعنى حيث بين أن هناك مطالب وملذات للجسم ومطالب وملذات للروح فقال ﷺ:

«إن معنى ما قالوا في العبادة: لا رغبة في الجنة ولا خوفا من النار، إن معناه: أن مطالب الأرواح وما تلتذ به غير مطالب الأجسام وما تلتذ به، فإن مطلب لذة الجنة من الفواكه والنعيم والحور والقصور، وكراهة النار وعذابها وأنواع بلائها، إن ذلك من ملاذ الأجسام ومكارهها، وأما التلذذ بالعبادة والذكر امتثالا وانقيادا من العبودية للربوبية، فإن ذلك من ملاذ الأرواح ومطالبها، هذا في الأصل ولابد من تلذذ أحدهما أو تعذبه بما يلتذ به الآخر أو يتعذب به تبعا» [(١)]قلت ومثل هذه الأقوال حبذا تجنبها في مخاطبة العامة حتى لا تفهم فهم خاطئ وكذا لأن الكلام فيها لا يترتب عليه شيء من أمور العقيدة حتى نخوض فيه فالأفضل تقرير الرجاء والخوف كما جاء في الكتاب والسنة دون زيادة أو نقصان والله أعلم.

ثالثا: رؤية النساء والجن لله تعالى والخلاف فيها:

قال الإمام السيوطي-رحمه الله- «مسألة: رؤية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل أحد، الرجال والنساء بلا نزاع، وذهب قوم من أهل السنة إلى أنها تحصل فيه للمنافقين

---

(١) كما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كنا عند النبي ﷺإذ جاءه وفد عبد القيس فتكلم بعضهم بكلام لغا في الكلام، فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر، وقال: «يا أبا بكر، سمعت ما قالوا؟» قال: نعم يا رسول الله، وفهمته، قال: «فأجبهم» قال: فأجابهم أبو بكر ﷺ بجواب وأجاد الجواب، فقال رسول اللهﷺ: «يا أبا بكر، أعطاك الله الرضوان الأكبر» فقال له بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله؟ قال: «يتجلى الله لعباده في الآخرة عامة، ويتجلى لأبي بكر خاصة) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم الحديث ٤٤٦٣، ٨٣/٣.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢١٧/٢.

(١) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢١٧/٢.

أيضا. وذهب آخرون منهم إلى أنها تحصل للكافرين أيضا، ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة.

وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين من كل أمة، ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة، واختلف بعد ذلك في صور؛ إحداها النساء من هذه الأمة، وفيهن ثلاثة مذاهب للعلماء حكاها جماعة منهم الحافظ عماد الدين بن كثير في أواخر تاريخه، أحدها: أنهن لا يرين لأنهن مقصورات في الخيام؛ ولأنه لم يرد في أحاديث الرؤية تصريح برؤيتهن. والثاني: أنهن يرين أخذا من عمومات النصوص الواردة في الرؤية. والثالث: أنهن يرين في مثل أيام الأعياد، فإنه تعالى يتجلى في مثل أيام الأعياد لأهل الجنة تجليا عاما، فيرينه في مثل هذه الحال دون غيرها، قال ابن كثير: وهذا القول يحتاج إلى دليل خاص عليه. وقال الحافظ ابن رجب في اللطائف: كل يوم كان للمسلمين عيدا في الدنيا، فإنه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم، ويتجلى لهم فيه، ويوم الجمعة يدعى في الجنة يوم المزيد، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة، وروي أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة، هذا لعموم أهل الجنة، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم بكرة وعشيا، انتهى. قلت: الحديث الذي أشار إليه ابن رجب ولم يقف عليه ابن كثير أخرجه الدارقطني في كتاب الرؤية قال: حدثنا أحمد بن سلمان بن الحسن، ثنا محمد بن عثمان بن محمد، ثنا مروان بن جعفر، ثنا نافع أبو الحسن مولى بني هاشم، ثنا عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللهﷺ: (إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل، فأحدثهم عهدا بالنظر إليه في كل جمعة، ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر) [1]

والإمام الحداد يرى أن النساء ليس لهن رؤية واستدل بحديث فقال ﷺ: ((حتى إن النساء لم يصح حديث بالرؤية لهن، بل في الأحاديث الصحيحة ما يوهم عدم ذلك، كما في حديث يؤذن لأهل الجنة في مقدار جمعة إلخ، وفي آخره فيأتون أهليهم، فيقولون لهم قد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا، فهذا شاهد على أنهم ابقوا في منازلهم، ولم يزوروا معهم)) [2] وأما أحوال الجن

(١) السيوطي: الحاوي للفتاوى، تحفة الجلساء برؤية الله للنساء، ٢/٢٤٠.

(٢) الحساوي: تثبيت الفؤاد، ٢/١٨٥.

يوم القيامة فقد قال الإمام الشبلي-رحمه الله — قال (اتفق العلماء على أن كافر الجن معذب في الآخرة كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز كقول الله تعالى ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (٢) والله أعلم.

واختلف العلماء في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة على أربعة أقوال:

-أحدها أنهم يدخلون الجنة وعليه جمهور العلماء وحكاه ابن حزم في الملل عن ابن أبي ليلى وأبي يوسف وجمهور الناس.

-القول الثاني أنهم لا يدخلونها بل يكونون في ربضها يراهم الإنس من حيث لا يرونهم وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد حكاه ابن تيمية في جواب ابن مري وهو خلاف ما حكاه ابن حزم عن أبي يوسف وقال أبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال مسلمو الجن لا يدخلون الجنة ولا النار وذلك أن الله تعالى أخرج أباهم من الجنة فلا يعيده ولا يعيد بنيه.

-القول الثالث أنهم على الأعراف وفيه حديث ساقه الحافظ أبو سعيد عن أنس عن النبي ﷺ قال إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألنا عن ثوابهم وعن مؤمنيهم فقال على الأعراف وليسوا في الجنة فقالوا ما الأعراف قال حائط الجنة تجري منه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي تغمده الله تعالى برحمته هذا منكر جدا والله تعالى أعلم

-القول الرابع الوقف واحتج أهل القول الأول بوجوه وهي:

أحدها العمومات كقوله تعالى ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) وقوله ﷺ من شهد أن لا إله إلا الله خالصا دخل الجنة(٣) فكما أنهم يخاطبون بعمومات

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢٤

(٢) سورة الجن: الآية ١٥

(١) سورة ق: الآية ٣١

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٣

(٣) تقدم تخريجه: من (ص٤٠٩) من هذه الرسالة .

الوعيد بالإجماع فكذلك يكونون مخاطبين بعمومات الوعد بطريق الأولى ومن أظهر حجة في ذلك قوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (١) إلى آخر السورة والخطاب للجن والإنس فامتن عليهم سبحانه بجزاء الجنة ووصفها لهم وشوقهم إليها فدل ذلك على أنهم ينالون ما امتن عليهم به إذا آمنوا وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه لما تلا علهيم هذه السورة، الجن كانوا أحسن ردا وجوابا منكم ما تلوت عليهم من آية إلا قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب رواه الترمذي

الوجه الثاني ما استدل به ابن حزم من قوله (أعدت للمتقين) وبقوله تعالى حاكيا عنهم ومصدقا لمن قال ذلك منهم ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ (٣)وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (١) إلى آخر السورة قال صفة تعم الجن والإنس عموما لا يجوز البتة أن يخص منها أحد النوعين ومن المحال الممتنع أن يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام وهو لا يريد إلا بعض ما أخبرنا به، ثم لا يبين ذلك وهو ضد البيان الذي ضمنه الله تعالى لنا فكيف وقد نص على أنهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة.

الوجه الثالث روى ابن منذر وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن مبشر ابن إسماعيل قال تذاكرنا عند ضمرة بن حبيب أيدخل الجن الجنة؟ قال نعم وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (٢) للجنيات والإنس للإنسيات، قال الجمهور فدل على تأتي الطمث من الجن لأن طمث الحور العين إنما يكون في الجنة.

الوجه الرابع قال أبو الشيخ حدثنا إسحاق بن أحمد حدثنا عبد الله بن عمران حدثنا معاوية حدثنا عبد الواحد بن عبيد عن الضحاك عن ابن عباس قال الخلق أربعة فخلق في الجنة

(١) سورة الرحمن: الآية ٤٦ – ٤٧

(٢) سورة الجن: الآية ١٣

(٣) سورة الجن: الآية ١

(١) سورة البينة: الآية ٧ – ٨

(٢) سورة الرحمن: الآية ٥٦

كلهم وخلق في النار كلهم وخلقان في الجنة والنار فأما الذي في الجنة كلهم فالملائكة وأما الذي في النار كلهم فالشياطين وأما الذين في الجنة والنار فالإنس والجن لهم الثواب وعليهم العقاب.

الوجه الخامس إن العقل يقوي ذلك وإن لم يوجبه وذلك أن الله تعالى قد أوعد من كفر منهم وعصى النار فكيف لا يدخل من أطاع منهم الجنة وهو سبحانه وتعالى الحكم العدل الحليم الكريم.

وأما الكلام في أن مؤمنيهم إذا دخلوا الجنة هل يرون الله تعالى أم لا قال الشبلي (قد وقع في كلام ابن عبد السلام في القواعد الصغرى ما يدل على أن مؤمني الجن إذا دخلوا الجنة لا يرون الله تعالى وأن الرؤية مخصوصة بمؤمني البشر فإنه صرح بأن الملائكة لا يرون الله تعالى في الجنة ومقتضى هذا أن الجن لا يرونه فإنه صرح قال وقد أحسن الله تعالى إلى النبيين والمرسلين وأفاضل المؤمنين بالمعارف والأحوال والطاعات والإذعان ونعيم الجنان ورضا الرحمن والنظر إلى الديان مع سماع تسليمه وكلامه وتبشيره بتأيد الرضوان ولم يثبت للملائكة مثل ذلك ولا شك أن أجساد الملائكة أفضل من أجساد البشر وأما أرواحهم فإن كانت أعرف بالله تعالى وأكمل أحوالا بأحوال البشر فهم أفضل من البشر، وإن استوت الأرواح في ذلك فقد فضلت الملائكة البشر بالأجساد فإن أجسادهم من نور وأجساد البشر من لحم ودم وفضل البشر الملائكة بما ذكرناه من نعيم الجنان وقرب الديان ورضاه وتسليمه وتقريبه والنظر إلى وجهه الكريم وإن فضلهم البشر في المعارف والأحوال والطاعات كانوا بذلك أفضل منهم وبما ذكرناه مما وعدوا به في الجنان ولا شك أن للبشر طاعات لم يثبت مثلها للملائكة كالجهاد والصبر ومجاهدة الهوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الرسالات والصبر على البلايا والمحن والرزايا ومشاق العبادات لأجل الله تعالى وقد ثبت أنهم

يرون ربهم ويسلم عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبدا، ولم يثبت مثل هذا للملائكة عليهم الصلاة والسلام وإن كان الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فرب عمل يسير أفضل من تسبيح كثير وكم من نائم أفضل من قائم والله أعلم) [١]

---

(١) الشبلي: محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين، آكام المرجان في أحكام الجان، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، ، الناشر: مكتبة القرآن – مصر – القاهرة، ص٩٢-٩٨.

والإمام الحداد صرح بإن كفار الجن يعذبون وأما المؤمنون منهم فله رأيان فيهم والظاهر أن القول الثاني وهو إثبات دخولهم الجنة هو ناسخ للقول الأول بعدم دخلوهم وإليك هذه الأقوال قال الإمام الحداد ﷺ: ((وأما أحوال الجن في الدار الآخرة فدخول أهل النار منهم النار، منصوص عليه في القرآن وهم المجرمون منهم. وأما المحسنون منهم فلم يرد في القرآن أنهم يدخلون الجنة ولم نقف من حديثه –عليه الصلاة والسلام – على ما يدل على ذلك فنرى التوقف فيه: هو الأحوط، حتى يوجد دليل صحيح، في دخولهم الجنة)) [(١)]

وسئل عن مؤمني الجن: هل لهم حظ من المعرفة الخاصة؟ وفي الرؤية إذا دخلوا الجنة؟

فأجاب ﷺ: ((اعلم أن الشيخ العارف عبدالوهاب الشعراني المصري –رحمه الله تعالى –ذكر أن للجن (أعني المؤمنين) منهم حظا في المعرفة الخاصة، وأنهم سألوه عن مسائل منها، وعقد لجوابهم كتابا سماه: (كشف الران عن وجه أسئلة الجان) وقد وقفت على هذا الكتاب له.

وأما الرؤية لله تعالى في الجنة فاعلم أنه قد وقع خلاف في مؤمني الجن: هل يدخلون الجنة أم لا؟ وأحسب أنه لم يوجد دليل صحيح خاص بهم في دخول مؤمنيهم الجنة. ووقع الاحتجاج بعمومات لم يسلمها القائل بعدم الدخول. والذي يظهر لي . والعلم عند الله عز وجل . أن المؤمنين منهم يدخلون الجنة ويرون الرب فيها إن شاء الله تعالى)) [(١)]وقال الإمام الحداد ﷺ: ((أمور الآخرة كلها محتملة، ولا على الإنسان إلا أن يؤمن بها مجملة ولا يفصل، وقد استدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [(٢)] أن الجن مؤمنوهم يدخلون الجنة، ولما كانوا خلقوا من النار التي خلق منها إبليس قال العلماء: إنهم لا يرون الله تعالى، ولم يرد ذلك في صريح الأخبار وصحيح الأحاديث الواردة)) [(٣)] قلت والخلاصة من هذا الكلام أن كفار الجن في النار يعذبون ومؤمني الجن في الجنة ينعمون والأدلة صرحت بذلك وأما الرؤية للنساء والجن فالنصوص لم تصرح بالنفي ولا بالإثبات فالتفويض اسلم لهم والله أعلم.

---

(١) الحداد: مكاتبات الإمام الحداد، ١/ ٣٩٧.

(١) الحداد: النفائس العلوية، ص١٠١.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٥٦

(٣) الحساوي تثبيت الفؤاد، ١٨٥/٢.

الخاتمة والنتائج

وفي ختام هذا البحث أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمامه، وأرجو أن أكون قد وفقت في اختيار هذا البحث وأدائه على الوجه المطلوب، فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان، ومن اطلع على خطأ فيه أو عيب فليصلحه، وأقول كما قال القائل:

جزى الله خيراً من تأمل صنعتي *** وقابل ما فيها من السهو بالعفو

وأصلح ما أخـطأت فيه بفضله *** بفطنته أسـتغفر الله من سهوي

وهذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث على النحو الآتي:

– أن الإمام الحداد سني أشعري المذهب الاعتقادي، شافعي المذهب الفقهي وله بعض الاختيارات، يحمل منهج أهل السنة والجماعة ويتبناه ويدافع عنه شأنه شأن علماء السنة والجماعة منهجهم واضح وبين لا غبار عليه وعقيدته الجامعة شاهدة على ذلك.

– يرى الإمام الحداد أن علم التوحيد وجميع العلوم الدينية ووسائلها، ترجع إلى شرح معنى هذه الكلمة الشريفة وهي الشهادتان ومنها تنطلق سائر العلوم فهي الأصل.

–شدد الإمام الحداد على أهم قضية في التوحيد وهي عدم الإشراك بالله بكافة أنواعه الظاهرة والخفية وأن العبادة الخالصة هي التي تكون (لله) لا لغيره وبها تكون النجاة.

– صرح الإمام الحداد في أن مذهبه في الصفات مذهب السلف وهو السكوت وعدم التأويل وأن هذا المذهب فيه السلامة وهو محل إجماع السلف كما قال:

وَكُنْ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيِهَا – عَلَى مَذْهَبِ الأَسْلاَفِ حَيْثُ السَّلاَمَةِ[١]

– أطلق الإمام الحداد العنان في الكلام على القضاء والقدر، وما ذاك إلا لأن الدنيا دار اختبار ومصائب ومحن، فمن رضي بقضاء الله نجا ومن اعترض هلك، وفي هذا دلالة أن الإمام الحداد يعيش مع واقعه ويحدث الناس بما هم واقعون فيه من المحذورات، ويرشدهم إلى الرضا وعدم الاعتراض.

---

١ الحداد، ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، ، ص١١٠ .

– تميزت شخصية الإمام الحداد بقوة الطرح وعدم المجاملة في قضايا العقيدة والتوحيد وتبني الرد وقول الحق لكل ضال ومبتدع مهما كان فلا تأخذه في الله لومة لائم.

– من اهم ما توصل إليه الباحث أن الإمام الحداد حينما يعرض موضوعات العقيدة يعرضها بمنهج إيماني راقٍ فيستشهد أولاً بالنص القرآني، ثم يثني بالسنة النبوية، ثم يُثلث بأقوال السلف من الصحابة والتابعين، وهذه أركان الدين، ويرى أن فيها الغنية والكفاية عن كل شيء.

– توصل الباحث إلى أن مظهر آل البيت الحقيقي إنما هو مظهر علم وأخلاق وتطبيق للشرع وقول الحق، وأن شخصية الإمام الحداد خير من مثلت هذا المظهر كما قال (نحن على القدم النبوي وسيرة سلفنا السابقين ما استطعنا ومظهرنا إنما هو مظهر علم لا مظهر رؤية شيءٍ) كما صرح الإمام الحداد أن طريقته هي الكتاب والسنة فقال (وأما طريقتنا فلا يحتاج من حيث الإجمال إلى الشرح وإنما هي: في الكتاب والسنة، والاقتداء بالسلف الصالح لا غير)

–يرى الباحث أن آل البيت في حضرموت والذين أجمعوا على حجية الإمام الحداد وأنه بمثابة المرجع لهم، أن منهجه واضح لا غبار عليه في مسائل العقيدة كما أن مواقفه واضحة من الصحابة وآل البيت لا إفراط ولا تفريط، وأنه خير من تكلم بكلام منصف عن قضايا الخلاف بين الصحابة وبين الإمام علي رضي الله تعالى عن الجميع، وقد أنصف لكل من هو صحابي وترضى عنه، وبين الترتيب المجمع عليه في الصحابة وآل البيت، وبهذا تعرف أنهم على طريق السنة والجماعة وأنهم أهلها فمن أراد أن يصنفهم بأي مسمى فليقرأ هذا البحث أو أي مصنف من مصنفات هذا الإمام وتكفيه النصائح.

– يوصي الباحث بأن تحقق مؤلفات الإمام الحداد وتخدم خدمة علمية حتى تظهر فائدتها.

– يوصي الباحث بدارسة القضاء والقدر عند الإمام الحداد كرسالة علمية فهي مفيدة وقيمة.

– يوصي الباحث بإبراز شخصيات حضرمية أخرى وعرض منهجها عرض أكاديمي فالتراث الحضرمي مليء بالعلماء الذين لم يعطوا حقهم في خدمة مؤلفاتهم وإبراز أفكارهم.

فهرس المصادر والمراجع

١. الآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٢. الأشعري: الإمام علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر ، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط٣.

٣. الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار — القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

٤. الآمدي: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الثعلبي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام ،تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

٥. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد، عز الدين ابن الأثير، أسد الغابة، الناشر: دار الفكر — بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٦. ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر مكتبة الحلواني مكتبة دار البيان، ط١.

٧. ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوى - محمود الطناحي، ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨. ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن تقي الدين المعروف بابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر — بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩. الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٠. الأصبهاني: إسماعيل بن محمد الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، ، الناشر: دار الراية – السعودية / الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١١. الأصبهاني: أبو محمد عبد الله المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري ، الناشر: دار العاصمة — الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢. الأصبهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١ – ١٤١٢ هـ.

١٣. الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، كتاب الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي بن محمد بن ناصر، ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٤. الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن الأصبهاني، صفة الجنة، تحقيق: علي رضا عبد الله، ، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا.

١٥. ايوب: حسن ايوب، تبسيط العقائد الإسلامية، الناشر دار الندوة الجديدة، بيروت لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٦. الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين حيدر، ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية — لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٧. البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، ، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٨. بامخرمة: عمر بن عبدالله بامخرمة ، الوارد القدسي في تفسير آية الكرسي، تحقيق خليل إسماعيل إلياس، الناشر تريم للدراسات والنشر، حضرموت اليمن ، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٩. البدر: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء دراسة تحليلية، المدينة المنورة، الناشر: الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٠. البراك: عبدالرحمن بن ناصر البراك، شرح العقيدة الطحاوية، دار المودة للنشر والعلم المنصورة، ط٣، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
٢١. البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد ، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وأخرون، ، المدينة المنورة، الناشر مكتبة العلوم والحكم، ط١ .
٢٢. البغدادي: ابوبكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.
٢٣. البغدادي: عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادي، إرشاد السالك إلى أشرف المسالك في فقه الإمام مالك، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٣.
٢٤. البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.
٢٥. البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، ، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة، ط بدون.
٢٦. البغدادي : أبو بكر عبد الله البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، الوجل والتوثق بالعمل، تحقيق مشهور حسنس آل سلمان، الناشر: دار الوطن – الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٧. ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٨. البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد الشاويش،: الناشر المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٩. البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت ط١، ١٤٢٠ هـ.

٣٠. ابن بطه: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، الإبانة الكبرى لابن بطه، تحقيق: رضا معطي وأخرون، الرياض، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع،ط١، ١٤١٨ هـ.

٣١. البلخي: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ.

٣٢. البلخي: المؤلف: لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي الفتاوى الهندية ،فتاوى قاضيخان (مطبوعة بهامش الفتاوى الهندية): ، الناشر: دار الفكر، ط٢، ١٣١٠هـ.

٣٣. البيهقي: أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١، ١١٤٠هـ.

٣٤. البيهقي: أحمد بن الحسين بن أبو بكر البيهقي، الأسماء والصفات، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة - السعودية، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٣٥. البيهقي: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٦. البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، القضاء والقدر ،تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٣٧. البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٣٨. التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٣٩. الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وأخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٠. الترمذي: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ، الناشر: دار الجيل – بيروت.

٤١. التفتازاني :حاشية سعد الدين التفتازاني على تفسير الكشاف للزمخشري هي في موقع مخطوطات جامعة لا يبزك الألمانية بخط فارسي جميل جدا وواضح، وهي ٥٧٣ صفحات.

٤٢. التيمي: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ط بدون: ١٣٨١ هـ.

٤٣. الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١ ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٤٤. الجامي: محمد أمان علي الجامي، العقيدة الإسلامية وتاريخها، دار المنهاج، القاهرة – مصر، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٤٥. ابن الجراح ، أبو سفيان وكيع بن الجراح، الزهد لوكيع، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٤٦. الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٧. الجويني: عبد الملك بن عبد الله الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن عويضة، ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٨. الجوزية : مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد بن محمد البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، ، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٩. الجوزية : محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ، الناشر: دار الكتب العلمية – ييروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٥٠. الجوزية: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٥١. الجوزية : محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٥٢. الجوزية: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري ، الناشر: رمادي للنشر – الدمام، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٥٣. الجوزية: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٥٤. الجوزية: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، تلبيس إبليس، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٥٥. الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥٦. الجرجاني: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين الجرجاني، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ،تحقيق: محمد حسن إسماعيل، ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٥٧. الحارث: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق:، حسين أحمد الباكري، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

٥٨. الحبشي: أحمد بن زين بن علوي الحبشي، المسلك السوي في جمع فوائد مهمة من المشرع الروي، الناشر دار مقام الإمام أحمد بن زين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

٥٩. الحبشي: علي بن محمد الحبشي، ديوان الجوهر المكنون والسر المصون، دار الحاوي للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط٤، ١٤٣٣هـ.

٦٠. ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، ، تقريب صحيح ابن حبان ،تحقيق شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٦١. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، مكاتبات الإمام الحداد المسماة جامع المكاتبات والوصايا والكلمات والقصائد المشتملة على الحكم والفوائد والمنافع والمراشد، دار الحاوي للطباعة والنشر لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.

٦٢. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، ديوان الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، دار الحاوي بتريم حضرموت، ط٢، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٦٣. الحداد، عبدالله بن علوي بن محمد الحداد، النصائح الدينية، .الناشر: دار الحاوي للطباعة والنشر و التوزيع ط ١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٦٤. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، رسالة المعاون والمظاهرة والمؤازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة، دار الحاوي، ط٢، ١٤١٣هـ.

٦٥. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، النفائس العلوية في المسائل الصوفية، الناشر دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، سنة ١٤١٤هـ.

٦٦. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، الفصول العلمية والأصول الحكمية، دار الحاوي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣ هـ.

٦٧. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، الدعوة التامة والتذكرة العامة، دار الحاوي للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢١هـ.

٦٨. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، إتحاف السائل بجواب المسائل، الناشر دار الحاوي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ.

٦٩. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، كتاب الحكم، الناشر دار الحاوي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٠. الحداد: عبدالله بن علوي الحداد، سبيل الإدكار بما يمر بالإنسان وينقضي له من أعمار، دار الحاوي للطباعة والنشر، ط١.

٧١. الحساوي: أحمد بن عبدالكريم الشجار الحساوي، تحرير أحمد بن الحسن بن عبدالله الحداد، تثبيت الفؤاد بذكر مجالس عبدالله الحداد، دار الحاوي، ط١.

٧٢. الحداد: بشرى الفؤاد بترجمة الإمام الحداد، علوي بن حسن الحداد المكي الحسيني.

٧٣. الحداد: حسن بن عمر الحداد، ثمرات الوداد المقتطفة من حياة الإمام الحداد، مع كتاب الوصايا النافعة للإمام عبدالله بن علوي الحداد، دار التراث تريم حضرموت، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .

٧٤. الحداد: علوي بن أحمد بن الحسن الحداد، المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن، الناشر مقام الإمام الحداد بتريم الحاوي، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م،

٧٥. الحدادي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري، التيسير بشرح الجامع الصغير الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٦. الحراني: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٧٧. الحراني: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، الصفدية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٧٨. الحراني: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تحقيق: محمد السيد الجليند، ، الناشر: مؤسسة علوم القرآن — دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٧٩. ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: مكتبة الخانجي — القاهرة.

٨٠. الحميدي: أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، مسند الحميدي، تحقيق حسن سليم أسد الداراني، ، الناشر: دار السقا، دمشق — سوريا، ط١، ١٩٩٦ م.

٨١. ابن حميد، صالح بن عبد الله بن حميد وأخرون، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤.

٨٢. الحاكم :أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه، المستدرك على الصحيحين تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م.

٨٣. الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمود بن شعبان واخرون، ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، ، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م.

٨٤. الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، روائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله، ، الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م.

٨٥. الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، ، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٦. ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، العقيدة رواية أبي بكر الخلال، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروا ، الناشر: دار قتيبة — دمشق، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٨٧. ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الزهد، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٨٨. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٨٩. ا بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت، ط١، ١٤٠٣ — ١٩٨٣.

٩٠. الحكمي: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق: حازم القاضي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٩١. الخريصي: إبراهيم بن الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٩٢. ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية — الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٩٣. ابن خلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق: يحي مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٩٤. ابن خلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، كتاب السنة، تحقيق عطية الزهراني، الناشر: دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٩٥. خلف الله: محمد أحمد خلف الله، القرآن وعلومه، الحديث وعلومه، مطبوع ضمن موسوعة الحضارة العربية والإسلامية، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٦م.

٩٦. الخميس: محمد بن عبد الرحمن الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، الناشر: دار الصميعي، المملكة العربية السعودية.

٩٧. الخميس: تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة) ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٩٨. الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ، تحقيق: حسين الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م.

٩٩. الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، رؤية الله، تحقيق إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء — الأردن، عام ١٤١١ هـ.

١٠٠. الدمياطي: أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي، إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

١٠١. الدينوري: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، المجالسة وجواهر العلم ،تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، -، دار ابن حزم بيروت — لبنان، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

١٠٢. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٠٣. الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، الكبائر، الناشر: دار الندوة الجديدة — بيروت.

١٠٤. الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي، العرش، تحقيق: محمد بن خليفة التميمي، ، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠٥. الذهبي: محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط بدون.

١٠٦. الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٠٧. الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٠٨. ابن راهويه: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بـ ابن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢ هـ — ١٩٩١م.

١٠٩. الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر — دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.

١١٠. الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، الناشر دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١١١. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

١١٢. زروق: أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق، شرح زروق على الرسالة القيروانية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان، ط١، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

١١٣. الزرقاني: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١١٤. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٧ هـ.
١١٥. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
١١٦. الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ،تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
١١٧. الزهراني: أبو ياسر محمد بن مطر الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
١١٨. ابن أبي زمينين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المعروف بابن أبي زمنين، أصول السنة، ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة ،تحقيق عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٥هـ.
١١٩. السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي،، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد وعبد الفتاح محمد الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
١٢٠. السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق: علي حسين علي، ، الناشر: مكتبة السنة – مصر، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
١٢١. السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان، ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
١٢٢. السخاوي: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الناشر: الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٢٣. السفاريني: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢، – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

١٢٤. السفاريني عن أبي هريرة: شمس الدين، أبو العون محمد بن السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب الناشر: مؤسسة قرطبة – مصر، ط٢، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

١٢٥. السكندري: احمد بن محمد بن عطا الله السكندري، مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٢٦. سليمان: سليمان بن عبد الله بن محمد، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٢٧. السنوسي: محمد بن يوسف السنوسي، تهذيب شرح السنوسية، تحقيق سعيد فودة، ، دار الرازي للطباعة والنشر، عمان الأردن، ط٢.

١٢٨. السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.

١٢٩. السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٣٠. ابن سمعون: ابن سمعون الواعظ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عنبس البغدادي، أمالي ابن سمعون الواعظ، تحقيق: عامر حسن صبري، ، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

١٣١. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط بدون: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

١٣٢. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر: دار الفكر – بيروت.

١٣٣. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، تحقيق يوسف النبهاني، بيروت / لبنان، دار الفكر، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٣٤. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تحقيق: عبد المجيد حلبي، ، الناشر: دار المعرفة – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٣٥. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل ،تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٣٦. السيوطي : جلال الدين السيوطي ، البدور السافرة في أمور الاخرة، تحقيق مصطفى عاشور، الناشر مكتبة القرآن للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

١٣٧. السيوطي: الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، الحاوي للفتاوي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٣٨. السقاف: عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، الناشر دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٥ م.

١٣٩. بن سميط: محمد بن زين بن سميط، غاية القصد والمراد في مناقب شيخ البلاد والعباد الإمام عبدالله بن علوي الحداد، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

١٤٠. السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٤١. ابن السني: أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بـ ابن السني، عمل اليوم والليلة، تحقيق: كوثر البرني ، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت.

١٤٢. الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي المكي، تفسير الإمام الشافعي، تحقيق. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراه)، ، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م.

١٤٣. الشاطري: محمد بن أحمد بن عمر الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤٤. الشاطري : سالم بن عبدالله بن عمر الشاطري، الفوائد الشاطرية من النفحات الحرمية، الناشر: حروف للنشر والتوزيع،ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١٤٥. الشبلي: محمد بن ابوبكر الشبلي باعلوي، المشرع الروي بمناقب السادة آل أبي علوي، المطبعة العامرة الشرقية، ط١، ١٣١٩هـ.

١٤٦. الشبلي: محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين، آكام المرجان في أحكام الجان، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، ، الناشر: مكتبة القرآن – مصر – القاهرة.

١٤٧. الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبه إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني،

١٤٨. الطبقات الكبرى لوافح الأنوار في طبقات الأخيار، الناشر: مكتبة محمد المليجي الكتبي وأخيه، مصر، عام النشر: ١٣١٥ هـ.

١٤٩. الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

١٥٠. الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني اليمني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق أحمد عزو، الناشر: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٥١. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، الناشر: دار القلم - بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

١٥٢. الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٥٣. الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي.

١٥٤. الشيخ: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٥٥. الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، الناشر: دار المودة المنصورة ،مصر ،ط،١ ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .

١٥٦. الشيباني: بو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، السنة لعبدالله بن احمد، تحقيق محمد سعيد سالم القحطاني، ، الدمام، الناشر: دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٥٧. ابن ابي شيبه: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، مسند ابن أبي شيبة تحقيق: عادل بن يوسف وأحمد بن فريد، ، الناشر: دار الوطن – الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

١٥٨. الصاوي: أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير الناشر: دار المعارف، الطبعة: بدون ،وبدون تاريخ.

١٥٩. الصوفي: عبدالقادر بن محمد عطا صوفي، المفيد في مهمات التوحيد، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦٠. الصفوري :عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ، الناشر: المطبعة الكاستلية – مصر، عام النشر: ١٢٨٣هـ.

١٦١. الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٦٢. الطبراني: سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين — القاهرة.

١٦٣. الطبراني : سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية — القاهرة، ط٢.

١٦٤. الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

١٦٥. الطبري: محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الناشر: دار التراث — بيروت، ط٢ - ١٣٨٧ هـ.

١٦٦. الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد المصري المعروف بالطحاوي، شرح معاني الآثار، تحقيق محمد النجار و محمد سيد، الناشر: عالم الكتب، ط١،- ١٤١٤ هـ،١٩٩٤ م.

١٦٧. أبي طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط٢، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م.

١٦٨. الطحاوي: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر مصر، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٦٩. العبادي: عبد الله بن سعيد بن محمد العبادي اللحجي الحضرمي، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الناشر: دار المنهاج — جدة، ط٣، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

١٧٠. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٧١. بن عثمان: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، الناشر: مطبعة الحلبي الطبعة: بدون ط، ١٣٤٨هـ.

١٧٢. ابن عبد السلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ،تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية _ القاهرة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.

١٧٣. العدوي: أبو الحسن، علي بن أحمد الصعيدي العدوي، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ،تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي، ، الناشر: دار الفكر- بيروت، ط بدون، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٧٤. العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ،تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية،ط١، ١٤١٨ هـ.

١٧٥. العجلوني: إسماعيل بن محمد العجلوني الدمشقي ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد هنداوي، ، الناشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٧٦. العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحاب ، تحقيق: عادل أحمد وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ.

١٧٧. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد، ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

١٧٨. ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٧٩. الغامدي: أحمد بن عطية الغامدي، البيهقي وموقفه من الإلهيات، رسالة دكتوراه من كليه الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الملك عبد العزيز، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٨٠. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، ط١ - ١٤٢٢ هـ.

١٨١. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة — بيروت.

١٨٢. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا القباني، ، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٨٣. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.

١٨٤. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بداية الهداية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

١٨٥. ابن فارس: أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، ١٤٢٠هـ -١٩٩٠م.

١٨٦. الفوزان: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١٨٧. الفيروزآبادى: أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٨٨. الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

١٨٩. الفريابي: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، صفة النفاق وذم المنافقين ، تحقيق أبو عبد الرحمن المصري الأثري، ، الناشر: دار الصحابة للتراث، مصر، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٩٠. القشيري: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩١. القشيري: عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

١٩٢. القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٩٣. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، ، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

١٩٤. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ.

١٩٥. القرطبي: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤.

١٩٦. القرضاوي: يوسف بن عبدالله القرضاوي، النية والإخلاص.

١٩٧. قاسم: حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، ، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، ومكتبة المؤيد، الطائف - المملكة السعودية ،عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

١٩٨. القزويني: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٩٩. القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ.

٢٠٠. القنوجي: أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ .

٢٠١. القيرواني: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، شرح عبد المحسن بن حمد البدر، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٠٢. ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢.

٢٠٣. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٠٤. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: علي شيري، البداية والنهاية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م .

٢٠٥. كامل: عمر عبدالله كامل، الأدلة الباهرة على نفي البغضاء بين الصحابة والعترة الطاهرة، ط ٣.

٢٠٦. الكسي: أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسي، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، ، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة، ط١، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.

٢٠٧. الكشميري: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، العرف الشذي شرح سنن الترمذي، تحقيق: الشيخ محمود شاكر، ، الناشر: دار التراث العربي -بيروت، لبنان ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٠٨. المباركفوري: أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م.

٢٠٩. المباركفوري: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢١٠. ابن المبارك: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، الزهد ويليه الرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.
٢١١. المحاملي: أبو عبد الله البغدادي الحسين بن إسماعيل المحاملي، الرابع من أمالي أبي عبد الله المحاملي، الناشر: مخطوط نشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، ط١، ٢٠٠٤م.
٢١٢. المخلص: محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص، المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ، الناشر: وزارة الأوقاف لدولة قطر، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٢١٣. المروزي: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تعظيم قدر الصلاة ،تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، ، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢١٤. المروزي : أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي، كتاب الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد — القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.
٢١٥. المشهور: أبوبكر العدني بن علي المشهور، منهج السلامة الواعي المنقذ من طوفان الوهن والتداعي، الناشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، الجمهورية اليمنية —عدن-، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢١٦. المشهور: أبوبكر العدني بن علي المشهور، الوثيقة، الناشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة الترآث الجمهورية اليمنية —عدن- ط٢، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.
٢١٧. المشهور: أبوبكر العدني بن علي المشهور، سلامة الدارين في دراسة مواقف السبطين، الناشر مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة الترآث الجمهورية اليمنية —عدن- ط٢، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.
٢١٨. المشهور: ابوبكر العدني بن علي المشهور، الأسس والمنطلقات في تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات، الناشر مركز الإبدع الثقافي، اليمن —عدن — ط٢، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
٢١٩. المشهور: ابوبكر بن علي المشهور، الصديق الأكبر والإمام الأبر علي ابن أبي طالب، الناشر مركز الإبدع الثقافي، اليمن —عدن — ط١، ١٤٣٥هـ -٢٠١٤م.

٢٢٠. المقدسي: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٢١. المقدسي : محمد بن مفلح بن محمد المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب.

٢٢٢. المناوي : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي ،تحقيق: أحمد مجتبى، ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

٢٢٣. المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١ ١٣٥٦هـ.

٢٢٤. ابن منظور: محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤ هـ.

٢٢٥. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، ط٢: ١٤٢٧ هـ، دار السلاسل – الكويت.

٢٢٦. المهدي: حسين بن محمد المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، الناشر: سجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة للجمهورية اليمنية، ٢٠٠٩م.

٢٢٧. نخبة من العلماء: كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٢٨. النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، عمل اليوم والليلة، المحقق: فاروق حمادة، ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ .

٢٢٩. النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٣٠. النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين وعمدة المتقين، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٢٣١. النووي: بو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بستان العارفين، الناشر: دار الريان للتراث.

٢٣٢. النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي) الناشر: دار الفكر.

٢٣٣. النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٣٤. النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، تحقيق: محمد عثمان، ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢٣٥. النمري: أبوعمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت ،ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٣٦. الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٢٣٧. الهروي: علي بن (سلطان) محمد، الهروي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الناشر: دار الفكر، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٣٨. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده – بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

٢٣٩. الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، الناشر دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٤٠. الهيتمي: : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، الفتاوى الحديثية، الناشر: دار الفكر – دمشق.

٢٤١. اليافعي: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٢٤٢. أبو يعلى: أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، ، الناشر: دار المأمون للتراث — دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.